المدخل
لعلم النفس الاجتماعى

دكتور

عبد الرحمن العيسوى

أستاذ علم النفس

بكلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية

دار المعرفة الجامعية

٤٠ ش سوتير - الأزاريطة - ت ٤٨٣٠١٦٣

٣٨٧ ش قنال السويس - الشاطبي - ت ٥٩٧٣١٤٦

المدخل
لعلم النفس الاجتماعى

دكتور
عبدالرحمن محمد العيسوى
أستاذ علم النفس
كلية الآداب . جامعة الاسكندرية

٢٠٠٠

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - الأزاريطة - ت ٤٨٣٠١٦٣
٣٨٧ ش قنال السويس - الشاطبى - ت ٥٩٧٣١٤٦

Introduction to

Social Psychology

by

Prof. A. R. M. Essawi

Faculty of Arts
University of Alexandria
Egypt

من خير ما نتأسى به من القرآن الكريم

* جهنم يصلونها وبئس القرار « إبراهيم ٢٩ ».

* النار وعدها الله للذين كفروا وبئس المصير « الحج ٧٢ ».

* واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً « المزمل ٨ ».

* وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء « النساء ١ ».

* ولا تبخسوا الناس أشياءهم « الأعراف ٨٥ ».

* ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله « النساء ٣٧ ».

* واعلم ما تبدو وما كنتم تكتمون « البقرة ٣٣ ».

* إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين « الإسراء ٢٧ ».

* هو الله الخالق البارى المصور له الأسماء الحسنى « الحشر ٢٤ ».

* وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى « الأحزاب ٣٣ ».

* أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة « النساء ٧٨ ».

* ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار «آل عمران ١٩٣».

* إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً « الإنسان ٥ ».

* إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم « الإنفطار ١٣ ».

* أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب « البقرة ٤٤ ».

* لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون « آل عمران ٩٢ ».

* وتعانوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان « المائدة ٢ ».

* يطوف عليهم ولدان مخلدون. بأكواب وأباريق « الواقعة ١٨ ».

إهداء خاص

لنجلى الغالى أحمد والذى أرجو وأتوقع له نجاحاً عظيماً فى مضمار العلم والمعرفة والثقافة على أن يكون رائده الأول الإيمان بالله تعالى ورسوله وبالقيم الأخلاقية والمثل العليا والتحلى بسمات الرجولة والشجاعة والشهامة والعطاء والبذل والتضحية والأخوة والوفاء والولاء والإخلاص والصدق والأمانة وتحمل المسئولية وحب الواجب والقيام به.

فهرست

الصفحة

الفصل الأول
سيكولوجية الحرب

* سيكولوجية الحرب.
* سيكولوجية القيادة العسكرية والحربية.
* تعريف الحرب.
* إعداد الفرد للتلاؤم مع الحياة العسكرية.

تقديم

فى كل يوم يشهد فيه العالم تطوراً جديداً فى مجال علم النفس، واتساعاً كبيراً لآفاقه، لدرجة أصبح يطلق عليه البعض إصلاح العلوم النفسية، أو العلوم السلوكية، وليس فقط علم النفس، وفى كل يوم تزداد الحاجة إلى خدمات علماء النفس وباحثيه وأخصائييه نظراً لتغيير نمط الحياة وتعقدها، ونظراً لظهور مشاكل جديدة وموضوعات جديدة تتطلب الرعاية السيكولوجية بحثاً ودراسةً وممارسةً. ولذلك ظهرت فروع جديدة من علم النفس تهتم بموضوعات جديدة من ذلك علم النفس البيئى، والقضائى، والقانونى، والإدارى، وسيكولوجية التلوث، والعنف والعدوان، والإعلام، وسيكولوجية السياحة، ومن ذلك أيضاً ظهور علم نفس الصحة، وعلم نفس المجتمع، وسيكولوجية الزحام، وسيكولوجية الإرهاب، وفى كل يوم تتعمق فيه بحوث الفروع القديمة من علم النفس كعلم النفس الاجتماعى وديناميات الجماعة وعلم الطبى والإدارى، والتجارى، والاقتصادى، والعسكرى، والحربى، والفسيولوجى، والإكلينيكى، وعلم نفس الشواذ، والمرضى، والعلاج النفسى، وفنون الإرشاد النفسى، وعلم نفس العمل والعمال، وعلم النفس الهندسى، وعلم النفس المعمارى، وعلم النفس الجمالى، وذلك إلى جانب دراسات الطفولة والمراهقة أو علم نفس الطفل أو علم نفس النمو أو علم النفس الإرتقائى. وهناك محاولات محمودة ومشكورة لتكوين علم نفس عربى تنبع نظرياته وقوانينه، وتجرى تجاربه على البيئة العربية، وعلى الشخصية العربية، بما لها من خصوصيات، وبما تنفرد به عن الشخصية الأمريكية أو الأوروبية التى طبقت عليها دراسات علم النفس الغربى والأمريكى. نريد علم نفس مطبوع بالطابع العربى، وبالخصائص والقيم والأخلاقيات الإسلامية. ولذلك ظهرت بحوث

ومقالات ومؤلفات فى علم النفس الإسلامى، ترسخ وتؤصل للمفاهيم السيكولوجية إسلامياً، وتكشف عما فى التراث الإسلامى من قيم سيكولوجية، وتلقى الأضواء على بحوث علماء الإسلام والعلماء العرب فى مجال النفس، وطبيعتها، ووظائفها، وفى مجال الأمراض والإضطرابات النفسية والعقلية والإنحرافات السلوكية والأمراض السيكوسوماتية.

ونظراً لحاجة طلاب المدارس للرعاية النفسية وقاية وعلاجاً، فلقد تفضلت وزارة التربية المصرية بإصدار قرار يقضى بتعيين أخصائى نفسى فى كل مدرسة، على اختلاف المراحل التعليمية والمأمول أن يثبت هؤلاء الأخصائيون وجودهم ودورهم فى الحقل التربوى، وهذه خطوة مباركة فى الطريق الصائب نحو رعاية الأطفال نفسياً من قبل متخصصين فى علم النفس، ويجئ هذا القرار ضمن كفالة الرعاية المتكاملة التى تسعى إليها الدولة مشكورة، تلك الحركة المباركة تنشد رعاية الطفل روحياً وأخلاقياً وعلمياً وجسمياً وعقلياً ونفسياً، والمأمول أن يصدر قرار مماثل بتعيين أخصائى نفسى فى كل شركة أو مصنع أو مؤسسة أو وحدة إنتاجية، وفى كل مستشفى أو مركز رعاية الأمومة والطفولة وفى مختلف السجون والإصلاحيات ووحدات ومراكز رعاية الأحداث ورعاية ضعاف العقول والمعاقين جسمياً. وبالجملة فى كل تجمع بشرى كالمؤسسات الإعلامية والبنكية لتقديم الخدمة النفسية للعاملين وذويهم وكذلك فى كل الكليات والمعاهد الدراسية العليا والمتوسطة وفوق المتوسطة وعلى وجه الخصوص الكليات والمعاهد العسكرية والشرطية.

ونظراً لما يجابه المجتمع من مشكلات واقعية كثيرة، يقترح أن توجه العناية لإجراء دراسات نفسية ميدانية تمول من قبل الدولة تمويلاً سخياً لدراستها دراسة مستفيضة وتقديم المقترحات والبرامج الصالحة للعلاج والوقاية ومن ذلك دراسة المشاكل الآتية :

(١) دراسة المشاكل الناجمة عن الخصخصة، (٢) دراسة مشاكل المجتمعات العمرانية الجديدة، (٣) دراسة مشاكل الهجرة الدائمة والمؤقتة، (٤) دراسة مشاكل البطالة الكاملة أو المقنعة، (٥) دراسة مشاكل الإختلاط بين الجنسين، (٦) دراسة مشاكل أطفال الشوارع وعمالة الأطفال، ((٧) دراسة مشكلة الإدمان، (٨) مشكلة التطرف، (٩) مشكلة العنف والإرهاب، (١٠) مشاكل الجريمة والجنوح والإنحراف، (١١) مشاكل الإفلاس، (١٢) مشاكل الإدارة، (١٣) مشاكل السياحة، (١٤) مشاكل التوظف، (١٥) مشاكل قضاء وقت الفراغ، (١٦) مشاكل تأخر سن الزواج، (١٧) مشاكل الزحام، (١٨) مشاكل الإسكان، (١٩) مشاكل فوضى الشارع، (٢٠) مشاكل البلطجة، (٢١) كيفية تحسين جودة السلع والخدمات، (٢٢) مشاكل العلاج في مصر، (٢٣) مشكلة خصخصة التعليم، (٢٤) مشاكل الإعتداء على ممتلكات الدولة واغتصابها، (٢٥) مشاكل التنمية الزراعية والصناعية والتجارية والاجتماعية والبشرية والثقافية والإدارية والتعليمية والريفية والصحراوية والصحية والعلاجية والسياحية.

وكي يسهم علم النفس ورجاله في دراسة هذه الموضوعات، وغيرها، يلزم تدعيمه بالمال والمعدات والتشاريع المشجعة، وعلى أصحابه تقع مسئولية القيام بواجبهم الوطني والقومي في حركة النهضة المباركة التي تشهدها أمتنا العربية الناهضة في الوقت الراهن، والعمل على بناء الشخصية العربية على أسس سليمة من الحق والعدل والإنصاف ومن قيم الفضيلة والعفة والزهد والشرف والأمانة والقناعة والإخاء والتواضع والتوكل على الله، وحب العلم وطلبه، ونشره، وتقديره، وإحترام الصغير للكبير، وعطف الكبير على الصغير، وقيم المودة والسكينة والرحمة والشفقة، وحب العمل، والإنتاج، والنشاط والحيوية، والنضال، والكفاح، والجد والاجتهاد في سبيل الوطن وفي سبيل الخير العام والصالح العام، ونبذ سمات

ذميمة كالشح والبخل والأنانية والأثرة والطمع والجشع والمحسوبية والوصولية والشللية والإنتهازية والإبتزاز والاستغلال والفوضى والتهرب من المسئولية والإغتراب والحقد والحسد والغيرة والدس والوقيعة، والوشاية، والخيانة، والكسل والتراخي، والإهمال، واللامبالاة.

إننا فى عهد نحتاج فيه إلى جهود وعرق كل أبناء الأمة وإلى التسلح بقيم العلم والإيمان لنقيم نهضتنا المباركة ولنحمى أنفسنا مما يحاك لنا من المؤمرات والدسائس والخطط للوقيعة بين الأخوة الأشقاء أبناء الأمة الواحدة ولخلق الصراعات الداخلية، وذلك من أجل الهيمنة وسلب مقدرات الأمة، وخيراتها بحجة توفير الحماية المزعومة، ومن هنا كانت ضرورة نشر الوعى الوطنى والقومى والعربى والإسلامى والسياسى. ومن هنا يجئ تخصص علم النفس السياسى، والاقتصادى، وتخصص علم النفس الاجتماعى. وخاصة موضوعات مثل الرأى العام والاتجاهات العقلية والروح المعنوية، وإتقان فنون المقابلات الشخصية، وتطبيق الاختبارات والمقاييس العقلية وإجراء البحوث الميدانية المنهجية. إلى جانب مايقوم به علماء النفس من الإشتراك فى المواسم الثقافية والبرامج والمؤتمرات والندوات والمناظرات وإلقاء المحاضرات العامة، والإشتراك فى حلقات الدرس وما إلى ذلك مما يسهم فى نشر حركة التنوير والتوعية على المستوى المحلى والوطنى والقومى. ومن هنا تصبح الجامعة ومؤسساتها ورجالها منابر لنشر الثقافة ومصدراً للإشعاع العلمى فى كل المنطقة العربية فلم يعد مقبولاً أن تقتصر مهام رجال الجامعات ومراكز البحث العلمى على التدريس داخل قاعات الدرس المغلقة، وإنما لابد وأن ينطلق نور العلم وإشعاع المعرفة ليضئ الطريق أمام كل أبناء المجتمع. ومن هنا كانت برامج التعليم المستمر طوال العمر والتعليم المفتوح، ونظام الانتساب الموجه وإقامة الوحدات ذات الطابع الخاص وإنشاء نيابة خاصة فى الجامعات لشئون البيئة وخدمة المجتمع، والتى أصبحت من المهام الرئيسية للجامعات تحقيقاً لرسالتها فى

نشر العلم والثقافة والتراث وفى حل مشاكل المجتمع وفى النهوض بشكل الحياة على أرضنا الطيبة.

هذا وتشمل السلسلة التى نحن بصدد التقديم لها موضوعات :

(١) الإرشاد النفسى، (٢) فنون العلاج النفسى، (٣) علم نفس الشواذ والمرضى، (٤) علم النفس الاجتماعى وديناميات الجماعة، (٥) النمو النفسى والاجتماعى والجسمى والعقلى والروحى والخلقى، (٦) علم النفس المهنى، (٧) تاريخ علم النفس، (٨) علم النفس العام، (٩) علم النفس التربوى، (١٠) علم النفس الإحصائى، (١١) القياس النفسى، (١٢) علم النفس الفسيولوجى.

ولقد أصبح علم النفس من التخصصات التطبيقية التى لايمكن الإستغناء عنها ذلك لأن موضوعه الإنسان من المهد إلى اللحد ومايقوم به من سلوك أو تصرفات أو نشاط وما يصدر عنه من استجابات وبذلك تشمل دراساته كل مجالات الحياة العصرية وكل جوانب شخصية الإنسان وكل ما يسقط عليه من المؤثرات أو المثيرات الخارجية والداخلية وذلك من أبسط الاستجابات إلى أكثرها تعقيداً وخطورة كالقرارات الدولية أو قرارات شن الحرب أو بسط السلام إلى مجرد استجابة انعكاس رمشة العين أو انعكاس حركة الركبة أو العطس. علم النفس يحتوى الإنسان صغيراً وكبيراً وسوياً ومريضاً ومنتجاً ومستهلكاً ومرسلاً ومستقبلاً. ولقد كان لكاتب هذه السطور إسهاماً متواضعاً فى نشر هذا العلم وتبسيطه وجعله فى متناول يد الجميع وذلك بالكتابة فى كثير من موضوعاته وخاصة الموضوعات الجديدة.

وفيما يلى هذا الإسهام المتواضع والذى كرس له حياته لأكثر من ٣٦ عاماً حيث صدر له أول مؤلف فى عام ١٩٦٢ وهو كتاب « الأيدويولوجية العربية الجديدة ووسائل تحقيقها » :

(١) دراسات فى علم النفس الاجتماعى.

(٢) علم النفس الفسيولوجى.

(٣) القياس والتجريب فى علم النفس والتربية.

(٤) اتجاهات جديدة فى علم النفس الحديث.

(٥) علم النفس والإنتاج.

(٦) تطوير التعليم الجامعى العربى.

(٧) الآثار النفسية والاجتماعية للتليفزيون العربى.

(٨) سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمى.

(٩) العلاج النفسى.

(١٠) معالم علم النفس.

(١١) سيكولوجية الجنوح.

(١٢) علم النفس بين النظرية والتطبيق.

(١٣) علم النفس علم وفن.

(١٤) علم النفس ومشكلات الفرد.

(١٥) علم النفس والإنسان.

(١٦) مناهج البحث فى علم النفس.

(١٧) الكفاءة الإدارية.

(١٨) الكفاءة الإنتاجية.

(١٩) علم النفس الجنائى.

(٢٠) علم النفس القضائى.

(٢١) علم النفس الأسرى.

(٢٢) علم النفس الإكلينيكى.

(٢٣) قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية / إنجليزى / عربى.

(٢٤) التوجيه التربوى والمهنى.

(٢٥) شخصية المجرم ودوافع الجريمة.

(٢٦) سيكولوجية المراهق المسلم المعاصر.

(٢٧) مشكلات الشباب المعاصر.

(٢٨) مشكلات الطفولة والمراهقة.

(٢٩) أمراض العصر.

(٣٠) باثولوجيا النفس.

(٣١) علم النفس الطبى.

(٣٢) الذهانات العقلية والأعصبة النفسية.

(٣٣) علم نفس النمو.

(٣٤) علم النفس العام.

(٣٥) علم النفس فى المجال التربوى.

(٣٦) علم النفس فى المجال المهنى.

(٣٧) دراسات نفسية حديثة ومعاصرة جـ ١ ، جـ ٢ .

(٣٨) سيكولوجية التنشئة الاجتماعية.

(٣٩) مقومات الشخصية الإسلامية والعربية.

(٤٠) سيكولوجية الشباب العربى.

(٤١) علم النفس المعرفى.

(٤٢) مبعث الجريمة.

(٤٣) سيكولوجية الإدمان وعلاجه.

(٤٤) التخلف العقلى.

(٤٥) الأمراض السيكوسوماتية.

(٤٦) تاريخ علم النفس الحديث.

(٤٧) علم النفس السياسى والاقتصادى.

(٤٨) الوعى السيكولوجى.

(٤٩) مناهج البحث العلمى فى العلوم الإنسانية (مشترك).

(٥٠) تنمية الذكاء الإنسانى.

(٥١) سيكولوجية التلوث.

(٥٢) سيكولوجية الإدارة.

(٥٣) طبيعة البحث السيكولوجى (مترجم).

(٥٤) النمو الأخلاقى فى الأطفال (مترجم).

(٥٥) النمو الروحى والخلقى.

(٥٦) الحياة الروحية فى المسيحية والإسلام (مشترك).

(٥٧) الأيديولوجية العربية الجديدة ووسائل تحقيقها (١٩٦٢).

(٥٨) الإحصاء السيكولوجى التطبيقى.

(٥٩) ديناميات الجماعة.

(٦٠) دراسات سيكولوجية.

(٦١) علم النفس فى الحياة المعاصرة.

(٦٢) سيكولوجية الإبداع.

(٦٣) الإسلام والعلاج النفسى.

(٦٤) الإسلام والتنمية البشرية.

(٦٥) اضطرابات الشيخوخة وعلاجها.

(٦٦) الإرشاد النفسى.

(٦٧) سيكولوجية العمل والعمال.

(٦٨) أصول البحث السيكولوجى.

(٦٩) العلاج السلوكى.

(٧٠) الطريق إلى النبوغ العلمى.

(٧١) إشكالية المنهج فى العلوم الإنسانية (مشترك).

(٧٢) أصول علم النفس الحديث.

(٧٣) سيكولوجية الإستهلاك والتسويق.

(٧٤) سيكولوجية الطفولة والمراهقة.

(٧٥) سيكولوجية الجسم والنفس.

(٧٦) سيكولوجية الإعاقة الجسمية والعقلية.

(٧٧) سيكولوجية المجرم.

(٧٨) علم النفس الحديث.

(٧٩) دراسات فى السلوك الإنسانى.

(٨٠) سيكولوجية النمو.

(٨١) سيكولوجية الإبداع.

(٨٢) اختبار الخوف والأمان.

(٨٣) الكفاءة الإنتاجية.

(٨٤) العدوان والسيطرة.

(٨٥) اتجاهات جديدة فى علم النفس الحديث.

(٨٦) صحتك النفسية والجنس (مشترك).

(٨٧) العصاب والإنبساط والكذب فى عينات عربية.

(٨٨) الأخلاق عند الشباب العربى.

(٨٩) المرجع فى علم النفس الحديث.

(٩٠) الصحة النفسية والجريمة الجنائية.

(٩١) الإيمان والصحة العقلية.

(٩٢) اختبار الأعصبة النفسية الست.

(٩٣) التوجيه والإرشاد الإسلامى والعلمى.

(٩٤) سيكولوجية الإرهاب.

(٩٥) العلاج الأسرى.

(٩٦) العلاج بالتحليل النفسى.

(٩٧) علم النفس المرضى.

(٩٨) سيكولوجية التعلم.

(٩٩) نحو علم نفس إسلامى.

(١٠٠) العبقرية والإبداع.

(١٠١) شخصية المجرم.

(١٠٢) سيكولوجية العنف والعدوان الجنسى.

ولقد قامت بنشرها المؤسسات الآتية :

(١) دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

(٢) دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية.

(٣) دار العلوم العربية الحديثة -بيروت.

(٤) الدار الجامعية بالإسكندرية.

(٥) المكتب العربى الحديث بالإسكندرية.

(٦) دار المعارف بالإسكندرية / القاهرة.

(٧) منشأة المعارف بالأسكندرية.

(٨) الهيئة العامة للكتاب بالإسكندرية / القاهرة.

(٩) مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية.

(١٠) دار الوثائق بالكويت.

(١١) مكتبة ذات السلاسل بالكويت.

(١٢) أكاديمية نايف للعلوم الأمنية بالرياض.

(١٣) مكتب التربية العربى لدول الخليج بالرياض.

(١٤) مركز الأنوار للنشر الجامعى - دمشق - سوريا.

(١٥) دار الراتب الجامعية، بيروت.

(١٦) مكتبة هواة الكتب، بالإسكندرية.

(١٧) دار الفكر الجامعى بالإسكندرية.

(١٨) دار الشروق القاهرة / بيروت.

ولقد ساهمت هذه المؤسسات فى نشر العلم بجميع فروعه وعلى وجه الخصوص علم النفس والتربية وباقى العلوم الإنسانية وأسهمت فى تنشيط الحركة العلمية والنهضة الثقافية وحركة التطوير والتنمية والتنوير فى عالمنا العربى.

سيكولوجية الحرب

سمة تفشى الحروب :

يحصى بعض العلماء، من أمثال كاى ديكس Kay Deaux ماتعرضت له البشرية من الحروب منذ ٥٦٠٠ عاماً، عندما أخذت البشرية فى تسجيل تاريخها، بمرورها بـ ١٤٦٠٠ حرباً، بمتوسط نحو ثلاث حروب فى كل عام واحد (١). وهى نسبة عالية وخطيرة، وتدل على تعرض البشرية، بصفة مستمرة، لأخطار الحروب ودمارها وما تجلبه من تخريب لمظاهر حضارة الإنسان.

ومنذ بداية القرن العشرين، كان هناك ٩٠٠٠٠٠ نسمة قد ماتوا من جراء الأعمال الإجرامية Criminal acts. وتحظى الولايات المتحدة الأمريكية بين الدول الصناعية بارتفاع نسبة الجرائم المختلفة بها مثل القتل Homicide والهجوم أو الإعتداء Assault والإغتصاب Rape والسرقة Robbery. الأمر الذى جعل بعض العلماء يفترضون وجود غريزة فى الإنسان للقتل Killer instinct أو تدفعه للحرب والقتل وسفك الدماء، حتى تدفعه لإيذاء نفسه، وتتمثل هذه الغريزة فيما قال به سيجمند فرويد (١٨٥٦ - ١٩٣٩) بوجود « غريزة الموت » أو العدوان أو الدمار فى الإنسان (٢).

تعريف الحرب :

يشار للحرب على أنها أعمال عدائية مسلحة، بحجم كبير، وبدرجة كبيرة أو صغيرة من الإستمرار بين أمتين أو دولتين أو حكومتين أو أكثر، ويهدف من ورائها كل فريق إلى صيانة حقوقه ومصالحه فى مواجهة الطرف الآخر. والحرب لاتكون إلا بين الدول. أما النضال المسلح، الذى يحدث بين بعض الجماعات المختلفة داخل دولة ما أو الذى تقوم به جماعة من الأفراد ضد دولة أجنبية فإنها ليست حروباً بالمعنى الإصطلاحى. وتحدث الحرب، عادة، نتيجة لتفاعل عوامل

كثيرة أهمها العوامل الاجتماعية والاقتصادية ونظم الحكم فى البلاد. ويندر أن تندلع الحرب لسبب واحد بعينه، وإنما لابد وأن يكمن ورائها عدد من الأسباب. ويرجع التفسير الإشتراكى ظاهرة الحروب إلى وجود علاقة سببية بين أصحاب المصالح المادية وبين الحروب العدوانية. والحروب نوعان : حروب دفاعية Defensive wars تحدث عندما يجد المواطنون عدواً يبغى الإعتداء عليهم فيعمدون إلى الدفاع عن أراضى البلاد. ومن هذا القبيل الحروب الخمسة التى اندلعت شرارتها بين الدول العربية ودولة إسرائيل أثر إغتصابها الأرض العربية.. والنوع الثانى هو الحرب العدائية Offensive التى تعتدى فيها قوة أجنبية على شعب مسالم. وينبع الدافع للعدوان من نعرة عدوانية عنصرية أو دينية أو سياسية ومن عقدة السيطرة والاستعلاء كما حدث فى حروب إسرائيل مع الدول العربية.

وهناك الحرب الباردة Cold war أو الحرب النفسية أو الحرب الفكرية. وقد شاع استخدام هذا الإصطلاح بعد الحرب العالمية الثانية للتعبير عن حالة التوتر الدولى الناجمة عن الخلافات بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى. والحرب النفسية هذه Psychological warfare تستخدم الدعاية والشائعات والمقالات والملصقات والشعارات والنداءات والمهرجانات والمحاضرات والبيانات والكتب والكتيبات والمتاحف والمعارض والصحف والمجلات والإذاعة والتليفزيون[٣] والمسارح والروايات والأفلام والرسائل وحتى الاتصالات الشخصية وغير ذلك من الوسائل السيكولوجية الأخرى للتأثير فى معنويات العدو وإتجاهاته وميوله وعقائده وأفكاره وزعزعة إيمانه بقضيته وبأمله فى النصر وأن الهزيمة لاحقة به لا محالة لخلق حالة من الإنشقاق والتذمر بين صفوفه.

وهناك الحرب الأهلية وهى التى تنشب بين أبناء البلد الواحد، وأكثر ما تدفع إليها النزعات الحزبية أو المعارضة الشديدة[٤] للحكومة. ومن الأمثلة المريرة للحرب الأهلية، الحرب التى دارت رحاها فى لبنان زهاء خمسة عشر عاماً. وهناك الحرب

العالمية وتنشب بين عدد كبير من دول العالم، كما حدث فى العصر الحديث فى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) والحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥). ويخشى العالم أكثر ما يخشاه نشوب الحرب العالمية الثالثة تلك التى ينبغى أن تبذل كافة الجهود لمنعها بكل السبل.

ويشار للحرب على أنه قتال أو اقتتال مسلح بين أمم أو شعوب أو طوائف.. ويمكن التمييز بين الحرب الناقصة والتى يشارك فيها بعض أفراد الشعب دون غيرهم والحرب العامة أو الشاملة التى يشترك فيها كل أبناء الأمة أو الحرب العامة Public war والحرب النظامية Solemn war أو الحرب الرسمية المعلنة والتى تتم وفقاً للأصول الدولية المرعية [٥].

وهناك قواعد أو نظم تنظم الحروب وهى النصوص التشريعية التى تنظم وتحكم جيش الأمة وأسطولها أو قواتها العسكرية [٦] Artical of war .

والحقيقة أن هناك عدداً من التعريفات لمصطلح الحرب فى العلوم الاجتماعية. منها الإشارة إلى موقف اجتماعى يشهد صراعاً حاداً بين طرفين. يصل إلى حد المواجهة المسلحة. ويشير المصطلح فى القانون الدولى إلى الصراع المسلح بين دولتين أو قوميتين أو أكثر، تحاول كل منهما أن تفرض السيادة على الأخرى باستخدام القوة المسلحة. ويشير الحرب أيضاً إلى بعض مظاهر الصراع غير المسلحة وفى هذه الحالة يكون استخدام المصطلح من باب الاستعارة كالقول بالحرب ضد الفقر أو الجهل أو المرض أو الحرب بين نموذجين من العلوم أو حرب الكلمات أو الحرب الاقتصادية أو الحرب الأيديولوجية أو الفكرية أو المذهبية أو الحرب الباردة[٧] أو الحرب النفسية ولا تستخدم فيها الأسلحة أو القوات المسلحة من سفن وأساطيل وطائرات ومدرعات ومدافع وما إلى ذلك.

هل يمكن تبرير وقوع الحروب لحل مشكلة كثافة السكان ؟

وفى تبرير الحروب، جاءت نظرية مالتس Malthusian theory (*) مشيرة إلى أن هناك تبريراً للحروب، وهو تقليل عدد السكان، وذلك لمعالجة العلاقة بين الموارد المعيشية والأعداد المتزايدة من السكان ونقص الموارد الغذائية. وترى هذه النظرية أن زيادة السكان هى السبب الرئيسى فى انتشار الفقر. وأن الموارد الغذائية تزيد وفقاً لمتوالية حسابية، على حين أن السكان يزيدون وفقاً لمتوالية هندسية، وترى أن العلاج الوحيد هو تحديد النسل عن طريق تأخير الزواج والعزوبة، مع العفة. وذلك بجانب الحروب والمجاعات والأمراض المعدية وغيرها من العوامل التى تحد من الزيادة الطبيعية للسكان (٨).

ولكن الحرب ليس علاجاً لمشكلة كثافة السكان مثله مثل انتشار الأوبئة أو المجاعات .. ويقول سيجمند فرويد فى شأن الحروب أن كل مايؤدى إلى تنمية العواطف بين الناس لابد وأنه يعمل ضد حصول الحروب (٩). ومن ذلك كافة الفلسفات والدعوات الإنسانية التى تقوى الروابط الإنسانية بين الأمم على يد دعاة السلام فى جميع أنحاء العالم.

وللحرب أضرار بالغة وكثيرة تلحق بالاقتصاد وبظروف المعيشة وبمظاهر الحضارة، وبصحة الإنسان وبأخلاقياته وسلوكياته وبحالة الأمن وبكل مظاهر الحياة، حيث تؤدى الحروب إلى تدمير مظاهر حضارة الإنسان وإلى سفك الدماء وإلى تفشى الجريمة والرذيلة وخلق المجاعات وتشريد ملايين اللاجئين وهدر الأرواح وفقدان الأموال والقضاء على الموارد الاقتصادية.

عصاب الحرب :

وفوق كل ذلك الأضرار التى تلحق بالحالة الصحية والعقلية للناس ومن ذلك مايعرف فى علم النفس باسم « عصاب الحرب » أى المرض النفسى الناجم عن

(*) نسبة إلى توماس روبرت مالتوس (١٧٦٦ - ١٨٣٤) وهو عالم اقتصاد إنجليزى دعا إلى تقليل عدد السكان.

ظروف الحرب ومعاناتها ومرارتها وقسوتها War neurosis أى مرض عصاب الحرب، وهو عبارة عن حالة من الصدمة تحدث من جراء الصراع داخل الأنا كما يذهب إلى ذلك فرويد أو حدوث صدمات القنابل[١٠] Shell-shocks ولقد استخدم هذا اللفظ أثناء الحرب العالمية الأولى ولايستخدم اليوم بكثرة وهو صدمة القنابل أو صدمة القذائف أو سماع دوى الإنفجارات.

ويشمل عصاب الحرب أعراضاً كثيرة منها الشعور بالتعب والإرهاق والخوف والصراعات العقلية ويمكن أن يطلق أيضاً على هذا العصاب اصطلاح العصاب العسكرى Military neurosis أو يطلق عليه عصاب القتال Combat neurosis أو عصاب المعركة. وهو عبارة عن عصاب الصدمة Traumatic neurosis ويصيب جنود الصف الأول، وكان يطلق عليه « صدمة القذائف أو القنابل [١١] Shell-shock وأحياناً أخرى يشار إلى هذه الحالة على أنها إجهاد المعركة أو تعب المعركة Combat fatigue تلك الحالة التى يشعر بها الجنود فى ساحة القتال.

فالعصاب الصدمى تجعل بحدوثه صدمة إنفعالية أو جسمية بمعنى أنه عصاب تجلبه خبرة بالغة الإيلام وقد تكون هذه الصدمة Trauma نفسية أو جسمية على حد سواء. هذا ويمكن للصدمة أن تؤدى إلى نشأة « الذهان الصدمى ».

وهو اضطراب عقلى خطير، ينتج من وجود أذى بالمخ أو ارتطام الرأس أو الضعف العقلى الذى يعقب تعرض الإنسان للصدمة [١٢] من الصدمات النفسية موت شريك الحياة ومن الصدمات الدماغية إصابة الرأس بطلق نارى.

وتقرر نظرية مالتس أو مذهب مالتس Malthusiaism بأن الزيادة فى عدد السكان أو فى نمو السكان تسير بمتوالية هندسية بمعنى أن الزيادة فى سرعة نمو الإنسان تفوق الزيادة فى سرعة نمو الموارد الاقتصادية. ومؤدى ذلك أن الزيادة السكانية تلتهم وتبدد الزيادة فى الموارد الاقتصادية مما يؤدى إلى اتساع الفجوة بين حجم الإستهلاك والموارد المتاحة، مما يؤدى إلى انخفاض مستوى معيشة المجتمع

بصفة مستمرة. ولذلك ارتأى « مالتس » أن الحروب أحد وسائل تحقيق التوازن بين عدد السكان والموارد الاقتصادية (١٣).

و «توماس روبرت مالتاس» سنة (١٧٧٦ - ١٨٣٤) هو عالم اقتصادى بريطانى يرى أن الزيادة السكانية سوف تسبق دائماً الزيادة التى تحدث فى مؤن الطعام. وفى ضوء مايصيب البيئة فى الوقت الحاضر من أضرار نتيجة التلوث وظاهرة التصحر وتبديد الأرض الزراعية فى أعمال البناء، قد يحدث أن تقل الموارد الغذائية عنها فى الماضى على أنه لايمكن قبول الحرب أو تبريره إذا وقفنا من المنظور الإنسانى ومن الفلسفة التى تؤمن بالمحافظة على أرواح الناس وصيانة المكاسب البشرية عبر العصور التاريخية والمحافظة على منجزات الإنسان الحضارية بل والعمل على نموها وإزدهارها ومن هنا لايمكن القبول بحدوث الحروب كحل لمشكلة الزيادات السكانية المضطردة. مثل هذه النظرية يغلب عليها التشاؤم والنزعة المادية والبعد عن القيم الإنسانية التى تصون حياة الإنسان والتى تنادى بإبعاد شبح الحرب عن حياته وخاصة فى هذه الأيام بعد أن انتشرت أسلحة الدمار الشامل من الحروب الكيميائية والجرثومية والبيولوجية فضلاً عن الأسلحة النووية الفتاكة واستخدام الأسلحة المحرمة دولياً كرصاص دمدم والقنابل العنقودية وتلويث مجارى المياه العذبة وخاصة بعد أن توارت القيم الأخلاقية من مجال الحرب. ولعل المجتمع العالمى الجديد يأخذ درساً وعظة من تاريخ الحروب قديمها وحديثها تلك التى كانت تحطم أرواح الناس بالملايين وتشرد الملايين وتحيلهم إلى لاجئين بؤساء. وليس هناك أبلغ من ذلك المرض الغامض والمبهم الذى تفشى فى ربوع جنود وضباط قوات التحالف الدولى التى هاجمت أرض العراق الشقيق بقوة هائلة غاشمة كان لها السيادة والسيطرة الجوية والبرية والبحرية والاستطلاعية والمالية والعلمية ومع ذلك أصيب الآلاف من الجنود الإنجليز والأمريكان بما يعرف باسم «مرض حرب الخليج» مرض مدمر يصيب العقل والجسم والجلد والذاكرة.. وفوق

كل ذلك أصابهم بالعقم وعدم الإنجاب.. أما الأطفال الذين تم إنجابهم فجاءوا مشوهين. ولنأخذ من ذلك عظة وعبرة أن الحرب عدوان غاشم على الذرية وعلى الأجيال القادمة حتى بالنسبة لمن يخرج منتصراً من أرض المعارك أو من يتصور أنه خرج منتصراً. فالحرب تصيب بالدمار حتى الأقوياء.. فما بالنا بالضعفاء أو المهزومين.. الحرب عمل انتكاصى أو سلوك بدائى نكوصى يرتد فيه الإنسان من حياة التحضر والتمدين والرقى إلى حياة البداوة والبدائية والهمجية والوحشية.. حياة الغابة والعودة لشريعة الغابة والبقاء للأقوى وإذا لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب.. والحرب دليل على فشل الإنسان فى استخدام عقله ومعارفه وخبراته وتجاربه وحكمته وإرادته وذكائه .. استخدامه فى حل مشاكله. والحرب عودة إلى الوراء القهقرى إلى عصور الظلام الحضارى.

ولكن الحرب الدفاعية فقط هى الحرب المشروعة.. أما الحرب التوسعية أو الاستعمارية أو ما تسميه إسرائيل بالحرب الوقائية فإنها ضرب من ضروب العدوان والتأخر والتخلف الحضارى والإنسانى. والحرب تجلب سفك الدماء وإزهاق الأرواح حتى لمن يدعو إليها.

وتاريخ الحروب بين العرب وإسرائيل يشهد بوقوع مئات القتلى فى صفوف الجيش الإسرائيلى مهما ادعى من تفوقه المزعوم. ولما كنا أصحاب فلسفة وفكر يرتد إلى أعماق التاريخ لأكثر من خمسة آلاف عام، فإننا نفخر إننا دعاة سلام، ولكن دون استسلام أو ضعف أو تفريط فى الحقوق القومية المشروعة. الحرب نكسة للحضارة الإنسانية وإرتداد للحياة البدائية والوحشية ومدعاة لنشر مشاعر العداء والكراهية والحقد والسخط والضجر.

وإذا كان الحرب يعتمد على القوة والتخطيط والمال والعتاد والتدريب، فإن السلام أيضاً يحتاج إلى القوة التى تحرسه وتحميه وتصونه وتحافظ عليه وتصد كيد الأعداء وتهزم الطامعين أو من تسول له نفسه الاقتراب من حرمة أرضنا. السلام

يحتاج إلى الاستعداد والتهيؤ والقوة والتدريب المستمر ورفع الروح المعنوية والقتالية. وعندما يرى العدو قوة لايستهان بها فإنه يفكر ملياً قبل أن تسول له نفسه إختراق حدودنا. إذن السلام لايتأتى من فراغ وإنما لابد له من قوة تسانده وتصونه وتحرسه وتحميه من أى اعتداء. وإذا كنا دعاة سلم وسلام وأصحاب فلسفة سلمية فإننا لانقبل أى نمط من السلام وإنما السلام القائم على أساس من العدل والإنصاف وحصولنا على حقوقنا المشروعة فى استرداد وطننا السليب .. تلك القطعة العزيزة من أرض الوطن العربى التى انتزعتها إسرائيل من قلب الوطن العربى واغتصبتها إغتصاباً.. ولكن مهما طال الزمن فسوف تعود فلسطين حرة عربية أبية.. ولنا فى تاريخ الاستعمار عبرة وعظة .. فلقد زال من كل دول العالم بعد أن مكث فى بعضها جاثماً على صدور أهلها أكثر من ٣٠٠ سنة كما حدث فى استعمار انجلترا للهند. فالاستعمار إلى زوال مهما طال الأمد ولو على يد الأجيال التاريخية القادمة.. والنهاية حيوا معى دعاة السلام ورواده وأقطابه وعلى رأسهم الزعيم حسنى مبارك وصحبه الأبرار من زعماء الأمة العربية.

المراجع

(1) Deaux, Kay and Wrights man, L., Social Psychology; Brooks Cole, California, USA., 1988, p. 300.

(٢) عبد الرحمن العيسوى، العلاج بالتحليل النفسى (تحت الإعداد).

(٣) عبد الرحمن العيسوى، دراسات فى علم النفس الاجتماعى، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٧٤، ودار المعرفة الجامعية بالإسكندرية.

(٤) أحمد زكى بدوى، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٦، ص ٤٤٥.

(٥) حارث سليمان الفاروقى، المعجم القانونى، مكتبة لبنان، لبنان، بيروت، ١٩٨٨، ص ٧٣٩.

(٦) المرجع السابق، ص ٤٥.

(٧) عاطف غيث وآخرون، المرجع فى مصطلحات العلوم الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥، ص ٥١٢.

(٨) أحمد زكى بدوى، مرجع السابق، ص ٢٥٤.

(٩) كمال الدسوقى، ذخيرة علوم النفس، توزيع مؤسسة الأهرام، القاهرة، ١٩٩٠، ص ١٥٨٨.

(١٠) المرجع السابق، ص ٩٤٥.

(١١) المرجع السابق، ص ٩٤١.

(١٢) المرجع السابق، ص ١٥٢٩.

(١٣) المرجع السابق، ص ٨٢٠.

سيكولوجية القيادة العسكرية والحربية

تعتمد الحياة العسكرية وكذلك خوض المعارك الحربية على تطبيق العلم والمنهج العلمى والإستفادة من منجزات العصر فى التكنولوجيا وعالم الألكترونيات المتطورة. ويترتب على ذلك ضرورة إتقان عمليات اختيار أفراد القوات المسلحة : فى القوات البرية والبحرية والجوية والدفاع الجوى، اختياراً قائماً على أسس علمية وموضوعية بحيث يوضع الفرد المناسب فى المكان المناسب، أى ذلك المكان الذى يتفق مع كم وكيف ما لديه من القدرات الخاصة والذكاء العام والإستعدادات والمهارات والميول والإتجاهات. كذلك يتدخل العلم فى عمليات التدريب العسكرى وفى ممارسة القيادة وإختيار القادة الأكفأ فى المجالات الحربية والعسكرية وعلى أساس من حسن الإختيار ودقة التدريب وكفاءة القيادة يتحقق النصر العسكرى ويتوقف هذا النصر على توفر جو التعاون والتضافر والأخذ والعطاء والوئام والإنسجام والتنسيق مع جميع أفراد القوات المسلحة. فكيف يتحقق التكيف النفسى والمهنى مع الحياة العسكرية ومع ظروف المعارك الحربية ؟

التأثير الشامل للحرب على حياة المجتمع وثقافته :

للحروب تأثير قوى على حياة الأفراد والجماعات. وخبرة الحرب لها تأثير قوى جداً على الشخص نفسه، وعلى الجماعة التى ينتمى إليها وعلى الثقافة العامة والمحلية. وفوق كل ذلك لها تأثير فى صحة الأفراد الجسمية والعقلية والنفسية، وتكيفهم الشخصى والاجتماعى والأسرى والسياسى. الحرب تحدث تغيرات هائلة فى حياة المجتمعات وذلك فضلاً عن تأثير الحرب على الحياة الاقتصادية والإنتاجية والعلمية والتربوية فى المجتمع وما على المرء إلا أن يقارن الأحوال فى مجتمعه بين حالة الحرب وحالة السلام. ويقول البعض أن هناك مايعرف باسم ثقافة الحرب أو فلسفة الحرب.

ماهى أسباب الحرب ودوافعه ؟

وإذا ما تساءلنا مع القارئ الكريم : ماهى أسباب الحرب أو ماهى الدوافع التى تدفع الناس للدخول فى غمار الحروب ؟ أو بعبارة أخرى أين مكمن جذور النزعة نحو الحرب ؟

يقولون أن جذور الحرب تكمن فى منظماتنا السياسية والاقتصادية، كما تكمن فى داخل الفرد نفسه. كما يلعب التفاعل بين الأفراد، فيما بينهم، وبينهم وبين الجماعة دوراً هاماً فى نشأة نزعة الحرب فى الإنسان. هل هناك غريزة فطرية موروثة تكمن فى الإنسان وتدفعه نحو الحرب ؟ مازالت هذه القضية فى حاجة إلى الحسم العلمى. أما العدوان الفردى أو نزعة العدوان فى الفرد، فإنها تنبع من التفاعل الباكر بين الإنسان وبين بيئته. مع الإرتباط بالظروف الثقافية والشخصية. وتقوم المنظمات الحربية بتقديم فرصة أمام الفرد للتصريف أو التفريغ Outlet لتصريف عدوانه، ذلك العدوان الذى يرتد إلى سنوات الفرد الباكرة. ولكن المهم هو تحليل العمل الحربى أو النشاط الحربى تحليلاً علمياً، والوقوف على الخطوات التى يمر بها الفرد العادى حتى يصبح مقاتلاً كفئاً.

الحياة العسكرية Military life تبدأ بعملية الاختيار Selection أى اختيار الفرد المناسب للمهمة أو المهنة أو التدريب المناسب، والذى يتفق مع قدراته واستعداداته وميوله وسمات شخصيته وخبراته ومعارفه السابقة. ثم يمر بمرحلة التدريب العسكرى Military training، ويشمل التدريب كل القوى البشرية العسكرية Military personnel . وتتأثر الحياة العسكرية بالقيادة العسكرية Military leadership ، وكذلك الروح المعنوية، وعمليات الحرب النفسية فى وقت الحرب. وكذلك يهتم علماء النفس بعلاج الاضطرابات العقلية التى قد تصيب بعض أفراد القوات المسلحة، وذلك بعد تشخيصها تشخيصاً طبياً أو نفسياً موضوعياً.

من بين خواص الحروب الحديثة أنها تعبيء Mobilization وتشمل كل أفراد الأمة أو القوى البشرية Manpower، كما تشمل كافة المصادر الاقتصادية والصناعية والتجارية، وتشمل كذلك الاستخدام الكفء للإمكانات السيكولوجية، والأسلحة المختلفة (١). المجتمع برمته يسهم في الحرب الحديثة.. الحرب الحديثة ظاهرة مجتمعية وليست نشاطاً فردياً.

الحرب، قديماً، كانت تقوم على أساس من الاعتماد على المرتزقة Mercenaries أو بالاعتماد على أعداد صغيرة من المتطوعين Volunteers أو المجندين الإلزاميين Conscripts. أما الآن فإن الحروب تعتمد على كل إمكانات المجتمع، وما به من تكنولوجيا. وتقوم الحروب كذلك على الأمة كلها أو على فكرة القومية Nationalism. لايوجد إنفصال بين القوات المسلحة ومجتمعها المنحدرة منه. ونجاح الجيوش فيما تخوضه من حروب يعتمد على مبلغ مساندة الجبهة الداخلية لها ووقوفها ورائها ومبلغ صمودها وقوتها. لايمكن أن يكون لمجتمع ضعيف جيشاً قوياً.

ولقد ظهرت في غضون القرن السابع عشر والثامن عشر الميلاديين ومن خلال حركات ثورية Revolutionary movements فكرة إنشاء الجيش المدني أو جيش الأمة Citizen army. وتعتمد هذه الفكرة على شعور الأمة بتحمل مسئولية الجيش ومسئوليتها عن المجهود الحربي Military effort. ولقد ظهرت فكرة أو أمة في الجيوش a nation in arms خلال الثورة الفرنسية French Revolution عندما تم تكوين جيش كبير لمقاومة الحركات الثورية المضادة، ولكن لحمل رسالة الحرية والمساواة والإخاء في جميع أنحاء أوربا The message of liberty, equality and fraternity . ولو أن هذه الرسالة كانت تحت تأثير نابليون قد تحولت إلى الاستعمار القومي National imperialism ولكن فكرة تكوين جيوش أممية كبيرة ظهرت في هذه الفترة. وترتب على ذلك تجنيد الجيوش من جميع

طبقات الشعب وطوائفه ولم يعد التجنيد مقصوراً على طائفة بعينها من طوائف المجتمع. كما كان الأمر فى مصر قديماً حيث كان التجنيد قاصراً على أبناء الفقراء. أما الأغنياء فكانوا يدفعون « البدلية » أى مبلغ من المال.

وفى الولايات المتحدة الأمريكية ظهرت فكرة التجنيد العام Conscription بعد الحرب الأهلية الأمريكية Civil war بدلاً من الاعتماد على الأفراد المتطوعين. ولم يكن نظام القرعة drafting فى ذلك الوقت ناجحاً نجاحاً كبيراً. وفى أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) قبل الأمريكيون فكرة التجنيد العام، على اعتبار أن التجنيد أفضل وسيلة ديمقراطية لتكوين جيش كبير العدد. وفى الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) أيضاً تم تطبيق هذا النظام بتجنيد الرجال Male military. أما تكوين القوات الإحتياطية The auxiliary forces. فلقد عادت أمريكا فيه إلى نظام التطوع بين النساء. ولم يكن الشعب الأمريكى قد اعتنق، حتى هذا التاريخ، فكرة أن العمل بالجيش مهنة عظيمة أو أخلاقية Glorious and moral occupations. وإنما كانت هناك فكرة إيجابية شائعة أن الحرب عبارة عن دفاع عن الأرض. وفى خلال الأربعينات من هذا القرن ساد الإعتقاد الشهير بأن الهجوم هو أفضل وسيلة للدفاع. كذلك ساد الاعتقاد بأن المجتمع برمته يجب أن يشترك فى الحرب الكلية أو الشمولية. إما فى القوات المسلحة أو فى الأعمال الحربية الأساسية فى داخل المجتمع. الجيوش أصبحت كبيرة وأصبح يساندها كل الشعب.

ولكن كيف يتم بناء القوات المسلحة الحديثة ؟

تبدأ عملية بناء الجيوش بعملية اختيار الأفراد المناسبين للأعمال العسكرية ثث تدريبهم تدريباً عسكرياً. فالوحدة العسكرية، كبيرة أم صغيرة، عبارة عن تنظيم عسكرى يستهدف كسب المعارك الحربية. وتخضع الوحدات للنظم العسكرية، ولكن بالطبع ليس من الضرورى أن يشترك جميع أفراد القوات المسلحة فى

الخطوط الأمامية من الجبهة أو فى أعمال الخطوط الأمامية Front - line actions. هناك قوات تخدم خلف الخطوط الأمامية ولا تقل أهمية عن جنود الخط الأمامى. حيث يلزم وجود قوات لتوفير الإمدادات، ولعمل الاتصالات والتنقلات أو أعمال النقل. العمل العسكرى عمل تخصصى من الدرجة الأولى، ولقد أدى ذلك إلى ضرورة الإختيار الجيد، وتدريب القوى البشرية على الأعمال المختلفة. وعلى الرغم من أن الجيوش تختلف فيما بينها فى أساليبها فى الإختيار والتدريب، إلا أن المبادئ العامة واحدة فى كل مكان.

وإذا أخذنا النموذج الأمريكى فى الإختيار والتدريب لوجدنا أن الصفات الأساسية المطلوبة فى القوى البشرية أو فى الأفراد هى الملائمة الجسمية، وتوفر الصحة الجيدة، والقوى العقلية الجيدة والمهارات المهنية الخاصة، والصفات والخواص الاجتماعية والمزاجية الجيدة. بمعنى توفر السلامة الجسمية والعقلية والنفسية والسواء الاجتماعى والخبرات المهنية السابقة.

تستهدف برامج الإختيار أو الإمتحان والتدريب نقل أو تحويل الفرد من الحياة المدنية إلى الحياة العسكرية الكفئة. تحويل الفرد من كونه مدنياً إلى كونه عسكرياً.

كيف تبدأ عملية الإختيار ؟

خطوات إختيار الأفراد فى القوات المسلحة :

توفر الإحصاءات الحكومية معلومات عن القوى البشرية تكفل الآتى :

١ – عدد الرجال الذين يمكن تجنيدهم.

٢ – معلومات عن سن كل فرد.

٣ – مكان ميلاده أو موطنه الأصلى.

٤ – مقر الإقامة الآن.

٥ - وضعه الزواجى أو العائلى.

٦ - درجة التعليم أو المستوى التعليمى.

٧ - المهنة التى يمارسها.

٨ - العقيدة الدينية.

بعد ذلك يتم تصنيف جميع المسجلين إلى فئات عامة كبيرة توضح مدى . إمكانية الإستفادة منهم وسرعة توفرهم عند طلبهم. كالإشتغال فى الصناعات الحربية الأساسية، والمتزوجون، وكبار السن، وصغار السن، مثل هذه الفئات يتم تأجيل تجنيدهم. بينما الأفراد الأصغر سناً وغير المتزوجين ، الذين لاتوجد حاجة ملحة إليهم فى الحياة الاقتصادية الرئيسية للمجتمع، هؤلاء يتم تصنيفهم للطلبية الأولى للجيش (٢).

تقوم المناطق المختلفة أو المحليات بإرسال أعداد محددة من الرجال فى فترات زمنية محددة لدخول الإمتحانات العسكرية. وفى أماكن محددة ومناسبة فى المجتمع توجد مراكز للتجنيد لغربلة أو لفحص أو للكشف الطبى العسكرى على هؤلاء. وأهم عناصر الإختيار هى الملائمة الفيزيقية أى الجسمية Physical fitness.

ويتم فحص الفرد فحصاً جسمياً دقيقاً يشمل كل أعضاء جسمه، القلب، الرئتين، العينين، العضلات وقوتها، السمع، البصر، الشم، والقدرة على الحركة وسلامة الأعضاء وما إلى ذلك. ويتم جمع المعلومات أيضاً عن طريق فحوص أخرى على بصاق الجند وبوله وبرازه ودمه. وكذلك تجرى معه المقابلات الشخصية. ومن مجموع نتائج هذه الفحوصات والمقابلات يتم تحرير تقرير طبى عن الجند. الفرد غير اللائق جسمياً يعفى من بقية الإختبارات. أما الناجحون فيزيقياً يحالون إلى الفحص العقلى، حيث يطبق عليهم بعض إختبارات الذكاء، مثل إختبار التصنيف العام The General Classification Test. ومنه يستدل

على قدرة الفرد على سرعة التعلم وحل المشكلات ذات الصعوبات المتدرجة. وبعد ذلك يطبق عليه اختبارات المواءمة المهنية [٣]. ويلاحظ أن الجيوش الحديثة وكذلك فى الأساطيل فى القوات البحرية Navy تصبح المهارات التقنية فى غاية الأهمية. وإما أن تكون المهارات المهنية متوفرة فعلاً عند القياس أو أننا نبحث عن الأشخاص الذين يحتمل أن يتعلموها بسرعة أى أولئك الذين يكشف القياس عند وجود استعدادات لديهم لهذه المهارات.

ولا شك أن الحرب يتطلب، فى أفراده، التمتع بالثبات الإنفعالى والصحة المزاجية والسلامة العقلية والنفسية. ولذلك هناك حاجة لفرز الأشخاص المصابين بالأمراض العصابية أو بأية إضطرابات أخرى تجعلهم عاجزين عن القيام بالواجبات العسكرية بكفاءة وفاعلية. لقد استخدم الألمان المقابلات الرسمية وغير الرسمية، وكذلك اختبارات الورقة والقلم والفحص الطبى السيكاترى واختبارات الآداء أو الاختبارات العملية، وذلك من أجل إيجاد الضباط أصحاب الإرادة القوية والعزيمة والقادرون على مواجهة الصعاب والمشكلات والشدائد، والقادرون على إدارة المعركة وإصدار التعليمات فى أوقات الشدة والضغط، والتصرف والآداء الفاعل تحت ظروف الحرب القاسية فى الحروب الحديثة.

وفى النهاية يوضع المرشح للعمل العسكرى فى ظروف فيزيقية وعقلية شديدة، ومواقف جادة، تلك التى تظهر قوته وبراعته وإبداعه وصبره وقوة إحتماله وثباته الإنفعالى أو إستقراره النفسى ومرونته.

فى أحد الإختبارات « الموقفية » يطلب من المرشح وهو يحمل أمتعته الثقيلة فوق ظهره أن يتسلق حائطاً عالياً وأملساً. ويتم تقدير درجته ليس على أساس مقدار نجاحه فى هذا، ولكن على أساس مقدار ما أبداه من الصبر والمثابرة والإصرار والاستعداد والإرادة فى الإستمرار ومواصلة الجهاد والكفاح رغم حالة التعب والإرهاق وغيرهما من الصعوبات والمشكلات.

كذلك استخدم الألمان برنامجاً ناجحاً فى الكشف عن المصابين بالأنانية والإنطواء الحاد، أو أولئك الذين يحتمل أن يكونوا من « صناع المشاكل ». وفيما قبل عام ١٩٣٩ أى قبل بداية الحرب العالمية الثانية أعطوا إهتماماً للخلفية الفلسفية للمجند والفهم الحرفى أو التحرر وغير ذلك من مؤشرات الثقافة العامة، وذلك كله بغية الحصول على صورة عامة وشاملة حول الضباط الألمان أو المرشحين لشغل هذه الوظيفة Officer Candidates كان الألمان يفحصون الشخصية ككل. بينما كان الأمريكان يهتمون بالسمات الخاصة النوعية المطلوبة لكل وظيفة خاصة. واستخدم الأمريكيون مناهج لاختيار الأفراد فى معظم الأحوال ماعدا حالات خاصة.

ولقد تم توظيف الأطباء العقليين لاكتشاف المصابين بالذهان وبالعصاب، ولكن المهم كان البنيان الجسمى، والتأكد من توفر درجة معينة من القدرة العقلية. وكان الجانب الاجتماعى والإنفعالى مهملاً فى الغالب. ولكن الأطباء العقليين كانوا يطالبون بتوجيه الاهتمام إلى هذه الجوانب الاجتماعية والإنفعالية.

وباستمرار الحرب، زادت نسبة الإصابة بالإنهيار العقلى مما أكد دعوة رجال الطب العقلى بالاهتمام إلى هذه السمات أو تلك الصفات فى الامتحانات والفحوص الأولى. كان الأساس الرئيسى لرفض قبول الفرد الأمريكى هو الجانب الفيزيقى، ولكن أصحاب العجز العقلى الخطير كانوا أيضاً يعفون من الواجبات العسكرية فيما بعد.

أما عدد المرفوضين فكان يتوقف على المعايير الموضوعية للاختيار. فى خلال الفترة الأولى من الحرب العالمية الثانية، كان هناك نحو ربع المجندين يتم رفضهم. وبعد ذلك تم تخفيض معايير الصلاحية الفيزيقية. فى المرحلة الأولى كان الذين تم رفضهم من أصحاب المشكلات البسيطة فى الإبصار أو السمع.

إعداد الفرد للتلاؤم مع الحياة العسكرية :

أما المرحلة التالية لبداية الحياة العسكرية، فهى تقديم الحياة العسكرية للأفراد. ففى كل القوات المسلحة يتوفر نوع من التدريب الأساسى والتعليم العقائدى أو التبشيرى. بمعنى تعديل إتجاهات الفرد العقلية وجعلها موالية للحياة العسكرية وللمجتمع. وهذه البرامج قد تستغرق وقتاً طويلاً أو قصيراً معتمداً على حالة المجتمع وظروف الحرب ومدى الضرورة أو الطوارئ أو الإستعجال. كما يتوقف ذلك كذلك على مستوى التعليم السابق لهؤلاء الرجال وقدراتهم التعليمية أو التحصيلية. وبعد هذه الفترة الأولية، يعطى الرجال امتحان، ويرسلون إلى الوحدات العسكرية المختلفة لتلقى مزيد من التدريب. الخبرة العسكرية تعد جديدة بالنسبة لمعظم الشباب. ويتوقف تكيفهم لها على عدة عوامل منها :

١ – المواءمة الفيزيقية أو الجسمية.

٢ – الذكاء.

٣ – السمات الاجتماعية والإنفعالية.

٤ – الروح المعنوية [٤].

الحياة فى الجيش أو فى البحرية تختلف عن الحياة المدنية. ولكن هناك بعض المجتمعات التى توفر لقلة من شبابها بعض التدريبات العسكرية فى الحياة المدنية، كما هو الحال فى التربية العسكرية فى الجامعات المصرية فى الوقت الراهن وفى أوقات أخرى كانت التربية العسكرية تدرس لطلاب وطالبات الثانوى. ولكن ذلك لايشمل كل الشباب. وفى أوقات الإستعداد للحرب، يتلقى كل الشباب تدريبات عسكرية وهم مايزالون فى الحياة المدنية وذلك ضمن حملات التعبئة القومية لمواجهة العدوان الخارجي.

وفى الغالب مايجد الفرد صعوبة فى التكيف للحياة العسكرية. فى الحياة المدنية تسود الديمقراطية بينما فى الحياة العسكرية يسود النظام والترتيب والدقة والطاعة وفيها كل شئ يكون معداً سلفاً. العسكرى المستجد يوضع فى ظروف فيزيقية شديدة ويصبح عليه أن يتعلم بعض العادات الحركية الجديدة. ويجب أن يعوّد نفسه على طاعة الأوامر التى يتلقاها. أنه يخضع لبعض الأوامر والتعليمات والقواعد التى تحدد له متى يأكل وكيف ومتى يستقيظ ومتى ينام ومتى وكيف يعمل. كذلك عليه أن يعوّد نفسه على المعيشة فى وسط أعداد كبيرة جداً من الناس، فى مواقف جديدة، وغير مريحة. وباختصار يجب أن يعوّد نفسه على المعيشة فى مؤسسة يعتبر هو فيها وحدة صغيرة فى وسط تجمع معقد وكبير الحجم. الحياة العسكرية عبارة عن عالم تعطى فيه المكافآت لمن يطيع ويمتثل، بينما ينزل العقاب بالذين لايطيعون الأوامر. وتبدو للجندى طلبات رؤسائه تافهة وغير معقولة بالنسبة للفرد المستجد، إلا أن استجابته لها تعتبر مؤشراً جيداً لتكيفه المستقبلى كجندى فى الحياة العسكرية. بعض الرجال يأخذون هذا الأمر بسهولة أكثر مما يفعل البعض الآخر.

على كل حال، الشباب ليسوا بعيدين كلية عن اتباع النظام والتدريب على الطاعة والضبط والربط. فهم يتلقون بعضاً من هذا فى كثير من المجالات، بينها المدرسة وفرق الكشافة والجوالة، ومن خلال الاشتراك فى بعض مشروعات الخدمة العامة مثل أسبوع المرور وأصدقاء الشرطة حيث يتلقون بعض التدريبات فى المشية العسكرية وفى تلقى الأوامر من الرؤساء والعمل معاً فى تنظيم جماعى (٥).

الروح العسكرية يمكن تعلمه حتى خارج الحياة العسكرية إلى حد كبير. فى أوقات السلم يمكن تدريب الطلاب على الجلوس فى ترتيب ونظام واتباع قواعد وتعليمات فى الجلوس وفى توجيه الأسئلة وفى الخروج والدخول للمدرسة

وللفصل الدراسى والوقوف فى طوابير الصباح والإنصراف. وقواعد السلوك المنضبط والجاد والمنظم والتدريب على الطاعة والدقة والالتزام بالآداب.. كل هذا ينمى الإتجاهات والعادات التى تزداد نمواً فى الحياة العسكرية فى وقت الحرب.. وكل هذا يسهل تكيف الفرد مع الحياة العسكرية الجديدة .. لن يخسر المجتمع شيئاً إذا تدرب كل شبابه على الروح العسكرية فى أوقات السلم، حتى وإن لم يدخل أية حرب. مثل هذه العادات العسكرية تفيد فى الحياة المدنية، وتجعل الأمة مستعدة على القليل بشرياً، للدخول فى أية حرب تفرضها عليها الظروف. بل إن العادات العسكرية بما فيها من ضبط وربط وطاعة تفيد فى الحياة المدنية.

فعلى الرغم من التمسك بدعوات السلام مع إسرائيل وإنتهاج الأمة للمنهج السلمى واعتناق فلسفة السلام، إلا أن التدريبات العسكرية واجبة على كل شاب. ذلك لأن الروح العسكرية تقضى على الفوضى والتسيب. كذلك تستفيد القوات المسلحة مما وصل إليه المجندون من مستويات تعليمية عالية. وهذا الاتجاه يسير عالمياً. فلقد كان متوسط تعليم المجند فى القوات المسلحة الأمريكية فى الحرب العالمية الأولى هو الصف السادس، بينما أصبح هذا المتوسط فى الحرب العالمية الثانية - الصف الأول فى المدرسة الثانوية. ولم يكن هناك سوى ٩ ٪ من مجموع المجندين فى الحرب العالمية الأولى كانوا قد أنهوا التعليم الثانوى. أما فى الحرب العالمية الثانية، فوصل إلى نهاية المرحلة الثانوية ٤١ ٪ وكان هناك ٢٥ ٪ قد التحقوا بالجامعات والمعاهد العليا لمدة عام على الأقل.

ومن حيث أن الحروب الحديثة تعتمد على التكنولوجيا أو أننا نحارب بالتكنولوجيا وباتباع المناهج والأساليب والمعدات التكنولوجية المتطورة، فإننا نحتاج إلى إتقان المهارات الرسمية اللازمة لاستخدام هذه المعدات، بل يلزم الإلمام بالأمور الميكانيكية، أو بعبارة أخرى يلزم الإلمام بقدر من الثقافة والعادات الميكانيكية. من ذلك الإلمام بتشغيل السيارات والمركبات والمذياع وكل أنواع

الماكينات أو الآلات والإلكترونيات أو الحاسبات الآلية. كل هذا يفيد فى الحياة العسكرية التى أصبحت تعتمد إعتماداً كلياً على العلم والمنهج العلمى، وعلى المنجزات والمخترعات فى عالم التكنولوجيا والهندسة البشرية وشتى فروع العلم. وتتضح هذه الصورة من مقارنة القارئ الكريم للحروب فى العصور الغابرة والحروب الآن .. فما هو الفرق؟

ولكن الاعتماد على المهارات الميكانيكية لايلغى الاهتمام بعمل الفريق أو العمل الجماعى التلقائى والتعاون والأخذ والعطاء بين أفراد القوات المسلحة. الوحدات العسكرية الصغيرة أو فرق العمل الصغيرة أصبحت ضرورية فى الحياة العسكرية الحديثة. كما يظهر ذلك فى طاقم الطائرة القاذفة مثلاً أو طاقم الدبابة أو السفينة الحربية أو فى سلاح المدفعية وطاقم كل مدفع. العمل العسكرى يحتاج إلى التعاون والتضافر بين الجماعات أو الوحدات العسكرية فيما بينها وبين غيرها من الوحدات. ولربما كان من المؤسف أن نسمع عن قيام الوحدات العسكرية فى الحرب الفيتنامية مثلاً وكذلك فى حرب الخليج الثانية (١٩٩٠) من قيام وحدات من الجيش الأمريكى بإطلاق النار على زملائهم أو حلفائهم وبالمثل قيام الطائرات، بطريق الخطأ، بقذف مواقعهم. وكى ينجح الفرد فى الإنخراط فى وسط مثل هذه الجماعات العسكرية، لابد للفرد من أن يتعلم التآزر، وأن يطوع مهاراته وخبراته الفردية ومهاراته التخصصية مع مهارات زملائه من خلال القيادة وتوجيهاتها. بل إن التدريب على أخذ المبادأة والحرية فى الاختيار التى تشجعها ثقافتنا الحالية، خارج الحياة العسكرية، تفيد رجال القوات المسلحة فى آداء واجباتهم العسكرية، وفى تكوين القوات المسلحة القوية والفاعلة. من ذلك التدريب السابق على الأصالة والإبداع والإبتكار والخلق وحسن التصرف وإستقلال الفرد فى أحكامه، وفى التحمل وحتى الروح الفكاهى كل هذا ينعكس إيجابياً على الحياة العسكرية التى تتطلب القدرة على الإبداع وحسن التصرف أو سرعة

التصرف والحكمة فى اتخاذ القرارات وحسن ودقة الأحكام الإستقلالية وما إلى ذلك من القدرات والسمات العقلية الإيجابية (٦). الأعمال العسكرية لاتسير بصورة آلية ميكانيكية عمياء. حتى الخطط العسكرية الدقيقة ربما تظهر بعض الظروف والملابسات فى أثناء التنفيذ فتتغير كثيراً أو قليلاً. كما حدث ذلك فى حرب أكتوبر المجيدة عام ١٩٧٣. كذلك فإن ممارسة الفريق العسكرى للأنشطة الرياضية، والإشتراك فى الأنشطة الترويحية والترفيهية تفيد فى الحياة العسكرية. التدريب على النظام والتعاون والدقة والألعاب الرياضية ينتقل أثره إلى المناشط الجادة العسكرية وغير العسكرية. ولذلك كان هناك تضافر بين التربية الرياضية والتربية العسكرية دائماً. والحقيقة أن الأمور الآتية تعتبر هامة فى الجماعات العسكرية أو القتالية الصغيرة وفى التنظيمات العسكرية الكبيرة أيضاً وهى :

١ – المهارات الفردية والذكاء.

٢ – روح الفريق والتعاون.

٣ – القيادة الجيدة.

سمات القيادة العسكرية الناجحة :

ويقودنا التحليل إلى التعرف على القيادة وسمات القائد العسكرى الكفء. والحقيقة أن هناك ضغطاً شديداً ومسئولية كبيرة تلقى على عاتق القائد فى كل من عمليات التدريب وفى العمليات الحربية ذاتها. ويقصد بذلك سلسلة القيادة من أبسطها إلى أعلاها. هناك نظام ثابت لتحديد المسئوليات والإختصاصات. العمليات العسكرية يتم التخطيط لها عن طريق القيادة أو الرئاسة العامة أو بمعرفة التنظيم العسكرى. ولكن هناك جهوداً تبذل لتشجيع القيادة الأصيلة تلك التى تنجح فى إثارة روح الولاء والإخلاص والتفانى والتضحية والإرادة القوية والطاعة والإلتزام.

وهنا نتساءل عن سمات القائد الكفء أو القائد الممتاز من وجهة نظر جنوده؟ لقد أجريت دراسة أمريكية للتعرف على كيفية نظر الجنود لقائدهم وسماته القيادية. حيث أجريت هذه الدراسة على عينة من عدة آلاف من رجال القوات المسلحة لسؤالهم حول القيادة العسكرية وعلاقتها بالروح المعنوية Morale. ولقد أسفرت الدراسة عن اختيار الرجال لـ ٧٧ وجهاً من وجوه الحياة العسكرية واعتبروها مرتبطة بالتأكيد مع الروح المعنوية. وكان هناك ٢٠ موقفاً أو سمة ترتبط إرتباطاً عالياً بالروح المعنوية منها ١٦ مفردة كانت تعبيراً عن العلاقة بين الجندى والضابط. وفيما يلى بعض العبارات الأكثر إرتباطاً بالقيادة الجيدة من وجهة نظر الجند :

١ – يجب أن يتحلى الضابط بالقدرة والكفاءة والمقدرة، وهى سمات أساسية لشعوره بالثقة فى نفسه.

٢ – يجب أن يهتم برفاهة وسعادة رجاله، بمعنى إهتمامه بحاجاتهم الفيزيقية والنفسية والاجتماعية وحاجتهم للنصائح الأخوية والودية والإيجابية.

٣ – يجب أن يكون الضابط صبوراً ولديه قدرة كبيرة فى التدريب والشرح والتوضيح ونقل الأفكار لغيره.

٤ – يجب أن يكون الضابط كفئاً فيما يتخذه من قرارات.

٥ – يجب أن يكون قادراً على تنفيذ الأمور المطلوبة، وأن يظهر الدقة والقدرة على إصدار الأحكام الصائبة، وأن تعبر أعماله عن الذوق العام وأن يحسن التوقيت فيتخذ القرار المناسب فى الوقت المناسب.

٦ – الضابط الجيد لايتمرأس من أجل ممارسة الرئاسة فقط فوق زملائه أو أتباعه. لاينبغى أن يمارس ضغطاً غير ضرورى على الرتب الأقل منه.

٧ – الضابط الكفء يثنى على رجاله عندما يحسنون عملاً ما. فالرجال يرغبون فى القيادة وفى المديح عندما يستحقونه.

٨ - يجب أن يتحلى الضابط الممتاز بسلامة بنيان جسده، وأن يكون لديه قدرة كبيرة على الاحتمال.

٩ - يجب أن يكون الضابط الممتاز على قدر كبير من التعليم ومن روح المرح والشجاعة والإقدام والإستعداد للتضحية وأن يكون قدوة فى ذلك.

١٠ - يجب أن يكون عادلاً ومنصفاً فى كل تصرفاته ومعاملاته.

١١ - يجب أن يكون الضابط نشطاً ومجداً ومجتهداً ولايتهرب من الأعمال بقدر مايستطيع التهرب.

١٢ - يجب أن يكون قادراً على إعطاء التعليمات أو الأوا مر فى صورة واضحة ومختصرة أو موجزة، بحيث لايصاب الجنود بسوء الفهم، وبحيث لايحدث ما لايتوقعه.

إلى جانب سمات مثل الحسم Decisiveness ووضوح الأوامر والإحساس بالعدل، والإصرار على التزام الجميع بالطاعة، والمبادأة والمرح، وفهم رجاله، والإستعداد لبذل كل وقته لتحقيق سعادة رجاله. ويضاف إلى ذلك حبه لعمله وميوله نحو العمل العسكرى وإلمامه بالمعلومات والحقائق العسكرية والحربية وقوانينها وقواعدها. ويلاحظ أن الضابط يصبح مسئولاً عن نجاح أو فشل حملته أو أعمال فريقه Mission or action فإنه يخطط ويشرف على التنفيذ وعلى المتابعة. وتنتقل الأوامر من قائد أعلى إلى قائد أدنى وهكذا..

وفى أثناء المعارك وأحياناً فى حالات التدريب هناك بعض الوحدات العسكرية التى حرص القادة فيها على ذوبان الفوارق بينهم وبين الجنود، والبعد عن الرسميات الخاصة بالرتب العسكرية. حيث يأكل القادة من نفس الطعام، ويحملون نفس الأدوات والأمتعة الشخصية ويرتدون نفس الملابس ويعانون من نفس الظروف القاسية ولايحملون شارات الرتب العسكرية. وكان القادة يحملون

أطعمتهم ويعدونها بأنفسهم. وكانت تسود روح العمل المشترك والعمل المنسجم. ويسير العمل في شكل تعاونى، حيث يسهم فيه كل عضو لتحقيق هدف يعتبره هدفه الخاص. وتتكون هذه الروح التعاونية والديمقراطية من خلال الإختيار الجيد والتدريب الجيد. على أن ذلك لايعنى المساواة الكاملة بين أفراد القوة من ضباط وجنود. المودة مع النظام والضبط والربط والحزم. ويجب الحفاظ على ولاء الجند وعلى الإحترام والطاعة.

وبالطبع هذه الروح تقبل فى المجالات الأخرى أكثر مما تقبل فى المجال العسكرى كالمجال الصناعى ومجال المال والأعمال والمجال الحكومى وفى الدوائر الدينية وفى معظم المنظمات المدنية.

ولكن فى جميع المجالات التى تمارس فيها القيادة سواء العسكرية أو المدنية، لايمكن إفتراض التساوى التام بين القيادة والاتباع أى بقية المجموعة. الجماعات الكبيرة تنجح فى آداء وظائفها عندما يسودها الوضوح، وتحدد فيها الأدوار التى يقوم بها كل فرد من أفراد الجماعة تحديداً جيداً، وكذلك عندما يتم تحديد الحقوق والواجبات، وعندما يتم تنسيق المهارات والخبرات والمعارف، بحيث ترجع هذه الأنشطة إلى قيادة نهائية (٧). ويلاحظ أن الفردية المطلقة ضارة بأهداف الجماعة، وكذلك مبدأ الحرية المطلقة أو ترك الحبل على الغارب Laissez - faire كما أكدت ذلك دراسة ليفين على الأنماط القيادية المختلفة وهى الديمقراطية والاستبدادية والفوضوية Lewin. فلقد قل الإنجاز فى ظل الحرية المطلقة. يجب أن يسود التعاون بين الضباط والجنود، وكذلك روح المبادأة، وأن تتكامل فى شكل هرمى للسلطة وللمسئولية حتى تقوم الوحدة العسكرية بواجباتها. يجب أن يشعر الاتباع بالولاء والطاعة، والإحساس بالواجب نحو القائد. أما المساواة فتكون بين الأتباع أنفسهم. ولقد تحدث سيجمند فرويد Sigmund Freud عن ضرورة تقمص Indentification الجندى لشخصية قائده، وبحيث يصبح القائد مثاله

الأعلى [٨]. كما يجب أن تسود مشاعر الود بين القائد وأتباعه، وبينهم فيما بينهم، أما مشاعر العدواة فتوجه كلها نحو العدو. وفى نفس الوقت يقف القائد من أتباعه موقف الأب من أبنائه على أن يقترب من رجاله بقدر مايستطيع دون أن يعوق سلطته أو يضعفها. مع توخى الصدق والصراحة والعطف، والنظر للأمور من وجهات نظر متعددة وليست وجهة نظر أحادية. يقف موقف الأب العطوف وفى نفس الوقت موقف الأب الحازم [٩].

المراجع

(1) Young, K., Social Psychology, Routledge and Kegan Paul, London, 1988, p. 340.

(٢) عبد الرحمن العيسوى، علم النفس والإنتاج، الدار الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦.

(٣) عبد الرحمن العيسوى، القياس والتجريب فى علم النفس والتربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٦.

(٤) عبد الرحمن العيسوى، علم ا لنفس فى المجال المهنى، دار المعارف، القاهرة، والإسكندرية، ١٩٨٩.

(5) Young, p. 344.

(٦) عبد الرحمن العيسوى، دراسات فى علم النفس الاجتماعى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦.

(7) Young, p. 347.

(٨) عبد الرحمن العيسوى، العلاج النفسى، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٢.

(٩) عبدا لرحمن العيسوى، الإرشاد النفسى، دار الفكر الجامعى، الإسكندرية، ١٩٨٦.

الفصل الثانى

العنف والعدوان والإرهاب

* دراسة ميدانية للنزعة العدوانية.
* تفسير الجريمة بين الوراثة والبيئة.
* العوامل النفسية والاجتماعية فى الجريمة والجنوح.
* سيكولوجية الإرهاب.
* الإعلام والعنف والمواجهة العلمية

دراسة ميدانية
للنزعة العدوانية

مقدمة : أهمية البحث وأهدافه :

العدوان من الظواهر المرضية التى تؤثر فى حياة الفرد والجماعة، لما ينال الأفراد من الأذى والضـرر من جـراء وقـوع العـدوان عليـهم أو على ممتلكاتهم، بل إن القضية لاتخلو من الضرر والأذى عندما يرتد عدوان الإنسان على نفسه فيدمرها، وتصل قمة العدوان المرتد على الذات إلى ذروتها فى حالة الإنتحار وقضاء الإنسان على حياته حين يعتدى الإنسان على نفسه بالقتل.

وظاهرة العدوان من الظواهر السلبية والمرضية التى تؤثر على نمط العلاقات السائدة بين الأفراد والجماعات فتصيبها بالتفكك والإنهيار والتصدع. وبذلك ينخر العدوان فى كيان التماسك الاجتماعى، وينال من الوحدة الوطنية والاجتماعية. فضلاً عن أن تفشى العدوان أو إنتشاره يجعل ضحاياه يفقدون الشعور بالأمن والأمان والاطمئنان والاستقرار، ويشعرون بالتهديد والخوف على حياتهم، وينال العدوان من «أمنهم النفسى» فوق كل شئ، بل إن المعتدى نفسه، إذا كان لديه ضمير حى وخاز، فإنه يشعر بالذنب ولوم الذات وتأنيب الضمير وتعنيفه على مايرتكب من العدوان والآثام والجرائم. ولذلك من الأهمية بمكان أن نتعرف على مدى إنتشار النزعات العدوانية وعن مدى إرتباطها بمتغيرات مثل السن والمستوى التعليمى والجنس. وذلك للتعرف على مدى تأثير عامل النضج كما يعبر عن نفسه بعامل السن فى النزعات العدوانية، وعما إذا كانت الدراسة الجامعية ترتبط بزيادة أو بتقليل هذه النزعة العدوانية فى نفوس الشباب الجامعى، ومن أجل ذلك

انبثقت فكرة هذا البحث لإلقاء الضوء على هذه العوامل ومدى ارتباطها بالعدوان، ومن بين الأهداف الرئيسية لهذه الدراسة تصميم مقياس عربى يصلح لقياس النزعات العدوانية لدى الشباب والمراهقين فى البيئة العربية.

وفى هذه الدراسة تم تصميم هذا المقياس وتم إيجاد صدقه وثباته، وتم عمل معايير لتفسير درجاته فى شكل متوسطات حسابية ودرجات ميئينية. ولقد حرص الباحث على أن يكون مقياسه عربياً صرفاً وغير منقول عن اختبارات أجنبية وإنما استقى الباحث مفردات مقياسه من الواقع العربى المحسوس ومن التراث العربى وما احتواه من عبارات وأمثلة شعبية تعكس العدوان على المستوى الفكرى والسلوكى أو العملى.

وسيرى القارئ الكريم أن للعدوان معان مختلفة ومستويات متباينة، كما أنه يعبر عن نفسه فى أشكال مختلفة كالسبُ والقذف والإهانة والتشهير والنيل من السمعة والحط من القدر والضرب والأذى والتحطيم والسيطرة والتسلط والسطوة والإغتصاب والإستيلاء على ممتلكات الغير بالقوة، وهدر حقوق الآخرين والإضرار بالمصلحة العمومية للمجتمع والإضرار بالأمن العام والأمن السياسى وفى الضرب والركل، وإطلاق النكات، وترويج الشائعات وإلحاق الأذى المادى أو المعنوى بالغير أو بالذات. ويعبر العدوان عن نفسه فى كثير من الأمراض النفسية والإنحرافات الجنسية كالسادية (١) والماشوسية (٢) والإكتئاب والإنتحار.

تعريف العدوان :

يعرف العدوان Aggression بأنه نزعة نحو الهجوم أو التهجم فى مقابل الإنسحاب أو المساومة والتفاهم، وذلك فى مواجهة المواقف الضاغطة (٣) التى يتعرض لها الفرد، وفى اللغة الإنجليزية يميز بين هذا المصطلح وهو « العدوان » ومصطلح آخر هو العدوانية أو العداء أو العداوة Hostility والتى تعنى رد الفعل

الإنفعالى أو الإستجابة الإنفعالية أو الباعث أو الحافز نحو التدمير والتخريب والتحطيم والهدم وما يسبب العجز أو الإعاقة أو الأذى لموضوع معين يرى الشخص المعتدى فعله سواء أكانت رؤيته حقيقية أو وهمية مرضية بأن هذا الشئ هو مصدر الإحباط أو التهديد Threat or frustration [٤]. ومعنى ذلك أن اللفظ الأول ليس من الضرورى أن يتضمن العداوة أو الشعور بالعداء [٥]. ومؤدى هذا الفرض إرجاع العدوان إلى الشعور بالإحباط والفشل والخضوع للتهديد، وذلك فى الظروف العادية. ولكن ليس من الضرورى أن يستجيب الإنسان دائماً للإحباط بالعدوان، فقد يستجيب بالإنسحاب من الموقف أو بالهروب أو بالتخلص من الموقف الضاغط بصورة إيجابية مشروعة، كأن يتخلص من وطأة الفقر ببذل مزيد من الجهد والعمل والعرق للتخلص من الفقر والحرمان عن طريق العمل الإضافى مثلاً. والشخص العدوانى The Hostile person هو الشخص الذى يعبر، فى أغلب الأحيان، عن السلوك العدوانى، أو هو الذى يحمل إتجاهاً عدوانياً نحو الآخرين، وهو الذى يستجيب للإحباطات البسيطة أو الضعيفة بالعدوان، كما يستجيب للناس الآخرين إستجابة الغضب الحاقد أو الخبيث أو الإستجابة الكيدية Spiteful anger [٦].

وهناك أشكال مختلفة للتعبير عن الشعور بالعدواة .. من ذلك التهيج والحنق الشديد والشك والرفض والهجوم أو الإعتداء، أو العدوان اللفظى والإثم.

بعض هذه المشاعر عبارة عن إتجاهات فكرية أو عقلية أو ذهنية أو مذهبية، وبعض مظاهر العدوان الأخرى تتخذ شكلاً حركياً أو تتضمن عناصر حركية كالضرب والركل والدفع وما إلى ذلك. فالعدوان قد يكون على المستوى الفكرى أو المذهبى كما عبرت عنه فلسفات مثل النازية [٧] والفاشية .

وفى سعينا لتفسير ظاهرة العدوان يقول « هبنر » (*) أن مشاعر العدواة قد تحدث من أى موقف من مواقف الحياة العادية، ويتوقف ذلك على رد فعل لهذه المواقف.

مشاعر العداء Feelings of Hostility قد تتكون من خلال العديد من الخبرات، فالطفل إذا خضع لمدرس قاس قد يتحول شعوره بالحب تجاه المادة الدراسية إلى شعور بالكراهية والعدوان (٨).

وإذا ما حللنا مشاعر العداوة لوجدناها تتكون من العديد من العناصر، من بينها نزعة التسلط أو السيطرة أو الدكتاتورية Authoritarianism . كذلك فإن مشاعر العداوة قد تكون ظاهرة Overt أو باطنة مستترة خفية Covert والشخص صاحب الضمير الحاد اليقظ يستجيب بشدة وقسوة نحو أولئك الذين يخضعون لإغراءات الشيطان Tempetation أو لتلقى الرشوة (٩) أو الإختلاس.

ولقد اتضحت هذه الفكرة من خلال تجارب أجريت حول ظاهرة الغش والخداع Cheating والشخص الذى يرتكب جريمة الغش نجده يحابى الغش. ويكون أقل إتجاهاً نحو الشدة على الغشاشين، وبالمثل الموظف المرتشى نجده يتعاطف (١٠) مع المرتشين عموماً.

وتتخذ ردود الفعل العدوانية أشكالاً عديدة، وليس لها مظهراً واحداً، حيث تتراوح مابين التدمير والتحطيم الفيزيقى المادى للشخص الذى يقع عليه العدوان أو للموقف كما هو الحال فى الحروب، إلى ممارسة القيل والقال ونشر الشائعات (١١) والدعايات المغرضة أو المسمومة، وحتى الفكاهة والتندر Gossip أو اللجوء إلى القضاء لمقاضاة الخصوم Litigation كما تظهر مشاعر العدوان لدى الشخص

(*) Hepner.

المتمرد Rebel الذى كان يعتبر نفسه الطفل المفضل والأفضل لدى آبائه ومختلف رموز السلطة الأخرى. ومن هنا تكمن أهمية معاملة الطفل بالمساواة وتبصيره بحقوقه وواجباته وحقوق الآخرين وواجباتهم. وفى الواقع الشخص المتمرد يعانى من ضعف فى ذاته الوسطى ego (١٢) ويخطئ فى تقدير ذاته Self - appraisals إذا تلمسنا السلوك الإنسانى لوجدنا فيه الكثير من مظاهر العدوان. وعندما يعجز الإنسان المعتدى عن تحديد هدفه الحقيقى للعدوان فإنه يرتد بعدوانه على ذاته، ويبلغ هذا العدوان المرتد قمته فى إرتكاب جريمة الإنتحار. والشخص المتمرد يميل دائماً إلى صنع المشكلات وخاصة للإدارة administration .

وقد يظهر هذا التمرد بين طلاب الكليات المختلفة أو بين العمال والموظفين، وفى الغالب الشخص الذى يمارس التمرد rebellion يمارسه ضد أكثر من موضوع واحد، كالتمرد ضد السلطة الأبوية والمدرسية أو سلطة الإدارة العامة أو الإدارة العليا وكل رموز السلطة against all authority . ذلك لأن التمرد أو العصيان أو العدوان سرعان ماينتقل ويمتد ليشمل مجالات أخرى، فقد يبدأ فى دائرة الأسرة، ثم يمتد إلى المجتمع الخارجى كله، مما يكشف عن أهمية دور الأسرة فى تنشئة أبنائها تنشئة صالحة (١٣). فالشخص المتمرد يمارس عدم الإمتثال أو الطاعة مما قد يقود إلى عدم الإلتزام أو إطاعة القوانين والقواعد الاجتماعية(١٤) Nonconformists . وقد يأخذ المتمرد فى البحث عن الأمور الجدلية أو المثيرة للجدل كى ينخرط فيها. ولذلك ينبغى التمييز بين النزعات الفردية ونزعات توكيد الذات أو إثبات الذات Self - assertiveness والسلوك المضاد للمجتمع Antisocial behaviour . توكيد الذات أمر مطلوب دون أن يتضمن الإعتداء على حقوق الآخرين، أو حرياتهم. كذلك يلزم التمييز بين المبادأة Initiative وبين العدوان، فالإيجابية فى اتخاذ المواقف أمر مطلوب، ولكن العدوان بكل صوره ، أمر

مستهجن بل ويعاقب عليه القانون. فالعدوان قد يكون تصرفاً أو سلوكاً أو ممارسة للقوة والعنف من شخص ضد آخر أو آخرين بقصد السيطرة والتسلط أو إلحاق الأذى والضرر بهم. وترى مدرسة التحليل النفسى (١٥) أن حالة الإكتئاب سببها العدوان المرتد على الذات (١٦).

وفى الحالات المرضية، قد يظهر العدوان ضمن إنحرافات أخرى كالسادية Sadism وهى عبارة عن إستدرار اللذة من إيقاع الأذى بالغير والإغتصاب Rape وهو ممارسة الجنس بالقوة وبدون رضا الطرف الآخر وفى غيرهما من الإنحرافات الجنسية Sexual devisations حيث تخضع الضحايا Victims لكثير من الأذى والعدوان من قبل المعتدى (١٧). وقد تمتد معاناة الضحايا لشهور أو سنوات عديدة بعد التعرض للهجوم، وقد تضطرب حياتهم بصفة دائمة. والإنحرافات الجنسية، فى معظمها، عبارة عن عدوان على حقوق الآخرين. ووجه الغرابة فى مثل هذه الجرائم هو كيف يشعر المجرم باللذة من إيقاع الأذى بالغير؟

ويقع هذا التساؤل ضمن مشكلة أوسع هى مشكلة تفسير السلوك العدوانى برمته.

فرويد (١٨) أرجع ذلك إلى قوة فطرية موروثة هى ما أسماه غريزة الموت Death instinct ولكن فرويد نفسه لم يكن راضياً فى يوم من الأيام عن تفسيره هذا. ولذلك قال البعض بإرجاع العدوان إلى الرغبة فى التعويض Compensation أو السيطرة والقوة، ولذلك يمارس ألواناً من التعذيب والسحل للضحية وتعكس هذه السلوكيات شعوراً داخلياً بالنقص وإنعدام الثقة فى الذات(١٩).

ويعبر الشذوذ عن نفسه فى السلوك العدوانى فى حالة تغلب عليها العوامل السيكولوجية هى « الشخصية السيكوباتية » (٢٠) والشخصية المضادة للمجتمع

Antisocial personality and psychopaths . وتمتاز الشخصية السيكوباتية بضعف الضمير الأخلاقى، ومن ثم عدم الشعور بالذنب أو بلوم الذات أو تأنيب الضمير، وهى شخصية تميل إلى الكذب والغش والخداع والنصب، والإحتيال والجريمة، والدعارة والنفاق والرياء والإستغلال والإبتزاز، وتمتاز بالجفاف العاطفى، ولايجدى معها العلاج، ولاتستفيد من خبرات الماضى ولايجدى فيها العقاب.

ويظهر العدوان فى أكثر صوره تطرفاً فى حالة معتادى الإجرام أو فى حالة المجرم العتيق The hard core - criminsals وهم أولئك الذين قد اتخذوا من الإجرام أو الجريمة منهجاً لهم فى الحياة أو حرفة يحترفونها فيعاودون الإجرام Those who have made crime a way of life . وهم الذين ينزلون أشد أنواع التهديد لأمن المجتمع وسلامته وإستقراره حيث يعتدون على حقوق الآخرين، ويدخل ذلك ضمن اضطرابات الخلق فى الدراسات النفسية الحديثة. وتدل دراسة تاريخ حياة هؤلاء على أنهم كانوا يعانون ، وهم صغار السن، من المشاكل السلوكية، ويرتكبون جرائم كالسرقة، ويثيرون الشغب فى المدرسة، ويميلون إلى الكذب، ويتشاجرون بكثرة. وعندما يكبرون يستمرون فى مثل هذا السلوك العدوانى، ويعيشون حياة غير مستقرة، ولايستطيعون الإحتفاظ بوظيفة معينة لمدة طويلة، ولايقيمون علاقات حميمة لفترات طويلة، كما أنهم لايتحملون المسئولية ولايقدرونها ويميلون للإندفاع والعدوان والعنف (٢١).

تفسير العدوان والإجرام :

وفى إطار تفسير السلوك الإجرامى، فى ضوء النظريات الاجتماعية، يقال أن الإجرام أو النزعات الإجرامية Criminality تمثل فشلاً لعملية هامة فى حياة الإنسان هى « عملية التطبيع الاجتماعى » أو التنشئة الاجتماعية Socialization، وهى العملية التى يكتسب الإنسان من خلالها قيم المجتمع ومثله ومعاييره ونظمه

وقوانينه ومبادئه، والفشل فى عملية التشريط أو التعليم الشرطى (٢٢). وعلى الرغم من أن فرويد لم يهتم كثيراً بدراسة الجريمة، إلا أنه أرجعها إلى شعور المجرم بالذنب على المستوى اللاشعورى Unconscious sense of guilt (٢٣).

وترى مدرسة التحليل النفسى، أن المجرم لديه رغبة لاتقاوم لارتكاب الجريمة، بل إن إرتكاب الجريمة، قد يكمن ورائه رغبة لاشعورية فى « تلقى العقاب » والدخول إلى السجن. ولذلك كان هناك أولئك الذين يستهدفون الحريمة ويسعون إليها ومثلهم مثل العمال فى المصانع الذين يستهدفون التورط فى حوادث العمل وإصاباته لأسباب لاشعورية.

وتركز النظريات البيولوجية على وجود عوامل بيولوجية تكمن وراء السلوك العدوانى، كالقول بالعوامل الوراثية (٢٤) المتمثلة فى ناقلات الوراثة أو الجينات Genes. أو القول بأن المجرمين يعانون من ضرب من ضروب التدمير الدماغى أو من نقص أو عجز يجعل المجرم أقل إستجابة للقيود والقواعد والنظم والقيم والمثل الاجتماعية. ويرجع ذلك إلى إختلافات فى جهازهم العصبى، وهم أقل شعوراً بالقلق، ولهذه النظريات جذور ترتد إلى نظريات الطبيب الإيطالى المشهور سيزار لامبرورزو The Italian Phsycician Cesare, Lomboroso . والذى أرجع الإجرام إلى الوراثة وخاصة شكل الجمجمة (٢٥).

وهناك نظريات ترجع الإجرام إلى زيادة معدلات الهرمونات الذكرية - Sex hormones إستناداً إلى مايلاحظ على الرجال من أنهم، فى جميع الثقافات، أكثر عدواناً عن النساء (٢٦). هذا الأساس يجد مايعززه من الثقافة التى تقبل العدوان وتشجعه فى الولد الذكر وتمنعه فى الفتاة الأنثى وخاصة فى الثقافات الفرعية للمناطق متدنية المستوى الاجتماعى والاقتصادى. هذا الفرق الجنسى فى العدوان يظهر فى مختلف أجناس الحيوانات المعروفة. حيث أدت زيادة نسبة

هرمونات الذكورة عن طريق الحقن إلى زيادة الميول العدوانية، والعكس صحيح بالنسبة لهرمونات الأنوثة.

وفى ضوء تعدد نظريات تفسير السلوك الإجرامى والعدوان، يرى الباحث أن أى من النظريات الواردة فى التراث العلمى فى هذا الصدد لاتصلح وحدها لتفسير كافة حالات الإجرام والعدوان، سواء أكانت هذه النظرية بيولوجية ترجعه إلى الوراثة أو كانت اجتماعية ترجعه إلى خطأ فى عملية التطبيع الاجتماعى أو التنشئة الاجتماعية أو كانت نظرية سيكولوجية ترجعه إلى عوامل لاشعورية كالشعور بالذنب أو النقص أو ترجعه إلى السيكوباتية أى العته الأخلاقى أو الجنون الخلقى أو إلى وجود غريزة الموت والتدمير والتخريب والتحطيم. فإن الرأى المقبول هو الأخذ « بنظرية العوامل المتعددة فى تفسير السلوك الإجرامى » وهى التى ترجعه إلى مجموعة متضافرة متفاعلة متداخلة متشابكة من العوامل الوراثية والاجتماعية والنفسية والتربوية، وكل مايتعرض له الفرد من مؤثرات منذ الحمل أو الإخصاب (٢٧) حتى الممات.

هذا ويحفل التراث العلمى بالحديث عن العدوان Aggression وتعريفه وأنواعه ومظاهره ونظريات تفسيره.

وتنظر مدرسة التحليل النفسى للعدوان على أنه غريزة أو مبدأ متخيل، يحرك سلسلة من الأفعال والإنفعالات، وينظر إليها كثيراً بوصفها نقيض غريزة الجنس أو اللبيدو، وهنا يكون المعنى المقصود هو الدوافع المخربة، ويثور الإختلاف بشأنه، هل هو دافع أولى، بمعنى أنه غريزة عدوانية تخريبية، أو أنه مجرد رد فعل للإحباط، وتحتدم الآراء كذلك حول ما إذا كان العدوان غريزة لها أهدافها الخاصة بها، أو أنه مصدر الطاقة التى مكن الأنا من التغلب على العقبات التى تعترض إشباع

الدوافع(٢٨). ولكن علم النفس الحديث لم يعد يأخذ بفكرة الغرائز وتم استبدالها بفكرة الدوافع.

وهنا يتساءل الباحث مع القارئ الكريم هل العدوان دافع فطرى أم دافع مكتسب من البيئة ومن خبرات الحياة وأظهرها خبرات الإحباط والفشل ؟ Aggressive Instinct . وغريزة العدوان تدل عنه فرويد (١٨٥٦ – ١٩٣٩ .S Freud) على غريزة الموت باعتبارها متوجهة نحو الخارج، ويتلخص هدف غريزة العدوان فى تدمير الموضوع (٢٩) ومن مظاهرها الحروب والتحطيم والتدمير والقتل والقضاء على مظاهر حضارة الإنسان.

ويستخدم مفهوم العدوان فى علم النفس وحقوله المختلفة للدلالة على استجابة يرد بها المرء على الخيبة والإحباط والحرمان، وذلك بأن يهاجم مصدر الخيبة أو بديلاً عنه .

ويشير مصطلح العدوان إلى معان عدة،،منها الإعتداء أو التعدى Aggression (٣٠) أو هو كل فعل يتسم بالعدوان تجاه الموضوع أو الذات، ويهدف للهدم والتدمير والتحطيم نقيضاً للحياة، فى متصل من البسيط إلى المركب أو القصوى. وفى حالة القول « بالغرائز » هناك غريزة الحياة Life instinct أو غريزة الجنس، التى تقال فى مقابل غريزة الموت Death instinct.

ويرى ألفريد آدلر (١٨٧٠ – ١٩٣٣ .Adler A) أن العدوان أى مظهر لإرادة القوة، بينما يعتبره دولارد .Dollord J وجمهرة السلوكيين فعلاً يمثل إستجابة تهدف إلى إلحاق الأذى بكائن أو بديله، بينما يرى آخرون أنه تلك الإستجابة الناجمة عن الإحباط.

يميل البعض إلى إعتبار العدوان كل فعل أو دافع يهدف للهدم والتدمير

ولايخدم الدافع الغرزى للحياة سواء أكان موجهاً تجاه الموضوع أو تجاه الذات. وفى متصل من البسيط إلى المركب والقصوى، ذلك أن الدفاع عن « الوطن »، على سبيل المثال لايمكن اعتباره عدواناً يخدم الدافع الغريزى للموت، وبالمثل فإن بعض أشكال النشاط الإنسانى كالنشاط الجنسى مثلاً تتسم بمظهر عدوانى، رغم أنها فى خدمة الدافع الغريزى للحياة (٣١). ولعل اللجوء إلى قانون العقوبات يوضح لنا الفرق بين العدوان من الناحية الاجتماعية والعدوان الذى يظهر فى مظاهر السلوك الأخرى كالجنس مثلاً. فالجريمة وهى عدوان لها ركنان : ركن يتمثل فى فعل الجريمة وركن معنوى يتمثل فى القصد أو النية أو الإصرار أو الترصد لانتواء (٣٢) القيام بالفعل الإجرامى. ومن هذا لايدخل النشاط الرياضى العنيف أو النشاط الجنسى أو الدفاع عن الوطن ضمن مفهوم العدوان.

وهناك العدوان المباشر Direct aggression الموجه مباشرة نحو مصدر الإحباط سواء أكان شخصاً أم شيئاً، وعدوان متحول أو مزاح أو منقول من مصدره الأصلى إلى مصدر بديل Displaced aggression (٣٣) عدوان موجه إلى غير مصدر الإحباط (٣٤). كأن يختار الفرد موضوعاً أضعف أو أقل خطورة من مصدر الإحباط، فيصب عليه عدوانه، لأنه يخشى المصدر الأصلى.

ويستخدم مصطلح العدوان فى المعاهدات الدولية بمعنيين : الأول يقوم على تصنيف حالات العدوان، أما اللجوء إلى التهديد باستخدام القوة المسلحة، أو الضغط الاقتصادى أو الأيديولوجى من دولة على أخرى، فإنه يكون واحداً من الأسس التى تقوم عليها محاولات تعريف العدوان بصورة مجردة (٣٥). ويكمن العدوان هنا فى الإعتداء على الحقوق والعدوان والكراهية Hostility and aggression أى صورة من العدوان الصريح الذى يهدف إلى إلحاق الأذى أو الضرر فى مقابل العدوان الوسيلى Instrumental aggression .

وقد يشير لفظ Hostility إلى الكراهية أى الغضب التشبثى والإزدراء المختلط بدافع قوى للإنتقام. ولو أن دفعات الكراهية قد تكون عادية وسوية، وذلك فى المواقف التى يشعر فيها الفرد بالإحباط والحرمان وبالتعصب ضده، فإنها قد تكون أيضاً عاملاً فى نوبات القلق والسلوك والوسواس القهرى والإكتئاب والشخصية المناهضة للمجتمع والإستجابات البارنوية (٣٦) . الشخصية البارنوية تشعر بأنها مضطهدة من المجتمع أو من المحيطين، فالعدوان قد يصاحب « المرض العقلى» كما فى حالة التهيج والثورة والعنف وفقدان السيطرة والتحكم فى السلوك. ومن الملاحظ أن الطفل الذى يعاقب على عدوانه قد يزيح غضبه إلى أطفال أضعف منه، أو أصغر منه سناً، أو قد يحبس إنتقامه إلى أن يكبر، فيصبح عدوانياً صريحاً بالكلمة أو بالفعل أو بكلاهما معاً. ويعرف عنه طابع العنف والميل إلى إلحاق الأذى بالناس.

ولقد تبين أيضاً أن هناك تناسباً بين العدوانية التى يكون عليها المرء والعقاب الذى كان يتلقاه صغيراً ،فكلما زاد مايتلقاه الطفل من العدوان، كلما زادت ميوله العدوانية فى الكبر، الأمر الذى يوضح أهمية التنشئة الاجتماعية السوية. وقد يتحول بعض الأطفال الذين ينزل بهم الكثير من العدوان إلى التبول على أنفسهم، ويعتبر بعض المحللين النفسيين هذا السلوك منهم بمثابة العدوان الثأرى، أى أنهم يثأرون لأنفسهم بالتبول، فيضايق تبولهم المحيطين بهم، وهم عادة الذين يوقعون بهم العدوان، والبعض يرجع التبول إلى التوترات التى تلحقهم وتستحدثها مشاعر الكراهية والرفض للعدوان الذى يقع عليهم فتضطرب بهما الإرادة وتقل باضطرابها كفاءتهم على ضبط عضلات المثانة. وقد يتسجيب بعض الأطفال (٣٧) للعدوان المستمر عليهم بأن يكونوا طبيعيين حتى ليضرب بهم المثل فى الطاعة وانضباط السلوك، غير أنه من جهة أخرى قد يثبت أن أمثال هؤلاء الأطفال يبدون خلاف

مايظنون، وأنهم إذا تركوا لأنفسهم أو أتيحت لهم فرصة التآمر بأمان لمارسوا العدوان وغالوا فيه. ولقد ثبت ذلك فى جلسات العلاج باللعب فيوقع الطفل، من هذا النوع، أشد أنواع العدوان بالدمى التى يعطيها أسماء كان المظنون لهم عنده مكانة خاصة، وفى بعض الأحيان قد يعبر هؤلاء الأطفال عن إتجاهاتهم وميولهم العدوانية بأن يصابوا بالفوبيا (المخاوف الشاذة غير المنطقية كالخوف من الماء). فلأن الطفل من هذا النوع يكره أخاه مثلاً، وقد تنازعه نفسه فى كثير من الأحيان أن يتخلص منه بأن يعتدى عليه بسكين، وكلما يرى السكين أو أية أداة تشبهها راودته الفكرة وألحت عليه، فيفزع وينتابه الخوف الشديد، ويتعلم أن يرهب السكاكين وأشباهها وينشأ على ذلك (٣٨). فالطفل أو المراهق قد يوقع العدوان على نفسه أو يتورط فى ارتكاب الجريمة من أجل معاقبة أهله. ومن هنا تبرز أهمية التعرف على دوافع الجريمة فى كل حالة على حدة.

كذلك فإن السلوك العدوانى أو التخريبى قد يكون تصريفاً أو تنفسياً عن دوافع مكبوتة وقد لايكون السبب الظاهرى هو السبب الحقيقى الذى يفسر العدوان. فالحقد الطبقى والشعور بالكراهية تجاه الطبقات الأعلى قد يدفعان المجرم الذى ينحدر من الطبقة الدنيا إلى الإعتداء على أبناء الطبقات أو على رجال الإدارة أو يعتدى على السلطة دون سبب حقيقى.

وقد يكون العدوان ضمن حيل الدفاع اللاشعورية Defense mechanisms فيكون السلوك العدوانى بذلك سلوكاً لاشعورياً لايدركه الفرد ولايعيه ولايعترف به لنفسه ولا لغيره، ويكون المسئول عنه، كبقية حيل الدفاع، الذات الوسطى فى الإنسان ego وذلك وفقاً لفكر مدرسة التحليل النفسى.

عرض النتائج وتحليلها

وصف العينة :

اعتمدت هذه الدراسة على عينة قوامها ٢٦٠ شاباً وشابة من طلبة وطالبات كلية السياحة والفناق بجامعة الإسكندرية من فرقها الدراسية الأربع. ولقد تم سحب العينة بطريقة عشوائية بواقع عشر مجموع الطلاب، بمعنى أخذ طالب أو طالبة من كل عشرة طلاب مقيدين. ولقد تراوح عمر العينة من ١٨ عاماً إلى ٢٥ عاماً، وبلغ متوسط عمر العينة كلها ٢٢,٢ عاماً بإنحراف معيارى ١,٨٠. وكان الذكور أكثر تقدماً فى السن قليلاً عن الإناث، حيث بلغ متوسط عمر الذكور ٢٣,٢ عاماً فى مقابل ٢٠,٤ عاماً للإناث. وهذا الفرق الملاحظ وقدره ٢٣,٢ – ٢٠,٤ = ٢,٨ وجد دالاً إحصائياً دلالة عالية مقاساً بمقياس (ت) لدلالة الفروق بين المتوسطات الحسابية وفقاً للمعادلة الآتية [١] :

$$\text{ت} = \frac{\text{م}_{١} - \text{م}_{٢}}{\sqrt{\dfrac{\text{ن}_{١}\,\text{ع}_{١}^{٢} + \text{ن}_{٢}\,\text{ع}_{٢}^{٢}}{\text{ن}_{١} + \text{ن}_{٢} - ٢} \times \left(\dfrac{١}{\text{ن}_{١}} + \dfrac{١}{\text{ن}_{٢}}\right)}}$$

(١) السيد محمد خيرى : الإحصاء فى البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٣٦١.

ولقد وجدت « ت » مساوية لـ ١٨,٤٢ وهى دالة عند مستوى ثقة يتجاوز حدود ٩٩٪ فى المائة مؤكداً تقدم الذكور فى السن بصورة دالة إحصائياً.

ولقد تطلب ذلك حساب قيمة الإنحراف المعيارى لكل من الذكور والإناث. والعينة ككل فى متغير السن. وذلك وفقاً للقانون الآتى :

$$ع = \sqrt{\frac{مجـ ك ح^{2}}{ن} - \left(\frac{مجـ ك ح}{ن}\right)^{2}}$$

ويمكن تلخيص متغير العمر فى الجدول الآتى فى شكل متوسطات حسابية (م) وإنحراف معيارى (ع) و (ن) عدد الحالات :

العينة	م	ع	ن	٪
الكل	٢٢,٢٠	١,٨٠	٢٦٠	١٠٠
الذكور	٢٣,٢٠	١,٠٣	١٥٠	٥٧,٧
الإناث	٢٠,٤٠	١,٤٠	١١٠	٤٢,٣
الفرق	٢,٨٠			
قيمة ت	١٨,٤٢			

فالعينة المشاركة فى الدراسة تقع فى منتصف مرحلة الشباب وتمثل المجتمع الجامعى والشباب المثقف فى وقت إجراء الدراسة .. هذا والدراسة جزء من اهتمام الباحث بدراسة المجتمع الجامعى ومايواجهه من مشكلات ومايتطلع إليه من الآمال ومايحتاجه من تطوير وتنمية [١].

(١) عبد الرحمن العيسوى، تطوير التعليم الجامعى العربى، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٦.

أهم نتائج اختبار النزعة العدوانية :

جدول

يوضح المتوسطات الحسابية والإنحرافات المعيارية لدرجات العدوان لعينة كلية السياحة والفندقة للعينة ككل وكل جنس على حدة. وقيمة ت ودلالتها

العينة	م	ع	ن	ت
الذكور	٨,٤٥	١,٨٨	١١٠	
الإناث	٦,٨٠	٣,٠٠	١٥٠	
الكل	٧,٥٨	١,٠٢	٢٦٠	
الفرق الجنسى	١,٦٥			٥ (*)

حصلت العينة كلها على متوسط حسابى قدره (٧,٥٨) درجة من المجموع الكلى للدرجات والبالغ قدره ٢٢ درجة وتمثل هذه القيمة أقل من نصف الدرجة القصوى.

وتبدو الإناث أقل عدوانية عن الذكور، ولقد روعى التأكد من وصول هذا الفرق الملاحظ وقدره (١,٦٥) إلى حد الدلالة الإحصائية من عدمه، حيث حصل الذكور على متوسط حسابى قدره (٨,٤٥) فى مقابل (٦,٨٠) للإناث. ولقد حسبت قيمة مقياس الدلالة الإحصائية (ت) ووجدت مساوية لـ (٥) وهى قيمة دالة عند مستوى ثقة يفوق حدود ٩٩ ٪. مما يشير إلى أن الذكور أكثر عدواناً عن الإناث أو أكثر قبولاً للفكر العدوانى والعنيف عن الإناث. وتتفق هذه النتيجة

(*) لهذا الفرق دلالة إحصائية عالية تتجاوز حدود ثقة ٩٩ ٪ حيث أن قيمة ت الجدولية = ١,٩٦ عند مستوى ٥ ٪ و ٢,٥٨ عند مستوى ١ ٪.

مع التراث العلمى السابق فى مجال الفروق بين الجنسين، ويرجع ذلك لأنماط التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعى Socialization والتربية التى تقبل أن يتربى الولد الذكر على العنف والعدوان بينما تحرص أن تتربى الأنثى على الرقة واللطف والمسالمة والوداعة. وتقدر الثقافة هذه القيم فى الأنثى. بينما تقبل درجة من الخشونة فى الذكور.

النزعات العدوانية النوعية :

وكانت هذه التحاليل قائمة على أساس معالجة درجات اختبار العدوان ككل وكوحدة واحدة ودل هذا التحليل الإحصائى على وجود فرق دال إحصائياً بين الذكور والإناث على النحو سالف البيان، ولكن رؤى تحليل استجابات أفراد العينة على مفردات الإختبار مفردة مفردة، للتعرف على أى الجوانب يظهر فيها هذا الفرق وأيها يتساوى فيها الجنسان، وفى أى من الجوانب تكون هذه الفروق أكثر بروزاً وظهوراً والجدول الآتى يوضح ذلك.

وللتأكد من وصول الفروق الملاحظة فى النسب المئوية لدى الجنسين رؤى حساب قيمة النسبة الحرجة (ن – ج) لمعرفة الدلالة الإحصائية للفرق بين كل نسبتين للإناث والذكور تطبيقاً للقانون الآتى :

$$\text{ن} - \text{ج} = \frac{\text{الفرق بين كل نسبتين}}{\sqrt{\frac{\text{ط}_1\,\text{ق}_1}{\text{ن}_1} + \frac{\text{ط}_2\,\text{ق}_2}{\text{ن}_2}}}$$

حيث ط_1 نسبة من أجابوا بنعم من المجموعة الأولى و ق_1 النسبة المتبقية من الواحد الصحيح أى أولئك الذين قالوا لذات المفردة « لا » و ط_2 ق_2 ترمز لنفس القيم ولكن بالنسبة للمجموعة الثانية أى الإناث. ولقد تم حساب هذه القيم (ن – ج) لكل مفردة من مفردات المقياس البالغ عددها ٢٢ مفردة.

جدول

يوضح استجابات الموافقة على مفردات اختبار العدوان لعينة كلية السياحة والفندقة ن = ٢٦٠ ، لكل جنس على حدة، وللعينة ككل، نسب مئوية، والفرق بين الجنسين ودلالته الإحصائية (ن – ح)

نص المفردة	ذكور ن ١١٠	إناث ن ١٥٠	الكل ن ٢٦٠	الفرق الجنسى	ن – ح
١ – هل تؤمن بفكرة الأخذ بالثأر بنفسك	٥١,٥	٤٠	٤٦,٢	١٤,٥	٢,٣٤ *
٢ – هل تعتقد فى صحة المبدأ القائل العين بالعين والسن بالسن والبادى أظلم	٩٠,٩	٤٠	٦١,٥	٥٠,٩	١٠,٥٠ **
٣ – هل تضطر لاستخدام العنف أحياناً للدفاع عن حقوقك	٦٣,٦	٧٣,٣	٦٩,٢	٩,٧	١,٦٧
٤ – هل يصفك أصحابك بأنك شخص عدوانى	٩,١٠	٢٠	١٥,٤	١٠,٩	٢,٥٣ *
٥ – هل كنت طفلاً عدوانياً	١٨,٢	١٣,٣	١٥,٤	٤,٩	١,٠٧
٦ – هل ترد على العدوان بالمثل	٥٤,٥	٤٠	٤٦,٢	١٤,٥	٢,٣٥ *
٧ – إذا منعنى شخص ما من تحقيق رغبتى فإنى أحققها بالقوة	٦٣,٦	٢٠	٣٨,٥	٤٣,٦	٧,٧٩ **
٨ – هل تعتقد فى صحة المثل القائل بأنك إذا لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب فى هذه الحياة	٥٤,٥	٤٠	٤٦,٢	١٤,٥	٢,٣٤ *
٩ – هل تعتقد فى صحة المقولة : الشر بالشر والبادى أظلم	٦٣,٦	٣٣,٣	٤٦,٢	٣٠,٣	٢,١٤ *
١٠ – الناس لاتحترم فى هذه الأيام إلا الشخص القوى	٥٤,٥	٦٦,٧	٦١,٥	١٢,٢	١,٥٠
١١ – إذا أخذ شخص آخر مكانى وأنا أقف فى طابور ما وكان الطابور طويلاً أسترده بالقوة	٥٤,٥	٢٦,٧	٣٨,٥	٢٧,٨	٤,٦٠ **

نص المفردة	ذكور ن ١١٠	إناث ن ١٥٠	الكل ن ٢٦٠	الفرق الجنسى	ن - ح
١٢ - يجب أن يرد الإنسان على العدوان بالمثل	٢٧,٣	١٣,٣	١٩,٢	١٤,٠	٢,٨٠ **
١٣ - هل يسهل عليك أن تسب أو تقذف من يعتدى عليك	٥٤,٥	٦,٧	٢٦,٩	٤٧,٨	٩,١٩ **
١٤ - هل تميل إلى تدمير الأشياء إذا كنت فى حالة ثورة وتهيج	٢٧,٣	٢٠	٢٣,١	٧,٣	١,٣٥
١٥ - إذا عمد شخص ما على إيذائك فهل تميل إلى التشهير به	١٨,٢	١٣,٣	١٥,٤	٤,٩	١,٠٤
١٦ - إذا داس شخص ما على قدمى فى الأتوبيس أدفعه بعنف	٩,١	١٣,٣	١١,٥	٤,٢	١,٠٥
١٧ - أعتقد أن مبدأ الغاية تبرر الوسيلة مبدأ صحيح	٢٧,٣	٢٦,٧	٢٦,٩	٠,٦	١,٠٧
١٨ - ليس من الضرورى أن يلتزم الإنسان فى جميع الأحوال بالقانون	٥٤,٥	٦٦,٧	٦١,٥	١٢,٢	٢,٠٠ *
١٩ - أفضل أن آخذ حقى بيدى عن اللجوء للمحاكم والقضاء	١٨,٢	١٣,٣	١٥,٤	٤,٩	١,٠٤٣
٢٠ - أفضل أن أكون مسالماً فى كل الأحوال	٢٧,٣	٤٠	٣٤,٦	١٢,٧	٢,١٩ *
٢١ - أحياناً الظروف تضطر الإنسان أن يكون عنيفاً	١٠٠	٨٦,٧	٩٢,٣	١٣,٣	٤,٧٥ **
٢٢ - أنا أكره العدوان وأحاربه	١٠٠	٧٣,٣	٨٤,٦	٢٦,٧	٧,٤٢ **

(١ ، ٢) = استجابة « لا » فى هاتين المفردتين هى التى تعبر عن النزعة العدوانية.

* لهذا الفرق دلالة إحصائية عند مستوى ثقة ٠,٩٥

** لهذا الفرق دلالة إحصائية عند مستوى ثقة ٠,٩٩

بالنسبة للعينة المشاركة ككل اختلفت معدلات الاستجابة على المقياس من مفردة إلى أخرى حسب موضوع المفردة ومبلغ تعبيرها عن العدوان ونوعية العدوان وعما إذا كان فكرياً أو سلوكياً أو مذهبياً فكانت أعلى نسبة موافقة على المفردة القائلة :

(٢١) أحياناً الظروف تضطر الإنسان أن يكون عنيفاً « نعم » ٩٢,٣٪ ،

على حين كانت أقل الإستجابات إنتشاراً على المفردة القائلة :

١٦ – إذا داس شخص ما على قدمى فى الأتوبيس ادفعه بعنف ١١,٥٪.

فالمشاركون لايميلون إلى إستخدام العنف فى مثل هذه الحالات التى تبدو غير مقصودة.

وكانت أعلى الاستجابات فى المفردات الآتية :

٢٢ – أنا أكره العدوان وأحاربه	٨٤,٦٪
٣ – اضطر لاستخدام العنف أحياناً للدفاع عن حقوقى	٦٩,٢٪
٤ – أعتقد فى صحة المبدأ القائل العين بالعين والسن بالسن والبادى أظلم	٦١,٥٪
١٠ – الناس لاتحترم، فى هذه الأيام، إلا الشخص القوى	٦١,٥٪
١٨ – ليس من الضرورى أن يلتزم الإنسان فى جميع الأحوال بالقانون	٦١,٥٪
١ – أؤمن بفكرة الأخذ بالثأر بنفس	٤٦,٢٪
٦ – أرد على العدوان بالمثل	٤٦,٢٪

٨ – أعتقد فى صحة المثل القائل إذا لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب ٤٦,٢ ٪

٩ – الشر بالشر والبادى أظلم ٤٦,٢ ٪

وتكشف هذه المعطيات، من الناحية النفسية، إرجاع الشباب ميلهم للعنف إلى إضطرار الظروف وضغطها عليهم بمعنى أن يجئ العنف كرد فعل لظرف خاص ضاغط أو قهرى. بمعنى مسئولية الظروف البيئية عن السلوك العنيف. ويبدو الفرق بين العنف والعدوان واضحاً فى أذهان الشباب، فالعنف قد يكون مقبولاً تحت ضغط الظروف، ولكن العينة المشاركة بصورة ساحقة تكره العدوان وتحاربه ٨٤,٦ ٪ من مجموع المشاركين فى الدراسة. فالميل العام لدى الشباب هو كراهية العدوان بل الوقوف منه موقفاً إيجابياً بمحاربته والتصدى له ومقاومته. والعدوان، لاشك، أمر تكرهه الذات الشاعرة وتعافه النفس البشرية ولذلك حرمته الأديان السماوية وخاصة إسلامنا الحنيف الذى حرم الظلم والعدوان والقهر والإستبداد والبطش. وهناك نسبة كبيرة (٦٩,٢ ٪) تقرر أنها تجيز العنف إذا كان فى الدفاع عن الحقوق. ومثل هذا الموقف يقفه إسلامنا الحنيف من قضية الحرب، فلا يجيز إلا الحرب الدفاعية فقط. وتعبر العينة المشاركة عن إعتقادنا فى مبدأ القصاص، فالعين بالعين والسن بالسن والبادى أظلم وذلك لردع المعتدى ومحاربة العدوان ولصون حقوق الضحايا أو المجنى عليهم. وتعترف الأغلبية الإحصائية بقيمة القوة فى هذه الأيام، ولكنها القوة على إطلاقها، « فالناس لاتحترم إلا الشخص القوى » وقد تكون القوة مادية أو معنوية أو فكرية أو سياسية أو قوة فى الحجة والبرهان. ويتمشى ذلك مع تراثنا الإسلامى الذ يعتبر أن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف. ويقصد بذلك قوة الإيمان وقوة الإرادة والعزيمة والقوة المادية. وليست القوة الغاشمة المعتدية. كما تذهب إلى ذلك الفلسفات المادية الغربية والإستعمارية التى كانت ومازالت تؤمن بالتوسع على حساب الأمم الضعيفة. كذلك تعبر نسبة كبيرة نسبياً (٦١,٥ ٪) من المشاركين أنه ليس من الضرورى أن

يلتزم الإنسان في جميع الأحوال بالقانون. والموقف المثالى والإتجاه الإمتثالى فى مفهوم الأخلاق يقضيان أن يلتزم الإنسان ويخضع للقانون على طول الخط. وقد تتطلب مثل هذه الإستجابة ضرورة الدعوة لتوفير مزيد من الوعى القانونى لدى الشباب الجامعى وأحكام تنشئته على القيم الأخلاقية والاجتماعية والسياسية والوطنية السوية بما فيها الإلتزام والطاعة وإحترام القانون وطاعة ولى الأمر ولو كان عبداً حبشياً على حد تعبير الهدى النبوى الكريم. وبالمثل تدل النسبة البالغة ٤٦,٢ ٪ على الإيمان بفكرة الأخذ بالثأر وهى نسبة عالية إذا علمنا أن العينة ليست مسحوبة من أعالى صعيد مصر وإنما من وسط جامعى مثقف فى الإسكندرية ولذلك هناك حاجة إلى الدعوة إلى توعية الشباب وترشيده وتنشئته على قيم السلام والسلم ونبذ العنف والعدوان والكراهية وكافة الخصائص السالبة.

وتتأيد هذه النتيجة من نظيرتها والتى تقول كلماتها :

« أرد على العدوان بالمثل » ٤٦,٢ ٪. وفى هذا الإطار جاءت أيضاً الإستجابة القائلة « إذا لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب فى هذه الحياة »، ويقصد بها الحياة المعاصرة. ربما لإنتشار الظلم والفساد والطغيان. وتمثل الإستجابات، فى جملتها، موقفاً صارماً من الشر والعدوان والإعتداء.

أما أقل الإستجابات إنتشاراً بين العينة المشاركة فكانت :

٤ – يصفنى أصحابى بأننى شخص عدوانى	١٥,٤ ٪
٥ – كنت طفلاً عدوانياً	١٥,٤ ٪
٦ – أميل إلى التشهير بمن يؤذينى	١٥,٤ ٪
١٩ – أفضل أن آخذ حقى بيدى على اللجوء إلى المحاكم والقضاء	١٥,٤ ٪
١٢ – يجب أن يرد الإنسان على العدوان بالمثل	١٩,٢ ٪

١٤ - أميل إلى تدمير الأشياء إذا كنت فى حالة ثورة وتهيج ١ ,٢٣٪

١٧ - أعتقد أن مبدأ الغاية تبرر الوسيلة مبدأ صحيح ٩ ,٢٦٪

الإستجابات أعلاه تشير إلى عدم ميل الغالبية إلى أن تقرر بأن أصدقاء المشارك يصفونه بالعدوان أو أنه كان طفلاً عدوانياً وعدم الميل إلى التشهير بمن يوقع الأذى بالفرد، وكذلك تفضل الأغلبية اللجوء إلى القضاء والمحاكم للحصول على حقها بدلاً من أخذه بيدها. كما لا تفضل الغالبية الرد على العدوان بالمثل. وهناك نحو ربع العينة ترى صحة المبدأ اللاأخلاقى وهو الغاية تبرر الوسيلة. أما الميل للتدمير فى حالة الثورة والتهيج فلا تعترف به سوى نسبة قليلة نسبياً تتجاوز خمس العينة بقليل.

وهناك نحو ثلث العينة ٦ ,٣٤٪ من المشاركين تقرر أنها « أفضل أن أكون مسالماً فى كل الأحوال ».

ومن الإستجابات التى تؤيد «فرض الإحباط» فى تفسير حدوث السلوك العدوانى الإستجابات القائلة :

إذا منعنى شخص ما من تحقيق رغبتى فإنى أحققها بالقوة ٣٨,٥٪

إذا أخذ شخص آخر مكانى وأنا أقف فى طابور طويل

فإنى أسترده بالقوة ٣٨,٥٪

فمواقف الإحباط قد تدفع إلى السلوك العدوانى كما ذهب إلى ذلك سيجمند فرويد.

والصورة العامة التى تدل عليها هذه المعطيات أن الشباب بخير وأنه يلفظ العدوان ولكنه مع ذلك فى حاجة إلى أن توجه إليه المؤسسات الجامعية والإعلامية والاجتماعية والدينية اهتماماً لتحقيق مزيد من التوعية

وتنمية الشعور الوطنى والخلقى والدينى والإيمان بفكرة السلام الاجتماعى قولاً وفعلاً.

هل يختلف الذكور عن الإناث فى المظاهر النوعية للنزعات العدوانية ؟

لقد تم حساب الدلالة الإحصائية للفرق بين نسبتى الإناث والذكور على كل مفردة. ووجد أن الفروق الآتية تصل إلى حد الدلالة الإحصائية الجوهرية مشيرة إلى زيادة نسبة الذكور وذلك فى الإستجابات الآتية :

١ - آخذ بالثأر بنفسى.

٢ - أؤمن فى صحة المبدأ القائل العين بالعين والسن بالسن.

٣ - أرد على العدوان بالمثل.

٤ - أحقق رغبتى بالقوة إذا منعنى شخص ما من ذلك.

٥ - إذا لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب فى هذه الحياة.

٦ - الشر بالشر والبادى أظلم.

٧ - أسترد مكانى فى طابور ما بالقوة.

٨ - وجوب الرد على العدوان بالمثل.

٩ - أسب وأقذف من يعتدى على.

١٠ - تضطرنى الظروف أن أكون عنيفاً.

١١ - أنا أكره العدوان وأحاربه.

حيث تزيد درجات الذكور فى نصف عدد مفردات المقياس (١١ من ٢٢ مفردة) وتتضمن العدوان الفكرى والسلوكى واللفظى. ولكن نسبة الذكور أيضاً أعلى فى كراهية العدوان ومحاربته.

ويعكس ذلك فهم الذكور للفرق بين العدوان والعنف وبين العدوان الذى لايوجد له مبرر والعدوان فـى حـالة الدفاع الشرعى عـن الذات أو العرض أو الحقوق.

أما الإناث فزادت درجاتهن فيما يلى :

١ - هل يصفك أصحابك بأنك شخص عدوانى نعم.

٢ - ليس من الضرورى أن يلتزم الإنسان فى جميع الأحوال بالقانون.

٣ - أفضل أن أكون مسالماً فى كل الأحوال.

الإناث أكثر إقراراً وإعترافاً بأن الغير يصفهن بالعدوان كما أن الأنثى هنا أكثر إقراراً لعدم الإلتزام بالقانون فى كل الأحوال. وقد يكون مرد ذلك طبيعة المرأة التى تؤثر فيها العاطفة أكثر من المنطق والقانون منطقى فى معظم حالاته. ولكن أغلبية من الإناث أزيد من الذكور، تقرر : أفضل أن أكون مسالماً فى جميع الأحـوال.

أما بقية أبعاد الاختبار أو بنوده فيتساوى فيها الجنسان نظراً لعدم وصول الفروق الملاحظة إلى حد الدلالة الإحصائية، ومرد هذا التساوى هو تشابه ظروف التعليم والحياة الجامعية والظروف الثقافية بالنسبة للجنسين فى الوقت الراهن مما يؤدى إلى تقارب القيم والسمات.

هذا ولقد رؤى استعراض الإستجابات العدوانية موزعة حسب نوعية العدوان اللفظى، والعدوان كسمة أو صفة، العدوان الفكرى أو المذهبى والعدوان العملى أو الحركى أو السلوكى وفيما يلى هذه النتائج.

العدوان اللفظى

نص المفردة	الكل	ذكور	إناث	الفرق
١٣ – يسهل على السب والقذف	٢٦,٩	٥٤,٥	٦,٧	٤٧,٨
١٥ – أميل للتشهير بمن يؤذينى	١٥,٤	١٨,٢	١٣,٣	٤,٩

مما يدعو للاستغراب أن الذكور أكثر فى العدوان اللفظى عن الإناث.

العدوان كصفة أو سمة شخصية

نص المفردة	الكل	ذكور	إناث	الفرق
٤ – يصفنى أصحابى بأننى شخص عدوانى	١٥,٤	٩,١	٢٠,٠	١٠,٩
٥ – كنت طفلاً عدوانياً	١٥,٤	١٨,٢	١٣,٣	٤,٩
٢٠ – أفضل أن أكون مسالماً فى كل الأحوال	٣٤,٦	٢٧,٣	٤٠,٠	١٢,٧

والغالب، بصفة عامة، أن الإناث أكثر فى العدوان كسمة.

العدوان الفكرى أو المذهبى

نص المفردة	الكل %	ذكور %	إناث %	الفرق الجنسى
١ - الإيمان بفكرة الأخذ بالثأر	٤٦,٢	٥٤,٥	٤٠,٠	١٤,٥
٢ - العين بالعين والسن بالسن	٦١,٥	٩٠,٩	٤٠,٠	٥٠,٩
٨ - إذا لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب	٤٦,٢	٥٤,٥	٤٠,٠	١٤,٥
٩ - الشر بالشر والبادى أظلم	٤٦,٢	٦٣,٦	٣٣,٣	٣٠,٣
١٠ - لا أحترم إلا الشخص القوى	٦١,٥	٥٤,٥	٦٦,٧	١٢,٢
١٢١ - وجوب الرد على العدوان بالمثل	١٩,٢	٢٧,٣	١٣,٣	١٤,٠
١٧ - الغاية تبرر الوسيلة	٢٦,٩	٢٧,٣	٢٦,٧	٠,٦
٢٢ - أنا أكره العدوان وأحاربه	٨٤,٦	١٠٠,٠	٧٣,٣	٢٦,٧

كذلك فإن الصورة العامة تشير إلى زيادة درجات الذكور فى العدوان الفكرى.

العدوان السلوكي الفعلي والعملي

نص المفردة	الكل ٪	ذكور ٪	إناث ٪	الفرق الجنسي
٣ - اضطر لاستخدام القوة أحياناً	٦٩,٢	٦٣,٦	٧٣,٣	٩,٧
٦ - أرد على العدوان بالمثل	٤٦,٢	٥٤,٥	٤٠,٠	١٤,٥
٧ - أحقق رغبتي بالقوة	٣٨,٥	٦٣,٦	٢٠,٠	٤٣,٦
١١ - استرد مكاني بالقوة	٣٨,٥	٥٤,٥	٢٦,٧	٢٧,٨
١٣ - سهولة السب والقذف	٢٦,٩	٥٤,٥	٦,٧	٤٧,٨
١٤ - الميل للتدمير	٢٣,١	٢٧,٣	٢٠,٠	٧,٣
١٦ - أدفع من يدوس على قدمي بعنف	١١,٥	٩,١	١٣,٣	٤,٢
١٨ - الإعتداء على القانون	٦١,٥	٥٤,٥	٦٦,٧	١٢,٢
١٦ - آخذ حقي بيدى بدلاً من المحاكم	١٥,٤	١٨,٢	١٣,٣	٤,٩

أما أكبر الفروق الجنسية حجماً أو أكثرها بروزاً وظهوراً فكانت « العين بالعين» ، «تحقيق رغبتي بالقوة» ، سهولة السب والقذف ضد المعتدى.

أثر متغير السن :

لقد قيس تأثير متغير الجنس ووجد أن الذكور أكثر ميلاً للنزعات العدوانية مقارنة بالإناث، والآن ماهو أثر متغير السن فى هذه النزعات ؟ فلقد تم قسمة المجموعة المشاركة إلى كبار السن وصغار السن.

الجدول الآتى يوضح المتوسطات الحسابية والإنحرافات المعيارية وحجم الفرق بين الجنسين ودلالته الإحصائية مقاساً بمقياس « ت ».

العينـــــة	ذكور		إناث		الكل
	م	ع	م	ع	م
صغار السن	٩,١٤	٢,٢٣	١٠,٠	٢,٥٩	٩,١٣
كبار السن	٨,٢٥	١,٠٩	٥,٨٢	١,٤٠	٧,١١
الفرق	٠,٨٩		٤,١٨		٢,٠٢

صغار السن يبدون أكثر قبولاً للأفكار العدوانية عن كبار السن بالنسبة للعينة ككل، ويتمشى هذا مع كل جنس على حدة، وقد يرجع ذلك إلى التقدم فى العمر وما يصاحبه من النضوج الفكرى والاجتماعى والأخلاقى والروحى ومايكتسبه الفرد من القيم ومن اتجاهات نحو الإلتزام والإنضباط والطاعة والنظام.

إلى أى مدى يرتبط العدوان المذهبى أو الفكرى بالعدوان السلوكى أو الفعلى أو الحركى ؟

لقد رؤى التعرف على مدى إرتباط الجانب العقلى أو الفكرى أو المذهبى من

العدوان متمثلاً فى الإيمان بفكرة الأخذ بالثأر الواردة فى المفردة رقم (١) من الاختبار المستعمل فى هذه الدراسة مع الإتجاه الفعلى لاستخدام العنف متمثلاً فى المفردة رقم (٣) والقائلة : هل تضطر لاستخدام القوة أحياناً للدفاع عن حقوقك.. ومن أجل التحقق من صحة وجود هذا الارتباط تم استخدام مقياس إحصائى «لابارا مترى» هو مقياس كاى ٢ وذلك على النحو الآتى باستخدام جدول تكرار مزدوج ٢ × ٢ .

		١ – الإيمان بفكرة الأخذ بالثأر		
		نعم	لا	الكل
٣ – استخدام العنف	نعم	١٠٠ (أ)	٨٠ (ب)	١٨٠ (هـ)
	لا	٣٠ (جـ)	٦٠ (د)	٩٠ (و)
الكل		١٣٠ (ز)	١٤٠ (س)	٢٧٠ (ص)

ولقد حسبت قيمة كاى ٢ وفقاً للقانون الآتى :

$$\text{كاى}^2 = \frac{\text{ص} \left(\text{أ} \times \text{د} - \text{جـ} \times \text{ب} \right)^2}{\text{هـ} \times \text{و} \times \text{ز} \times \text{س}}$$

ووجدت مساوية ١١,٨٧ وهى قيمة عالية مما يدل على ارتباط العدوان الفكرى بالعدوان السلوكى الأمر الذى مفاده أن إعتقاد الشباب وتصوراتهم

ومبادئهم ومفاهيمهم تؤثر ولاشك فى سلوكهم الفعلى العملى فى ميدان الحياة الواقعية ومواقفها مما يشير إلى أهمية التربية والوعظ والإرشاد والتوعية والتبصير والتثقيف فى حياة الشباب وغلبة الجوانب الفكرية وتأثيرها على سلوك الفرد.

تطبيق إختبار العدوان على عينة من نزلاء السجن الذين يقضون عقوبة الإدانة فى جرائم السرقة بالإكراه :

لقد رؤى الحصول على مزيد من الأدلة حول صدق الإختبار ونجاحه فيما وضع لقياسه، وهو النزعات العدوانية، كما رؤى التعرف على مدى إتسام مثل هؤلاء المدانين فى جرائم السرقة بالإكراه بالعدوان.

ولذلك تم تطبيق هذا الإختبار على عينة بلغ عددها ٥٠ سجيناً من الذكور فقط ممن أدينوا فى جرائم السرقة بالإكراه والذين كانوا يقضون عقوبة السجن فى وقت تطبيق الإختبار عليهم. ولقد تراوحت أعمارهم مابين ٢١ – ٣٢ عاماً بمتوسط حسابى بلغ ٢٧,٨٣ عاماً.

وأسفر تحليل نتائج هذا التطبيق عن المعطيات الآتية فى العدوان.

ن	م	ع	ملاحظات
٥٠	١٢,٦٧	٣,٢١	

ويدل الجدول على كبر حجم هذا المتوسط مقارنة بالمتوسط الحسابى الذى حصل عليه عينة الطلاب، مما يدل على صدق الإختبار من ناحية وارتباط العدوان بالسلوك الإجرامى المتمثل فى جرائم السرقة بالإكراه. هذا ويجدر بالباحث أن يشير إشارة عابرة إلى طبيعة جريمة السرقة بالإكراه وشروط عقوبتها المشددة وأنواعها فى ضوء قانون العقوبات المصرى.

تعريف السرقة وأحكام عقوبتها المقررة وأنواعها :

حيث تعرف المادة ٣١١ من قانون العقوبات السارق، بأنه كل من اختلس منقولاً مملوكاً لغيره وتنص المادة ٣١٣ على أن يعاقب بالأشغال الشاقة المؤبدة من وقعت منه سرقة مع اجتماع الشروط الخمسة الآتية :

أولاً : أن تكون هذه السرقة حصلت ليلاً.

الثانى : أن تكون السرقة واقعة من شخصين فأكثر.

الثالث : أن يوجد مع السارقين أو مع واحد منهم أسلحة ظاهرة أو مخبأة.

الرابع : أن يكون السارقون قد دخلوا داراً أو منزلاً أو أودة أو ملحقاتها مسكونة أو معدة للسكنى بواسطة تسور جدار أو كسر باب ونحوه أو استعمال مفاتيح مصطنعة أو بواسطة التزيى بزى أحد الضباط أو موظف عمومى أو بإبراز أمر مزور مدعى صدوره من طرف الحكومة.

الخامس : أن يفعلوا الجناية المذكورة بطريقة الإكراه أو التهديد باستعمال أسلحتهم.

كما تنص المادة ٣١٤ على أن يعاقب بالأشغال الشاقة المؤقتة من ارتكب سرقة بإكراه، فإذا ترك الإكراه أثر جروح تكون العقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة.

وتنص المادة ٣١٥ بأنه يعاقب بالأشغال الشاقة المؤقتة على السرقات التى ترتكب فى الطرق العامة سواء أكانت داخل المدن أو القرى أو خارجها أو فى إحدى وسائل النقل البرية أو المائية أو الجوية فى الأحوال الآتية :

أولاً : إذا وقعت السرقة من شخص فأكثر وكان أحدهم على الأقل حاملاً سلاحاً ظاهراً أو مخبأ.

ثانياً : إذا وقعت السرقة من شخص فأكثر بطريق الإكراه.

ثالثاً : إذا وقعت السرقة ولو من شخص واحد يحمل سلاحاً وكان ذلك ليلاً أو بطريق الإكراه أو التهديد باستعمال السلاح.

مادة ٣١٦ : يعاقب بالأشغال الشاقة المؤقتة على السرقات التى تحصل ليلاً من شخصين فأكثر يكون أحدهم على الأقل حاملاً سلاحاً ظاهراً أو مخبأ.

والمادة ٣١٦ مكرراً : يعاقب بالأشغال الشاقة على السرقات التى تقع على أسلحة الجيش أو ذخيرته، وتكون العقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة إذا ارتكبت الجريمة بطريق الإكراه أو التهديد باستعمال السلاح أو إذا توافر فيها ظرف من الظروف المشددة المنصوص عليها فى المادة ٣١٧ من قانون العقوبات.

مادة ٣١٦ مكرراً : يعاقب بالسجن على السرقات التى تقع على المهمات أو الأدوات المستعملة أو المعدة للاستعمال فى مرافق المواصلات السلكية أو اللاسلكية أو توليد أو توصيل التيار الكهربائى أو المياه أو الصرف الصحى التى تنشئها الحكومة أو الهيئات أو المؤسسات العامة أو وحدات القطاع العام، أو المرخص فى إنشائها لمنفعة عامة، وذلك إذا لم يتوافر فى الجريمة ظرف من الظروف المشددة المنصوص عليها فى المواد من ٣١٣ إلى ٣١٦ من قانون العقوبات.

مادة ٣١٦ مكرراً ثالثاً : يعاقب بالحبس مدة لاتقل عن ستة أشهر ولاتجاوز سبع سنوات..

أولاً : على السرقات التى ترتكب فى إحدى وسائل النقل البرية أو المائية أو الجوية.

ثانياً : على السرقات التى تحصل فى مكان مسكون أو أحد ملحقاته، إذا تم دخول المكان بواسطة التسور أو الكسر أو استعمال مفاتيح مصطنعة أو انتحال صفة

كاذبة أو ادعاء القيام أو التكليف بخدمة عامة أو غير ذلك من الوسائل غير المشروعة.

ثالثاً : على السرقات التى تقع ولو من شخص واحد يحمل سلاحاً ظاهراً أو مخبأ.

مادة ٣١٦ مكرراً (رابعاً) : يعاقب بالسجن على السرقات التى تقع أثناء الغارات الجوية. وتكون العقوبة الأشغال الشاقة المؤقتة إذا توافر فى الجريمة ظرف من الظروف المشددة المنصوص عليها فى المادة ٣١٧.

فإذا ارتكبت الجريمة بطريق الإكراه أو التهديد باستعمال سلاح تكون العقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة.

مادة ٣١٧ يعاقب بالحبس مع الشغل :

أولاً : على السرقات التى تحصل فى مكان مسكون أو معد للسكنى أو فى ملحقاته أو فى أحد المحلات المعدة للعبادة.

ثانياً : على السرقات التى تحصل فى مكان مسور بحائط أو بسياج من شجر أخضر أو حطب يابس أو بخنادق، ويكون ذلك بواسطة كسر من الخارج أو تسور أو باستعمال مفاتيح مصطنعة.

ثالثاً : على السرقات التى تحصل بكسر الأختام المنصوص عليها فى الباب التاسع من الكتاب الثانى.

رابعاً : على السرقات التى تحصل ليلاً.

خامساً : على السرقات التى تحصل من شخصين فأكثر.

سابعاً : على السرقات التى تحصل من الخدم بالأجرة إضراراً بمخدوميهم من

المستخدمين أو الصناع أو الصبيان فى معامل أو حوانيت من استخدموهم أو فى المحلات التى يشتغلون فيها عادة.

ثامناً : على السرقات التى تحصل من المحترفين بنقل الأشياء من العربات أو المراكب أو على دواب الحمل أو أى إنسان آخر مكلف بنقل أشياء أو أحد أتباعهم إذا سلمت إليهم الأشياء المذكورة بصفتهم السابقة.

تاسعاً : على السرقات التى ترتكب أثناء الحرب على الجرحى حتى من الأعداء.

مادة ٣١٨ : يعاقب بالحبس مع الشغل مدة لاتتجاوز سنتين على السرقات التى لم يتوافر فيها شئ من الظروف المشددة السابق ذكرها.

مادة ٣٢٠ : المحكوم عليهم بالحبس لسرقة يجوز فى حالة العود فى أن يجعلوا تحت مراقبة البوليس مدة سنة على الأقل أو سنتين على الأكثر.

مادة ٣٢١ : يعاقب على الشروع فى السرقات المعدودة من الجنح بالحبس مع الشغل، مدة لاتتجاوز نصف الحد الأقصى المقرر فى القانون للجريمة لو تمت فعلاً.

مادة ٣٢١ مكرراً : كل من عثر على شئ أو حيوان فاقد ولم يرده إلى صاحبه متى تيسر ذلك أو لم يسلمه إلى مقر الشرطة أو جهة الإدارة خلال ثلاثة أيام يعاقب بالحبس مع الشغل مدة لاتجاوز سنتين إذا احتبسه بنية تملكه.

أما إذا احتبسه بعد إنقضاء تلك الفترة بغير نية التملك فتكون العقوبة الغرامة التى لاتتجاوز مائة جنيه.

مادة ٣٢٣ : إختلاس الأشياء المحجوز عليها قضائياً أو إدارياً يعتبر فى حكم السرقة ولو كان حاصلاً من مالكها، ولاتسرى فى هذه الحالة أحكام المادة ٣١٢ من هذا القانون المتعلقة بالإعفاء من العقوبة.

مادة ٣٢٣ مكرراً : ويعتبر فى حكم السرقة كذلك اختلاس الأشياء المنقولة، الواقع ممن رهنها ضماناً لدين عليه أو على آخر.. وتسرى فى هذه الحالة أحكام المادة ٣١٢ من هذا القانون إذا وقع الإختلاس إضراراً بغير من ذكروا بالمادة المذكورة.

– والآن نعود إلى عقد المقارنة بين العينة السوية من الشباب وتلك المسحوبة من مرتكبى جرائم السرقة بالإكراه.

مقارنة بين نتائج تطبيق اختبار العدوان على عينة سوية من الشباب الجامعى وعينة من مرتكبى جرائم السرقة بالإكراه من الذكور فقط :

العينة	م	ع	ن	ت ودلالته
السوية	٨,٤٥	١,٨٨	١١٠	
المدانة	١٢,٦٧	٣,٢١	٥٠	
الفرق	٤,٢٢			١٠,٣٤ **

ولقد قيست دلالة الفرق الملاحظ والبالغ قدرها ٤,٢٢ .

ووجدت قيمة ت مساوية ١٠,٣٤ وهى ذات دلالة إحصائية عالية مؤكدة إختلاف المدانين فى جرائم السرقة بالإكراه عن جماعة طلاب الجامعة فى النزعات العدوانية والميل للعنف والعدوان.

تفسير درجات الإختبار :

لقد رؤى استخراج المعايير الميئينية لهذا الإختبار لإمكان تفسير درجاته فى

استخداماته المقبلة لاكتشاف النزعات العدوانية فى الأفراد. علماً بأن هذه المعايير الميئينية مستمدة من عينة من الشباب السوى.

وفيما يلى جدول بالمعايير الميئينية والدرجات الخام للاختبار. وواضح أن الشخص المتوسط تقع درجاته فيما بين (٧ – ٩) درجة على هذا الاختبار.

جدول

يوضح الدرجات الخام والرتب أو المعايير الميئينية المقابلة لهذه الدرجات مستمدة من عينة الشباب السوية

العينة ككل – ن = ٢٦٠ اختبار النزعات العدوانية

الدرجة فئات	ك	ك الصاعد	المئين المقابل	ك المتجمع الهابط	ك ٪	ك التجمعى الصاعد ٪
صفر – ١	١٠	١٠	٣,٨٥	٢٦٠	٣,٨٥	٣,٨٥
٢ – ٣	–	١٠	٣,٨٥	٢٥٠	—	٣,٨٥
٣ – ٤	١٠	٢٠	٧,٦٩	٢٥٠	٣,٨٥	٧,٦٩
٤ – ٥	٢٠	٤٠	١٥,٣٨	٢٤٠	٧,٦٩	١٥,٣٨
٥ – ٦	١٠	٥٠	١٩,٢٣	٢٢٠	٣,٨٥	١٩,٢٣
٦ – ٧	–	٥٠	١٩,٢٣	٢١٠	—	١٩,٢٣
٧ – ٨	٦٠	١١٠	٤٢,٣٢	٢١٠	٢٣,٠٨	٤٢,٣٢
٨ – ٩	٧٠	١٨٠	٦٩,٢٣	١٥٠	٢٦,٩٢	٦٩,٢٣
٩ – ١٠	٢٠	٢٠٠	٧٦,٩٢	٨٠	٧,٦٩	٧٦,٩٢
١٠ – ١١	٣٠	٢٣٠	٨٨,٤٦	٦٠	١١,٥٣	٨٨,٤٦
١١ – ١٢	١٠	٢٤٠	٩٢,٣١	٣٠	٣,٨٥	٩٢,٣١
١٢ – ١٣	٢٠	٢٦٠	١٠٠	٢٠	٧,٦٩	١٠٠
مجموع	٢٦٠	(١)				

(١) السيد محمد خيرى، مرجعه السابق، ص ١٤٦.

وواضح من الجدول أن الشخص الذى يحصل على القيمة من (٧ - ٨) على اختبار العدوان تضعه هذه الدرجة فى المئين المقابل لها وهو ٤٢,٣١ بمعنى أن هناك نحو ٤٢ ٪ من مجموع أفراد العينة يحصلون على درجات أقل منه، أى أنهم أقل عدواناً عنه، بينما هناك نحو ٥٨ ٪ من أفراد مجموعته يحصلون على درجات أعلى منه أى أنهم أكثر ميلاً للنزعات العدوانية عنه. وتتفق قيم الرتب المئينية هذه مع قيم المتوسطات الحسابية آنفة الذكر.

الخاتمة والتوصيات وآفاق البحث المقبلة :

أسفرت هذه الدراسة عن تصميم إختبار عربى مبسط وسهل الفهم والتطبيق والتصحيح والتفسير لقياس النزعات العدوانية فكراً وسلوكاً لدى أصحاب المستوى الثقافى أو التعليمى الجامعى ومن فى مستواهم. وكشف عن عدم إتجاه الغالبية نحو العدوان وإن كانوا قد قبلوه فقط فى مجال الدفاع الشرعى عن الحقوق أو رد عدوان يقع على الذات. وأبرزت الدراسة الفرق بين العدوان وبين العنف، وأبرزت الدراسة ميل الذكور أكثر من الإناث نحو العدوان وكذلك صغار السن عن كبار السن، ومرتكبى جرائم السرقة بالإكراه عن الأسوياء.

وكشفت الدراسة عن ضرورة الحاجة إلى توعية الشباب وتنمية مشاعرهم بالسلم والسلام وترشيد سلوكهم وتنمية شعورهم الخلقى والإهتمام بقضايا التنشئة الاجتماعية والأخلاقية والروحية والسياسية والاقتصادية والعملية : التنشئة الشاملة لشخصية الشباب. وزيادة التزامهم بالطاعة والقانون وولى الأمر وتنقية الثقافة الحالية مما قد يوجد بها من شوائب ومواد دخيلة وتنقية المواد الإعلامية من كل مايدعم العنف والعدوان والتطاول.

وفى ضوء هذه الدراسة يمكن إجراء دراسات مستقبلية تتناول الشخصيات التى يظهر عليها السلوك العدوانى فكراً أو سلوكاً فعلياً والتعرف على أسبابهم

ونزوعهم العدوانى من خلال دراسات أكثر عمقاً. وذلك لإلقاء الضوء على تلك القضية العامة وهى : هل العدوان فى الإنسان وراثى أم مكتسب ؟ ويمكن إجراء دراسات للتعرف على مدى علاقة العدوان بالذكاء وبالمستويات التعليمية المختلفة وبأنماط التنشئة الاجتماعية والتربوية المختلفة وفى ظل ثقافات محلية مختلفة وعلاقة العدوان بضواغط الحياة ومواقف الفشل والإحباط.

مراجع وهوامش

(١) يقصد بنزعة السادية Sadism .

السادية جنون القسوة الجنسى، أو التلذذ بالقسوة، وهى إنحراف جنسى. ويرى فرويد أن الماسوشية عكسها، وأنها الميل الأصلى فى الإنسان، والدليل على وجود غريزة الموت فيه، وأنها تنقلب إلى السادية. وكان فرويد يرى، قبل ذلك، أن السادية يمكن أن تنقلب فتصير ماسوشية المصاب بها. والكلمة مشتقة من اسم الماركيز «دى ساد» الفرنسى الذى عاش فى القرن الثامن عشر، وكانت حياته سلسلة متصلة من السلوك السادى، الذى جعله نموذجاً وعنواناً على هذا الإنحراف، وكان أتباع فرويد يربطون بينها وبين المرحلة الثانية أى الشرجية من مراحل التطور الجنسى، عندما تقوى أسنان الطفل وتقدر على العض، وتشتد عضلاته فيحس بأنه صار أقوى على إيذاء الغير.

(٢) يقصد بانحراف الماسوشية Masochism .

إنحراف جنسى يتلذذ فيه المرء بما ينزل به هو من آلام، وهى سمة الأفراد الذين يستجلبون على أنفسهم سوء المعاملة والمذلة والمعاناة. والماسوشية قلب للسادية أو هى توحد وتعين بالشريك السادى، أو هى تخفف من الذنب بتجربة العقاب والألم فى وقت واحد مع اللذة، أو هى إستجلاب الشهوة بممارسة الخضوع إرضاء لشخصيات قوية فى مكان السلطة أو هى ممارسة لغريزة الموت Death instinct .

(3) Coleran .

P. 640 J. C., Abnormal Psychology, Scott, Chicago, 1956, p. 640.

(٤) يقصد باصطلاح الإحباط Frustration .

عرقلة مسيرة الكائن الحى إلى هدف، سواء كان سعيه للهدف عن وعى أو لا وعى. والإحباط هو الذى يستحث تطور الأنا، ولكنه عندما يتجاوز الحد يسبب الإصابة بالعصاب. والإحباط إما شخصى وإما بيئى، والإحباط الشخصى يأتى من العجز الشخصى، مثل إنخفاض الذكاء أو وجود عاهات بالشخص. وتأتى الإحباطات البيئية من العوائق الموجودة فى البيئة مثل الفقر أو القيود الاجتماعية التى تحول بين الإنسان وتحقيق أهدافه.

(5) Cole Man, p. 647.

(6) Hapner, H. W., Psychology Applied to Life and Work, Prentice - Hall. New Jersey, 1966, p. 75.

(٧) يقصد بالفلسفة النازية Nazism الحزب الإشتراكى الوطنى الألمانى الذى تولى الحكم فى ألمانيا فى الفترة من ١٩٣٣ – ١٩٤٥ . وتتصل هذه الفلسفة بالإشتراكية القومية National Socialism وهى الحركة السياسية التى ابتكرها هتلر Hitlr والتى قادها أيضاً وهى نزعة قومية عنيفة ومضادة للأديان. ولقد تأسست على الإدعاء بسمو الجنس الألمانى وتفوقه على باقى أجناس العالم أى الجنس الآرى Aryan race وأعظم أمثلته الجنس الألمانى German باعتباره الجنس السيد والذى ينبغى وفقاً لسموه هذا أن يسود العالم ويحكمه Master race وكان عدو النازية الأول هو الشعب اليهودى The Jewish People واعتمدت على القوة العسكرية Military وتشبه النازية الفاشية واعتماد هتلر على البوليس السرى المعروف باسم الجستابو Gestapo .

(8) Hapner, p. 76.

(٩) **يقصد بجريمة الرشوة : أحكام الرشوة فى قانون العقوبات المصرى :**

مادة ١٠٣ – كل موظف عمومى طلب لنفسه أو لغيره أو قبل أو أخذ وعداً أو عطية لأداء عمل من أعمال وظيفته يعد مرتشياً، ويعاقب بالأشغال الشاقة المؤبدة وبغرمة لاتقل عن ألف جنيه ولاتزيد على ما أعطى أو وعد به.

مادة ١٠٣ مكرر : يعتبر مرتشياً ويعاقب بنفس العقوبة المنصوص عليها فى المادة السابقة كل موظف عمومى طلب لنفسه أو لغيره أو قبل أو أخذ وعداً أو عطية لأداء عمل يعتقد خطأ أو يزعم أنه من أعمال وظيفته أو للإمتناع عنه.

مادة ١٠٤ : كل موظف عمومى طلب لنفسه أو لغيره أو قبل أو أخذ وعداً أو عطية للإمتناع عن عمل من أعمال وظيفته أو للإخلال بواجباتها أو لمكافأته على ماوقع منه من ذلك يعاقب بالأشغال الشاقة المؤبدة وضعف الغرامة المذكورة فى المادة ١٠٣ من هذا القانون.

مادة ١٠٤ مكرر : كل موظف عمومى طلب لنفسه أو لغيره أو قبل أو أخذ وعداً أو عطية لأداء عمل من أعمال وظيفته أو يعتقد خطأ أو يزعم أنه من أعمال وظيفته أو للإمتناع عنه أو للإخلال بواجبات الوظيفة يعاقب بعقوبة الرشوة المنصوص عليها فى المواد الثلاثة السابقة حسب الأحوال حتى ولو كان يقصد عدم القيام بذلك العمل أو عدم الإمتناع أو عدم الإخلال بواجبات الوظيفة.

مادة ١٠٥ : كل موظف عمومى قبل من شخص أدى له عملاً من أعمال وظيفته أو امتنع عن أداء عمل ما من أعمالها أو أخل بواجباتها هدية أو عطية بعدم تمام ذلك العمل أو الإمتناع عنه أو الإخلال بواجبات وظيفته بقصد المكافأة

على ذلك وبغير إتفاق سابق يعاقب بالسجن وبغرامة لاتقل عن مائة جنيه ولاتزيد على خمسمائة جنيه.

.مادة ١٠٥ مكرراً : كل موظف عمومى قام بعمل من أعمال وظيفته أو امتنع عن عمل من أعمال وظيفته أو أخل بواجباتها نتيجة لرجاء أو توصية أو وساطة يعاقب بالسجن وبغرامة لاتقل عن مائتى جنيه ولاتزيد على خمسمائة جنيه.

مادة ١٠٦ : كل مستخدم طلب لنفسه أو لغيره أو قبل أو أخذ وعداً أو عطية بغير علم مخدومه ورضائه لأداء عمل من الأعمال المكلف بها أو للإمتناع عنه يعتبر مرتشياً ويعاقب بالحبس مدة لاتزيد على سنتين وبغرامة لاتقل عن مائتين جنيه ولاتزيد على خمسمائة جنيه أو بإحدى هاتين العقوبتين.

مادة ١٠٦ مكرراً : كل من طلب لنفسه أو لغيره أو قبل أو أخذ وعداً أو عطية لاستعمال نفوذ حقيقى أو مزعوم للحصول أو لمحاولة الحصول من أية سلطة عامة على أعمال أو أوامر أو أحكام أو قرارات أو نياشين أو التزام أو تراخيص أو اتفاق توريد أو مقاولة أو على وظيفة أو خدمة أو أية مزية من أى نوع يعد فى حكم المرتشى ويعاقب بالعقوبة المنصوص عليها فى المادة ١٠٤ من هذا القانون إن كان موظفاً عمومياً وبالحبس وبغرامة لاتقل عن مائتى جنيه ولاتزيد على خمسمائة جنيه أو بإحدى هاتين العقوبتين فقط فى الأحوال الأخرى.

ويعتبر فى حكم السلطة العامة كل جهة خاضعة لإشرافها.

مادة ١٠٦ مكرراً : كل عضو بمجلس إحدى الشركات المساهمة أو إحدى الجمعيات التعاونية أو النقابات المنشأة طبقاً للقواعد المقررة قانوناً أو بإحدى المؤسسات أو الجمعيات المعتبرة قانوناً ذات نفع عام. وكذلك كل مدير أو مستخدم

في إحداها طلب لنفسه أو لغيره أو قبل أو أخذ وعداً أو عطية لأداء عمل أو للإمتناع عن عمل من أعمال وظيفته أو يعتقد خطأ أو يزعم أنه من أعمال وظيفته أو للإخلال بواجباتها يعد مرتشياً ويعاقب بالسجن مدة لاتزيد على سبع سنين وغرامة لاتقل عن خمسمائة جنيه ولاتزيد على ما أعطى أو وعد به ولو كان الجاني يقصد عدم القيام بالعمل أو عدم الإمتناع عنه أو عدم الإخلال بواجبات وظيفته.

ويعاقب الجاني بالعقوبات ذاتها إذا كان الطلب أو القبول أو الأخذ لاحقاً لأداء العمل أو للإمتناع عنه أو للإخلال بواجبات الوظيفة وكان يقصد المكافأة على ذلك وبغير إتفاق سابق.

مادة ١٠٧ : يكون من قبيل الوعد أو العطية كل فائدة يحصل عليها المرتشي أو الشخص الذي عينه لذلك أو علم ووافق عليه أيا كان اسمها ونوعها سواء أكانت هذه الفائدة مادية أو غير مادية.

مادة ١٠٧ مكرراً : يعاقب الراشي أو الوسيط بالعقوبة المقررة للمرتشي ومع ذلك يعفى الراشي أو الوسيط من العقوبة إذا أخبر السلطات بالجريمة أو اعترف بها.

مادة ١٠٨ : إذا كان الغرض من الرشوة إرتكاب فعل يعاقب عليه القانون بعقوبة أشد من العقوبة المقررة للرشوة فيعاقب الراشي والمرتشي والوسيط بالعقوبة المقررة لذلك الفعل مع الغرامة المقررة للرشوة. ويعفى الراشي أو الوسيط من العقوبة إذا أخبر السلطات بالجريمة طبقاً لنص الفقرة الأخيرة من المادة ٤٨ من هذا القانون.

مادة ١٠٨ مكرراً : كل شخص عين لأخذ عطية أو الفائدة أو علم بها ووافق عليه المرتشي أو أخذ أو قبل شيئاً من ذلك مع علمه بسببه يعاقب بالحبس مدة

لاتقل عن سنة وبغرامة مساوية لقيمة ما أعطى أو وعد به وذلك إذا لم يكن قد توسط فى الرشوة.

مادة ١٠٩ مكرراً : من عرض رشوة ولم تقبل منه يعاقب بالسجن وبغرامة لاتقل عن خمسمائة جنيه ولاتزيد عن ألف جنيه وذلك إذا كان العرض حاصلاً لموظف عام. فإذا كان العرض حاصلاً لغير موظف عام. تكون العقوبة الحبس لمدة لاتزيد على سنتين أو غرامة لاتتجاوز مائتين جنيه.

مادة ١٠٩ مكرراً ثانياً : مع عدم الإخلال بأية عقوبة أشد يقضى بها قانون العقوبات أو أى قانون آخر يعاقب بالحبس وبغرامة لاتقل عن مائتين جنيه ولاتزيد على خمسمائة جنيه أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من عرض أو قبل الوساطة فى رشوة ولم يتعد عمله العرض أو القبول.

فإذا وقع ذلك من موظف عمومى فيعاقب الجانى بالعقوبة المنصوص عليها فى المادة ١٠٤.

وإذا كان ذلك بقصد الوساطة لدى موظف عمومى يعاقب بالعقوبة المنصوص عليها فى المادة ١٠٥ مكرراً.

مادة ١١٠ : يحكم فى جميع الأحوال بمصادرة مايدفعه الراشى أو الوسيط على سبيل الرشوة طبقاً للمواد السابقة.

مادة ١١١ : يعد فى حكم الموظفين فى تطبيق نصوص هذا الفصل :

١ - المستخدمون فى المصالح التابعة للحكومة أو الموضوعة تحت رقابتها.

٢ - أعضاء المجالس النيابية العامة أو المحلية سواء أكانوا منتخبين أو معينين.

٣ - المحكمون والخبراء ووكلاء النيابة والمصفون والحراس القضائيون.

٤ - ألغيت.

٥ - كل شخص مكلف بخدمة عمومية.

٦ - أعضاء مجالس إدارة ومديرو ومستخدمي المؤسسات والشركات والجمعيات والمنظمات والمنشآت إذا كانت الدولة أو إحدى الهيئات العامة تساهم في مالها بنصيب ما بأية صفة كانت.

(١٠) طارق عبد الرحمن العيسوى : العوامل المسئولية عن سلوك الرشوة، دُراسة سيكولوجية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، بجامعة طنطا، ١٩٩٢.

(١١) **يقصد بالشائعة Rumour** .

الإشاعة خبر مطلوب تطبيقه، يتناقله الأشخاص المعينون، ويسرى فى الوسط الاجتماعى المتجانس، عادة بالكلمة المنطوقة، ويزدهر فى غيبة معايير الصدق، وبقدر ما له من أهمية وما يحيط به من غموض، وتهدئ الشائعة التوترات الإنفعالية القائمة، بإفراغها لفظياً إفراغاً يحقق التفريج عن هذه التوترات. ويتعلق تصديق الإشاعة وإطلاقها بإسقاط مشاعر مطلق الإشاعة أو مصدقها على الآخرين، وبالإفلات من مشاعر الإثم وبالتفكير الراغب. وتصنف الإشاعات بحسب سرعة إنتشارها أو زمن دورتها، والموضوع الذى تدور حوله، والحالة العقلية والدوافع المحتملة وراءها وآثارها الاجتماعية ومحليتها أو سعة إنتشارها وجدتها أو قدمها وإحتمال تصديقها أو عدمه. (عبد المنعم الحفنى، موسوعة علم النفس والتحليل النفسى ص ٢٤٨).

(١٢) **يقصد بالذات الوسطى Ego فى ضوء نظرية التحليل النفسى :**

الأنا : الجزء السطحى من « الهو » : أو هو العقل الطفلى البدائى الذى ينمو من « الهو » كاستجابة للمثيرات من بيئة الطفل المادية والاجتماعية. ووظيفة «الأنا» هى اختبار الدوافع أو التعلم للتمييز بين الذات والبيئة أو التوسط بين

مطالب « الهو » ومطالب « الأنا الأعلى » ومطالب العالم الخارجى. وهو تجربة الفرد عن نفسه وجزء الشخصية الملامس مباشرة للعالم الخارجى. والأنا جزء شعورى، ويشتمل لذلك على صورة الواقع كما تصوره الحواس. وتوجد هذه الصورة فى « قبل الشعور » كذكريات. والأنا يمثل مايمكن تسميته الفطرة السليمة. ومن المهم عدم الخلط بين الأنا ومفهوم الشخصية، فالأنا هو جوهر الشخصية. ومن المهم كذلك عدم الخلط بين الأنا ومفهوم الذات.. فمفهوم الذات هو تقدير الفرد لقيمته كشخص وعلى ذلك فالأنا هو إمكانية الفرد للإنجاز. أما مفهوم الذات فهو يحدد إنجازه الفعلى.

(١٣) يقصد بعملية التنشئة الاجتماعية والسياسية والأخلاقية والوطنية والدينية والروحية للفرد :

التنشئة الاجتماعية Socialization هى التطبع الاجتماعى أو تهيئة الفرد للبيئة الاجتماعية بحيث يصبح عضواً كفؤاً متعاوناً معترفاً به فيها. حيث يمتص من خلالها قيم المجتمع ومثله ومعاييره ونظمه وعاداته وتقاليده وأعرافه وأنماط السلوك السائدة فيه. فهى العملية التى تكسب الإنسان إنسانيته وتحيل الإنسان من مجرد كائن حيوى بيولوجى إلى كائن اجتماعى وتساعد على قبول الفرد وتوحده وإنتمائه وتكيفه مع ذاته ومع المجتمع الذى يعيش فيه.

(14) Hepner, p. 76.

(١٥) مدرسة التحليل النفسى Psychologysis School :

التحليل النفسى نظرية ومنهج « فرويد » فى تشخيص وعلاج الإضطرابات النفسية والعقلية. وتتسم بالدينامية لاحتوائها على كل نواحى الحياة العقلية الشعورية واللاشعورية، مع التأكيد، بوجه خاص، على ظاهرة « اللاشعور» واستخدام منهج التداعى الحر لبلوغ أسباب الداء، وتشخيص المرض. والطرق

الأساسية فى التحليل النفسى أربع هى التداعى الحر وتحليل الأحلام والعصاب الطرحى والتفسير وإعادة التعليم بهدف حل المشكلات الإنفعالية الرئيسية فى الطفولة وبواسطتها تنتقل المادة اللاشعورية المكبوتة للمريض إلى مستوى الوعى فتنكشف ويفسرها المعالج على أساس علاقتها بأعراضه وبمفهومه عن الذات وعلاقاته بالآخرين. (عبد المنعم الحفنى. مرجعه السابق، ص ١٧٢).

(16) Gallatin, S. Abnormal Psychology, Macmillan N. York, 1982. p. 491.

(١٨) سيجمند فرويد Freud Sigmund ١٨٥٦ - ١٩٣٩ :

مؤسس مدرسة التحليل النفسى ولد بمورافيا وعاش فى فيينا وتوفى فى لندن. من أهم مؤلفاته تفسير الأحلام، ومقدمة فى التحليل النفسى وعلم النفس المرضى فى الحياة اليومية.

(19) Gallatin, p. 495.

(٢٠) يقصد بالسيكوباتية (أو الشخصية السيكوباتية) Psychopath :

الشخصية السيكوباتية أو المعتلة نفسياً : شخصية مريضة نفسياً، تتسم بعدم النضج الإنفعالى لنشأتها فى بيوت باردة إنفعالياً وضعف بناء الشخصية، بسبب التدليل المفرط، بحيث لايتعلم الفرد من طفولته قمع رغباته، فيثبت عند مستوى طفلى من التمركز حول الذات، أو لعدم توفر التعين بأنماط اجتماعية مقبولة.

(*) التعلم الشرطى ذلك النمط من التعلم الذى يعتمد على Conditioning :

الإشراط الكلاسيكى أو « البافلوفى » ، اكتشفه العالم الروسى بافلوف، حيث يولد المثير غير الهام مثيراً متعادلاً أو مثيراً شرطياً، ويسمى المثير الهام المثير غير

الشرطى، أما الإستجابة الطبيعية غير المتعلمة فتسمى إستجابة غير شرطية بينما الإستجابة المتعلمة فتسمى إستجابة شرطية. والمثير الهام هو المثير الذى يخفض الحاجة أو يشبعها مثل الطعام. فالكلب يسيل لعابه (استجابة شرطية) لدى رؤيته الطعام (مثير غير شرطى). وعندما يظهر مثير متعادل أو غير هام مثل الجرس مع ظهور المثير الهام (الطعام) عدة مرات ثم يظهر بعد ذلك وحده، فإن الكلب يسيل لعابه وهى استجابة شرطيه لدى سماعه الجرس فقط دون الطعام، ويسمى هذا النمط من الإشراط النمط S اختصار Stimulus لأنه متوقف على المثير، وهناك نوع آخر من الإشراط يسمى النمط .Type - R لأنه متوقف على تعلم الإستجابة، فالفأر يتعلم أن يضغط على رافعة لتظهر قطعة الطعام، والإشراط هنا متوقف على إستجابة الحيوان التى تسمى إستجابة شرطية آداتية (من أداة). (عبد المنعم الحفنى – مرجعه السابق).

(21) Gallatin, p. 501.

(22) Gallatin, p. 510.

(23) Op. cit., p. 511.

(٢٤) يقصد بالوراثة Heredity :

الوراثة إنتقال سمات عقلية وبدنية من الوالدين إلى الأبناء من خلال المورثات، ويبدأ تأثير الوراثة من لحظة الحمل أو الإخصاب. ويجب أن نفرق بين السمات الوراثية والسمات الخلقية Congenital فالسمات الوراثية هى التى تنقلها المورثات منذ لحظة الحمل، لكن السمات الخلقية توجد منذ الميلاد، إلا أنها لاترجع إلى نوع المورثات ، بل إلى تأثير بيئة ماقبل الولادة أى البيئة الرحمية، أو ذلك التأثير الذى يحدث أثناء الولادة ذاتها، فالسمات الخلقية تعتبر إذا بيئية فى طبيعتها، ويفرق التحليل النفسى بين ثلاث أنماط وراثية لبيدية : الشهوى والنرجسى والإستحواذى. ويتسم الشهوى بأن اللبيدو عنده متركز أساساً فى الهو، والنرجسى

فى الأنا، والإستحواذى فى الأنا الأعلى. والواقع أن الناس أخلاط من هذا كله، ولكننا للتسهيل العلمى نقول أن الشهوى يهتم بأن يحب الناس وأن يحبه الناس أما الإستحواذى فيخشى دائماً أناه الأعلى ومن ثم يقرر لنفسه كل مايصلح لها وينمى فى نفسه الاعتماد على الذات، أما النرجسى فلا يوجد خلاف يذكر بين أناه وأناه الأعلى، وهو يفعل مايراه مستقلاً ولايخشى أناه الأعلى. ومن النرجسيين يخرج القادة والزعماء والمؤثرين فى تطور الحضارة. (عبد المنعم الحفنى، مرجعه السابق).

(25) Gallatin, p. 515.

(26) Gallatin, p. 517.

(٢٧) يشار إلى مرحلة الحمل بأنها تعد بيئة مؤثرة فى حياة الطفل وفى نموه وذلك بسبب مايقع على الأم الحامل من مؤثرات تؤثر بدورها فى نمو طفلها من ذلك تعاطيها الخمور والمخدرات والسموم وتعرضها للإشعاع، وإدمان التدخين وتعاطيها بعض العقاقير دون إستشارة الطبيب، وممارستها للرياضات العنيفة، وإصابتها فى الحوادث أو الأمراض وخاصة الحصبة الألمانية وإصابتها بأنيمياء أو فقر الدم بل حتى تعرضها للإنفعالات العنيفة وإختلاف فصيلة دم الأم عن فصيلة دم الأب. فالرحم بيئة مؤثرة ولذلك ينبغى أن تبدأ رعاية الطفل منذ اللحظة الأولى للإخصاب.

(٢٨) عبد المنعم الحفنى، موسوعة علم النفس والتحليل النفسى، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٣٢.

(٢٩) جان لابلانش و. ج. ب. بونتاليس، معجم مصطلحات التحليل النفسى، ترجمة مصطفى حجازى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والترجمة، بيروت، ص ٢٣٨.

(٣٠) فرج عبد القادر طه وآخرون، معجم علم النفس والتحليل النفسى، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د. ت.، ص ٢٧٦.

(٣١) المرجع السابق، ص ٢٧٧.

(٣٢) تعرف الجريمة أو الجرم Crime بأنها كل فعل يعود بالضرر على المجتمع، ويعاقب عليه القانون وهى ظاهرة اجتماعية معتلة تنشأ عن أسباب نفسية وعقد واتجاهات وميول وعن التأثر بالبيئة الخارجية السيئة. وقد تنشأ عن نقص جسمى أو ضعف عقلى أو اضطراب إنفعالى وتختلف الأفعال التى تجرم من مجتمع لآخر ومن عصر لآخر فى ذات المجتمع.

(٣٣) الإزاحة أو النقلة أو التحول، إحدى الحيل الدفاعية اللاشعورية التى تقوم بها ذات الإنسان الوسطى للدفاع عن نفسها ضد القلق ومن تلك الحيل، إلى جانب الإزاحة، العسكية والإسقاط والتبرير والتعويض والتقمص والإعلاء والعدوان نفسه والإنكار. ويقصد بحيلة الإزاحة أن يزيح الإنسان مشاعره بصورة لاشعورية من مصدرها الأصلى ويوجهها إلى موضوع آخر يكون أقل خطورة وتهديداً على حياته كالموظف البسيط الذى يعتدى عليه رئيسه فلايستطيع أن يرد عليه بالمثل ويزيح غضبه لينزله بزوجته أو بأولاده أو خدمه.

(٣٤) مجمع اللغة العربية، معجم علم النفس والتربية، ط ١، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٤، ص ١٢.

(٣٥) محمد عاطف غيث وآخرون، قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩، ص ٢٠.

(٣٦) جابر عبد الحميد جابر وعلاء الدين كفافى، معجم علم النفس والطب النفسى، جـ ٤، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩١، ص ١٥٧.

(٣٧) عبد المنعم الحفنى، موسوعة الطب النفسى، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٨٥١.

(٣٨) المرجع السابق، ص ٨٥٢.

العوامل النفسية المؤدية للإدمان

خطورة الإدمان واتساع مدى إنتشاره :

لقد أصبح خطر الإدمان يهدد كثيراً من أبناء المجتمعات المختلفة، وخاصة فئة الشباب منهم. وامتد خطر الإدمان ليشمل أبناء كل الطوائف، فبعد أن كان سائداً فى أوساط الفئات الكادحة وأبناء المناطق العشوائية والمتدنية المستوى الاجتماعى والثقافى، امتد خطره ليشمل أبناء الذوات والطبقات الراقية من المجتمع، وخاصة الأثرياء، الذين تمكنهم قدراتهم المالية من تحمل الأعباء الباهظة لهذه العادة المدمرة. فالإدمان قد يدخل بيت أى منا دون أن يدرى وفى أى وقت. بل لقد امتد خطر المخدرات لدرجة أنها أصبحت تستخدم كوسيلة خفية ومستترة فى الحروب بين الدول والمجتمعات، أو هناك مجتمعات تصدر هذه السموم القاتلة لغيرها من المجتمعات بقصد النيل من عضد أبنائها، وخاصة الشباب منهم، وتحويلهم من قوة وطنية فاعلة ومنتجة، إلى حطام وركام، وإلى قوى مدمرة تنخر فى كيان المجتمع ككل وتشل حركته وتبدد ثروته ويلهى رجال الأمن فيه عن حماية المجتمع. فالإدمان يقضى على الصحة الجسمية والعقلية والنفسية وعلى السواء الأخلاقى، وعلى حياة الفرد الأسرية، وعلى ثروته، وعلاقاته الاجتماعية ودوره فى المجتمع، وتحيله إلى عالة على المجتمع وإلى إنسان عاجز كسيح لايقوى على إعالة نفسه بل قد تدفعه عادته السيئة إلى الإرتماء فى أحضان الجريمة والجنوح والإنحراف، فحين تعجز إمكاناته المادية عن الوفاء بمتطلبات عادته الباهظة التكاليف يتحول من مجرد متعاطٍ للمخدرات إلى مروج لها أو مستجلب أو مستزرع، وبذلك ينتهى به الأمر إلى الإعدام أو السجن المؤبد. كذلك فإن فقدان وعيه وإدراكه وتعرضه للهلاوس والأوهام والخيالات وضعف قواه العقلية قد تدفعه إلى إرتكاب بعض

الجرائم. فالمدمن لايدمر نفسه وحسب، وإنما أيضاً يدمر أسرته، حيث يصيبها التصدع والتفكك والإنحلال، وتتعرض للتشرد والضياع، وخاصة عندما يفقد وظيفته، أو عندما يلقى به فى غياهب السجون، أو عندما تقتله المخدرات، أو توقعه فى الديون والإفلاس الاقتصادى. ولفهم طبيعة الإدمان وخصائصه نسوق بعضاً من تعاريفه للقارئ الكريم:

مفهوم الإدمان :

يعرف الإدمان Addiction بأنه عبودية العادة السلبية فى تعاطى العقار المخدر سواء أكان مخدرات أو خمور. ويشار إليه، فى العادة، باصطلاح إدمان العقاقير Drug addiction والإدمان حالة يعتمد فيها المريض، بصفة مستمرة، Continued reliance على العقاقير المخدرة وتأثيراتها Narcotic drugs [١].
وينتج عن تعاطى المخدر الرغبة فى تعاطى المخدر فى جرعات متزايدة باستمرار من ذات العقار لإحداث نفس التأثير التخديرى أو التسممى لدى المدمن Stronger doses مع معاناة المدمن من الحزن والغم والإكتئاب والألم عندما يتسم إنسحاب العقار من متناول يد المريض Withdrawal. وتعرف هذه الآلام باسم أعراض إنسحاب العقار. وهناك حالة أخف وطأة من الإدمان، وهى حالة التعود على تعاطى العقار Drug habituation وفيها لاتحتاج أعضاء الإنسان إلى جرعات متزايدة باستمرار، وإنما هناك إحتياج إلى تعاطى نفس المقادير من المادة المخدرة. ولكن هذا لايعنى عدم تعرض المريض للأخطار. فإن تعاطى المواد المخدرة يؤدى إلى تلف الجهاز العصبى والهضمى وإلى حدوث خلل عقلى واضطرابات فى وظائف العقل. وفى حالة إدمان الكحول Alcohol، حيث يضطر المريض إلى الشرب بصورة قهرية خارجة عن نطاق تحكمه وضبطه أو إرادته The Compulsive drinker يعانى مما يعرف باسم اضطراب الكحولية Alcoholism وقد يتعرض

صاحبه للتسمم الكحولى Intoxication. وفى الحالات الحادة من إدمان الكحول يصاب المريض بذهان يعرف باسم ذهان الكحول أى المرض العقلى الناجم عن إدمان الكحول وهو مرض معادل للجنون ويعرف أيضاً باسم ذهان كورساكوف أو عته الكحولية أو خلل عقلى كحولى Alcoholic Dementia, Korsakov's Psychosis.

ويؤدى الإفراط فى الشراب إلى حدوث التهابات بالدماغ أو المخ أو حدوث عجز أو إعاقة فى الدماغ. ويعانى المريض من هلاوس كحولية Alcoholic Hallucinations وهى مدركات حسية سمعية أو بصرية، يتوهمها المريض، ولكنها فى الحقيقة، غير موجودة. وفى جميع حالات الإدمان يعانى المريض من حالة الإعتماد على العقار Drug dependence، حيث يتوقف نشاطه الذهنى والجسمى على تناول العقار، وكذلك تعتمد حالته النفسية والمزاجية على العقار. ويؤدى أساءة إستعمال العقار Drug abuse إلى الإصابة باضطراب يسمى اضطراب استعمال المواد Substance use disorder. وعندما يصبح الإنسان معتمداً على تعاطى عقار معين، فإنه مع تكرار التعاطى يصبح جسمه قادراً على تحمل تأثير كميات متزايدة من العقار أو جرعات متزايدة من هذا العقار Tolerance. يتعود جسمه على العقار ويحتمل كميات متزايدة منه مما يضطره إلى تناول جرعات تأخذ فى الزيادة باستمرار. وعندما يتم حرمانه من هذا العقار أو عندما يسحب العقار منه فإنه يعانى من أعراض إنسحاب العقار أو من زملة أعراض الإنسحاب Withdrawal syndrome وكلما زاد اعتماد المريض، تصاب حياته العقلية والاقتصادية بالعجز والتدهور والتدمير. ومن بين أعراض إنسحاب العقار أو حرمان المريض من العقار الشعور بالإكتئاب والبؤس واليأس والأعياء والمرض الجسمى والقيئ والدوخة والثورة والتهيج وعدم الشعور بالراحة والتقلصات أو التشنجات العضلية وبطبيعة الحال، هناك أنواع من المخدرات تؤدى إلى الهبوط والإسترخاء

والنوم وأخرى تؤدى إلى اليقظة والنهر والسهاد والحركة والنشاط الزائد Sedatives, tranquilizers and stimulants. ولكن السؤال الذى يطرح نفسه، هو لماذا يلجأ الناس إلى تعاطى الخمور والمخدرات أو ماهى الأسباب التى قد تؤدى إلى تناول الخمور والمخدرات وبعبارة أخرى كيف يمكن تفسير سلوك الإدمان أو نشأة الإدمان ؟

الأسباب المؤدية إلى الإدمان :

لماذا يعتمد الإنسان على غيره من الناس أو على نوع معين من الطعام أو على المقامرة ؟ الإنسان، فى الغالب، يكون ملماً بأخطار تعاطى الخمور مثلاً أو تعاطى الهيروين Heroin أو الكوكايين Cocaine والمنومات Sedatives أو حتى التبغ. ويعلم الإنسان أنه يعرض حياته للخطر وأنه يضر بصحته. فلماذا يقبل على هذه المخاطرة ، لماذا ينخرط الإنسان فى نمط من السلوك يعلم أنه سوف يؤدى به فى النهاية إلى تدمير ذاته Self - destructive ؟

بداية، نذكر أن فرويد قال بوجود غريزة فطرية هى غريزة الموت، ولابد من توقع وجود العديد من الأسباب المؤدية إلى الإدمان وليس سبباً واحداً. هناك محاولات لمعرفة العوامل السببية المؤدية إلى الإدمان، ولكن الإدمان، شأنه فى ذلك شأن الإصابة بالذهان العقلى أو العصاب النفسى أو الأمراض السيكوسوماتية. هذه الحالات ليست بالضرورة ناجمة، فى جميع الأحوال عن سبب واحد بعينه.

من ناحية تفسير مدرسة التحليل النفسى، وكذلك تفسير المدرسة السلوكية لنشأة الإدمان ليس من الضرورى أن يكون هذا التفسير صحيحاً وصائباً بالنسبة لجميع حالات الإدمان. هناك فروق فردية لقد أرجعت مدرسة التحليل النفسى إدمان الخمور إلى حدوث جمود فى النمو فى المرحلة الفمية Fixation during

the oral period بمعنى توقف نمو الإنسان عند هذه المرحلة، وعدم تجاوزها للمراحل اللاحقة. وهى المرحلة التى قال عنها فرويد أن الفم يصبح عند الطفل مركز كل الإهتمام، ومن ذلك ما نلاحظه على الطفل الرضيع من أنه يستعمل فمه فى كل شئ، وأنه يضع فيه كل مايستطيع الإمساك به من الأشياء. وتذهب هذه الفكرة إلى القول بأن الفرد الذى يلجأ إلى الإدمان يكون قد عانى كثيراً من الحرمان فى المرحلة الفمية هذه Deprivation هذا الحرمان يجعله يظل مشتاقاً للعودة للمرحلة الفمية مع المعاناة من الشعور بعدم الإدمان Insecurity بمعنى حدوث عملية لاشعورية تعرف باسم النكوص. ولذلك يلجأ إلى تعاطى الكحول، لأنه يأخذه من خلال فمه، كما كان يفعل وهو صغير، وذلك بغية الحصول على شعور بالراحة من صراعاته Conflicts.

وهناك أيضاً من علماء التحليلية من يرجع التعاطى إلى مجموعة من الدوافع المتشابكة والمتفاعلة من ذلك الشعور بالتهديد المستمر. المدمن يشعر بالحزن والإكتئاب بسبب خبراته السابقة، كما يشعر بالفشل والإحباط وبالعدوان. وهناك لابد خلافات مع الأمهات، وقد تكون مع الآباء وذلك لشعور الفرد وهو طفل بأنه لم يلق العطف والحب بدرجة كفاية. Affection.

يعانى المريض من الشعور بالعداوة على مستوى لاشعوره هذا الشعور بالعداوة يقود إلى الشعور بالحصر أو القلق Anxiety, Unconscious hostility والشعور بالإثم أو الذنب Guilt. وللأسف يعتقد مدمن الخمر أن كأساً من الخمر فيه العصا السحرية، لإزالة كافة آلامه. هذا الخمر يمثل نوعاً بديلاً من الإشباع أو الرضا Substitute gratification. الخمر بديل لذلك الإشتياق للمرحلة الفمية، والذى لم يتم إشباعه. بمعنى أن الحرمان من متعة المرحلة الفمية يرغم المريض على النكوص والعودة إلى الشرب تعويضاً عما فاته من إشباع فى هـذه المرحلة الفمية.

وهنا تكمن حيلة دفاعية لاشعورية أخرى وهي حيلة التعويض. ماحرم منه في عهد الرضاعة يلجأ الآن إلى إشباعه. ولكن بالطبع إشباعاً بصورة مرضيةوضارة وخطرة وخاطئة. وحيث أن الشرب محرم وضار وباعث على الشعور بالعار والخجل، لذلك فإن الشرب يعطى فرصة للمريض كي يعاقب نفسه عن طريق تعاطي مزيد من الشراب. نزعة إيذاء الذات أو العدوان المرتد على الذات. هذا هو تفسير مدرسة التحليل النفسي للإدمان، وكعادتها ترجع كل اضطرابات الشخصية إلى مرحلة الطفولة الباكرة أو مرحلة الرضاعة وإلى اهتمامها بالجنس وإلى وجود عوامل وصراعات لاشعورية وإلى فكرة توقف أو جمود النمو عند مرحلة معينة من مراحل النمو أو إلى إفتراض وجود اللاشعور والقول بعقدة أوديب وعقدة إلكترا أما المدرسة السلوكية فلها رؤية أخرى في تفسير الإدمان.

تفسير السلوكية للكحولية :

التفسيرات التحليلية يصعب إخضاعها للمحك التجريبي للتحقق من صدقها أو بطلانها، أما التفسيرات السلوكية، فإنه يسهل إخضاعها للمعيار التجريبي والقياسي. فلقد أرجعت التحليلية نزعة الاعتماد على العقارات أو المخدرات إلى الحرمان في المرحلة الفمية من نمو الطفل، وكذلك أرجعتها إلى العدوان اللاشعوري Feelings of deprivation and unconscious hostlity. ولكن السلوكية أرجعتها إلى نزعة الرغبة في خفض حدة التوتر لدى المدمن Tension reduction وعلى ذلك فإن الناس يتعاطون المخدرات بقصد التخفيف من حدة الآلام الإنفعالية أو الإنفعالات المؤلمة To alleviate all sorts of painful emotions من ذلك إنفعال الغضب والفشل والإحباط وخيبة الأمل والقلق أو الحصر وبنوع خاص هذا الإنفعال الأخير أي القلق أو الحصر. وترى السلوكية أنه من حيث أن هذه العقاقير تساعد في الراحة أو التخفيف من هذه المشاعر

السالبة والمؤلمة حسبما يعتقد فى ذلك المريض، فإن الشخص الذى يسئ إستعمال هذه العقاقير يجد - بالنسبة لفكره هو - تعزيزاً إيجابياً Positive reinforcement وعلى ذلك تجره المخدرات إلى المزيد منها باستمرار. بمعنى جلب الشعور بالراحة والتخلص من الآلام والمشاكل والإنفعالات المؤلمة أو الهموم (٢) .

ويساعد على سقوط المدمن فى مستنقع الإدمان أن الآثار المدمرة والسيئة للشراب تكون بعيدة الحدوث نسبياً، فلا يشعر بالخطر الذى يلقى بنفسه فيه عند بداية الشرب، من ذلك تدمير جسمه، والتعاسة الإنفعالية أو النفسية، وكافة الآثار البغيضة التى يخلقها فى المرء إسرافه فى الشراب. ولكن هذه الآثار تتراكم يوماً بعد يوم، وتؤدى إلى الإنهيار التام. يشعر المدمن بالتعزيز الآنى المباشر فى حال الشرب، ويعميه هذا عن إدراك العواقب الوخيمة للشرب، ومن ثم إجباره وإرغامه وقهره وقسره على الشرب، بحيث لايدرك الآثار أو النتائج المنفرة من الإدمان Aversive consequences.

يتذكر المدمن كيف كان سعيداً عندما بدأ فى التعاطى، ولكنه ينسى كيف كان حزيناً وكئيباً وقلقاً بعد ذلك، وكيف أساء معاملة زوجته وأبنائه إن كان متزوجاً أو أهله إن لم يكن متزوجاً. وينسى كيف كان يتألم من المرض عندما سحب منه العقار، ولم يعد فى متناول يده.

ولكن نتائج الدراسات الميدانية لاتؤيد فرض خفض التوتر هذا إذ لابد وأن نتساءل عن السبب الذى قاد أولاً إلى المعاناة من التوتر، ثانياً، إنه لايوجد دليل على أن المدمن يشعر بالتخفيف من القلق بعد التعاطى، فهناك العديد من الدراسات التى أوضحت أن التوتر يظل كما هو بل قد يزيد. فاستهلاك الكحول، على سبيل المثال، وجد أنه لايخرج صاحبه من المعاناة من القلق والتوتر

بل الحقيقة التى أثبتتها Consuming alcohol does not relieve tension التجارب أن العقارات المخدرة تزيد من حدة المعاناة من القلق والتوتر والصراع والألم والإكتئاب والتعاسة. بل حتى إذا ادعى المريض أن توتره قد خف بعد التعاطى، فإن الإختبارات التى طبقت أثبتت عكس ذلك، حيث تزيد درجات هؤلاء المرضى على اختبارات القلق كلما زادوا فى التعاطى بل إن التعاطى زادهم عدواناً وإكتئاباً Depression and aggression .

لقد تبين أن الشراب يؤدى إلى مزيد من القلق، بل إن فكرة المريض نفسه عن الشراب تجعله يتوقع القلق. فمعرفة أنك تشرب فى حد ذاتها تجعلك تتوقع القلق. إن توقع الألم يجعل الإنسان قلقاً، ففى إحدى التجارب أخبر الباحث مفحوصيه أنهم سوف يتلقون صدمة كهربائية، ثم منحهم فرصة لشرب بعضٍ من الكحول، وتمت مقارنة نتائج هؤلاء بمجموعة ضابطة وهم الذين شربوا، ولكن أحداً لم يخبرهم بأنهم سوف يتلقون صدمة كهربائية. والغريب أن كلا المجموعتين أظهرتا قلقاً متزايداً بعد الشراب. شعور الإنسان بأنه يقبل على عمل محرم ومؤذ ومدمر وضار وخطير وفتاك يسبب له فى حد ذاته الشعور بالقلق وليس الراحة.

ونفس هذه النتائج تأكدت من دراسات أجريت على من تعاطوا الهيروين Heroin فلقد شعروا، فى البداية، بنوع من التحسن، ثم زاد شعورهم بعد ذلك بالإكتئاب والتهيج. الحقيقة أنه لايوجد، على القليل فى البداية أى عقار يفرض نفسه على الإنسان للإنسان إرادة مهما كانت الأمور. الإنسان سيد قراره فى هذا الصدد، ولابد أن هناك نوعاً من الإختيار الإرادى من الفرد يجعله يقرر الإقدام على التعاطى. فعليه أن يذهب لمكان التعاطى أو الشراء المخدر، وهذا سلوك المفروض أنه إرادى. أنه لايجد المخدر، وقد وضع بطريقة سحرية فى حجره ؟! ولكنه هو الذى يسعى لتعاطيه. لماذا يلجأ المدمن إلى الهيروين أو الكحول لحل مشاكله

ولماذا لايختار سبيلاً آخر لحل مايجابهه من المشكلات ولذلك لابد من البحث عن تصور أكثر شمولاً واتساعاً يفسح المجال للعديد من العوامل التى تتفاعل مع بعضها البعض. وفى إطار هذا التصور يمكن النظر فى العوامل السببية الآتية :

١ - طبيعة المواد المخدرة نفسها وتأثيراتها الفسيولوجية.

٢ - العوامل الوراثية أى الإستعدادات المنقولة إلينا من الآباء والأجداد.

٣ - المحيط أو المناخ أو البيئة الثقافية والاجتماعية التى يعيش فى كنفها المريض.

٤ - العوامل النفسية الديناميةأى اللاشعورية، الضغوط والصراعات وحاجات الإنسان المحبطة أو التى لم تشبع [٣]. .

معظم المخدرات يؤدى إنسحابها إلى المعاناة من أعراض سحب العقار، وعلى ذلك فما أن يبدأ الفرد فى تعاطى مخدر ما ويصبح معتمداً عليه، فإنه سوف يشعر بعدم الراحة إذا ما غاب عنه العقار وقد يغريه هذا الشعور بأن يتعاطى فقط هذه المرة لمجرد إزالة هذا الشعور بعدم الراحة. وهكذا يجد نفسه مساقاً للتعاطى للتخفف من حدة الأعراض المرة تلو الأخرى. يلجأ المريض للمخدر كوسيلة سهلة ومريحة للتخفف من حدة الآلام.

وهناك بعض الدراسات التى تؤكد وجود تأثير للعوامل الوراثية السببية فى نشأة الإدمان Genetic factors [٤]. وتعتمد مثل هذه الدراسات على أطفال التبنى Adoption. فلقد تم نقل عدد من الأطفال من أسرهم الطبيعية التى كان يعانى فيها أحد الوالدين من أزمة الإدمان، تم نقلهم للمعيشة فى وسط أسر لاتعرف الإدمان. وتمت مقارنة نتائج هؤلاء بمجموعة أخرى لاتعرف الإدمان. ولقد تبين أن أطفال التبنى الذين انحدروا من آباء مدمنين مالوا إلى الإدمان هم أيضاً مثل آبائهم الطبيعيين أو البيولوجيين على الرغم من أن آباءهم فى التبنى لايعرفون

الشراب. يضاف إلى ذلك أن الكحولية تميل إلى التواجد فى وسط أسر بعينها أو أجيال متعاقبة. بل إن الكحولية تتواجد بصورة أكثر بين الأقارب عنها بين الناس العاديين. ولكن عندما يعيش الإبن مع الأب، فإنه يصعب التقرير بأن كحولية الإبن انتقلت عبر الجينات Genes من الأب للإبن أى الوراثة البيولوجية الحيوية، إذ هناك احتمالية أن يكون الإنتقال عن طريق التقليد والمحاكاة والمعاشرة السيئة والتربية الفاسدة والمخالطة، وليست الوراثة البيولوجية. ولكن ربما يرث المدمن استعداداً أقوى لتحمل كميات كبيرة من المخدرات tolerance مما يجعل مثل هؤلاء الناس يشعرون بالغبطة الزائفة من وراء العقار. ربما يكون هناك استعداد وراثى Constitution .

الوراثة قد توفر الإستعداد العام أو التهيؤ العام أو القابلية العامة للتعاطى. فإذا توفرت الظروف السيئة أصيب الفرد بالإدمان وإذا لم تتوفر نجا من ذلك.

تأثير العوامل الثقافية والاجتماعية فى مدى إنتشار الإدمان :

العوامل الثقافية والاجتماعية قد تلعب دوراً فى إنتشار الإدمان من ذلك أن هناك بعض الطوائف السلالية أو العرقية وجد أن الكحولية تنتشر بينها بصورة كبيرة عن غيرها من الفئات، ومن ذلك الأمريكان من أصل إيرلندى والهنود الحمر الأصليين والإسكيمو. لدرجة أن معدلات إنتشار الكحولية بين الهنود الأمريكان تصل إلى تسعة أضعاف مثيلتها فى بقية السكان ككل فى المجتمع الأمريكى. ماهو السبب فى هذا الإختلاف الكبير؟ قد يقال إن هذه الفئة العرقية قد ورثت الاستعداد الكحولى الجبلى Alcoholic constitution.

ولكن يضاف إلى ذلك، بالضرورة، الإتجاه العقلى attitutde نحو قبول الشرب أو المخدرات أو رفضها. قد يكون الإتجاه موالٍ لتعاطى المخدرات أو الخمور، فقد يقبل الناس على التعاطى بسبب ما يؤدى إليه من الصحبة والأقران والاجتماع بهم

والخروج من المنزل وإقامة الصداقات وقد تنظر بعض الطوائف للسكر على أنه شئ مقبول أو ليس مثيراً للشعور بالعار والخجل أو النظر إليه على أنه شئ خطير ومدمر. وقد لاتخاف مثل هذه الفئات – خوفاً اجتماعياً – أو الشعور بالذنب إزاء فقدان المدمن لوظيفته أو الإيداع فى السجن. وقد لايعيروا بالاً بالآلام الجسمية والعقلية التى يعانى المدمن. هناك نوع من القبول لتعاطى مثل هذه المخدرات. الجماعات العربية مقارنة بهؤلاء تخاف من الإدمان وعواقبه وتنكره. كما يذهب إلى ذلك جلاتين.

المراجع

(1) Gallatin, J., Abnormal Psychology, Mcmillan Publishing Co., New York, 1982.

(2) Coleman, J. C., Abnormal Psychology and Modern Life, Scott, Chicago, 1950.

(3) Ibid.

(4) Gallatin, Op. cit., p. 447.

الإعلام والعنف والمواجهة العلمية

شهدت السنوات الأخيرة زيادة كبيرة فى مظاهر العنف، وتنوع مجالاته، ولذلك من الأهمية بمكان دراسة هذه الظاهرة، والتعرف على أسبابها ودوافعها النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والبيولوجية ذلك لأن العنف لايمكن أن ينبع من فراغ، وإنما هناك أسباب تفرز هذا السلوك العنيف وذلك بحكم منطق العلم والقول بأن لكل نتيجة سبباً. ولايتوقف العنف على العنف السياسى وحده، وإنما هناك العنف فى الشارع، وفى المنزل، وفى الملاعب، وفى مجالات العمل، وفى الأندية، وفى قيادة السيارات وفى الجريمة. ويتخذ العنف شكلاً فردياً وشكلاً جماعياً وهنا تكمن الخطورة. هذا إلى جانب ارتباط العنف بالجريمة المنظمة والفردية.

ففى ٣٠ مارس من عام ١٩٨٠ وقف جون هنسكيلى.

وقف خارج أحد فنادق واشنطون بين عدد كبير من رجال الصحافة والإعلام وحشد كبير من محبى الرئيس الأمريكى الأسبق رونالد ريجان، وقف ينتظر خروج الرئيس رونالد ريجان President Ronald Reagan وعندما خرج ريجان من الفندق أطلق عليه هينسكيلى النار مما أدى إلى إصابة ريجاه وسكرتيره الصحفى كما أصاب شخصين آخرين. ومثل هذا الموقف تعرض له البابا يوحنا بولس الثانى[(١)].

ولكن لماذا قام جون بارتكاب هذه الجريمة ؟ ما الذى دفعه للقيام بهذا العمل. ولقد فسر هذه الحادثة بعض علماء النفس بالقول بأن هذا الشاب المضطرب نفسياً قد وجد نفسه مع وقائع فيلم سينمائى يسمى سائق التاكسى Taxi driver حيث اعترف بأنه شاهد هذا الفيلم أكثر من عشر

مـرات، ووقـع فـى حـب الممـثلـة التى قـامت بدور البطولة فى هذا الفـيلم . Featured role

وفى واحد من أشهر فنادق القاهرة شاهد سائح عربى فيلماً جنسياً مثيراً وماكان منه إلا أن ترصد جارته فى الغرفة وكانت سيدة سويسرية، وهجم عليها واغتصبها متأثراً بما شاهده فى الفيلم.

لقد أراد الشاب الذى حاول إغتيال الرئيس الأمريكى ريجان أن يحول جزءاً من وقائع الفيلم إلى حقيقة تخصه هو فى عالم الحقيقة والواقع. وفى أمريكا أيضاً قام صبى صغير لم يتجاوز عمره الخامسة عشر عاماً فى فلوريدا بقتل جاره وكان شيخاً مسناً تجاوز الثانية والثمانين من عمره. ولقد دفع محامى المتهم Defendant بأنه مجنون قانونياً legally insane.

فى الوقت الذى ارتكب فيه جريمة القتل من جراء الإكثار من مشاهدة التليفزيون، وإن كانت المحكمة قد رفضت الأخذ بهذا الدفع وأدانت فى حكمها الصبى Convicted بالقتل Murder . وجدير بالإشارة أن الدفع بالإعفاء من المسئولية الجنائية تأسيساً على جنون المتهم يتعين عدم الأخذ به، لأنه يهدر أرواح الناس وتضيع سدى وينعدم الردع وتضيع حقوق المجنى عليه وأهله ويفقد المجتمع حقه فى ردع المجرمين وخاصة وأن هناك كثيراً من الجناة الذين يفلتون من طائلة العقاب بإدعاء الجنون، وقد يجدون سنداً من بعض ضعاف النفوس من الأطباء الذين يحررون لهم شهادات تفيد جنونهم، مع أنهم لايجرون الفحص حين وحال إرتكاب الجريمة، وإنما يحدث هذا الفحص بعد إرتكاب الجريمة، أما الحالة العقلية عند إرتكاب الحادث بالضبط فلا أحد يعرفها لأن المتهم قد يمرض أو يشفى بعدها.

ولقد تساءل كثير من العلماء والباحثين عما إذا كان عرض أجهزة الإعلام

Media للعنف Violence يشجع أو يدفع أو يحرض أو يهيئ الناس لارتكاب العنف والعدوان Aggression وهل فى الإمكان أن تنخفض معدلات العنف والعدوان فى المجتمع إذا لم تعرض أجهزة الإعلام هذا العنف ؟

لقد اهتم العلماء بهذا الموضوع ومايزال محل اهتمام كبير من قبلهم. وبالطبع الصحف والمجلات أيضاً لها تأثير كبير فى هذا الصدد حين تسرف فى شرح تفاصيل الجريمة، وتبالغ فى إبراز أبطالها. ولكن معظم الأبحاث تركزت على تأثير عرض المادة التليفزيونية على السلوك العدوانى عند الأطفال، وكذلك على تأثير الأفلام الإباحية Pernographic Films على العدوان ضد النساء أو تلك الأفلام الداعرة والفاحشة. ويمكن القول بأن الأفلام التى تشرح الخطوات التفصيلية لأية جريمة من الممكن أن تترك أثراً تعليمياً سيئاً فى سرقة البنوك أو الخزائن أو القتل أو السرقة بالإكراه. ولذلك فلقد انتقد بعض الناس تناول بالشرح التفصيلى الجريمة البشعة التى وقعت فى مدينة نصر بالقاهرة فى شهر أكتوبر عام ١٩٩٧، حيث دخل ثلاثة عمال على سيدة فى شقتها فى وضح النهار بدعوة القيام بأعمال دهانات فى الشقة وقتلوها وطفليها أيضاً وكان عمرهما خمس سنوات وسنة واحدة..

السينما والتليفزيون يعرضان كثيراً من مظاهر العنف والعدوان. وقد تعطى هذه العروض أفكاراً خاطئة عن السلالات البشرية برمتها كالهنود أو الزنوج أو البيض، وأفلام رعاة البقر خير مثال على ذلك وتترك آثارها السيئة على الصغار والكبار معاً. ووفقاً لبعض التقديرات وجد أن فترات البث التليفزيونى للمواد المتضمنة عنفاً بلغت ثمانية أحداث عنيفة فى كل ساعة من ساعات الإرسال. وحتى فى الأفلام الكارتونية التى تقدم فى أيام الآحاد للأطفال دل تحليلها أنها تتضمن حدثاً عنيفاً فى كل دقيقتين A violent act ولقددلت بعض التقديرات أن الصبى الأمريكى

يبلوغه سن السادسة عشر من العمر يكون قد شاهد Witnessed أكثر من (١٣) ألف حالة قتل Killings فى التليفزيون الأمريكى.

ولقد أجريت دراسات عديدة على الأطفال باستخدام الدمى Dolls وفى بعض هذه الدراسات وقف ممثل يقوم بدور العدوان مع الطفل فى نفس الغرفة كى يقدم نموذج Model العدوان، وفى بعض الدراسات كان هذا النموذج يأتى من خلال الأفلام أو من خلال الأفلام الكرتونية. وفى جميع الحالات وجد أن الأطفال الذى شاهدوا نماذج للعنف والعدوان كانوا أكثر عدواناً مع دماهم Bobe dolls وبطبيعة الحال الطفل والراشد الكبير قابلان للتقليد والمحاكاة لما يشاهدانه to imitate هناك رابطة أكيــدة بين الإعــلام والعنف Link between media violence and subsequent aggression.

ولقد اتبع العلماء فى ذلك العديد من المناهج الدراسية من بينها إجراء التجارب باستخدام أفلام حقيقية ومواد تليفزيونية بدلاً من المواد الصناعية التى كانت تستخدم من أجل الدراسة فقط فى المعمل، أو باستخدام الدمى. ومن بين المناهج أيضاً استخدام الدراسات الحقلية الميدانية على المشاهدين الفعليين للتليفزيون، وقاموا بتحليل النتائج. ومن خلال الدراسات المعملية استطاع الباحثون تحديد بعض العوامل المسئولة عن السلوك العنيف وطرق اكتساب مثل هذا السلوك. ومن ذلك أن السلوك العنيف يتبع المشاهدة العنيفة فقط إذا كان العنف له مايبرره فى الفيلم بمعنى إذا اقتنع المشاهد بما يبرر العنف. كذلك وجد أن السلوك العنيف يظهر عند المشاهد وفقاً لدرجة تقمصه أو توحده أو إندماجه مع الفيلم Identification أو مع النموذج العنيف فى الفيلم (٢). التقمص يسهم فى تحديد سلوك الإنسان السوى والشاذ على حد سواء. ومن هنا تبدو ضرورة توفير المثال الطيب والقدوة الحسنة والنموذج الإيجابى أمام أطفالنا كى يتوحدوا وإياها.

وكذلك تلعب دوراً فى هذا المجال الطبيعة العدوانية الأصلية للمشاهد نفسه The initial aggressiveness. ومبلغ نذالة المعتدى لهذا تأثير أيضاً على السلوك العدوانى.

وهناك دراسات أخرى أجريت فى مواقع طبيعية أكثر من مجرد إجراء التجارب داخل معامل الدراسة ومختبراتها. وهناك بعض الدراسات التى ابتعدت عن جو المختبر وراحت تدرس العنف والعدوان فى أجواء طبيعية ، من ذلك دراسة العنف لدى طلاب مدرسة أمريكية داخلية Boarding school، وتم تحديد كمية العنف فى الفيلم الذى يعرض على الطلاب أسبوعياً، وتم دراسة الطلاب قبل بدء العرض السينمائى، وتم تسجيل سلوكهم العدوانى. وتم تقسيم الطلاب حسب العنابر التى يقيمون بها، وتم عرض أفلام مليئة بأحداث العنف من ذلك فيلم حفنة أشرار The dirty dozen بينما شاهد نزلاء عنابر أخرى أفلاماً ليست عنيفة. وتمت ملاحظة سلوك الصبية فى الأسبوع السينمائى وفى خلال أسبوع آخر بعده. ولقد لوحظ زيادة معدلات العدوان الفيزيقى Physical aggression بين صفوف الطلاب الذين شاهدوا الأفلام العنيفة.

ولقد استخلص الباحث من ذلك أن هذه الأفلام العنيفة قد أثارت وحركت ودفعت العدوان الذى شاهدوه من ذات النوع. حتى العدوان اللفظى Verbal aggression زاد بين الطلاب الذين شاهدوا أفلاماً عنيفة. من ذلك العدوان اللفظى السب والقذف والشتم والإهانة والتحقير. حتى هؤلاء الصبية الذين لم يظهروا واقعياً فى سلوكهم قبل التجربة عدواناً، زاد عدوانهم بعد التعرض لمشاهدة الأفلام العنيفة. وبالطبع كان تأثير الأفلام مباشرة بعد العرض، أما بعد إنقضاء فترة من الزمن، فإن الوضع يتغير. بمعنى أن تأثير الأفلام ليس أبدياً أو أزلياً، ولكنه يزول بعد فترة من الزمن إذا لم يتلق تعزيزاً Reinforcement .

فى الدراسات الميدانية قد يضحى الباحث ببعض جوانب الضبط التجريبى مقارنة بالدراسات المعملية التى يستطيع الباحث أن يتحكم فى كل متغيراتها ومؤثراتها. ولكن الدراسات الميدانية تكشف عن عادات الناس الحقيقية فى المشاهدة. والتى أصبحت عندنا، وخاصة بالنسبة للأطفال والصبية أصبحت شبه إدمان مرضى على كثرة المشاهدة مما يعوق نشاطات الطفل الأخرى كالقراءة والدراسة والعمل والرياضة أو حتى المحادثات مع من يجلسون معه (٣). وهناك دراسات تستهدف التعرف على كمية وقت المشاهدة وعلى نوعية البرامج المفضلة وربط هذه العادات بالسلوك العدوانى الفعلى لدى المشاهد. وتؤكد مثل هذه الدراسات أن هناك إرتباطاً بين العنف المشاهد والسلوك العنيف والعدوانى لدى المشاهدين Media violence and aggression . الأطفال الذين يشاهدون كثيراً من العنف يسلكون سلوكاً عنيفاً أكثر من غيرهم. ولقد تأكدت هذه العلاقة لا فى المجتمع الأمريكى وحسب ولكن فى كثير من دول العالم.

مشكلة السببية فى السلوك الإنسانى :

ولكن ينبغى أن نؤكد أن وجود معامل إرتباط Correlation coefficient بين المادة الإعلامية العنيفة والسلوك العنيف لايدل، فى حد ذاته، على أن المشاهدة هى سبب العدوان. كل مايدلنا عليه وجود معامل الإرتباط أن الزيادة فى المشاهدة يتبعها أو يسير معها أو يوجد وإياها زيادة فى السلوك العنيف، وأن نقص المشاهدة يؤدى إلى نقص السلوك العنيف، ولكننا لانعرف إذا كانت المشاهدة هى السبب أم لا. فلقد يكون هناك عامل ثالث آخر هو المسئول عن حدوث الظاهرتين معاً مثل عامل الوراثة مثلاً. وذلك فإن الإرتباط لايمكن أن يعنى العلية أو السببية (٤).

وقد يميل المراهق العنيف أصلاً إلى إختيار البرامج العنيفة فيعكف على

مشاهدتها. فى الحقيقة العامل السببى يعمل فى كلا الإتجاهين. بمعنى أن الشخص الميال بطبعه إلى العنف، يختار المواد العنيفة، والمواد العنيفة تزيد من عنفه. فالدراما العنيفة قد تكون نتيجة أو سبباً. والسبيل إلى تأكيد ذلك هو إجراء نمط آخر من أنماط الدراسات المنهجية خلافاً لمنهج الإرتباط بين متغيرى العنف المشاهد والعدوان السلوكى. هذا المنهج هو المنهج الطولى أو التتبعى Logitudinal method.

وفى هذا المنهج تتم دراسة أفراد العينة قبل وقوع التأثير عليهم وبعده مع إستمرار القياس والملاحظة لأفراد العينة عبر فترات زمنية متلاحقة. ومن ذلك قياس مقدار مشاهدة الطفل، وكذلك سلوكه العدوانى وهو فى سن الثامنة، ثم الإنتظار حتى يصل عمره إلى الثامنة عشر وقياسهما ثانية. هل هناك علاقة بين المشاهدة فى سن ٨ سنوات والعنف فى سن ١٨ سنة. لقد وجد أن هذا الإرتباط أكثر دلالة من الناحية الإحصائية عن ذلك الإرتباط الذى يحسب بين العنف والمشاهدة فى سن واحدة. بمعنى أن مقدار المشاهدة فى سن السنوات الثمانية، يدلنا على مبلغ عدوان الطفل فى سن الثامنة عشر. ولكن حتى مثل هذه الأدلة لاتقطع بأن المشاهدة هى السبب الوحيد فى حصول العنف، ولكنها، بلاشك، أحد الأسباب.

ولكن كيف يمكن تفسير ذلك أى كيف يمكن تفسير تأثير المشاهدة على السلوك العدوانى ؟ ماهى العمليات السيكولوجية المتضمنة فى هذه العلاقة ؟

العمليات الداخلية :

هناك عدة إفتراضات من بينها إفتراض حدوث عملية تعلم عن طريق الملاحظة Observational Learning الإنسان يتعلم عن طريق التقليد والمحاكاة

والمشاهدة أو المعاينة. الإنسان يحس، ثم يدرك، ثم يتعلم، ثم يتذكر، ثم يقوم بالسلوك الذى تعلمه (٥). والمعروف أن التعلم إن هو إلا تغير فى آداء الكائن الحى نتيجة للخبرة والمران والممارسة والتدريب والتكرار. ويتأثر تعلم الطفل العنف من خلال التليفزيون إذا اعتقد الطفل أن التليفزيون يصور فعلاً واقع الحياة. من ذلك أن تقليد المشاهد يزداد إذا اعتقد أن المادة التليفزيونية تحاكى الحقيقة الواقعة، كذلك يتوقف التقليد على مبلغ تقمص الشخصية التى تمارس العنف. التليفزيون من الوسائل القوية فى التعليم غير الرسمى مثله فى ذلك مثل السينما والمسرح والصحافة والمتاحف والمعارض والمهرجانات والندوات واللقاءات والمناظرات والحوارات. ولكنه فى حاجة إلى ترشيد المواد التى يبثها والإشراف السيكولوجى عليها.

هناك أيضاً التفسير المعرفى أو العقلانى Cognitive explanation ومؤداه أن تكرار عرض المادة العنيفة يجعل المشاهد يتذكر هذه المشاهد. إن كثرة تعرض الفرد للمشاهد العنيفة قد تسلبه الإحساس بالعنف Desensitized فيصبح أقل إهتماماً وأقل قلقاً على حول الأحداث الضارة أو المؤذية. يحدث له نوع من التبلد والتعود الزائد عن الحد، أى الممارسة الزائدة عن الحد (٦). الإنسان قد يتعود على رؤية الفساد أو التسيب أو الفوضى أو العنف أو الجريمة أو التلوث فيفقد الإهتمام بها. ولذلك هناك ضوابط لكثرة نشر الحوادث فى الصحف والمجلات. لقد تبين أن مشاهدة العنف تساعد فى تكوين السلوك العنيف سواء بعد المشاهدة مباشرة أو بعدها بفترة من الزمن. ولكن دائماً هناك مرونة فى قضية السببية فى السلوك الإنسانى، فمع التقرير بأن العنف المشاهد يؤدى إلى العنف فى السلوك، فلقد وجد أن ذلك لاينطبق على جميع الأطفال الذين شاهدوا العنف المبرمج، وخاصة عندما يكبر هؤلاء الأطفال (٧).

ولقـد فكر العلمـاء فى طريقـة تقلل من تلك الرابطة القـائمـة بين الإعـلام والعنف، ووجدوا أن وجود شخص راشد كبير مع الطفل فى أثناء المشاهدة وإذا قام هذا الشخص بشجب وإستنكار المشهد العدوانى أو العنيف فإن الطفل لايقلده To Condemn وبالمثل فإن العبارات المشجعة أو التى لاتدين العنف تؤدى إلى زيادته عند الطفل. كذلك فإن الطفل يتأثر بسلوك رفقاء العمر Peers . كذلك أجريت دراسات استهدفت تعليم الأطفال التمييز بين العنف الخيالى الوهمى وبين أحداث الحياة الواقعية. ولقـد دلت التجربة على أن الأطفـال الذين حضـروا مثل هذا التدريب كانوا أقل عدواناً بعد مضى عام على التجربة. مثل هذه البرامج قد تساعد فى التحكم فى السلوك العنيف والعدوانى.

والحقيقة أن السلوك الإنسانى لايمكن إرجاعه إلى مؤثر واحد بعينه. ولذلك يسـود الإعـتـقـاد فى « الإتجـاه المتـعـدد العـوامل » فى نشـأة السلوك. وكـذلك الإنحرافات، من ذلك تأثير العوامل الوراثية والبيئية والميلادية فى سلوك الفـرد. وكلما استطاع المجتمع أن يتحكم فى هذه العوامل ويجعلها مواتية وصالحة كلما خفت حدة الإنحرافات السلوكية وخاصة العنف والعدوان والإدمان والجريمة والجنوح والتطرف والتسيب والفساد والفوضى والغش والنصب والإحتيال وما إلى ذلك من السلبيات. العوامل متعددة ومتشابكة ومتفاعلة. ومن هنا كان لابد من أن تكون برامج الوقاية والعلاج شمولية تتناول الأسرة بكامل أفرادها وإصلاح التعليم والقضاء على الأمية وعلى البطالة.

سبل التحكم فى السلوك العدوانى :

لقـد ازدادت حدة العنف فى الأيام الأخيـرة، وتنوعت الجـريمة، واخـتلفت أنمـاطهـا، وخـاصـة جـرائم الأقـارب وجـرائم السطو المسلح، والجـرائم المنظمـة، والجماعية وجرائم الإرهاب والسياسة. وامتد العنف ليشمل الشارع كله والحياة

برمتـــهـا، الأمـر الذى يتطلب التـفكيـر الجـاد فى دراسـة هذه الظاهرة ووضع الإقتراحات لحلها والتحكم فى السلوك العنيف. لاشك أن العنف يوجد منذ وقت ضارب فى أعماق التاريخ، ولكن هل يعد العنف أمراً حتمياً ملازماً لحياة الإنسان لابد من حـدوثه Inevitable أليس فى الإمكان ضبط السلوك العنيف أو دفعه أو كفه ؟ لاشك أن الإجابة على هذا التساؤل تتوقف على الأسباب التى نفترض أنها تكمن وراء السلوك العنيف. فـالمنظرون الذين يعـتـقـدون أن العـدوان وراثى فى الإنسـان أو فطرى Innate يصـعب عليـهم ضبط هذا السلوك أو التحكم فيـه أو التـخـفـيف من حـدته. لقـد شاهد فـرويد الحـرب العـالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨م) وانتـهى إلى إفتـراض أن العـدوان أمـر حـتـمى لايمكن تفـاديه. ولذلك افترض وجود غريزة الموت أو الخراب والدمار فى الإنسـان The death instinct بمعنى وجود قهر أو قسر أو إكراه فى الإنسان فى كل أفراد الإنسان نحو التدمير والتخريب والقتل والإيذاء والحروب. رغبة الإنسان فى العودة إلى المادة الأولى التى تكونت منها جميع الكائنات. وعلى ذلك فإن هذه النظرية تدفع للتشاؤم وتزكى أن العدوان إشتقـاق طبيعى لغريزة الموت هذه. العلمـاء الذين يؤمنون بصحـة هذه النظرية لايأملون فى السيطرة على السلوك العدوانى. لايوجد إحتمال يقصر العدوان البشـرى فى تصور فـرويد. ولكن هـذه نظـرة تشـاؤمية فالإنسان فيه الخير وفيه الفطرة السوية الصالحة. ولكن مع ذلك هناك محاولات عالمية لمنع إعتداء الدول قويها على ضعيفـهـا كما يتمثل ذلك فى محاولات هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولى. وإن كان مجلس الأمن فى السنوات الأخيرة قد تحول إلى أداة فى خدمة الدولة الكبرى الوحيدة.

وعلى المستوى الفردى فى الإمكان السيطرة على السلوك العدوانى، وذلك فى ضوء مفـاهيم التحليل النفسى أيضاً، وذلك عن طريق تنمية الذات العليا Super ego وهى القـوة الداخلية الذاتية فى الإنسان والتى تقوم مقام الضـمير الأخلاقى،

إذا يمنع صاحبه من إرتكاب كافة الآثام والمعاصى والذنوب والخطايا بما فى ذلك الجرائم والعنف. الذات العليا تسيطر وتكبح جماح [٨] الدوافع العدوانية والفطرية. كذلك فإن أنصار التحليلية الجديدة يقترحون منافذ ومنافس لتصريف الطاقة العدوانية من خلال سلوكيات مقبولة اجتماعياً وأخلاقياً ودينياً، من ذلك ممارسة الأنشطة الرياضية والإشتراك فى المناظرات والندوات والحوارات وما إلى ذلك[٩] لتصريف الطاقة العدوانية Releasing aggressive energy فيما يعرف باسم عملية الإعلاء أو التسامى بالدوافع والطاقات Sublimation ومن ذلك الإشتراك فى الأعمال الفنية والأدبية وأعمال الرسم والنحت والتصوير والمثالة والتمثيل وقرض الشعر والإشتراك فى جماعات الجوالة والكشافة والتطوع لخدمة البيئة كأسبوع المرور أو نظافة البيئة المحلية وما إلى ذلك . حتى المسابقات الدولية تسهم فى هذا الصدد، وكذلك جهود سباق الفضاء وغير ذلك من وجوه المنافسة Competitions تؤدى إلى تصريف السلوك العدوانى فى مسارات غير ضارة، ويساعد فى ذلك كذلك التوحد مع نماذج طيبة وتقليدها والإقتداء بها وحذو حذوها.

أما أصحاب الإتجاهات الإجتماعية والنفسية فى تفسير السلوك العدوانى، فإن وسائل كفه متعددة لديهم عن طريق التحكم فى العوامل البيئية، ويتفق ذلك مع أصحاب نظرية التعلم الإجتماعى Social learning Theorists الذين يرون أن مشاهدة أو ملاحظة أشخاص غير عدوانيين تؤدى إلى خفض السلوك العدوانى. فلقد تبين من دراسة علمية تعرض فيها الطلاب لمشاهدة نموذج يؤذى الضحية فى عملية من عمليات التعلم ومجموعة أخرى شاهدت نموذج غير مؤذ، وتبين أن الطلاب الذين شاهدوا النموذج العدوانى سلطوا صدمات كهربائية أزيد ضد ضحاياهم عن غيرهم. بل إن المسالمة تتغلب على نزعات العدوان، فعندما تعرضت العينة لكل من النموذج العدوانى وغير العدوانى، تأثروا أكثر بالنموذج غير

العدوانى. وعلى ذلك فإذا كنا لانستطيع فى الحياة الواقعية، أن نمنع النماذج العدوانية، فعلى الأقل نوفر مزيداً من النماذج المسالمة فى البيئة.

أما أصحاب نظريات التعلم Learning theorists فيقترحون حرمان الإستجابات أو السلوكيات العدوانية من التعزيز Reinforcement ذلك التعزيز أو تلك المكافأة أو الجزاء الطيب الذى يلحق الاستجابة الناجحة فيؤدى إلى ثبوتها فى خبرة الكائن الحى وإلى تعلمها وإلى ميله لتكرارها فى المستقبل. إذا لم يعزز أو إذا لم يلق الفرد التعزيز على سلوكه العدوانى، ففى الغالب، فإنه يكف أو يمتنع عن ممارسة هذا السلوك فى المستقبل.

ويذهب بعض العلماء إلى إقتراح إنزال العقاب بالشخص المعتدى كى يكف عن ذلك، ونعنى بذلك العقاب الفعلى Actual punishment .

ولكن العقاب لايستخدم على إطلاقه، وإنما تحت ظروف خاصة، منها أنه لايستخدم إلا فى حالات الضرورة عند فشل الأساليب الأخرى. أما مقابلة العنف بالعنف المضاد فإنها سياسة غير ناجحة. كذلك فإن العقاب يجب أن يكون متوقعاً من جراء الإتيان بالفعل العدوانى، وذلك من قبل المعتدى. ومن الشروط الهامة أن يتبع العقاب مباشرة وعلى الفور السلوك العدوانى وذلك لإمكان إحداث رابطة شرطية بين العقاب والسلوك العدوانى، وحتى يفهم ويعى المعتدى أن ما لحق به من عقاب يرجع إلى قيامه بهذا العمل العدوانى بالذات. كذلك من بين شروط إنزال العقاب أن يكون هذا العقاب مقنناً أو مشروعاً Legitimized وفقاً للمعايير أو القوانين الإجتماعية حتى لايخضع للفوضى فى إنزال العقاب بالناس، كذلك فإن الشخص الذى ينزل العقوبة لاينبغى أن يظهر كما لو كان نموذجاً عدوانياً. وإذا لم يراع المجتمع هذه الشروط، فإن العقاب قد يشجع العدوان.

كذلك فإن التهديد بإنزال العقاب، قد يؤدى إلى التخفيف من وطأته ويشترط فى ذلك ألا يمارس التهديد الإنسان وهو فى حالة شديدة من الغضب، ويشترط أن

يكون التهديد صارماً وأن يكون إحتمال تطبيقه وارداً. وعندما لايحقق العدوان فوائد كثيرة للشخص الذى مارسه فلا ينبغى أن يستفيد الإنسان من ممارسته العدوان، ولكن التهديد بإنزال العقاب ليس عاملاً مؤثراً بما فيه الكفاية للتوقف عن ممارسة العدوان.

كذلك هناك منهج آخر يؤدى إلى التخفيف من وطأة السلوك العدوانى، وذلك بوضع الفرد فى موقف يتعرض فيه للإتيان باستجابة متناقضة أو متعارضة مع إستجابة العدوان. بمعنى أنه إذا استجاب الإستجابة الأولى فلا يستجيب الإستجابة الثانية، من ذلك أن نضع الفرد فى موقف ضاحك أو مبهج أو يدفع إلى السرور، كأن يشاهد فيلماً مضحكاً للغاية أو نضعه فى ظروف تدفعه إلى الشعور بالتعاطف الشديد. لقد وجد أن أفراد العينة كانوا أقل عدواناً عندما توفرت لهم فرص الإستجابات البديلة. ومؤدى ذلك إبعاد الفرد عن جو الغضب والثورة والتهيج والتحفز للعدوان، وتهيئته لإستجابات أخرى. كذلك فإن شرح الظروف التى حتمت قيام الضحية بعمل معين، يقلل من وقوع العدوان عليه، بمعنى أن يوضح الإنسان الأسباب التى كانت تكمن وراء سلوكه العدوانى تلك الأسباب التى لم يكن فى وسعه التغلب عليها، فإن ذلك يقلل من وقوع الهجوم المضاد عليه (١٠) Counterattck .

ولكن مايقدمه الإنسان من شروح وتبريرات قد لاتكون مقبولة أو معقولة بالنسبة للغير، ولكن تقديمها على كل حال يوفر فرصة لخفض العدوان لمن يشاء أن يسلك السلوك البديل.

وإذا سلمنا بالفرض بأن العدوان ما هو إلا رد للتعرض لخبرات الفشل والإحباط Frustration فإن المجتمع يستطيع أن يقلل من خبرات ومواقف الإحباط التى يتعرض لها الفرد، بقصد تقليل تفشى العنف والعدوان فى المجتمع. ومؤدى ذلك إشباع الحاجات Needs الأساسية والمشروعة للغالبية الساحقة من أبناء المجتمع.

ففى دراسة أجريت على مجموعة من الزنوج فى أمريكا تبين أن أولئك الذين يعانون من مشاعر حادة وكثيفة من عدم الرضا والفشل والإحباط Dissatisfaction كانوا أكثر ميلاً لإرتكاب الأحداث العنيفة. وينطبق هذا التفسير على سلوك الأقليات المحرومة وسكان المناطق النائية والعشوائية الذين يعانون من الإحباط الاجتماعى والاقتصادى. ويمكن لقادة المجتمع أن يقللوا من مشاعر الإحباط بتقديم خدمات أفضل وإقامة علاقات إنسانية طيبة مع رجال الشرطة والأمن والتعامل مباشرة مع أسباب العدوان والعنف.. من ذلك قلة التعليم وتفشى البطالة وقلة الدخل وعدم توفيير وسائل الثقافة والترويح والترفيه وقضاء وقت الفراغ بصورة إيجابية نافعة.

كذلك هناك وسيلة سيكولوجية ناجحة فى خفض معدلات العدوان والعنف، وتعنى بذلك عملية التصريف الإنفعالى أو التطهير الإنفعالى أوالتفريغ الإنفعالى للمواد الجبيسة داخل الإنسان Catharisis أى الفضفضة أو الإفصاح عما يجثم فوق صدر الإنسان. وجدير بالإشارة أن منهج الفضفضة هذا يضرب بجذوره إلى الوراء فى أعماق التاريخ. فلقد استخدمه لأول مرة ارسطوطاليس Aristotle لشرح الفائدة النفسية للمسرح. وفى العصر الحديث إبتكر مورينو عالم النفس الشهير منهج السيكودراما أى العلاج عن طريق التمثيل على خشبة المسرح. وإختلف أرسطو فى هذا الصدد عما كان يذهب إليه أفلاطون Plato من أن الفضفضة الدرامية قد تشعل نار الثورة الإنفعالية السلبية فى نفوس المشاهدين.

وفيما بعد استخدمه سيجموند فرويد كمنهج فى علاج الأمراض العصابية من خلال عملية التداعى الحر. فى عملية الفضفضة يتم إطلاق سراح الطاقة العدوانية وفك عقالها من خلال التعبير عن الإنفعالات العدوانية أو من خلال توفير بدائل أخرى من السلوك. بل إن هناك من يرى أن السلوك العدوانى يخفض من حدة السلوك العدوانى بحكم كونه فضفضة للطاقة العدوانية الحبيسة. فإذا

استطاع الإنسان أن يزيح من فوق صدره الغضب، فإنه لا يمارس العدوان فى المواقف المستقبلية. بل أن الخيال قد لعب دوراً فى تخفيف حدة العدوان، ولكن هذا الفرض مازال فى حاجة إلى الأدلة التجريبية وإذا لم تؤد الفضفضة إلى خفض العدوان الراهن، فإنها تؤدى إلى خفضه فى المستقبل. ولكن دعاة الوراثة يقولون أن العدوان وراثى فى الإنسان.. ولكن الحقيقة أن هناك أدلة تؤكد إمكانية تعديل السلوك العدوانى فى الإنسان، من ذلك تغيير الظروف البيئية.

وهكذا نرى أن السلوك العدوانى العنيف يمكن التحكم فيه والسيطرة عليه بالقضاء على أسبابه وإيجاد منافذ لتصريفه.

المراجع

(1) Deaux, K. and Wrightsman, L. S., Social Psychology, Brooks / Cole, U.S.A., 1988, p. 319.

(2) Op. cit., p. 320.

(٣) عبد الرحمن محمد العيسوى، الآثار النفسية والاجتماعية للتليفزيون العربى، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة والإسكندرية، ١٩٨٠.

(٤) عبد الرحمن محمد العيسوى، الإحصاء السيكولوجى التطبيقى، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٩.

(٦) عبد الرحمن محمد العيسوى، العلاج النفسى، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، ١٩٩٦.

(7) Deaux, p. 323.

(٨) عبد الرحمن محمد العيسوى، مبحث الجريمة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٢.

(9) Deaux, p. 329.

(10) Op. cit., p. 331.

تفسير الجريمة بين الوراثة والبيئة

مقدمة:

يهتم الإنسان بتفسير سلوكه سواء أكان سلوكاً سوياً متكيفاً أم كان سلوكاً شاذاً غريباً. ودراسة أسباب الجريمة تشكل أهمية كبيرة فى مجال مكافحة الجريمة والوقاية من إنتشارها، لأنها تضع أيدينا على العوامل السببية التى قد تقود الفرد إلى السلوك الإجرامى، ومن ثم العمل على كف هذا السلوك أو منعه أو تعديله. كذلك فإن معرفة دوافع السلوك الإجرامى تساعد فى وضع البرامج العلاجية وبرامج إعادة التأهيل للمجرمين. والتراث العلمى الحديث حافل بالمحاولات التى سعت لتفسير الجريمة من ذلك اسنادها إلى العوامل الوراثية التى يولد الفرد مزوداً بها أو إلى العوامل البيئية وما يمر به الإنسان من خبرات وتجارب مثل خبرات الفشل والاحباط والحرمان والقسوة والظلم والتعذيب أو الترف الزائد والتدليل وترك الحبل على الغارب أو انعدام الرعاية والإشراف الوالدى أو تأثير اقران السوء وزملاء الشر (١).

مفهوم البيئة والوراثة:

يتراوح التراث العلمى والأدبى والتشريعى فى قضية تفسير الجريمة ما بين القول بالعوامل الوراثية والقول بالأسباب البيئية أو القول بهما معاً. فالوراثة أو عملية التوريث عملية بيولوجية حيوية نظامية تنتقل من خلالها الخصائص أو السمات أو القدرات أو الاستعدادات من الأصول إلى الفروع. ويتم هذا الإنتقال من الأباء إلى الأبناء عن طريق المورثات أو حوامل الصفات Genes طبقاً لقوانين ثابتة وضعها عالم الوراثة الشهير «مندل» والأمر الحديث فى هذا الشأن أن الوراثة قد تكون فسيولوجية أو فيزيقية أو جسمية، وقد تكون نفسية سيكولوجية. وقد تكون هذه الخصائص وتلك الاستعدادات المنقولة وراثياً صالحة جيدة وطيبة أو

مرضية كميرات العجز الوراثى أو الضعف الوراثى Hereditary deficiency. أو المرض الوراثى Hereditary desease.

وهناك بعض القوانين التى تقضى بضرورة فحص الأفراد المقبلين على الزواج وراثياً للحد من احتمالية انتقال الأمراض بالوراثة إلى الذرية. ومع الاعتراف بأن جميع الخصائص تخضع لتأثير كل من البيئة والوراثة إلا أنه يمكن ملاحظة بعض الخصائص التى تكون الغلبة فيها لما يرثه الإنسان، من ذلك الذكاء وطول القامة وبنيان الجسم ولون العينين وشكل الشعر ولون البشرة. مع ملاحظة أن الوراثة لا تنتقل من الآباء والأمهات وحدهم، ولكن من الأجداد والأسلاف أيضاً (٢).

أما البيئة فهى كل ما يحيط بنا من الموضوعات والأشياء والمواقع والأحداث والناس، وتشمل كل ما هو خارج عن الإنسان. ويمكن تمييز شقين من البيئة هما البيئة الجغرافية أو المادية أو الفيزيقية Physical invironment. وتشمل الموقع والسطح والتضاريس والطقس والمناخ وما يوجد من مظاهر عمرانية كالمبانى والمصانع وسهول ووديان وجبال وهضاب وما إلى ذلك. أما الشق الثانى من البيئة فهو البيئة الاجتماعية Social invironment. وتشمل جميع الجماعات البشرية human groups التى ينخرط ويتفاعل واياها الإنسان واخصها جماعة الأسرة، وأبناء الجيرة، وجماعة المدرسة والنادى ورفقاء العمل واقران العمر وتشمل كذلك المؤسسات الاجتماعية التى تؤثر فى تكوين الإنسان وأخصها المسجد والجامعة وأجهزة الإعلام والثقافة الجماهيرية. وتشمل كذلك العادات والتقاليد والقيم والمثل والمعايير والأعراف والقواعد والنظم والقوانين واللغة والدين والأخلاق، وكل عناصر الثقافة التى يعيش الإنسان ويتربى ويترعرع فى كنفها Culture. وفى الوقت الراهن أضف إلى المؤثرات البيئية عامل جديد له خطورته على صحة الإنسان وعلى حياته وحياة كافة الكائنات على كوكبنا هذا ألا وهو التلوث Pollution ومنه تلوث الهواء air Pollution وتلوث المياه Water Pollution وتلوث الضوضاء أو الضجيج Noise pollution. ومن عناصر التلوث

الدخان Smok والغبار والأتربة والإشعاعات والزغب والرزاز والروائح الكريهة والسامة وعناصر الصرف الآدمي والصرف الزراعي ومخلفات المصانع والصرف الصناعي والقمامة أو النفايات والتلوث بانتشار الحشرات والقوارض والديدان والجراثيم وثاني أكسيد الكربون والرصاص والحيوانات الضارة وجثث الحيوانات النافقة. ومن أخطر الجهات التي تتعرض للتلوث بيئات العمل كالمصانع والشركات.

هذه مجمل عناصر الوراثة والبيئة، أما عن العلاقة القائمة بينهما في ضوء التصور العلمي الراهن فهي علاقة تفاعل.

التفاعل بين عناصر البيئة والوراثة :

لايمكن إنكار قيام علاقة التفاعل بين عناصر البيئة وعناصر الوراثة Interaction. فالوراثة تعطي المواد الخام أو الأصول أو الأسس الأولى التي تشكلها وتصقلها وتهذبها وتنميها أو تطمسها البيئة. والوراثة تقدم الجذور الأولى أو البذور الأولى التي تبنى عليها شخصية الإنسان فيما بعد. وجميع العناصر الوراثية يمكن أن تتأثر بالمؤثرات البيئية، حتى «الذكاء» فعلى الرغم من كونه قدرة فطرية وراثية إلا أنه يخضع لتأثير البيئة، من ذلك أن الأمراض الطويلة والمزمنة والخطيرة تؤثر فيه. كأمراض الأنيماء وفقر الدم أو الأورام الدماغية. وكذلك الإصابة بحوادث الرأس والتسمم بالرصاص. كذلك فإنه قدينمو ويتحسن بتحسن ظروف التغذية، والتربية، وتوفير الطعوم والتحصينات الطبية للأطفال. إلى جانب التأثير في كم الذكاء بيئياً، يمكن التأثير فيه كيفياً، فالبيئة هي التي تحدد المسار الذي يسير فيه الذكاء، فإما إلى الخير والنفع والتفوق في العلوم والفنون والآداب أو الإنحراف في تيار الجريمة والجنوح والإنحراف والشرور. فالبيئة هي التي ترشد استعمال ما لدينا من ذكاء وتعمل على توظيفه أو استخدامه أو استعماله واستثماره الاستثمار الأمثل في طريق الخير والنفع العام. ومن هنا كانت فائدة الإرشاد والوعظ. وإلى جانب

العوامل الوراثية والبيئية آنفة الذكر فإن العلماء يميزون مجموعة ثالثة من العوامل السببية التى تؤثر فى سلوك الإنسان وفى نموه وفى تكوينه وفى اتجاهاته وهى العوامل الميلادية Congenital factors وهى تلك العوامل التى تؤثر فى الطفل فى مرحلة الحمل والولادة، من ذلك الولادة المتعثرة أو القيصرية أو تعرض دماغ الطفل للصدمات الولادية أو الآثار الضارة عليه من جراء إصابة الأم الحامل ببعض الأمراض كالحصبة الألمانية أو تعرضها للإشعاع أو التلوث أو تعاطى الأدوية فى فترة الحمل دون إذن الطبيب أو إدمان الأم الخمور والمخدرات أو التدخين الكثيف، أو ممارسة الرياضات العنيفة أو حتى تعرض الأم الحامل للإنفعالات القاسية والمؤلمة، كل هذا يؤثر فى تكوين الإنسان .. العوامل الميلادية هذه أى الموجودة عند الولادة قد تكون وراثية وقد تكون مكتسبة.

الضبط التجريبى Experimental control :

كيف يحدد العلماء فى الإنسان ماهو للوراثة وماهو للبيئة أو كيف يحددون تأثير الوراثة وتأثير البيئة فى سلوك الإنسان وقدراته وخصائصه، وذلك بالمنهج العلمى التجريبى الحديث ؟

لتحديد تأثير البيئة يتم ضبط تأثير عوامل الوراثة، بمعنى أن تكون الوراثة واحدة، ويتوفر ذلك فى التوائم العينية identical twins . وهى التوائم التى تتكون من إنشطار بويضة واحدة مخصبة فى رحم الأم لتكون منها إخوان متشابهان فى كافة الصفات الوراثية ومن ذلك توحيد الجنس (٣) . ثم يوضع أحد الأخوين فى بيئة غنية وثرية علمياً وثقافياً وتربوياً وغذائياً، بينما يوضع أخوه فى بيئة فقيرة فى كل هذه العناصر، وبعد مضى فترة من الزمان، يقاس ذكاء وقدرات كل منهما، فإذا وجدت فروق ظاهرة، كان معنى ذلك تأثير الظروف البيئية، وبذلك يمكن تقرير تأثير البيئة. ذلك لأن نقطة البداية الوراثية كانت واحدة لديهما..

ولمعرفة تأثير الوراثة يقوم العلماء بتوحيد الظروف البيئية لجميع الأطفال.

وتتوفر حالة المساواة هذه فى المعاملة والتغذية والتربيية فى الملاجئ ودور الأيتام ودور الإيواء وحتى المدارس الداخلية حتى يخضع جميع الأبناء لمعاملة واحدة. ثم يقاس ذكاؤهم فإن وجدت فروق دالة إحصائياً كان معنى ذلك تأثير العوامل الوراثية ذلك لأن البيئة واحدة بالنسبة لجميع أطفال الملجأ.

ويستدل من وجود التشابه بين ذكاء الآباء والأبناء على تأثير عامل الوراثة، وكلما قربت درجة القرابة كلما زادت درجة التشابه فى الذكاء. ولذلك إذا لوحظ الإجرام فى أسر معينة على إمتداد أجيال متعاقبة، كان ذلك دليلاً على تأثير الوراثة كما حدث ذلك فى دراسة أسرة الجوكس.

فالبيئة هى «الحضانة» التى نتربى ونترعرع فيها وهى «الرحم» الذى نعيش فيه أو البوتقة التى تنصهر فيها الإستعدادات الوراثية. ولذلك فالبيئة هى ميراثنا المشترك جميعاً. ففيها نعيش ومن هوائها نستنشق ومن مياهها نشرب ومن زرعها نأكل نحن وبقية الكائنات الأخرى.. ومن هنا كانت الدعوة الحديثة للحفاظ على البيئة. ونضيف ليست البيئة المادية أو الجغرافية وحسب وإنما البيئة الاجتماعية والعمل على تحسينها وتطهيرها من الرجس والشرور والشوائب والدنس والفسق والفساد والضلال والظلم والإنحراف والقسوة والحرمان والفوضى والتسيب. نحن أبناء البيئة وهى الأم الحنون التى ترعانا جميعاً فقيرنا وغنينا.

المجرم المولود:

يعتبر سيزار لومبروزو من مؤسسى المدرسة الإيطالية الوضعية فى تفسير السلوك الإجرامى The Italian Positive School. فلقد أهتم بدراسة السجناء، وكذلك أفراد الجيش الإيطالى. ولقد أتت نظريته معارضة لنظرية بيكاريا Beccaria. ولقد أراد أن يؤسس نظريته على معطيات أو حقائق ومعلومات موضوعية وتجريبية جديدة. واعتقد لومبروزو أن المجرم يولد مجرماً ويأتى مزوداً بمجموعة من الصفات الفيزيقية أى الجسمية، أطلق عليها وصمة عار Stigmata† أو انحطاط أو انحلال

أو علامات أو خواص مميزة كوجود ندبات أو آثار للجروح أو علامات فى الجسم. وتشير إلى التشوه أو إتصاف الفرد «بوصمة اجتماعية بغيضة أو كريهة». وكان يهتم بالمجرم العائد أو المرتد للجريمة. وكان يرى أن المجرم شخص منتكس فى سلم التطور أى أنه عاد إلى صفات الأسلاف القدامى. لقد إرتد المجرم، فى نظره، إلى المراحل البدائية السابقة من حياة البشر.. وعلى ذلك يمكن القول أنه قرر الحقائق الآتية:

١ – أن المجرمين يمثلون طرازا مميزاً عند الميلاد.

٢ – ويمكن تمييزهم عن طريق بعض العلامات الرجعية من ذلك طول الفك السفلى Long Lower Jaw وذقن قليلة الشعر Scanty Beard مع قلة الإحساس بالألم. وتدل الملاحظة الفعلية على إنخفاض الإحساس بالألم عند بعض الناس.

٣ – أن هذه الصفات المنحطة لا تخلق الجريمة، ولكن تساعد على إكتشاف الأنماط الإجرامية فهى ليست أسباباً فى ذاتها.

٤ – لا يمكن قمع أو كف أو كبح جماح المجرمين المولودين عن السلوك الإجرامى إلا من خلال التدخل الاجتماعى القاسى أو الشديد أو الصارم والحازم (٤).

والحقيقة أن لومبروزو تراجع عن نظريته الأولى، وأدرك أثر الثقافة فى السلوك الإجرامى، ولذلك أوجد نصيباً للعوامل الاجتماعية فى تحليل النزعة الإجرامية Criminality بعد أن كان يعزوها كلية إلى السمات الفيزيقية والتى ترتد بدورها إلى الوراثة (٥).

وعلى الرغم مما يوجد من أخطاء فى نظريته الأولى، إلا أن له الفضل فى تحويل دراسة الإجرام من التصورات الفلسفية والتشريعية إلى البحث التجريبى أو الميدانى Empirical research وليس ذلك بغريب بوصفه طبيباً ثم أستاذاً جامعياً.

ومن أشهر علماء علم الإجرام لومبروزو Cesare Lombroso (١٨٣٥ - ١٩٠٩) وهو إيطالى. وضع نظرية فـمـا أسـمـاه «المجـرم المولود» The Born Criminal وفى هذا المجال، وضع كتابه المسمى بالرجل الجانح عام (١٨٧٦م)، ولقد كان طبيباً وجراحاً، مارس الطب لفترة من الزمن، ثم عين استاذاً للطب الشرعى، ثم أستاذاً للطب النفسى، وأخيراً استاذاً للانثروبولوجيا الجنائية. ولقد تأثر بكثير جداً من العلماء والفلاسفة الذين سبقوه من أمثال تشارلز دارون الإنجليزى. ويرجع الفضل إلى مساعده «اريكوفيرى» الذى اقترح عليه مصطلح «المجرم بالولادة» أى المجرم الذى يرتكب الجريمة مدفوعاً بدوافعه الطبيعية أى غير مدفوع بظروف اجتماعية أو قهرية من خارجه، وهو أيضاً المجرم المعاود Ativistic Criminal وهو المجرم الذى يعود ويكرر الجريمة بصرف النظر عما يلقاه من عقاب. وكان يرى أن الإجرام ظاهرة بيولوجية انتكاسية، أى أن الجريمة رجعة إلى الوراء وإلى الحياة البدائية. ولذلك أسند لومبروزو صفات الرجل البدائى للمجرم بمعنى الرجل البعيد عن حياة الحضارة والتقدم والتحضر والثقافة.

لقد صنف لومبروزو المجرمين ووضعهم فى عدة أنماط، أكثرها خطورة هو المجرم بالولادة، ويمثل نسبة كبيرة من بين المجرمين، ثم هناك نمط المجرم بالإعتياد Habitual Criminal وهو الذى يأتى الجريمة بالصدفة أو يجبر عليها، ثم يستمر على إتيانها لتصبح عادة فيه. ثم هناك المجرم الإنفعالى، وهو الذى يرتكب الجريمة فى لحظة انفعالية، حيث يدفعه إنفعال الغضب إلى إرتكاب الجريمة.

ولقد لاقى كتابه نقداً شديداً جداً نظراً لاهتمامه بالمجرم المعاود، ولذلك فى الطبعات التالية للكتاب عدل نسبياً من نظريته الأولى، وقال أن هناك بعض المجرمين الذين قد لا تنطبق عليهم سمات المجرم الأول، أى سمات «الشخص البدائى» وقال أن الإتيان بالجريمة قد يكون راجعاً لحالة النكسة أو التنكس أى العودة القهقرى أخلاقياً. وكان يرى أن الجريمة لا تتناسب مع الإنسان المتحضر.

وقـال أن البله الأخـلاقى أو العتـه الأخـلاقى Moral imbecility والجنـون الإجـرامى والجنون الصـرعى من مظاهر هذه النكسة. وكـان يرى أن الهستيريا وكذلك تعاطى الخمور ترتدان بالإنسـان إلى السلوك البدائى ومن ثم إلى الجريمة وإلى الحياة البدائية.

ومن وجوه التحلل من قيود النظرة الوراثية قوله بما سماه المجرم شبيه المجرم بالولادة Criminaloid وهو يمارس الجريمة، مثله مثل المجرم بالولادة، ولكنه لا يكررها مثله، وليست له دوافع ذاتية تدفعه لإرتكاب الجريمة، وإنما يأتى بالجريمة مدفوعاً من خارجه أى بتأثير الظروف الخارجية.

ومن قبيل التراجع أيضاً عن «نظرية المجرم بالولادة» فى آخر طبعات كتابه، قلل من نسبة هذا النمط بين المجرمين وجعلها تمثل فقط ٤٠ ٪ من مجموعهم. وفى كتابه الجريمة: أسبابها وطرق علاجها خفضها إلى ٣٣ ٪، وبذلك يكون قد رد الجريمة جزئياً، إلى الظروف الاجتماعية. وقال أن تزاوج المجرمين يجعلهم ينجبون أطفالاً لديهم نزعة إجرامية وراثية شاذة، ومعنى ذلك أن الجريمة تنتقل مع الأجيال، ومعنى ذلك أن المجتمع حين يسمح لهؤلاء بالتزاوج، فإنه يسهم فى تزويد المجتمع بالمجرمين مع تعاقب الأجيال. وكان يرى أن عقوبة الإعدام عادلة للمجرم المعاود، ولكنها ليست عادلة لغيره من المجرمين الذين يكتفى بعقابهم بالسجن.

ولقد شجعت آراء لومبروزو العلماء على بحث الجريمة والعقاب على أسس ومعطيات علمية بعد أن كانت البحوث تدور فى اطار التشريع العقابى فقط. ولقد تناول لومبروزو الظاهرة الإجرامية بعد ذلك بكثير من التوسع فنشر كتابه فى الإجرام النسائى أو فى جرائم المرأة بعنوان «المرأة الجانحة والبغى والمرأة السوية عام ١٨٩٣ بالإشتراك مع بعض العلماء» (٦).

المدرسة المعرفية الكلاسيكية فى تفسير الإجرام:

ومن أشهر زعمائها شيزار بيكاريا (١٨١٩م) حيث كان يرى أن اللذة والألم هما مصدر أفعال الإنسان، وأن الجريمة ضرر يلحق بالمجتمع. ويجب أن يعاقب المجرم عقاباً يوازى حجم الجرم الذى وقع منه، فالجريمة ضد الممتلكات عقوبتها السجن فقط وليس الإعدام.

وفى عام (١٨٧٤م) نادى طبيب الأمراض العقلية الإيطالى جاسبير فيرجيلو Gaspare Virgilio بما يعرف بإسم «الطبيعة المرضية للجريمة»، ووضح وجه الشبه بينها وبين الجنون. على أن الاجرام لم تبدأ دراسته العلمية بالمغنى الصحيح إلا عام ١٨٧١م عن طريق المحاولة التى قام بها الطبيب الإيطالى شيزار لومبروزو Cesare Lomproo (١٨٣٥ - ١٩٠٩م) والذى يعد مؤسس علم الإجرام وعلم النفس الجنائى، وكان يؤمن «بوراثة الإجرام» وتعرف نظريته فى تفسير الإجرام باسم النظرية الوضعية. ولقد كان لومبروزو استاذاً للطب الشرعى والعصبى بجامعة بافيا Pavia، وكان أيضاً طبيباً بالجيش الإيطالى كما عمل بالسجون. ولقد أتاحت له خدمته فى الجيش ملاحظة بعض مميزات الجنود الأشرار، والتى لم تكن متوفرة فى الجنود الأخيار. ومنها وشمات ورسوم قبيحة كانوا يحدثونها على أجسامهم، واتضح له من خلال تشريح جثث كثير من المجرمين، وجود عيوب فى تكوينهم الجثمانى. كما قام بفحص جماجمهم، فلاحظ أن فى هذه الجماجم شذوذاً وفى الأسنان، وفى القدرة على إحتمال الألم، وفى حجم الجبهة وشكلها. وتصادف أنه قام بتشريح جثة شقى من قطاع الطرق يدعى Villela من جنوب إيطاليا، فشاهد فى مؤخرة جبهته فراغاً مجوفاً شبيهاً بذلك الذى يوجد فى «القرود». مما إنتهى به إلى القول بأن المجرم «وحش بدائي» تتجلى فيه بطريق الوراثة، خصائص ترجع إلى ما قبل التاريخ الإنسانى ولذلك إعتبر «المجرم وحشاً» (٨).

ولقد أهتمت مدرسة لومبروزو الإيطالية فى تفسير الجريمة بدراسة المجرمين من الناحية «التشريحية والعضوية». وقرر لومبروزو بأن المجرم الحقيقى هو المجرم بالفطرة أى بالوراثة، بمعنى أنه مجرم بطبيعته بناء على وراثته. وهناك خصائص بيولوجية أى حيوية فى الإنسان المجرم هى التى تدفعه للجريمة (٩).

وتمثل أعمال لومبروزو بداية البحث العلمى فى الأصول أو الأسس أو الأسباب النفسية للجريمة. وما زالت هذه القضية ذات أهمية كبيرة. كذلك دعا إلى أن يكون علاج المجرم عن طريق فهم سيكولوجيته أى حالته النفسية. وعلى ذلك «فطبيعة المجرم» هى التى يجب أن توضع فى الإعتبار «لا طبيعة الجريمة» التى اقترفها. وأهتم لومبروزو بدراسة السببية أو العلية فى السلوك الإجرامى، ولكنه كان يرى أن الجريمة ظاهرة طبيعية شأنها فى ذلك شأن الحياة أو ظاهرة الحمل والولادة والوفاة. فى حين أن الملاحظة تدل على إمكان الوقاية منها وتقليل إنتشارها. وهو وإن كان قد قال بعدة أنماط من المجرمين، إلا أن النمط الغالب فى تصوره كان «المجرم بالولادة أو المجرم المولود» أى الذى تحدده العوامل الجسمية الوراثية. وإن كان قد توسع فى مفهوم الوراثة، فهى عنده لا تقتصر على نقل الخصائص الجسمية كبنيان الجسم أو طول القامة أو شكل الشعر أو لون العينين، وإنما تشمل عنده أيضاً «الخصائص النفسية السيكولوجية» وبذلك لم تكن نظرية لومبروزو وراثية صرفة أو جسمية أو فيزيقية صرفة بالمعنى العلمى الحديث.

ومن الصفات النفسية التى رآها وراثية الكسل وعدم الشعور بالعار أو الشرف أو الندم أو الشفقة، والاستهتار وسرعة الاستثارة والميل للمقامرة ومعاقرة الخمر والغرور (١٠).

وأخيراً تناول لومبروزو بالبحث حالة مجرم إشتهر بإرتكاب جرائم العنف والدم وهو الجندى Misdea وإنتهى من هذه الدراسة إلى القول بأن الجريمة ترجع إلى

التشجنات العصبية التى تدفع صاحبها إلى العنف.

وهكذا تطورت نظرة لومبروزو للجريمة من فكرة «الوحش البدائى» إلى الجنون والنفسانى إلى التشنج العصبى.

وأمام حملات النقد الشديدة التى تعرضت لها آرائه، حاول التخفيف من وطأة الفكر الوراثى ومن الخصائص العضوية المسببة للجريمة، فاهتم بالظروف الاجتماعية. ولذلك قال فى آخر كتبه وهو كتاب «الجريمة» أن لكل جريمة أسباباً عدة. ولما كانت هذه الأسباب(١١) تختلط ببعضها، فيجب ألايؤخذ أى سبب منها على إنفراد.

ولقد كان لومبروزدو يربط بين مرض الصرع Epilepsy وهو مرض عضوى عصبى، وبين الجريمة، ولذلك يقال أن هناك المجرم «المصروع».

ومن تراكم العوامل الطبيعية الجغرافية والسكانية والاجتماعية تنشأ الجريمة. ولقد إستمد منها «فيرى» Feri ما أسماه «بقانون الكثافة الجنائى» ومؤداه أن إقتران عوامل انثروبولوجية وظروف اجتماعية معينة وعوامل طبيعية ينتج عدداً معيناً من الجرائم. ولقد كان من جراء شيوع هذه النظرية أن إتجهت الأنظار إلى أن الوظيفة الأساسية للعقوبة أنها وسيلة من وسائل «الدفاع الاجتماعى» وليست وسيلة للتنكيل بالمجرم أو القصاص منه (١٢).

ولقد أخذ على لومبروزو قوله بأن المجرم إنسان «يولد مجرماً» وهو افتراض خطير يشل أو يغل يد الجماعة أو المجتمع على الإصلاح والتوجيه والإرشاد، نظراً لصعوبة التدخل فى تغيير العوامل الوراثية. وإنتهى إلى القول بأن المدنية لم تنقص من حجم الجريمة. وإنما غيرت من أنماطها فقط.

اصلاحات بيكاريا للنظام العقابى وتفسيره للسلوك الإجرامى:

من علماء علم الإجرام المشاهير الذين تركوا بصمات قوية فى مجال تفسير الجريمة والسياسة العقابية بيكاريا Beccaria وهو «سيزارى توزنيانا، مركيز دى بيكاريا (١٧٩٤ - ١٨٣٨م) من رواد علم النفس العقابى. فلقد وضع كتابه عام (١٧٦٤م) بعنوان «مقال فى الجرائم والعقوبات». "An Essay on Crimes and Punishments".

وكان له تأثيراً كبيراً فى تطوير النظم العقابية تلك التى بناها على أسس نفسية. ولقد ترجم كتابه عن الفرنسية إلى عدة لغات أخرى وتأثر به كثير من العلماء. وهو إيطالى المولد. وظهر فى وقت كانت فيه الحاجة ماسة إلى إصلاح النظم العقابية وكانت العقوبات تميل إلى الشدة والتغليظ بما يفوق حجم الجرم وكانت أوروبا تعرف بالمحاكمات غير العادلة، وفى إصدار الأحكام بالإعدام بصورة مملوءة بالقسوة والعنف كالإعدام بالبلطة وبالخازوق وبالحرق. وتعتمد الفلسفة العقابية عنده على مبدأ اللذة والألم. فالسلوك يستمر إذا إستمرت اللذة من ورائه. والإنسان يتحاشى السلوك الذى يجلب له الألم. وكان يرى أن التشريع الجيد هو الذى يرضى أكبر عدد من الناس بمعنى التشريع الذى يجلب اللذة والسعادة. والمحك فى الجرائم هو مقدار الضرر الناجم عنها. والجريمة شر وألم، ولذلك ينبغى أن يتحقق التناسب بين الجريمة والعقاب، فليس الهدف هو الإنتقام الاجتماعى من المجرم، وإنما الوقاية من الجريمة. وكان ينادى بانزال قدر من العقاب على المجرم يفوق قليلاً ما تحصل عليه من اللذة من وراء الجريمة. وإذا زاد الألم زيادة كبيرة كان ذلك ظلماً اجتماعياً وشراً أخلاقياً، وأذى نفسياً، وكان ينادى بسهولة التشريع العقابى حتى يفهمه الكافة، وأن يطبق العقاب فور إرتكاب الجريمة. وكان ينادى بأن يكون التشريع العقابى لجميع الناس وليس لحالة خاصة(١٣).

وتحقيق التوازن بين مقدار ما يحصله المجرم من لذة وما ينزل به من عقاب

فكرة جيدة تساعد على كف السلوك الإجرامى والتوقف عن ممارسته. ويشبه هذا المبدأ مبدأ التعزيز السلبى أى انزال الأذى أو العقاب أو الحرمان من المزايا أثر إرتكاب الفرد سلوكاً غير مرغوب فيه[١٤]. وهو مبدأ تربوى هادف، ذلك لأن هناك أناساً يختلسون مئات الملايين ويضعونها فى البنوك فى الداخل أو الخارج ولا ينالون من العقاب سوى عدة سنوات من السجن يخرجون بعد هذا لثروتهم الطائلة.

نقد نظرية لومبروزو

لم تكن نظرية لومبروزو الأولى فى تفسير الجريمة بمأمن عن النقد. فلقد أخذ عليها إنكارها التام لأهمية عامل البيئة فى خلق المجرمين، فضلاً عن جهل لومبروزو بقوانين الوراثة وقصور الاحصاءات التى اعتمد عليها فى استخلاص ما توصل إليه من نتائج. ولقد مهدت هذه الانتقادات السبيل أمام ظهور المدرسة الإيطالية الجديدة فى علم الإجرام بزعامة أحد تلاميذ لومبروزو وهو انريكو فيرى Enrico Ferrni حيث حاول إبراز أهمية عامل البيئة فى خلق الجريمة. فذهب فى كتابه علم الاجتماع الجنائى (١٨٨٤م) إلى القول بأن الجريمة خلاصة تفاعل ثلاث من العوامل هى:

١ - العوامل الطبيعية والجغرافية كالجنس والمناخ والموقع الجغرافى.

٢ - العوامل الانثروبولوجية وهى السن والنوع والخصائص العضوية.

٣ - العوامل الاجتماعية وتشمل كثافة السكان والعادات والتقاليد والتنظيم السياسى والظروف الاقتصادية.

وتدل الملاحظة على أن الجريمة لا ترتبط بالحياة البدائية فقط بل تدل على إرتكاب أفظع الجرائم وأكثرها وحشية على أيدى إناس ينظر إليهم على أنهم متحضرون بالمفهوم الغربى للحضارة كما حدث فى مجازر التصفيات العرقية فى

البوسنة والهرسك حيث قتل آلاف المسلمين هناك على يد الرجل الأبيض. والحضارة أو الحياة الحضرية لا تمنع من الإصابة بالشذوذ أو الخلل الذى إنتهى بصاحبه بإرتكاب جريمة القتل. ففى أوساط المتحضرين نلاحظ قتل الأزواج والزوجات والآباء والأمهات والأبناء وكافة درجات القرابة.

بل إن المدنية الغربية زودت الإنسان بوسائل القتل الجماعى أو التدمير الجماعى وحصد أرواح البشر حصداً من خلال الحروب النووية والجرثومية والكيميائية والقنابل العنقودية والانشطارية وما إلى ذلك.

الخلاصة

إن مبحث أسباب الجريمة فى الوقت الراهن يأخذ فى الحسبان الظروف الأسرية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والجغرافية والسكانية فى الحسبان عند تحديد أسباب الجريمة. وكذلك يأخذ فى الحسبان العوامل والأسباب والموثرات الوراثية. فالنظرة للجريمة أصبحت «**نظرة شمولية**» متعددة الأبعاد، تأخذ فى الحسبان العوامل الميلادية أى ظروف الحمل والولادة، ذلك لأن رحم الأم هو بيئة تؤثر فى الطفل كما تؤثر على صحة الأم الحامل.

النظرة الحديثة تنظر للإنسان على أنه «ابن البيئة والوراثية معاً» أو هو محصلة التفاعل والإحتكاك والأخذ والعطاء والتأثير المتبادل بين عناصر البيئة وعوامل الوراثة. فلا يمكن انكار أثر الوراثة، ولذلك تسعى المجتمعات لعلاج الامراض الوراثية التى يمكن أن تنتقل من الآباء والأجداد إلى الذرية، ومع ذلك يهتم علماء الإجرام وعلماء النفس والتربية بالتركيز على العوامل البيئية ذلك لأننا نقف أمام المؤثرات الوراثية مكتوفى الأيدى لا نستطيع تعديل الوراثة إلا بقدر محدود جداً حتى فى ضوء علم الهندسة الوراثية الحديث. ولذلك يتم التركيز على عوامل البيئة لأنها هى التى يمكن أن نسيطر عليها ونتحكم فيها ونسعى

لتعديلها وتحسينها وجعلها إيجابية وفعالة فى حياة الإنسان. ونستطيع أن نغير البيئة الفاسدة إلى بيئة صالحة وأن ننقى البيئة من الشوائب ومظاهر الإفساد ونبقى ونشجع وننمى العوامل الصالحة فيها. ومن هنا كانت ضرورة الأهتمام بدراسة البيئة الإجرامية بغية تعديلها وتحسينها وتطهيرها من عناصر الشر والفساد (١٥).

ولذلك إتجهت المجتمعات العربية إلى الأهتمام بتطوير المناطق والأحياء العشوائية المحرومة من الخدمات الأمنية والاجتماعية والاهتمام بالمناطق متدنية المستوى الاقتصدى والثقافى والتعليمى وفى نفس الوقت دراسة شخصة المجرم والعمل على إعادة تأهيله وتدريبه.

المراجع

١ - عبد الرحمن العيسوى، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار الفكر الجامعى، الإسكندرية، ١٩٨٦.

٢ - عبد الرحمن العيسوى، مبحث الجريمة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٢، ص ٣٨.

(3) English, H. B., and English, A. C.. A comprehensive Dictionary p. 566, Longman, London, 1958.

(4) Haskell, M. R. and Yoblonsky, L., Crime and Delinquency, Rand, M. Nally and Co. Chicago, 1971, p. 368.

(٥) عبد الرحمن العيسوى، مبحث الجريمة ص ٦٠.

(٦) عبد المنعم الحفنى، موسوعة أعلام علم النفس، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٣١٩.

(٧) سعد جلال، أسس علم النفس الجنائى، دار المطبوعات الجديدة، القاهرة ١٩٨٤، ص ٢٠٦.

(٨) رمسيس بنهام، علم الإجرام، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٨٦، ص ٤٢.

(٩) عمر السعيد رمضان، دروس فى علم الإجرام، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٧٢، ص ١٦.

(١٠) سعد جلال، مرجعه السابق، ص ٢٠٧.

(١١) حسن صادق المرصفاوى، الإجرام والعقاب فى مصر، منشأة المعارف بالإسكندرية بدون تاريخ ص ٣٨.

(١٢) عمر السعيد رمضان، مرجعه السابق، ص ١٧.

(١٣) عبد المنعم المدبولي، مرجعه السابق ص ٩٠.

(١٤) عبد الرحمن العيسوى، علم النفس فى المجال التربوى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦.

(١٥) لقد استفاد الكاتب من العديد من المراجع القيمة فى موضوع الإجرام والجريمة والعقاب والتأهيل والإصلاح، من ذلك مؤلفات الأساتذة الأفاضل:

د. أحمد زكى بدوى، ود. أحمد عزت راجح، وأنور العمروسى، وحسن شحاته سعفان وحسن الصادق المرصفاوى ورمسيس بنهام وسمير نعيم وعبد الرحيم صدقى وعبد الفتاح الصيفى وعوض محمد ومأمون سلامة ومحمد زكى أبو عامر ومحمد عارف ومحمد فتحى.

العوامل الاجتماعية والنفسية فى الجريمة وللجنوح

رغم إرتفاع مستويات المعيشة فى كثير من المجتمعات، ولكن معدلات الجريمة تتزايد، بل إن الجريمة تغير من أنماطها وأشكالها وتتخذ أشكالاً أكثر قوة وشدة.

السمات الاجتماعية للمجرم:

فما هى السمات الإجتماعية والنفسية للمجرمين؟ وما هى ظروف أسرهم؟ وأماكن إقامتهم؟ يتم تحديد هذه السمات وتلك الخصائص عن طريق مقارنة مرتكبى الجرائم بغيرهم من أبناء المجتمع. وتدل بعض الدراسات على وجود نسبة أكبر بين المجرمين من بين الأميين Illiteracy فى وسط الجماعات الإجرامية، ونسبة أكبر من حالات الطلاق Divorce بين الآباء كذلك دلت دراسات كثيرة على إرتباط(١) الجريمة بالبيوت المحطمة Groken homes وكذلك وجد أن نسبة المجرمين تزيد بين أرباب العصاب النفسى Nerrotics أى المرض النفسى كالقلق والإكتئاب والهستيريا والوسواس القهرى(٢) والفوبيا وتوهم المرض والسيكوباتيين Psychopthics وهم فئة من قليلى الشعور الخلقى.

وتكشف المقارنات التى عقدت بين أطفال المدارس الأسوياء وبين الأطفال الأحداث الجانحين عن وجود نسبة قليلة من بين طلاب المدارس لا تتجاوز (٢,٦ ٪) من المجموع يمكن وصفهم بالسيكوباتية، بينما بلغت هذه النسبة (١٣,٢ ٪) بين الأحداث الجانحين(٣) Juvenile delinquency كذلك وجدت نسبة أكبر بين الذكور الجانحين من الأطفال ممن يعانون من الإكتئاب Depression وغيره من الأعراض الشاذة والمرضية.

الأبعاد النفسية فى الجريمة والجنوح:

ويجعلنا هذا نتساءل عن الجوانب النفسية والعقلية للجنوح، ويساعد فى فهم

خصائص شخصية الجانح عقد المقارنات بين الأسوياء وبين الأطفال الذين يحالون للعلاج فى مراكز الإرشاد والعلاج النفسى. ويسعى العلماء فى تحديد العوامل الوراثية والبيئية المسئولة عن الجنوح، وبمعنى أدق العوامل الاقتصادية والاجتماعية. ولقد دلت احدى الدراسات عن وجود (٥٩١) من الأطفال الجانحين كانوا مصابين ببعض الاضطرابات الإنفعالية Emotional disturbances من ذلك الشعور بعدم الأمان Insecurity فى العلاقات العاطفية والشعور بالتهديد، واضطرابات نفسية متعلقة بنظام الأسرة فى تأديب الطفل وشعور قوى بالنقص Inferiority والشعور بالغيرة والمنافسة Jealousy and rivolry والصراعات النفسية الداخلية القوية، والشعور بالذنب على المستوى اللا شعورى والحاجة إلى العقاب حين يرغب الإنسان فى عقاب ذاته. أما المجموعة السوية الضابطة فلم تظهر مثل هذه الإضطرابات إلا فى (١٣) من مجموعهم، والذين اظهروا الشعور بالضغط الداخلى.

وهناك من يصف المجرمين العصابيين أى المصابين بالعصاب النفسى أى المرض النفى Neuraotic type of criminals والتى يغلب على المخالفات التى يرتكبونها طابع القهر أو القسر أو الإندفاع Compulsive ويتم ارتكابها بينما يكون المجرم تحت تأثير قوى الضغوط الدوافع اللاشعورية Unconcious motives، مثل الشعور بالنقص، أو الصراع الداخلى، أو الشعور بالذنب غير معروف المصدر، فيلجأ المجرم لإرتكاب جريمة ما من أجل أن يتحول هذا الشعور بالذنب إليها A sense of guilt وفى هذه الحالة، فإن توقيع العقوبة على هذا المجرم لا يفيد فى علاجه، لأن هدفه هو تلقى العقاب، حيث لا يفهم المجرم الرابطة بين إجرامه والعقوبة. وبالطبع ليس كل المجرمين عصابيين، وإنما هناك أنماط متعددة من المجرمين منهم:

أنماط المجرمين:

١ – المجرم العصابى أى المصاب بالمرض النفسى.

٢ – المجرم المخمور أى مدمن الخمور.

٣ – المجرم ضعيف العقل أو المتخلف عقلياً.

٤ – المجرم المدمن للمخدرات.

٥ – المجرم الذى إرتكب جريمة تحت تأثير تعاطى مواد سامة.

٦ – المجرم السوى أو العادى أى الذى لا يعانى من اضطرابات عصابية من هؤلاء اللصوص وقطاع الطرق، والمجرم المحترف Professional Criminals مثل النشالين ولصوص المنازل.

٧ – المجرم الأصيل Genuine Criminal وهو الذى يمارس إجرامه دون وجود أى كاف أو مانع أو عائق نفسى.

٨ – المجرم الإنفعالى أو المنفعل وهو الذى يرتكب الجريمة وهو تحت تأثير مؤقت لحالة شديدة من الإنفعال Emotional Condition كالتعب(٥) أو الثورة والتهيج أو الحزن أو الشك والريبة. وفى الغالب ما يعفو عنه المجتمع.

وللتفسير التحليلى المستمد من مدرسة التحليل النفسى أهمية كبيرة، ذلك لأن معظم المجرمين فى حاجة إلى المعالجة النفسية أكثر من إنزال العقاب بهم ويلزم معرفة دوافعهم الحقيقية وراء الجريمة.

وجدير بالإشارة إلى أن العوامل الإجتماعية تحدد حجم الجرائم، وكذلك نوعيتها. من هذه العوامل الاجتماعية المنطقة أو الحى الذى يعيش فيه الحدث الجانح أو المجرم الكبير. بحيث أمكن وصف مناطق بأكملها بأنها مناطق جنوح Delinquency areas كما يقال عندنا الآن عن المناطق العشوائية. وفى مدينة مثل شيكاغو كانت هذه المناطق تقع فى وسط المدينة، حتى تصل إلى مناطق الضواحى. وكانت منطقة وسط المدينة هى أكثر المناطق كثافة فى حدوث الجريمة. ولكن فى مجتمعنا تتجمع هذه المناطق فى أطراف المدينة مما يعرف

بالعشوائيات. وتقل المعدلات حتى تصل إلى الضواحى. ولقد ظلت هذه العلاقة عبر سنوات عديدة رغم حدوث تغييرات كبيرة فى التركيب السكانى لهذه المدينة، من ذلك هجرة مجموعات كثيرة إليها من الأقطار الأوروبية ومن الزنوج والمكسيك. وظل معدل الجنوح كما هو. ولكن ما هو السبب فى حصول هذا؟

لقد فسرت هذه الظاهرة بالقول بأن الوضع الاقتصادى والاجتماعى، أكثر من طبيعة الناس، له تأثير قوى على معدلات الجنوح. ولكن فى مدن أخرى مثل نيويورك وجدت عدة مناطق للجنوح بدلاً من منطقة مركزية واحدة تقع فى مركز المدينة، ولكن تبين أن هناك علاقة قوية بين الجنوح ومعدلات كثافة السكان Density of Population وكذلك المستوى الاقتصادى. ولقد وجد سيرل بيرت فى لندن معامل إرتباط قدرة ٦٧،) بين الجنوح والفقر (٦). ففى وقت من الأوقات يرجع إلى عامى ١٨٨٣ - ١٨٨٩ كان هناك ٦٠٪ من مجموع المجتمع الإيطالى يصفون بالفقر. واسهمتْ هذه المجموعة الفقيرة بـ (٥٨٨) من مجموع المجرمين المدانين Convicts فى السجون الإيطالية فى تلك الفترة. وتؤكد كثير من الدراسات وجود علاقة أكيدة بين الوضع الاقتصادى والجريمة. ويتضح ذلك كذلك من حقيقة إرتفاع معدلات الجريمة فى أوقات الهبوط الاقتصادى Depression وانخفاضها فى أوقات الرخاء Prosperity فى نفس المجتمع.

وحتى فى الدراسة الأخلاقية الرائدة التى قام بها كل من ماى وهارتشورن Hartshorne and May حول أمانة الأطفال، وجد أن الخيانة Dishonesty تترابط مع إنخفاض أو هبوط المستوى الاقتصادى.

أثر الفقر والحرمان فى الجريمة وفى الأخلاق:

كذلك وجد أن معدلات الجريمة تزيد بين الجماعات المحرومة Underprivileged باعتبار أن الجريمة نوعاً من رد الفعل للإحباط Frustration، وكلما زاد حجم الحرمان، كلما زادت معدلات الجريمة الناجمة

عن الإحباط. والنظرية العامة فى علم النفس ترجع العدوان Aggression إلى الشعور بالفشل والإحباط، والجريمة أن هى إلا نمط من أنماط التعبير عن السلوك العدوانى. الجريمة عدوان ولا شك. وينطبق هذا أكثر ما ينطبق على الجرائم الاقتصادية Economic Crimes تلك التى تنجم عن العجز الاقتصادى نفسه أكثر من كونها رد فعل للإحباط. مثل جرائم السرقة.

حتى الفروق الملاحظة بين معدلات جرائم الرجال والنساء والتى توضح زيادة معدلات جرائم الرجال، يمكن إرجاعها إلى عوامل اجتماعية وتربوية أكثر من رجوعها إلى عوامل بيولوجية تكمن فى الفروق بين الجنسين (٧). المجتمع البدائى يعتبر العدوانية سمة من سمات الرجولة Masculine Traits وهى السمات التى لا يرغب فيها فى النساء.

تأثر معايير الجماعة على السلوك الإجرامى:

المعايير التى تضعها الجماعة تؤثر فى جميع مجالات السلوك، فقد تدفع إلى زيادة الإنتاج أو إلى قلته، وإلى إحترام القانون وإلى خرقه. وتضع الجماعة عقوبات على كل من يخرق أو يهدر معاييرها. فالأخطاء تفرض عليها الجماعة العقوبات.

وعلى سبيل المثال فى عصابات المجرمين الكبار(٩) أو الراشدين Adult Criminal gangs تلزم أعضاءها بضرورة الإلتزام بمعاييرها، وألا تعرضوا للعقاب الشديد. بل أن سلطة الجماعات الإجرامية على أعضائها أكثر من نظيرتها لدى الجماعات السوية، حيث يكون العقاب أكثر صرامة وحزماً وشدة بشكل لا يتناسب مع حجم الخطأ الذى أتاه العضو، حتى أن الأمر قد يصل إلى تطبيق عقوبة الإعدام من قبل العصابة على الأعضاء المخالفين Deviating members.

لقد ازدادت جرائم العنف Violent Crimes فى جميع أنحاء العالم، وأصبح الإنسان يخشى على نفسه من أخيه الإنسان وخاصة فى ضوء الضعف الأمنى الحالى(١٠) وإذا كان العنف يرتبط بالإحباط وبالحرمان، إلا أن هناك فرقاً

بين الإحباط وهو شعور ذاتى لدى الفرد، والحرمان المادى. إذ العبرة ليست بحجم الحرمان، وإنما بمقدار الشعور به والتمرد عليه (١١). كذلك تبدو أهمية التكيف أو التوافق و الرضا مع الوضع الذى يعيشه الإنسان. إذ أن المال لا يجلب بمفرده السعادة والرضا. فهناك دراسات ميدانية أمريكية أظهرت زيادة كبيرة فى القدرة الشرائية للأفراد، ولم تلحظ زيادة فى حجم من يشعرون بالسعادة. ولقد لوحظ أن زيادة الدخول والإشباع المادى سرعان ما يتعود الإنسان عليها ويقابلها بإتجاه اللامبالاه، ويفقد الشعور بالسعادة من ورائها، حتى إحراز تقدم فى التعليم أو المكانة الاجتماعية أو مستوى المعيشة لا يكفل فى حد ذاته الشعور بالرضا على طول الخط إلى زمن بعيد.

والحققة أن الشعور بالسخط لا يتأتى من تلقاء نفسه من ضيق المنازل مثلاً، وإنما قد يعيش الأفراد داخل منزلهم الصغير فى سعادة ورضا مهما كان صغيراً حتى يظهر فى الأفق القريب قصر منيف يقيمه أحد الأثرياء ويشاهده هؤلاء الفقراء، فيشعرون بالتعاسة، فالمقارنة والثراء يستفزان مشاعر الناس بالسخط والضجر والتبرم. ولعل ذلك يفسر محاولات ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ حين أرادت القضاء على الفوارق الطبقية بين الاقطاع ورجال رأس المال من ناحية والسواد الأعظم من أبناء المجتمع المصرى من ناحية أخرى. ولكنها، للأسف الشديد، لم تنجح إلا فى تحويل الجميع إلى فقراء معدمين وتعساء أيضاً. وللتأكد من أن المال فى حد ذاته لا يكفل السعادة أجريت دراسة أمريكية على الأفراد الذين كسبوا اليانصيب وحصلوا على ملايين الدولارات. التكيف يضيع اللذات الجديدة Lottery Winers فى بداية الفوز شعر الفائزون بالبهجة والسعادة والسرور، ولكن السعادة الداخلية لم تزد عندهم. بل أن الأنشطة العادية السابقة التى كانت تسعدهم، لم تعد كذلك، مثل قراءة كتاب جيد أو تناول وجبة شهية. لقد فترت وذبلت لذاتهم السابقة. ويظهر هذا الشعور بعدم الرضا عندما نقارن أنفسنا بغيرنا من الأثرياء. من ذلك يشعر الموظفون بالسعادة إذا شعروا بالمساواة مع زملائهم من

نفس المستوى، كأن يقارن رجل البوليس الزيادة فى راتبه مع رجال الأطفاء مثلاً. وفى بلادنا العربية مقارنة راتب السباك أو ميكانيكى السيارات أصبحت تعادل عشرات المرات دخول رجال الجامعات. كلما إنتصر الإنسان في ميدان العلم أو الوظائف أو المال أو السياسة أو المكانة الاجتماعية. كلما غير من معايير حكمه على مستواه، وكلما تغيرت نظرته إلى إنجازاته. الإنسان فى رحلة صعوده ينظر إلى أعلى، وليس إلى أدنى. ينظر الإنسان إلى إين هو ذاهب، ولا يتأمل من أين هو أتى. وهنا يشعر بالحرمان النسبى. حتى الطوائف الوظيفية التى ينالها الترقية أسرع من غيرها تشعر أيضاً بعدم الرضا ومن ثم بالإحباط (١٢).

إعلانات التليفزيون التى تظهر كثيراً من السلع ومظاهر الترف والرخاء والثراء تثير حقد غير القادرين. كما قال، أفلاطون أن الفقر لا يبدو فى قلة ما يمتلكه الإنسان وإنما يبدو فى مقدار ما يشعر به من الطمع والجشع (١٣).

وبالمثل عندما يطرأ على مستوى معيشة الإنسان أى انخفاض فإن الإنسان قادر على التكيف مع الوضع الجديد. بل أن أصحاب العاهات المستديمة يمكن أيضاً أن يتعايشوا ويتكيفوا مع عاهاتهم. الإنسان لديه قدرة كبيرة على المرونة والتكيف والتلاءم. وكى يشعر الإنسان بالرضا ما عليه إلا أن يزور واحدة من المستشفيات الكبرى كى يشعر بالسعادة والرضا من مجرد قدرته على التبول والتبرز والنوم وتناول الطعام، مهما كان مستواه، والقدرة على الإبتلاع وأن يقارن نفسه بالمرضى والعجزة. لا يشعر الإنسان بما ينعم به إلا قليلاً.

يمكن تعود الناس للنظر والمقارنة بما كانوا عليه فى الماضى أو بمن هو أقل امتيازاً عنهم، حتى يشعروا بالرضا وعدم السخط أو التبرم.

تعلم العدوان:

فى الوقت الذى تذهب فيه بعض النظريات إلى تفسير الإحباط وحدوث

العدوان، بأنه نابع من غريزة داخلية فى الإنسان، ترى نظريات أخرى إننا نتعلم العدوان ونكتسبه من البيئة. فإذا جرب الإنسان العدوان ووجده وسيلة ناجحة فى تحقيق أهدافه، فإنه يميل إلى تكرار السلوك العدوانى. ويتضح ذلك من التجارب التى أجريت على الإنسان وعلى الحيوان أيضاً. فقد تلاحظ أن اللاعب العدوانى فى بعض الألعاب مثل الهوكى هو الذى يحرز أهدافاً أكثر، ومن ثم قد يجد عدوانه بعضاً من التعزيز، فيستمر أو يتعلمه. فالعدوان قد يكون مكتسباً ومتعلماً من أجل تحقيق غايات محددة فهو وسيلة لذلك (١٤). الإنسان يتعلم العدوان كما يتعلم السلوك المسالم.

وقد يجد العدوان تأييداً من حركات السلب والنهب والتظاهر. وقد يكون العدوان الجمعى لمجرد لفت الأنظار والتباهى. ويذهب أصحاب نظرية التعلم الاجتماعى فى تفسير العدوان إلى القول بأننا لا نتعلم العدوان فقط من جراء ما نحصل عليه من فوائد بسببه، بل أيضاً من جراء مشاهده السلوك العدوانى وتقليده. فالتجارب التى أجريت على الدمى توضح أن الطفل يقلد السلوك العدوانى وذلك عن طريق التقليد والمحاكاة.

توارث العدوان ثقافياً:

وفى الحياة اليومية العامة نلمس كثيراً من وجوه السلوك العنيف فى الأسرة والمدرسة والشارع والمصنع وفى وسائل الإعلام الجمعية. الطفل يحتضن الأسلوب العنيف الذى تربى على تأديبه من الآباء. والآباء أنفسهم قرروا، بدورهم أن أباءهم كانوا يعاقبونهم عقاباً شديداً وعنيفاً. فى وسط الأسرة العنف يولد العنف أو يفرز أو يربى أو يفرخ أو ينمى العنف(١٥) Within families violence Breeds violence(p. 354 Myers).

والمجتمع قد يقدم نماذج كثيرة للسلوك العنيف. فى بعض المجتمعات المحلية، السلوك العنيف لا يقبل فقط بل أنه محل تقدير وإعجاب من المجتمع، حيث

ينتقل العدوان من جيل إلى آخر. عصابات العنف تقدم للأطفال كثيراً من نماذج السلوك العنيف Teenage gangs وخاصة للأعضاء الجدد في العصابة فضلاً عن تأثير العنف المتلفز. الأمر الذى يجعل التلفاز أداة تخريب وتدمير وإفساد للخلق وللسلوك القويم.

العدوان الجمعي:

ويتخذ العديد من المظاهر مثل حالات السلب والنهب، والمعارك التى تدور بين العصابات والشلل وفى الحروب. وتؤيد بعض الثقافات الفرعية العدوان الفردى والجمعى.

أولاً نفس الظروف التى قد تدفع إلى العدوان الفردى قد تدفع أيضاً إلى العدوان الجمعى، من ذلك الإحباط، والإهانة، وتقديم النماذج العدوانية، والعزلة الاجتماعية لجماعات الأقلية. فسلوك السلب والنهب سرعان ما ينتشر إذا ما بدأه شخص واحد. وعند مشاهدة العنف المتلفز قد يتخلص الإنسان من كوابح العدوان ويأخذ فى تقليد السلوك العدوانى بحرية وانطلاق. الحرب وقراراته ما هى إلا سلوك عنيف جمعى. وأحياناً كون متخذو القرار بالعدوان بعيدين عن أرض المعركة، فقد يساعدهم ذلك فى اعطاء أوامرهم بالعنف. الظروف المحيطة قد تثير العدوان فى الفرد، وكذلك تؤثر الجماعة فى زيادة هذا الإتجاه، كما يحدث فى القرارات الجماعية التى تتخذ فى حالة الحرب، وكذلك فإن السلوك العدوانى لدى الأطفال يزداد عند مشاهدتهم العنف المتلفز، وعندما يلعبون فى شكل فرق أو زملاء عما لو كان كل طفل يلعب بمفرده. ويتضح ذلك من دراسة سيكولوجية التجمهر.

كيف يمكن خفض معدلات السلوك العدوانى؟

بالطبع كى نخفض من معدلات السلوك العدوانى Reducing

aggression يلزم معرفة أسباب حدوث العدوان، وهى كما نعرف الغريزة أو القوى الغرزية، والإحباط، والتعلم الاجتماعى. كيف يمكن تقليل العدوان والتحكم فيه، وإن كان منعه كلية أمراً صعباً (١٦).

يمكن تعليم الأطفال كيفية تصريف عدوانهم وغضبهم، فلا ينبغى حبس مشاعر الغضب، وإنما لا بد من إيجاد منافذ مشروعه لتصريفها Outlets. يجب أن نوفر للطفل وللراشد الكبر الفرص للتخلص من «البخار المحبوس» فى صدره أو الطاقة الفائضة الحبيسة Letting off Steam أياً كان مصدر الطاقة العدوانية، سواء أكان ذلك من الطاقة الغرزية أو من مواقف الاحباط، يجب أن نجد فرصاً ومنافذ للتخفيف منها To release ومن ذلك توفير فرص التصريف الإنفعالى أو التفريغ الإنفعالى أو التطهير الإنفعالي للمواد والخبرات والمشاعر والصراعات والعقد والدوافع والرغبات الحبيسة Catharsis تلك العملية التى أدركها قديماً ارسطو. قال الإنسان يخفف من انفعالاته عن طريق أن يمر بخبرتها أو أن يعيشها، ومن ذلك مشاهدة الإنسان للدراما والتراجيديا التى تعبر عن الخوف والرحمة والشفقة. التعبير عن الإنفعال أو إثارته تؤديان إلى التخفيف من وطأته. وإمتد تطبيق مبدأ الفضفضة هذا من مشاهدة المواقف الدرامية إلى تذكر خبرات الماضى وإعادة إعاشتها من خلال التعبير عن الإنفعالات، ومن خلال السلوك(١٧) أو بأى صورة من صور التعبير الفنى أو الأدبى أو الرياضى. وبذلك يصرف الإنسان قدراً من «البخار الحبيس» فى داخله حتى لا يؤدى زيادة الضغط إلى الإنفجار. ويمكن تصريف تلك الطاقة العدوانية الحبيسة من خلال الضرب الرمزى على مخدع الإنسان أو فوق الدمى أو ممارسة الألعاب العنيفة والعدوانية مثل الملاكمة والمصارعة. إنما المشاهدة فى حد ذاتها للسلوك العدوانى لا تفيد. كما هو الحال فى الحالات التى شاهدت الملاكمة والمصارعة والركبى، ومشاهدة مباريات كرة القدم، تبين أنها تزيد من العدوان لدى المشاهدين، بل أن الحرب نفسها لا يقلل من مشاعر الناس العدوانية حيث تبين أن الجرائم تزداد فى زمن الحرب وبعدها

مباشرة وخاصة جرائم القتل (١٨). ويمكن العلاج والوقاية عن طريق عملية التسامي بالدوافع وإعلائها.

كذلك فإن الأخذ بالثأر أو رد العدوان بالمثل لايصلح كمنهج لعلاج العنف، لأن العدوان يولد مزيداً من العدوان. فهناك العنف والعنف المضاد. ولا شك أن هناك وسائل أخرى للتعبير عن مشاعرنا غير العنف وغير العدوان. هناك العلم والفن والأدب والشعر والتمثيل والرياضة والمثالة. فإذا سلمنا بأن السلوك العنيف مكتسب ومتعلم أكثر من كونه وراثياً، فإن الآمال تزداد فى معالجته والوقاية منه (١٩). ولكننا يجب أن نتذكر دائماً أن:

العنف سلوك معقد وليس بسيطاً:

العنف ليس سلوكاً بسيطاً مثل إنعكاس الركبة أو رمشة العين، ولكنه سلوك معقد وبالغ التعقيد.

إذا كان الشعور بالإحباط يولد العنف، فلماذا نضع أمام الناس أهدافاً كبيرة لا يستطيعون الوفاء بتحقيقها، فيشعرون بالإحباط. ولماذا نتوقع من الطفل أو الشاب أكثر مما تستطيع قواه أن تحقق؟

وكذلك يمكن تعليم الناس أساليب غير هجومية فى معرض إتصالاتهم المتبادلة بدلاً من إثارة الأخذ بالثأر. ولماذا لا نمنع حصول المعتدى على المزايا التى كان يستهدف الحصول عليها من جراء العدوان؟ ومعنى ذلك أن تكافئ على التعاون والأخذ والعطاء وعلى السلوك غير العدوانى. حتى مجرد إهمال الالتفات إلى عدوان الطفل وعدم تعزيزه حتى بالإلتفات إليه يقلل منه فى المستقبل، فى الوقت الذى نعزز وندعم السلوك غير العدوانى. كذلك فإن العقاب والتهديد بالعقاب ليس أسلوباً ناجحاً دون شروط. العقاب منهج يثير النفور وخاصة العقاب البدنى. ويتطلب الأمر متابعة العروض التليفزيونية وفحصها قبل عرضها لتنقيتها من مشاهد العنف والعدوان والجنس وعدم إهدار حقوق الإنسان.

ويمكن عرض نماذج من النضال غير العنيف من أمثال غاندى ومارتن لوثر كنج وغيرهما من دعاة السلام والبعد عن العنف حتى فى ملاحم نضالهم الوطنى(٢٠). العدوان يشجعه توفر الأسلحة كالمسدسات والبنادق والأسلحة البيضاء وغيرها فى هذه الأيام. ولذلك يتعين وضع قيود حازمة على تداول الأسلحة. ووضع رقابة على استخراج رخص السلاح، ومنع ظهور الأسلحة فى العروض التليفزيونية والسينمائية. ولقد تم وضع مثل هذا البرنامج وأدى فعلاً إلى انخفاض معدلات السرقة، وكذلك القتل، كذلك يتعين منع تصنيع العاب الحرب أو بيعها لأن اللعب فى شكل حروب يعلم الأطفال طرق الحرب والعدوان. وتوفير أنشطة واستجابات مضادة للعنف كالضحك فى مقابل الغضب والسعادة فى مقابل الضيق. والإسترخاء فى مقابل القلق والحب فى مقابل الكره. كذلك وجد أن إثارة التعاطف والمشاركة الوجدانية تقلل من مشاعر العدوان والتدريب على مراعاة مشاعر الناس والتعاطف معهم ووضع الإنسان نفسه محل غيره ومشاركتهم انفعالاتهم وأفراحهم وأحزانهم.

تأثير الكثافة السكانية وسؤ المسكن:

المناطق العشوائية تعانى دائماً من الكثافة السكانية التى تعمل عمل الضغط على الأفراد وتؤثر فى استجاباتهم. وفى التجارب التى أجريت على الفئران اتضحت هذه الحقيقة. فالزحام يقلل من الضبط الذاتى للسلوك (٢١). والحقيقة أن الزحام ليس وحده من العوامل السالبة فى نشأة الأمراض الاجتماعية ولا شكل المنازل فى حد ذاته، وإنما يصاحب ذلك الفقر أو قلة الدخل والمرض والجهل أو انخفاض مستوى التعليم (٢٢).

وفى معرض الحديث عن النظرية الاجتماعية فى تفسير السلوك الإجرامى .The Sociological Theory of the Criminal behavior

يقال أن التفسير العلمى(٢٣) للظواهر يتطلب شرح الظروف التى تتم فيها

هذه الظواهر، بمعنى الظروف التى إذا توفرت الظاهرة وإذا غابت غابت الظاهرة أى دوران العلة مع المعلول وجوداً وعدماً. وتربط هذه النظرية بين السلوك الإجرامى وبعض الأمراض الشخصية والاجتماعية Social and peronal Pathologies مثل الفقر Poverty وسؤ حالة الإسكان، وجود مناطق متدنية المستوى وقلة فرص النشاط الترويحى والترفيهى، وجود تفكك أسرى، ومعاناة الأسر من انخفاض الروح المعنوية والتخلف العقلى، وعدم الإستقرار العاطفى وغير ذلك من السمات والظروف. وتقرر النظرية الاجتماعية أنه فى كل هذه الظروف تزيد الجريمة. ولكن هناك أناساً فى هذه المناطق لا يرتكبون أية جريمة، كما أن هناك أناساً فى الطبقات الاقتصادية والاجتماعية العليا من المجتمع ويرتكبون الجرائم [٢٤]. الفقر فى حد ذاته ليس من الضرورى أن يقود للجريمة، وإنما هناك عمليات داخلية هى التى تؤدى إلى ذلك. كذلك فإن الإجرام هو ضرب من السلوك له دوافعه كغيره من أنماط السلوك الأخرى أى له أسبابه. والتعرف على أسبابه يساعد فى علاج حالاته والوقاية منه مستقبلاً.

النظرية الكلية الشمولية للسلوك الإجرامى تساعد فى علاجه والوقاية منه:

يجب أن يؤخذ السلوك الإجرامى ككل وإن ينظر إليه نظرة كلية، وأن يؤخذ فى الحسبان جميع العناصر المكونة والمسببة للموقف وبالطبع ليس لجميع العناصر فعلاً واحداً فى حدوث السلوك الإجرامى.

يصير تفسير الجريمة فى ضوء تفسير الموقف الراهن الذى حدثت فيه الجريمة، وكذلك فى ضوء الظروف التاريخية التى مرت بها الجريمة، أى تاريخ حياته ودراسة حالته[٢٥] بمعنى التفسير الموقفى والميكانيكيى أو الدينامى وكذلك التفسير التاريخى الذى يأخذ فى الحسبان منابع الإجرام فى الفرد، ويدخل فى الإتجاه التاريخى ما يرثه الإنسان من استعدادات تساعد على دفعه نحو السلوك الإجرامى.

وهناك من يفسر السلوك الإجرامى بإرجاعه إلى عملية تعلم حيث يرى أنه سلوك متعلم، بمعنى أنه ليس وراثياً. ومعنى ذلك أن الشخص الذى لم يتعلم الجريمة لن يرتكبها، ويتم هذا التعلم من خلال التفاعل والأخذ والعطاء مع الناس الآخرين، ومن خلال عملية «الاتصال» كذلك إلى جانب «التفاعل». وأن هذا التعلم يحدث داخل الجماعات ذات العلاقات الحميمة، ولكن السينما والمسرح تلعب دوراً أيضاً. ويتضمن تعلم الجريمة معرفة مناهج إرتكاب الجريمة، وكذلك تعلم توجيه دوافع الفرد نحو الجريمة وإتجاهاته وتبريراته نحو الجريمة. وجود الإنسان وسط جماعة لا تحترم القانون وترى أنه ليس من الضرورى تطبيقه يشجعه على أن يسلك السلوك الإجرامى وهذا ما يلاحظ فى وسط التجمعات العشوائية أكثر من غيرها من المناطق. يتم التعلم عن طرق الإرتباط بأشخاص مجرمين أيضاً.

ومن العوامل الاجتماعية التى تسهم فى حدوث الجريمة صراع المعايير الاجتماعية، والحراك الاجتماعى والتغير الاجتماعى السريع، والهجرة من الريف للمدينة والصراع الثقافى.

كذلك يمكن تأثير الأسرة على السلوك الإجرامى كوجود أحد الآباء أو كلاهما ممن يمارسون الإجرام، أو السلوك اللا أخلاقى أو إدمان الخمور أو المخدرات أو غياب أحد الأبوين أو كلاهما بالموت أو الطلاق أو الهجرة، وإنعدام الإشراف الوالدى والأهمال والجهل أو المرض وعدم إنتشار العدالة فى الأسرة، كأن يكون أحد الوالدين مسيطراً أو تمييز طفل على آخر، أو الأهمال الزائد أو التدليل الزائد أو القسوة الزائدة أو الحساسية الزائدة وإنتشار الغيرة، والزحام وسوء حالة الإسكان، وتدخل الأقارب والتمييز الدينى أو العرقى أو السلالى، والاختلاف فى عقائد اعضاء الأسرة وفى معاييرها والمسكن وبيوت التبنى غير الصالحة والبطالة وإشتغال الأم وإنعدام[٢٦] الإشراف والرعاية والتعليم والتدريب على الأسلوب الصائب.

الإتجاه المتعدد العوامل فى تفسير الجريمة:

الإتجاه المقبول الآن هو إرجاع الجريمة لا إلى عامل واحد فى جميع أنماطها، كأن يكون عاملاً وراثياً أو اقتصادياً أو نفسياً أو عقلياً، وإنما إرجاعها إلى تضافر مجموعة من الأسباب شأنها فى ذلك شأن المرض النفسى الذى لا يرجع، فى معظم حالته، إلى عامل سببى واحد بعينه، وإنما إلى مجموعة من العوامل الوراثية والبيئية والميلادية The multi causal approach no one cause is adaquate to explain the varied and complex behaviour included . crime and delinquency

ومرد ذلك[٢٧] إلى تعقد السلوك الإنسانى وتشابك العوامل المؤثرة فيه بل فى تكوين الكائن الإنسانى وفى نمو شخصيته. من هذه العوامل العوامل الشخصية والاجتماعية. فلقد تمت المقارنة بين الأطفال الأسوياء وأطفال إحدى مدارس الإصلاح Correctional Schools وتمت دراسة الجنوح فى المناطق المحرومة وكذلك درس المنبع أو الأصل السلالى أو العرقى Ethnic orgin للفرد وتأثير أبناء الجيرة والذكاء. وأمكن تمييز العوامل الآتية فى حدوث الجريمة:

١ – العوامل الاجتماعية والثقافية.

٢ – العوامل الجسمية أو البدنية.

٣ – العوامل العقلية.

٤ – العوامل الإنفعالية والمزاجية.

وتبين أن هناك فروقاً بين الأسوياء والجانحين فى بعض العوامل ولاتوجد مثل هذه الفروق فى عوامل أخرى:

(١) ويمكن القول بأن الأسوياء والجانحين يختلفون فى عوامل مثل العوامل الفيزيقية Physical كالصلابة والعضلات.

(٢) عوامل مزاجية كالحيوية الزائدة وعدم الشعور بالراحة والإندفاع والإنبساطية الزائدة والعدوانية والتدميرية.

(٣) الشعور بالعدوان وبأن الشخص عدوانى وأنه متهم دائماً والحنق والسخط والضجر والتبرم والشك والريبة وعدم الثقة والعناد والرغبة فى إلتوكيد الاجتماعى والميل لارتكاب المغامرات وعدم التقليدية أو الإلتزام بالتقاليد المرعية وعدم الخضوع أو الرضوخ للسلطة أو عدم الطاعة.

(٤) عوامل سيكولوجية كالميل نحو الأمور المباشرة والأمور المشخصة بدلاً من الإتجاه الرمزى أو نحو الرمزية والتعبير العقلانى وإنعدام المنهجية فى سلوكهم فى حل المشاكل.

(٥) عوامل ثقافية واجتماعية حيث ينتشر فى بيئته الأسرية إنعدام التفاهم، وقلة التعاطف وقلة الثبات أو الاستقرار، وعدم وجود نسق قيمى أخلاقى مناسب لحماية الطفل وإرشاده.

تفاعل العوامل المؤثرة فى السلوك الإجرامى :

على أن الأهمية الكبرى ليست فى هذه العوامل فى حد ذاتها وإنما فيما يوجد بينها من تفاعل Interaction أو تأثير متبادل، أو تأثير وتأثر وأخذ وعطاء بين هذه القوى وتلك المؤثرات.

ولعل حصر هذه العوامل وتحليلها يساعد فى التنبؤ بمعرفة الولد الذى يحتمل أن يصبح جانحا عندما يكبر فى السن، كذلك وجدت العوامل الآتية أكثر إنتشاراً بين الأحداث الجانحين عنها بين الأسوياء :

١ - الصرامة أو الشدة الزائدة فى تأديب أو فى عقاب الطفل.

٢ – الإشراف غير الملائم من قبل الأم والأب.

٣ – اللامبالاة من قبل الوالدين.

٤ – العدوان من قبل الوالدين.

٥ – قلة تماسك الأسرة وإتحادها.

الخلفية الاجتماعية للطفل تؤثر، ولا شك، في سلوكه، وكذلك سماته الشخصية، التى تكشف عنها المقاييس والإختبارات الإسقاطية والمقابلات الشخصية. إذا أمكن التنبؤ بالعوامل التى تقود للجريمة، أمكن التحكم فيها ومنعها. وهناك من العلماء من وضع قوائم وجداول يمكن على أساسها التنبؤ بجنوح الأطفال فى المستقبل من عدمه. ولكن هذا المنهج يحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث. وسائل الوقاية مازالت فى حاجة إلى التدعيم والدراسة والتنمية. ويمكن الإستفادة[٢٨] من مناهج العلاج الجماعى والفردى والعلاج بالتمثيل وباللعب والعلاج السلوكى والعلاج بالفن التشكيلى والعلاج عن طريق التحليل النفسى.

المراجع

(1) Klineberg, O., Social Psychology, Holt, Rinehart and Winston N. Y. 1954.

(٢) عبد الرحمن العيسوى، الذهانات والأعصبة النفسية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٢.

(٣) عبد الرحمن العيسوى، سيكولوجية الجنوح، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٦.

(4) Klineberg, p. 422.

(٥) عبد الرحمن العيسوى، علم النفس الفسيولوجى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦.

(6) Klineberg, p. 423.

(7) Op. cit., p. 424.

(8) Op. cit., p. 425.

(9) Sherif, P., and Sherif, C.W., Anoutline of Social Psychology, Harper, New York, 1976, p. 173.

(10) Myers, D. G., Social Psychology, McGraw-Hill, New York, 1983, p. 335.

(11) Op. cit., p. 344.

(12) Op. cit., p. 351.

(13) Op. cit., p. 352.

(14) Op. cit., p. 353.

(15) Op. cit., p. 354.

(16) Op. cit., p. 374.

(17) Op. cit., p. 375.

(18) Op. cit., p. 376.

(19) Op. cit., p. 377.

(20) Op. cit., p. 378.

(21) Op. cit., p. 539.

(22) Op. cit., p. 540.

(23) Sutherland, B. H., and Cressey, D. R., Criminology, J. B., Lippincott, New York, 1970, p. 71.

(24) Op. cit., p. 72.

(25) Op. cit., p. 74.

(26) Op. cit., p. 75.

(27) Klineberg, p. 429.

(28) Op. cit., p. 430.

(٢٩) عبد الرحمن العيسوى، العلاج النفسى، الإرشاد النفسى، علم النفس الطبى، باثولوجيا النفس، علم النفس الجنائى، مبحث الجريمة، الإدمان وعلاجه.

سيكولوجية الإرهاب

مقدمة:

يمكن تعريف الإرهاب بأنه حالة من الرعب أو الذعر أو الفظاعة أو الهول فى نفوس الناس، وكذلك الخوف والقلق والفزع والهلع. والإرهاب يدخل الروعة والإزعاج فى نفوسهم. وقد ينتشر الإرهاب فى عصر ما، فيعرف العصر كله بأنه عصر الإرهاب[1] Terrorism ويتضمن الإرهاب إكراه الناس على قبول أو عمل أمر ما بالقوة، كخطف طائرة، وطلب فدية مقابل الإفراج عنها. وفى هذا المقال المتواضع، نتساءل مع القارئ الكريم عما يدور فى عقل الإرهابى ونتساءل ما هى طبيعة الذهنية للإرهابية أو ماهى سمات الشخص الذى ينجرف فى تيار الإرهاب، ويمارسه؟.

أهمية دراسة الإرهاب:

ويستمد موضوع الإرهاب فى الوقت الراهن أهميته من إنتشار كثير من حوادثه فى العالم، كالسطو وعمليات التفجير وإلقاء القنابل، وخطف الطائرات والسفن وخطف الرهائن واحتجازهم وتزداد المأساة عندما يكون ضحايا الإرهاب من الأطفال. ما الذى يدور فى ذهن الشخص الإرهابى[2]؟ The mind of the Terrosist وذلك بغية تحليل محتواه، والتعرف على أسباب جنوحه نحو الإرهاب والتعرف على ما يدور بداخله من أفكار وآراء واتجاهات ومعتقدات ومشاعر وهواجس ووساوس وأوهام وخيالات وما يوجد لديه من دوافع وميول ورغبات سوية أو شاذة، والتعرف على العوامل التى تدفعه وتحركه نحو السلوك الإرهابى، وذلك بغية توفير البرامج التى تصلح لعلاج هؤلاء ووقاية Prevention and Treatment غيرهم مستقبلاً ممن يحتمل أن يسقطوا فى مستنقع الإرهاب فيرعون الناس ويضرون بالمجتمع وبأنفسهم. والنظرة التاريخية تجعلنا نقول إن الإرهاب ما هو إلا ضرب من ضروب العنف Violence المادى. وهو سلوك له تاريخ طويل. فالإرهاب ليس وليد اليوم فقط، ولكن عصوراً ضاربة فى أعماق التاريخ عرفت

أشكالاً مختلفة من العنف ومن الإرهاب والقتل الجماعى، ومختلف مظاهر السلوك غير المشروع والمضاد للمجتمع والخارج على القانون. والإرهاب قد يمارسه فرد من الأفراد أو جماعة من الجماعات أو حتى دولة من الدول. يشهد التاريخ بالغزوات الهمجية والبربرية وممارسات كثيرة للعنف الفردى والجماعى.

تفشى ظواهر الإرهاب:

وعلى كل حال لقد ظهر الإرهاب على سطح الأحداث فى السنوات الأخيرة فى مختلف أنحاء العالم. فالعنف يمارس فى إنجلترا وإيطاليا وفرنسا وأسبانيا والولايات المتحدة الأمريكية والصين واليابان وفى غيرها من بلدان العالم المتقدم والنامى على حد سواء. ويتمثل ذلك فى حوادث خطف الطائرات airliners وأخذ الرهائن hostages وفى جرائم الإغتيالات السياسية وغير السياسية وفى زرع وإلقاء القنابل والمتفجرات والسطو المسلح على البنوك وغيرها من السرقات الجماعية الكبرى.

ما هى الأسباب التى تكمن وراء الإرهاب؟:

وهناك أسباب مختلفة للإرهاب من أظهرها، من وجهة نظر الإرهابيين أنفسهم الأسباب السياسية.

والمأمول أن تقام الدراسات الميدانية السيكولوجية والاجتماعية والتربوية والقانونية للتعرف على أسباب الإرهاب ودوافعه وخصائص مرتكبيه وسبل علاجهم. ذلك لأن علاج مشكلة الإرهاب والوقاية منه تتطلب دراسة أسبابه ودوافعه.

فى المجتمع الأمريكى(٣) أجريت مثل هذه الدراسات التى استهدفت التعرف على شخصية الإرهابى من الناحية السيكولوجية. وتناولت مثل هذه الدراسات الإرهابيين الذين تمت محاكمتهم وإدانتهم فعلاً فى مثل هذه الجرائم، وتمت

مقابلاتهم مقابلة شخصية مكثفة للغاية لسبر أغوار شخصياتهم، والتعرف على سماتهم، ودوافعهم، وإتجاهاتهم وما يدور فى أذهانهم. ويمكن استخلاص ما يلى:

سمات الشخصية الإرهابية:

١ – يدين الإرهابيون بقائمة من المعتقدات القوية والراسخة فى أذهانهم. والتى يعتقدون فى صحتها، بصرف النظر عن مشروعيتها أو واقعيتها أو صدقها. بمعنى وجود ايدولوجية أو فكر أيدولوجي يعتقدون فى صحته اعتقاداً تعصبياً [٤] جامداً fanatical وهم يختلفون فى ذلك عن طوائف أخرى من المجرمين كمعتادي الإجرام مثلاً الذين لا يتحركون من واقع أيدولوجى أو فكرى معين.

الإرهابيون يعيشون تحت وهم صحة قضيتهم ويؤمنون بها إيماناً ثابتاً وقوياً وراسخاً، ويعتقدون أنها قضية «عادلة». هذا ما يدور فى أذهانهم،ولنا أن نشخصه كما هو إذا أردنا أن نقوم منهم مقام الطبيبُ من المريض الذى يشخصه[٥] بأمانة ودقة وموضوعية ويتعرف على ما يعانيه من أمراض حتى وإن كانت أمراضاً بالغة الخطورة كالسرطان أو الإيدز. من سمات العلم المصارحة والصدق والموضوعية والجرأة فى قول الحقيقة. وغض الطرف عن الإرهاب لا يحل مشكلته والإرهابيون فى جملتهم يمتازون ببعض سمات الشخصية[٦] Personality trait ومنها :

٢ – الحاجة النفسية الملحة للإرتباط أو الإلتصاق أو الإلتحام بشخص ما أو أشخاص أو أحزاب أو جماعات أو طوائف وتنظيمات أو منظمات أو مؤسسات أو أحزاب معينة. ويبدو أن هذه الحاجة للإرتباط ترجع إلى ظروف الطفولة وما مر به الإرهابى من خبرات فى سنى الطفولة الأولى من الحرمان أو القسوة أو الإهمال والطرد والنبذ ومن احساسه بعدم الأمان وعدم الإنتماء[٧] للجماعات البشرية السوية كجماعة الأسرة أو الجيرة أو جماعة المدرسة، وتعويضاً عن الشعور بفقدان السند أو التعضيد أو التأييد. هذه الحاجة الملحة للإرتباط A marked need for

attachment تنبع من الحياة المملوءة بالحرمان التى سبق أن عاشها الإرهابى، فبعضهم فقد أحد الأبوين أو كلاهما فى مرحلة الطفولة. والبعض قاسى من الحرمان من الحب والعطفLove or affection. ولذلك يسعى الفرد منهم إلى الإرتباط أو الإنضمام لجماعات سياسية صغيرة شديدة التلاصق، من جراء الحرمان من الصداقة الحميمة أو العطف والصحبة الجيدة والرفقة السوية. وكأن الإرهابى يضطر إلى الإنضمام لمثل هذه الجماعات السياسية اضطراراً للتعويض(٨) عما يعانيه من نقص فى فرص إقامة علاقات الصداقة والود مع إناس آخرين. وعملية التعويض Compensation من العمليات العقلية أو الحيل العقلية اللاشعورية التى تساعد الفرد على التغلب على نقائصه ومظاهر ضعفه، وشعوره بعدم المواءمة أو شعوره بالنقص والدونية. بعض هذه المظاهر التعويضية يكون إيجابياً والبعض الآخر يكون سلبياً وهو سلبى فى حالة اللجوء إلى الجريمة والعنف والإرهاب.

٣ – يخضع الإرهابى، نتيجة لعدم إشباع حاجاته، إلى السلطة الجديدة التى انضم إليها يخضع لها خضوعاً تاماً ومطلقاً، وبالتالى يصبح مستعداً لتنفيذ أوامر ونواهى هذه السلطة وذلك بصورة متطرفة فى الطاعة العمياء، أى ينفذ أوامرها دون تفكير أو نقد أو تمحيص أو تقليب للأمور ومعرفة عواقبها مهما كان الأمر خطراً أو صعباً أو شاقاً.

٤ – يعجز الإرهابى عن الإعتراف بحالة الخوف والقلق الشديدين اللذين يحتويانه عندما يقوم بعمل إجرامى معين، فعلى الرغم من إعترافهم فيما يدلون به من تقارير، بأنهم كانوا فى غاية الخوف والهلع والقلق عندما كانوا يقومون بالعمل الهجومى، إلا أنهم لا يعترفون صراحة بهذا الخوف، كنوع من المكابرة أو الكبرياء والإنكار، وللظهور بمظهر الشجاعة الزائفة والبطولة المتوهمة أو الخيالية، فالإرهابيون أنفسهم يقررون أنها قبل القيام بالهجوم كانوا من شدة الخوف

عاجزين عن تناول الطعام، مع العجز عن النوم، وكانوا يعجزون كذلك على التركيز العقلى قبل القيام بالهجوم. ولكن نظراً لأنهم يريدون أن يظهروا بمظهر القوة والشجاعة، فإن الواحد منهم به قوة لا تقهر أو لا تغلب، فإنهم يدعون أنها لم يقلقوا إطلاقاً مما قد يكون قد حدث لهم وهم فى طريقهم لزرع المتفجرات Planting explosives أو فى أثناء إختطاف الطائرات Acking air Planes أو عند مواجهة الحراس الخصوصيين لشخصية ما.إنهم، فى الواقع، يعانون من حالة الفزع والرعب والخوف والهلع ولكنهم يتظاهرون بخلاف ذلك ويرفضون الإعتراف بحالة الخوف الحقيقى التى تتملكهم. فى واقع الحال هم فى حالة شديدة من الخوف They are actually terrified.

والإرهابيون، فى هذا الصدد، يشبه الواحد منهم حالة المجرم العتيق hard - core Criminal الذى يستطيع التظاهر بعدم المعاناة من الحصر أو القلق من باب التصنع والتظاهر بالقوة والمنعة والصلابة ولكنه يرتجف خوفاً فى داخله، وكأنه هنا يمارس حيلة أخرى من حيل الدفاع اللا شعورية وهى المعروفة باسم العكسية(٩) حيث يظهر المرء خلافاً لما يبطن.

٥ – هناك حاجة نفسية عند هؤلاء الإرهابيين الذين تمت مقابلتهم فى السجون الأمريكية بأن يكونوا من الشخصيات العنيفة والعدوانية The need to be Violent or aggressive أى الرغبة فى أن يصبح الواحد منهم عدوانياً وعنيفاً.

لماذا توجد حاجة لدى الإرهابى للعدوان والعنف؟

ولنا أن نتساءل ، مع القارئ الكريم، عن مصادر أو منابع مثل هذه الحاجة الشاذة أو أسباب تكوينها ونموها فى الفرد؟ ترجع هذه الحاجة إلى تعرض الإرهابى للشعور بالفشل والإحباط الشديدين Intensely frustrated الفشل فى إشباع حاجاته ودوافعه ويتفق ذلك مع تفسير العدوان وفقاً لفرض الإحباط عند سيجمند فرويد. كذلك قد تتولد هذه الحاجة من الحياة فى بيئات أو ثقافات ترى

أن العنف وسيلة مقبولة من وسائل تحقيق الأهداف، أى قبول العنف كأحد وسائل تحقيق الأهداف، بسبب ظروف الثقافة المحلية التى نشأ وترعرع فيها الإرهابى وتشرب ثقافتها وعاداتها وتقاليدها كالمناطق المتدنية المستوى الاجتماعى والاقتصادى والثقافى، وكالمناطق العشوائية التى تنمو نمواً عشوائياً حول المدن الكبرى والتى تحرم من توفير الخدمات الأمنية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية. من أمثلة هذه المناطق فى القاهرة منطقة إمبابة الغربية وفى الإسكندرية منطقة المفروزة، والتى تتواجد فيها عناصر كثيرة من أقران السوء، ويقل فيها الضبط والربط والوجود القانونى والشرعية، وبالتالى يقل إحترام هذه القيم فى نفوس أبناء المجتمعات العشوائية والطفيلية إلى جانب قلة خدمات الوعظ والإرشاد والخدمات الترويحية والترفيهية والرياضية، ولا توجد بها قنوات مشروعة لسماع آراء الشباب وامتصاص فائض طاقاتهم فيما يعود عليهم وعلى مجتمعهم بالخير والنفع العام مما يؤدى إلى ضعف مشاعر الإنتماء فى نفوسهم.

وفى هذا الصدد نشير إلى أهمية وسيلة كالإعلاء(١٠) أو التسامى فى حل مثل هذه المشاكل. العدوان والعنف قد ينتجان من سوء التنشئة الاجتماعية Socialization (١١) والأخلاقية والسياسية للطفل أو المراهق، ومن الإفراط فى القسوة عليه أو الإفراط فى التدليل، وترك الحبل على الغارب أو لجوئه إلى التقليد والمحاكاة للنماذج التى يراها ويعاشرها فى بيئته المحلية السيئة. العنف وليد هذه الظروف السالبة، ولا يمكن أن يكون نزعة وراثية (١٢). يولد الطفل مزوداً بها. وإذا كان العنف من وبين مظاهره الإرهاب مكتسباً ومتعلما من جراء التفاعل والإحتكاك مع البيئة المادية والاجتماعية التى يعيش الفرد فى كنفها، فإنه من الممكن تعديله وتطويره وتحرير الفرد منه وتخليصه من مشاعر العدوان والعنف والإرهاب بإزالة هذا التعلم أو ذلك الإكتساب الخاطئ.

ومن بين سمات الشخصية الإرهابية التعصب(١٣) Prejudice والجمود

الفكرى. وللسلوك الإرهابى أسباب معجلة أو مفجرة أو مهيرة يعقبها السلوك مباشرة، وهى التى تقوم مقام القشة التى قصمت ظهر البعير أو القطرة التى ملأت المحيط أو النار التى ألقيت على الوقود أو البارود المهيئ للاشتعال، ولكنها لا توجد فى فراغ وإنما توجد فى محيط من العوامل المهيئة أو الاستعدادية أو المترسبة(١٤) أو المتراكمة التى «ترشح» الفرد وتعده وتهيئه وتجعله مستعداً للإقدام على السلوك الإرهابى.

أى الضغوط المتراكمة. فقد ينشق الفرد عن محيط أسرته ويلجأ إلى تكوين فرقة من الفرق الخاصة به هو.

تفاعل سمات الشخصية الإرهابية:

إذا كانت هذه هى كل أو بعض سمات الشخص الإرهابى ودوافعه، فكيف تترابط أو تتوحد أو تتفاعل مع بعضها بعضاً لينتج عنها السلوك الإرهابى؟

هذه العوامل لا تعمل فرادى أى كل منها منعزلاً ومستقلاً عن غيره من العوامل، وإنما تعمل بصورة متفاعلة متداخلة، بحيث يؤثر كل منها ويتأثر بالعوامل الأخرى.

وهذا التفاعل أو ذلك الترابط يختلف من فرد إلى آخر.. ففى بعض حالات الإرهاب قد تلعب الأيدولوجية أو الفلسفة الاجتماعية دوراً رئيسياً، وفى حالات أخرى قد تسود عوامل وسمات الشخصية وخصائصها والظروف الضاغطة. ومن هنا كان لا بد من إتخاذ الحذر والحيطة فى التعميم، إنما لا بد من أخذ الفروق الفردية Individal differences فى الحسبان والظروف الخاصة بكل حالة والمؤثرات النسبية فى كل حالة من الحالات. ولذلك لا بد من دراسة كل حالة على حدة لمعرفة تاريخها وتطورها الأسرى، وخبرات الفشل والإحباط التى تعرضت لها. وإنما هى السمات العامة تعطى انطباعاً عاماً يعمل عمل الموجه أو المرشد لفكر الباحث المدقق فى مجال الإرهاب.

من الحقائق المعروفة، فى اطار التفكير العلمى، أن المثير الواحد أو السبب الواحد له تأثيرات مختلفة بإختلاف الأشخاص والظروف التى يوجد فيها، فعلى حد قول البعض: النار التى تصهر الحديد هى ذاتها إلى تجمد البيضة. ولقد وجدت بعض الدراسات الأمريكية أن الشخص الإرهابى ينقصه الشعور بالإستقلال وبإحترام الذات Self - esteem ويعتريه الشعور بأنه لم ينجح فى حياته. ويدفعه شعوره بالنقص وفقدان الهوية إلى المغامرة لكى يصبح شيئاً مذكوراً.

برامج العلاج:

تعتمد برامج علاج مثل هذه الحالات على دراسة كل حالة أو مجموعة الحالات المتشابهة والتعرف على ظروفها وسماتها وخصائصها ودوافعها وقيمها وتاريخ ونشأة الإرهاب لديها ومقابلة هذه الأسباب بالأساليب العلمية، إذ لا يكفى الإعتماد على الأساليب الأمنية وحدها وإن كنا لا ننكر أهميتها وخاصة إذا كان هناك عوامل كالفقر أو الحرمان أو أقران السوء أو العشوائيةوتدنى المستوى الثقافى والاجتماعى والاقتصادى للمحيط الذى ينحدر منه الشخص الإرهابى. لا بد من الدراسة وإلقاء الضوء على هذه الحالات حتى لا تظل غامضة ومبهمة أمامنا ومثيرة للدهشة والإستغراب. وكلما زاد فهمنا لحالات الإرهاب كلما زادت قدرتنا على معالجتها والتصدى لها بالأساليب العلمية والفنية.

وإذا كنا ندعو لإعتبارهم، بمعنى من المعانى، مرضى فى حاجة إلى العلاج، فإن ذلك لا يمنع من وقوعهم تحت طائلة العقاب على ما قد يكونوا قد ارتكبوه من آثام ضد مصالح المجتمع العامة وضد شرعية الدولة. إنما الفهم العلمى من الضرورات التى تقتضيها حتمية توفير الوقاية خوفاً من وقوع مزيد من الضحايا فى غياهب الإرهاب، ومن ثم تعتريض حياتهم وحياة كثير من الآمنين للخطر. إننا أمام شخصيات هدامة وشخصيات مهزومة ذاتياً أو مهزومة أمام ذاتها.

لقد لجأوا إلى طريق خاطئ لمعالجة مشاكلهم الذاتية أو الداخلية لجأوا إلى منهج لا يؤدى إلى نتيجة، فالجريمة دائماً لا تفيد. إن الأفعال العنيفة التى يرتكبونها ضد الآخرين، لا يمكن أن تقنعهم هم أنفسهم بقوتهم وجدارتهم وكفاءتهم وسموهم ورفعتهم وعلو شأنهم، لأنهم هم أنفسهم لا يشعرون بأنهم أقوياء أو لديهم الحيوية أو السمو أو الرفعة وعلو الشأن. القوة شعور داخلى يـ من الداخل ولا يتولد لدى الفرد مهما ارتكب من جرائم إن ما يظهرونه من خشونة وعنف Taughness and Violence ليست إلا تكلفاً أو تصنعاً. اصطناع الخشونة للظهور بمظهر القوة الكاذبة. ومهما كانت حالة المجرمين، فإنهم يخلقون المشاكل لمجتمعاتهم، ولا بد من مواجهتها وحماية الناس من اخطارهم، وتوفير الأمن والأمان والاستقرار للغالبية الساحة من أبناء المجتمع، ولا بد من تدعيم أجهزة الأمن لمقاومتهم. ومع الإيمان بأنهم جميعاً أو الكثرة منهم قد تم استغلالهم وإساءة استخدامهم عن طرق المنظمات التى ينتمون إليها، فإن المجتمع لا يمكن أن يسمح لهم باساءة استخدام الآخرين، وخاصة عندما تقع ضحاياهم من الأبرياء من الناس ولا بد من أن نقيم مجتمعاً حضرياً، ونحافظ عليه. لا يمكن أن نترك فئة من الناس تحول اخوانهم فى المواطنة إلى ضحايا. كيف نحمى الناس من أولئك الذين يخططون لايذائهم؟ الجريمة ليست، بحال من الأحوال، جديدة، وإنما يمتد عمرها إلى عمر الحضارة الإنسانية ذاتها. وإن كانت هى عمل مضاد للتحضر من قديم الزمان والشرائع تقبل المبدأ القائل بأن العين بالعين والسن بالسن أو ما يشبه هذا المبدأ من فرض القصاص العادل. ومع استمرار القصاص أو العقاب إلا أنهما لم يمنعا الجريمة التى ما زالت تقع فى كل المجتمعات، العقاب وخاصة الإعدام يخلص المجتمع من المجرمين، من ناحية، وفى نفس الوقت، يعطى تحذيراً وإنذاراً لمجرمى المستقبل بالعدول عن طرق الإجرام، العقاب فيه ردع وزجر وتعزير.

موقف علم النفس من الإرهاب:

وفى إطار المناهج السيكولوجية لعلاج حالات الإرهاب وللوقاية من ظهور حالات جديدة نستطيع أن نقترح الخطوات الآتية:

١ - توفير أساليب التنشئة الدينية أو الروحية والاجتماعية والنفسية والعقلية والفكرية والسياسية، الصالحة منذ الطفولة الباكرة واستمرارها فى مراحل المراهقة والشباب بحيث يعامل الطفل معاملة حسنة، قوامها التوسط والإعتدال، والإشباع المعقول لدوافعه وحاجاته، وتوفير الرعاية والإشراف والتوجيه والإرشاد والنصح مع التربية الدينية أو الروحية، ليشب الفرد مواطناً صالحاً مؤمناً بربه ووطنه وعروبته، وليشعر بالإنتماء الإسلامى والأسرى والوطنى والاجتماعى، ويتوحد ومجتمعه ويحس بما يحس به المجتمع من الآمال والآلام ويؤدى واجبه فى حدود الإلتزام والطاعة المفروضتين.

٢ - توفير الحياة الكريمة لأبناء المجتمع وحمايتهم من الفقر والبطالة والغلاء الفاحش والحرمان القاسى والعوز والشعور بالنقص والدونية والفوارق الطبقية والظلم والإستبداد والاضطهاد والتسيب والفوضى.

٣ - توفير فرص التعبير عن الآراء والاتجاهات والمشاعر من خلال قنوات شرعية مسموح بها بدلاً من الإرتماء فى أحضان الجماعات السرية. وعلاج حالات الإدمان والتطرف والعنف أولاً بأول والمرض العقلى والنفسى .

٤ - توفير القدوة الحسنة والمثال الطيب الذى يقتدى به أمام الشباب.

٥ - توفير الوعظ والإرشاد والتربية الدينية الصائبة والملائمة لمستويات أرباب الأعمار المختلفة ولقدراتهم العقلية والفكرية.

٦ - قيام الإعلام بدوره فى التنوير والتوعية والتوجيه وبث القيم وغرس المبادئ الأخلاقية والاجتماعية الصالحة. والبعد عن بث مواد الإثارة الجنسية

والفوضى والإنحلال الأخلاقى كالرقص والعرى وما إلى ذلك ورفض عرض الأفكار الغربية المستوردة والتى تتنافى مع أمهات ثقافتنا الإسلامية.

٧ - توفير مزيد من مناخ الشورى والديمقراطية وتبادل الرأى والإستماع إلى آراء الشباب وأشعارهم بالمشاركة مع حل مشكلاتهم بقدر المستطاع.

٨ - توفير جلسات العلاج النفسى لمن سقط فعلاً فى بئر الإرهاب.

٩ - توفير عمليات غسيل الدماغ لهؤلاء المتهمين وإزالة ما أصابهم من أفكار وشوائب وما دفعهم إلى التعصب والجنوح وغرس قيم التسامح والعفو والمغفرة والبر والإحسان والتقوى.

١٠ - إتباع تقنيات[١٦] الإقناع المختلفة، بالقراءة، والكتب، والمناقشات، والحوار، وعقد الندوات والمؤتمرات والمناظرات، والمهرجانات وما إلى ذلك من وسائل الاقناع وتعديل الإتجاهات العقلية وجعلها أكثر إيجابية وأكثر وطنية وتضحية وعطاء.

١١ -إيجاد فرص لامتصاص فائض العمالة الباطلة.

١٢ - إجراء الدراسات الميدانية المستمرة للمتابعة وتقويم جهود التأهيل وإعادة التعليم والعلاج والإرشاد فى تخصصات الطب وعلم النفس والاجتماع والتربية والأمن والأنثروبولوجيا.

الهوامش والمراجع

١٠ – يمكن تعريف الإرهاب بأنه إعتقاد لدى شخص يؤمن باستخدام العنف لتحقيق مأربه أو أغراضه وفى الغالب ما يعمل هذا الشخص فى اطار فكر ايدولوجى معين وفى الأيام الأخيرة اتسع نطاق لفظ الإرهاب الفكرى والتسلط الفكرى أو تحقيق أية أهداف بالقوة أو بالعنف أو بطريقة غير مشروعة.

(2) Gallatin, J., Abnormal Psychology, Macmillan, N. York, 1982, p. 522.

(3) I bid.

٤ – يشير التعصب إلى الإعتقاد فى صحة شئ ما دون سند من الواقع أو القانون أو المنطق أى ذون مبررات تكفل مشروعية التعصب ومن أمثلة التعصب التفرقة العنصرية وتميز أبناء جنس أو طائفة على الأجناس والطوائف الأخرى أو الاضطهاد العنصرى. فالتعصب عبارة عن إتجاه عقلى أو انفعالى يجعل الفرد ينحاز إلى جانب دون آخر كالتعصب السلالى (راجع مشكوراً أحمد زكى بدوى، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٦ .

٥ – عملية التشخص من العمليات الحيوية والتى يتوقف على صحتها ودقتها دقة المعالجات للأمراض والمشاكل. ويقصد بها تحديد كم وكيف المرض أو الاضطراب أى معرفة طبيعته ونوعه ومقدار شدته أو كثافته أو ضعفه ومن أدوات التشخيص الإختبارات والمقاييس والأجهزة والمعدات والمقابلات الشخصية والتحاليل والفحوصات والأشعة وما إلى ذلك.

٦ – سمات الشخصية هما بعض خصائصها الجسمية أو العقلية أو النفسية أى الانفعالية كالأنطواء والإنبساط والخجل والكرم والبخل والعدوان والتسلط

والسيطرة والمكر والدهاء وما إلى ذلك، فقد تكون السمة أخلاقية أو فكرية أو ثقافية أو شخصية أو اجتماعية أو مزاجية أو حركية أو حسية أو جسمية. وقد توصف بالقوة أو الضعف وقد تكون مكتسبة أو فطرية شعورية أو لا شعورية (طالع مشكوراً عبد المنعم الحفني، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، مكتبة مدبولي – القاهرة، ١٩٧٨ ص ٤١٩ وما بعدها.

٧ – الحاجة إلى الإنتماء من الحاجات السيكولوجية الضرورية التي لا بد من اشباعها من ذلك الإنتماء للأسرة ولجماعة العمل أو الزملاء وللوطن أو للمجتمع وبدونها يشعر الإنسان بالضياع والطرد والنبذ.

٨ – التعويض أحد الحيل أو العمليات الدفاعية اللاشعورية التي تقوم بها الذات الوسطى دفاعاً عن نفسها من المعاناة من القلق الشديد. وقد يكون التعويض إيجابياً ونافعاً وقد يتخذ شكلاً سالباً، فقد يعوض الشخص الفقير بمزيد من الكفاح والنضال في سبيل الكسب الحلال وقد يعوض بالسرقة والرشوة والإختلاس.

٩ – فرض الإحباط في تفسير السلوك العدواني عند فرويد مؤداه أن الفرد يلجأ إلى العدوان إذا ما أحبط في إشباع حاجاته وبذلك يأتي العدوان كرد فعل للإحباط ولكن هذا الرأي مجرد فرض علمي إذ هناك من يعاني من الإحباط ومع ذلك لا يمارس العدوان وهناك حالات لا تتعرض للإحباط ومع ذلك تعتدي بل أن هناك دولاً قوية تمارس عدواناً على دول صغيرة دون أن تسبب لها أية مشاعر للإحباط.

١٠ – عملية التسامي أو الإعلاء بدوافع الفرد الفطرية أو العدوانية أو الفجة من العمليات العقلية اللاشعورية وقد تساعد المؤسسات التربوية والعلاجية على ممارستها وخاصة مع الشباب والمراهقين بقصد تصريف وتفريغ فائض الطاقة والحيوية لدى المراهق حتى لا يصرفها في الأعمال العدوانية والتخريبية ولكننا نرشده ونوجهه إلى ممارسة الأنشطة الرياضية والعلمية والفكرية

والثقافية والتطوعية والخيرية بدلاً من العدوان. ومن ذلك اشتراك الشباب والمراهقين فى جمع التبرعات للأغراض الخيرية والإشتراك فى نظافة البيئة وفى مشروعات المرور ومحو الأمية وجمع تبرعات الدم وما إلى ذلك.

١١ - عملية التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعى عبارة عن العملية التى يتحول الإنسان بموجبها من كائن حيوى بيولوجى إلى كائن إنسانى، فمن خلالها يكتسب الفرد إنسانيته ويمتص قيم المجتمع وعاداته وتقاليده وقيمه ومثله العليا وأنماط السلوك فيه وكافة عناصر الثقافة من العادات والتقاليد والأعراف والقوانين والعقائد والنظم واللغة وما إلى ذلك ويجب أن تتم هذه العملية لتكون تنشئة صالحة اجتماعياً وفكرياً ونفسياً وسياسياً وأخلاقياً وإيمانياً.

١٢ - الوراثة تشير إلى ما ينتقل للذرية من الآباء والأجداد من الصفات والخصائص والقدرات عبر ناقلات الوراثة أو الجينات وتظهر هذه العوامل الوراثية أكثر ما تظهر فى بناء الجسم ولون البشرة وطول القامة وشكل الشعر والعينين ويصعب فصل أثر الوراثة عن البيئة لقيام علاقة التفاعل بينهما ولأن الإنسان محصلة للتفاعل بين مجموعة العوامل:

أ - الوراثية ب - البيئية. جـ - الولادية.

١٣ - عبد الرحمن العيسوى، دراسات فى علم النفس الاجتماعى، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٩٤.

١٤ - فى نشأة المرض النفسى والعقلى يميز العلماء بين مجموعة العوامل الاستعدادية التى تعد الفرد وتهيئه وترشحه وتجعله مستعداً للإصابة وتضعف من قوته على الصمود والمقاومة ومن ذلك الضغوط المستمرة وخبرات الفشل والإحباط المتكررة والحرمان والقسوة والطرد والنبذ وما إلى ذلك ثم مجموعة العوامل المهيِّرة أو المفجرة أو المعجلة بحدوث الإصابة وتعمل عمل البارود فى الهشيم المستعد والمهيأ للاشتعال من ذلك خيانة زوجة أو افلاس مالى، أو

طرد من الوظيفة أو فشل فى الحب.
١٥ - عبد الرحمن العيسوى، العلاج النفسى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرى ١٩٩٤.
١٦ - عبد الرحمن العيسوى، دراسات فى علم النفس الإجتماعى، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، مصر ١٩٩٤.

الفصل الثالث
علم النفس الاجتماعى فى مجال
الجريمة والعنف والجنوح والإنحراف والمخدرات

* مبدأ الثواب والعقاب وآثاره التربوية.
* نقد نظرية لومبروزو فى تفسير الجريمة.
* المسئولية الجنائية للحدث الجانح.
* الحماية القانونية والعلمية للطفولية.
* القيمة العلاجية لقانون مكافحة المخدرات.

علم النفس الاجتماعى فى مجال
الجريمة والعنف والجنوح والإنحراف والمخدرات

مبدأ الثواب والعقاب وآثاره التربوية :

يشب المسلم، فى ضوء الثقافة الإسلامية، على تحمل المسئولية وتوقع الثواب والعقاب والردع والمحاسبة والمحاكمة، ولذلك يجعله هذا المبدأ يتحمل مسئولية أعماله ونتائجها، ويؤكد له مايقرره القانون الوضعى من أن مسئولية الجريمة مسئولية شخصية تقع على فاعلها وحده ودون سواه. ولذلك يشعر المسلم، على المستوى الشخصى، بتحمل مسئولية أعماله، ولذلك يتجنب الأعمال الخاطئة أو المعاصى والذنوب والآثام مما يعد ركيزة قوية فى التربية الأخلاقية.

ويقول الله تعالى «وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً. إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً».

سورة الإسراء (١٣-١٤)

ويشرك الإسلام الإنسان فى الحكم على نفسه بالإدانة ويقنعه بالخطأ الذى ارتكبه. وهذا مبدأ تربوى هام فى الحياة الدنيا عندما يقتنع المذنب بذنبه، فإنه يتقبل العقوبة، وتؤثر فيه كوسيلة من وسائل التقويم والإصلاح والتهذيب، وإعادة التأهيل الأخلاقى للعودة لحظيرة السواء والإمتثال للقيم الصالحة وإقرار التوبة النصوح وعدم معاودة إرتكاب المعاصى.

ويقول الله تعالى «صنع الله الذى اتقن كل شئ إنه خبير بما تفعلون»

(سورة النمل (٨٨)).

ويؤكد هذا الهدى القرآنى الكريم أن جميع ما يأتيه الإنسان أو يفعله فالله

تعالى عليم خبير به. فالإنسان يقع تحت الرقابة الإلهية المقدسة، وليست المسألة كما تذهب الفلسفات المادية عماء أو فوضى أو عشوائية، فانما يعلم الله تعالى ما يقوم به العباد. هذا الشعور يدفع الإنسان للحرص على مرضاة الله.

ويقول تعالى «إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين»

سورة الذاريات (٥٨)

والهدى القرآنى يجعل المسلم يشعر بالأمن والأمان والاطمئنان، فإن الله تعالى هو الذى يرزق كل من وما فى الكون، وأن الله تعالى قوى متين، يستند إليه الإنسان وهو ضعيف بطبيعته، إلى قوة عظيمة حامية وحارسة تعطف عليه وتحميه وتلبى نداءه فهو أقرب إليه من حبل الوريد.

«وفى الأرض آيات للموقنين، وفى أنفسكم أفلا تبصرون»

سورة الذاريات (٢٠-٢١)

ويدعو الإسلام أبناءه للتفكير والتأمل والتبصر والإدراك والفهم والإستيعاب والتفكير فى مخلوقات الله تعالى. فلقد قيل بحق فكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فى ذاته، حتى يصل الإنسان من خلال التأمل فى معجزات الخلق إلى الإيمان بالخالق العلى العظيم.

ومخلوقات الله آيات وعلامات ودلائل قوية على عظمة الخالق، بل إن الإنسان نفسه يجب أن يكون موضوعاً للتفكير والتأمل فى هذا الصنع البديع، ولا بد أن ينتهى إلى أن هناك خالقاً عظيماً لهذا الإنسان بالغ التعقيد، ففيه تتجلى عظمة الخالق.

فهم الإسلام للطبيعة الإنسانية وأثره فى الصحة النفسية:

يفهم الإسلام الطبيعة البشرية فهماً يفوق كل علوم الدنيا الحديثة لأن خالق الشئ أقدر على فهمه من غيره. ومن ذلك أن نفس الإنسان توسوس له «قال

تعالى «ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد. إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد. ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد. وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد. لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد»

سورة ق (١٦-٢٢)

والوسوسة، فى إطار علم النفس الحديث، إحدى وظائف النفس حين تملأ الوساوس والأوهام والخيالات والأفكار الزائفة نفس الإنسان، فيعتريه الشك والريبة فى كل ما يقوم به من أعمال، وتمرضه هذه الوساوس على القيام بأعمال ضارة أو مؤذية، فالنفس تكون أمارة بالسوء، وقد تكون طبيعية مستقيمة مطمئنة صالحة. وهنا إشارة أخرى إلى فكرة الحساب والردع والعقاب والمحاكمة والمحاسبة، ليشعر الإنسان أنه مسئول عما يأتيه من أفعال، فأن يوم الحساب آت لا ريب فيه، ولذلك أطيب الأثر التربوى فى تقويم النفوس وتهذيب السلوك.

يقول تعالى «ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا، ويشهد الله على ما فى قلبه وهو الد الخصام» البقرة (٢٠٤)

ويشير القرآن الكريم هنا إلى حالة نفسية وهي النفاق والرياء والمداهنة والغش، وإظهار الفرد خلافاً لما يبطن، وهى حالة يعرفها علم النفس الحديث بأنها «حالة العكسية» حيث يظهر الإنسان خلافاً لما يبطن، فالشخص البخيل يتظاهر بالكرم، والموظف المرتشى يتظاهر بالأمانة، والأم المهملة تتظاهر بأنها أم مثالية، وفى ذلك تنبيه من القرآن الكريم لمن قد يغش الإنسان ويتظاهر بصداقته، وهو من ألد أعدائه وخصومه، فالعبرة بما فى القلوب، ولا تؤخذ الأمور بظواهرها الخارجية، وفى ذلك احتراس لخطر المدفين والمراءيين، والذين يكثرون فى هذه الأيام وخاصة ما يحيط

برجال الإدارة العليا من بطانة فاسدة.

قال تعالى «ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه» الأحزاب (٤)

ويرشّد الإسلام سلوك الإنسان وفكره واتجاهاته وميوله نحو هدف أو غاية واحدة حتى لا يتعرض للتشتت والفوضى والضياع والخلط، وفى ذلك قمة التنظيم والترتيب. وحتى لا يتناقض فى أفكاره المتضاربة أو المتناقضة لوضوح الرؤية وتحديد الهدف، والفلسفة التى يؤمن بها الإنسان، وتلك من علامات الصحة العقلية الجيدة التى تستبعد التناقض فى الشخصية أو التضارب فى السلوك، وحتى لا يحدث انقسام فى الشخصية أو فصام أو يتشتت ذهن الفرد ونشاطه نحو أكثر من غاية. قال تعالى «أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله اضغانهم. ولو نشاء لأريناكم فلتعرفهم بسيماهم» سورة محمد (٢٩) (٣٠)

الذين فى قلوبهم مرض إشارة إلى إصابة الإنسان فى إيمانه وتقواه وشعوره نحو خالقه. فالقلوب وما يعبر عنه اليوم، فى إطار علم النفس الحديث، بالعقول قد يصاب بالمرض، من ذلك الغش والخداع والرياء والمداهنة والشك والريبة والخبل والخلط والتشويش.

قال تعالى «لا أقسم بيوم القيامة. ولا أقسم بالنفس اللوامة»

سورة القيامة (١ - ٢)

يشير القرآن الكريم إلى واحدة من المفاهيم والتصورات التى يهتم بها علم النفس التحليلى، وهى «**النفس اللوامة**» وتقابل الضمير الأخلاقى، الذى يحاسب صاحبه على كل كبيرة وصغيرة ويردعه فى شكل لوم الذات ويقابل هذا فكرة الذات العليا عند سيجمند فرويد.

قال تعالى «وأما من خالف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، فإن الجنة هى المأوى». سورة النازعات (٤٠ ، ٤١)

من وظائف النفس البشرية، فى التصور الإسلامى، الهوى والأنانية، واللوم والطمع والجشع فلها وظائف ايجابية كالحب والرحمة والشفقة، وأخرى سلبية كاتباع الهوى ومن هنا كانت ضرورة الرسالة والدعوة والتربية والتعليم لتغليب الجانب الخير السامى فى الذات الإنسانية على جوانب الهوى والشطحات، والخوف من الله تعالى أقوى الروادع والزجر والإلتزام بالطاعة.

قال تعالى «قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه»

سورة الأنعام (١٠٤)

والإسلام دائماً يهتم بالجانب التأملى العقلانى، حيث يحض أبناءه على التبصر والتأمل والتفكير والتدبر فى أمور الكون وفى مخلوقات الله، وصولاً إلى الغاية العظمى، وهى الإعتراف بوجود الخالق العظيم، وهنا توكيد لدعوة التبصر والنظر والتأمل وصولاً للإيمان الراسخ.

قال تعالى «ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون»

سورة الحشر «٩»

وقد تدفع الإنسان نزعات نحو الشح والبخل والتقتير إلى أن يؤذى نفسه، فالإسلام يدعو إلى الكرم والسخاء والتوسعة على العيال وإلى الجود، ويدعو إلى تهذيب النفس إذا جنحت إلى الشح والبخل، ولكن يلاحظ أن الإسلام دعوة وسطية فى التنشئته الاجتماعية والنفسية للفرد، فلا شح وبخل وتقتير، ولا اسراف وبذخ وتبذير، وإنما توسط واعتدال .

هل الإنسان خير بطبعه أم شرير بطبعه؟

تذهب الفلسفات المتشائمة الغربية إلى تصور الإنسان على أنه شر محض بطبيعته، ولكن التصور الإسلامى يذهب إلى أن الخير والشر فى الإنسان، قال تعالى «ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب

من دساها» سورة الشمس (٧- ١٠).

وعلى الإنسان الإختيار وتحديد سلوكه ومن هنا تنشأ فكرة المسئولية والثواب والعقاب ومن هنا أيضاً تظهر وظائف الأنبياء والرسل ورجال الوعظ والإرشاد والتربية ودعاة الإصلاح كي يغذوا الجوانب الخيرة في الذات الإنسانية. وعلم النفس واحد من هذه العلوم التي تسعى لعلاج ما قد يصيب النفس من اعوجاج قال تعالى «إن النفس لأمارة بالسوء» سورة يوسف (٥٣).

ونفس الإنسان قد توسوس له بعمل الأفعال المؤثمة أو المجّرمة أو المحرمة أو المكروهة، وتدفعه لارتكاب الآثام والمعاصي والذنوب والخطايا ولذلك على الإنسان أن يحترس من ذاته وألا يتبع هوى نفسه وشطحاتها وهواها وإنما عليه دائماً أن يتحكم في عواطفه وأن يسيطر عليها وأن يوجهها نحو الخير.

قال تعالى «ومن يبخل فإنما يبخل على نفسه» سورة محمد «٣٨»

ويعتبر الإسلام البخل من الصفات الذميمة في الإنسان، ولذلك على الإنسان أن يحارب تلك السمات السالبة في ذاته، من ذلك البخل والغل والأنانية والفردية والغيرة والإنتقام، وأن يزكي وينمي في نفسه السمات الحميدة والخصال الجيدة والمحبوبة، كالرضا والزهد والقناعة والتوكل على الله والرحمة والشفقة والمودة والإخاء والتعاون والمحبة والمسالمة والمشاركة الوجدانية والاتحاد والتعاون.

تنمية الإيجابية في الشخصية الإسلامية:

قال تعالى «يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور. ولا تصعر خدك للناس ولا تمشي في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور وأقصد في مشيك وأغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير» سورة لقمان (١٧- ١٩).

يربي الإسلام أبناءه على الإيجابية، ونبذ السلبية، فالمسلم مأمور أن يأمر بالمعروف وأن ينه عن المنكر وفي ذلك بيان للدور الاجتماعي والإنساني للمسلم،

فهو مسئول عن توجيه غيره من الناس نحو الخير والمعروف والمرؤة والمودة والرحمة، ونحو طاعة الله تعالى ورسوله وولاة الأمور، وتلك إيجابية يخلقها الإسلام فى الشخصية وتؤدى إلى الإصلاح الاجتماعى. كذلك يدعوه الإسلام للتحلى بالصبر، كما يدعو للتوسط بين التواضع والخضوع للناس بلا داعى وبين الكبرياء والفخر والغرور والمباهاة، والاعتدال فى المشى وفى الصوت وتلك من أرقى الآداب وذلك حتى يتحاشى المسلم الشعور بالخيلاء والغرور والعظمة الزائفة التى فى الواقع هى أحد الأمراض العقلية المعروف اليوم باسم «البارانويا» أى جنون العظمة والغرور والمباهاة ويوضح الإسلام للإنسان أنه كائن صغير بالنسبة للجبال الشواهق.

قال تعالى «ولا تمشى فى الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً. كل ذلك كان سيئة عن ربك مكروهاً».

سورة الإسراء (٣٧ – ٣٨)

والغرور من السمات السيئة ف يالشخصية والبعيدة عن خلق الإسلام وهكذا يحرص الإسلام على أن يظهر أبناءه بالمظهر الاجتماعيى والأخلاقى اللائق أو السوى ويؤكد الإسلام على الإعتدال والبعد عن التطرف والمغالاة بين الخضوع والمباهاة وفى ذلك قمة السواء النفسى فى ضوء علم النفس الحديث ويقول تعالى «ولا تصعر خدك للناس ولا تمشى فى الأرض مرحاً» سورة لقمان (١٨)

مبدأ التوسط والاعتدال في الإسلام وأثره النفسى والتربوى:

الإسلام بعيد عن التطرف والتزمت والتعصب التى غرقت فيها المذاهب الغربية، فها هو القرآن الكريم يؤكد أن أمة الإسلام أمة وسط تمتاز بالإعتدال والتوسط فى كل شئ فلا افراط وزيادة عن الحد ولا تفريط واهتمال أو اغفال الشئ مطلقاً.

ومبدأ التوسط هنا من المبادئ ذات الانعكاسات النفسية والتربوية الجيدة،

لذلك يقول تعالى «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً» سورة البقرة (١٤٣)

فالطفل إذا تربى على القوة والعنف والشدة الزائدة والزجر والصد والحرمان، شب طفلاً مريضاً، وإن تربى على أساس من التدليل المفرط والدلع وترك الحبل على الغارب والحرية المطلقة والإشباع الكامل لكل طلباته شب مريضاً أيضاً عاجزاً عن تحمل صعوبات الحياة وشدائدها وما تفرضه علينا من حرمان في بعض المواقف.

ويقول تعالى «ولا تجعل يديك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً» سورة الإسراء (٩).

وفى ذلك أبلغ الأثر النفسى والتربوى والاجتماعى، فلا اسراف زائد حتى لا يصاب الإنسان بالإفلاس وضياع ثروته، والتعرض لخطر غوائل الدهر، ولا يبخل فيصل إلى حد الحرمان من متاع الدنيا وطيباتها الحلال. والتوسط والإعتدال فى معاملة الأطفال وفى معاملة الناس عامة سبيل إلى التمتع بالصحة النفسية والعقلية الجيدة وإلى حسن العلاقات الاجتماعية، وفيه بعد عن الغلو والشطط والشذوذ، فالإسلام دستورنا الجامع المانع منذ الأزل وإلى الأبد وإلى قيام الساعة. دستور صالح لكل زمان ومكان وسبيل للصلاح والتقوى والورع، وسلامة المجتمع من التصدع والإنهيار والإنقسام والتمزق.

المراجع

١ – عبد الرحمن العيسوى، الإسلام والعلاج النفسى، دار الفكر الجامعى، الإسكندرية، ١٩٨٦ .

٢ – عبد الرحمن العيسوى، سيكولوجية المراهق المسلم المعاصر، دار الوثائق، الكويت، ١٩٨٦ .

٣ – عبد الرحمن العيسوى، مقومات الشخصية الإسلامية والعربية، دار الفكر الجامعى، الإسكندرية، ١٩٨٦ .

٤ – محمد البهى، الإيمان من التوجيه القرآنى الكريم، مطبعة الأزهر، القاهرة، ١٩٩٦ .

٥ – عباس بيومى عجلان، دراسات فى الحديث النبوى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٨٦ .

٦ – أحمد شلبى، تاريخ التربية الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨٢ .

٧ – البخارى، ابى عبد الله محمد، صحيح البخارى، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ب ت.

٨ – النووى، يحيى بن شرف الدين، مختصر كتاب رياض الصالحين، دار القلم، لبنان، بيروت، ١٩٨٣ .

٩ – النووى، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٧٠ .

١٠ – أبو بكر جابر الجزائرى، منهاج المسلم. مكتبة الدعوة الإسلامية شباب الأزهر، ١٩٦٤ .

١١ – محمد فؤاد عبد الباقى، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر لبنان، بيروت، ١٩٨١ .

نقد نظرية لومبروزو فى تفسير الجريمة

مقدمة:

البحث فى أسباب الجريمة بحث نام ومتطور، ومتغير بتغير الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية السائدة، ومتغير بتغير النظريات والاكتشافات العلمية دائمة التغير. ولمثل هذا المبحث أهمية كبيرة فى رسم البرامج اللازمة لمكافحة الجريمة والحد من انتشارها ومواجهة أساليبها وأنماطها المتغيرة، وكذلك لرسم البرامج الضرورية للوقاية من التورط فى الجريمة وبسط الأمن والأمان والاستقرار إلى ربوع المجتمع.

دراسة الجريمة وأسبابها وأنواعها تثير اهتمام العلماء منذ أقدم العصور، وينظر للجريمة على أنها ظاهرة اجتماعية أو مجتمعية تقع فى اطار تواجد اجتماعى أو تفاعل اجتماعى. وإن كان هناك جريمة فردية هى جريمة الإنتحار أو قتل الإنسان نفسه، وحتى فى هذه الحالة قد تكمن ورائها الظروف الاجتماعية. واختلف العلماء والفلاسفة، من أقدم العصور، فى تفسير سلوك الإنسان، فمنهم من ارجعه إلى المجتمع، ومنهم رده إلى طبيعة الإنسان نفسه. وحتى الآن إذا ما وقعت جريمة تساءل الناس عن السبب أو عن المسئول عنها؟

هل هو الفرد نفسه أم المجتمع؟. فلقد رأى أفلاطون (٤٢٨- ٣٤٧ ق. م) Plato أن السلوك يرجع إلى ما يتعلمه الفرد من ثقافة المجتمع، ذلك لأن الإنسان فى نظره، يولد مزوداً بقدرة على تعلم ما يريده المجتمع أن يتعلمه أو يكتسبه.

وفى نظر العلم الحديث يولد الإنسان وهو كائن بيولوجى حيوى صغير، يحوله المجتمع إلى كائن انسانى أو اجتماعى أو بشرى عن طرق عملية التطبيع الاجتماعى أو التنشئة الاجتماعية Socialization وهى عملية مستمرة ومتصلة من المهد إلى اللحد، ومعنى ذلك أن سلوك الفرد يتوقف على المجتمع. وكان

أفلاطون يرى أن الجريمة لا ترجع إلى سبب طبيعى فى الإنسان، وإنما ترجع إلى المجتمع؛ أى إلى أسباب مكتسبة ومتعلمة (١).

أما أرسطو Aristotale (٣٨٤- ٣٢٢ ق. م) ففسر سلوك الإنسان بطريقة معاكسة لرأى استاذه افلاطون، إذا ارجع سلوك الإنسان إلى غريزة موجودة فيه، تسيرة وعلى ذلك لايمكن تغيير الناس ولا تغيير المجتمع. ومن هنا يوجد المجرم الشرير بالسليقة، والذى لا يرجى له علاج. وكان ارسطو يربط بين بعض خصائص الفرد الجسمية مثل الشعر ولون البشرة وطول القامة وسماته الأخلاقية، وكأن ارسطو كان يمهد الطريق إلى انصار المدرسة الإيطالية فى تفسير الجريمة والتى من ابرز علمائها لومبروزو. وكانت هذه الآراء النواة لعلم الاجتماع الجنائى وعلم الانثروبولوجيا الجنائى وأخيراً علم النفس الجنائى وعلم الاجرام. وذهب انصار مذهب اللذة، ومنهم سقراط Socrates (٤٧٠ - ٣٩٩ ق. م)إلى القول بأن الإنسان يسلك بما يجلب له اللذة أو المتعة الجسمية أو العقلية وما يجنبه الألم.

وعلى ذلك ظهرت آراء ترى أنه فى الإمكان تعديل المجتمع عن طريق فرض العقوبات التى تنزل الألم بالمجرم، ولذلك فإذا كان يسلك السلوك الإجرامى طلباً للذة، فإنه يلقى بدلاً منها عقاباً يفوق مقدارها. ولذلك يكف عنها ويشبه هذا الرأى الآن فكرة تعزيز أو تدعيم السلوك الطيب واقترانه بالمكافأة أو التعزيز أو الجزاء الطيب واقران السلوك الاجرامى بالتعزيز السلبى أو العقاب أو انزال الأذى. ولذلك يتدعم السلوك الطيب ويختفى السلوك الاجرامى أو السلوك السئ(٢).

وفقاً لمبدأ حرية الإرادة، فإن للناس حرية الاختيار أو الخيار، وهى قوة منحها الله تعالى للناس، اختيار السلوك الخير أو الشرير أى طريق الله أو طريق الشيطان (٣). وأكدت هذه النظرية فى إرادة الإنسان الحرة مبدأ الثواب والعقاب، وأصبح العقاب يطبق على الفرد ليكون عظة وعبرة لغيره ولردعه لعدم مقارفة الجرم ثانية.

ظلت فكرة اللذة والألم والإرادة الحرة للإنسان سائدة، حتى مطلع القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وظلت هذه الأفكار سائدة فى اطار المدرسة الكلاسيكية فى تفسير الجريمة ومن انصارها بيكاريا Beccaria (١٧٣٨ - ١٧٩٤) حيث كان يرى أن اللذة والألم هما مصدر سلوك الإنسان، وأن الجريمة عبارة عن اضرار تلحق بالمجتمع، وعلى ذلك يجب معاقبة المجرم عقوبة توازى الجرم الذى إرتكبه. ولقد كان ينادى بأن جرائم الممتلكات تكون عقوبتها الغرامة، وكان ينادى بإلغاء عقوبة الإعدام وتعذيب المجرمين، وكان يدين المحاكمات غير العادلة. واتهمه القضاه فى عصره بأنه حامى حمى اللصوص والقتلة.

ولقد فسرت المدرسة الوضعية ومن زعمائها سيزار لومبروزو الجريمة بالقول بأن الجريمة ظاهرة طبيعية ضرورية كالولادة والموت والحمل. وكان من آرائه أن المجرم المولود أو المجرم بالولادة هو النمط السائد من بين أنماط المجرمين، وأنه يمكن التعرف عليه من ملامح وجهه وبعض الخصائص الجسمية كالوجه غير المتناسق والآذان الكبيرة أو الصغيرة جداً وبشكل ملخبط والجبهة المنخفضة، والحواجب البارزة والذقن العريضة وعظام الفك البارزة. وعلى الجملة كانت الصورة التى يصفها لومبروزو تشبه صورة الحيوان. ولقد كان لومبروزو متأثراً بنظرية التطور والنشوء والبقاء للأصلح وأصل الأنواع لتشارلز دارون Charle Darwin (١٨٠٩ - ١٨٨٢م). ولذلك اعتقد أن هذه الصفات موروثة من الأجداد. ولقد توسع لومبروزو فى مفهوم الوراثة فلم يقصرها على الصفات الجسمية بل رأى أيضاً أن الوراثة تشمل الصفات النفسية، وكذلك الصفات الفسيولوجية. ومن تلك الصفات الموروثة القدرة على مقاومة الألم وحدة الإبصار والقدرة على سرعة الشفاء من الجروح والتشابه الكبير بين الجنسين والكسل وعدم الشعور بالعار أو الشرف أو الندم أو الشفقة والإستهتار وسرعة الاستثارة والميل للمقامرة ومعاقرة الخمر والغرور.

ومن وجوه الربط بين الجريمة والصفات الجسمية أن لومبروزو اعتقد في وجود منطقة مشتركة بين مرض الصرع وهو مرض عضوى دماغى، وبين الجريمة، حيث أعتبر الصرع أحد أسباب الجريمة.

ولقد كان للومبروزو الفضل في الأهتمام بعلاج السلوك الإجرامي، على أساس من فهم سيكولوجية المتهم. حيث أن طبيعة المجرم هي التي يجب أن توضع في الإعتبار لا طبيعة الجريمة التي اقترفها. وحيث أن هناك علاقة بين مرض الصرع، في نظر لومبروزو وبين الجريمة، فلقد قال بعض العلماء بوجود المجرم المصروع، أي المصاب بالصرع والذى يرجع اجرامه إلى الصرع.

والمتأمل في آراء لومبروزو يلمس أنه لم يذكر الأسباب الوراثية وحدها أو الأسباب الفسيولوجية أو الجسمية، وإنما قال، في واقع الحال، بوجود أسباب عديدة، وإنما كان جل اهتمامه بالأسباب الفسيولوجية، وكان يرى أن الأسباب العضوية مسئولة عن نسبة كبيرة من السلوك الإجرامي تصل إلى ٣٥- ٤٥٪ من مجموع الجرائم مما يؤكد أنه أعطى مساحات لأسباب أخرى غير الأسباب الجسمية.

والواقع أن الفكر الوراثي في تفسير الجريمة ظل سائداً خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وحتى الدراسات الإحصائية المقارنة التي اعتمدت على مقارنة المجرمين بالأسوياء والتي قام بواحدة منها (جورنج) (١٩١٣م) بقصد نقد نظرية لومبروزو وجد أن الجريمة محصلة للعوامل الوراثية.

ولقد قام داج ديل (١٨٧٧م) بتتبع أفراد عائلة مشهورة بالإجرام، وهي عائلة الجوكس، وذلك لسبعة أجيال متعاقبة، فوجد أن هذه العائلة قد خرجت ٢٠٠ لصاً، ٢٨٠ شحاذاً، ٩٠ إمرأة عاهرة... وإنتهى إلى تأكيد العوامل الوراثية في تفسير الجريمة والجنوح. أما جودارد (١٩١٤م) والذى درس عائلة الكاليكاك فكان يعزو الجريمة إلى الضعف العقلي الوراثي.

وحين تعزى الجريمة للوراثة، فمعنى ذلك أنها تعزى إلى تكوينات جسمانية أو عضوية مثل الجهاز العصبي المركزى والجهاز العصبى الذاتى والجهاز[٤] الغدى والعضلات.

ولقد عاش سيزار لومبروزو Lombroso, Gesare فيما بين عامى ١٨٣٦- ١٩٠٩ وكان طبيباً يعمل بالجيش الإيطالى، كما كان عالماً ظاهراً من علماء علم الإجرام Criminology ووضع النظرية القائلة بأن المجرمين يتميزون بسمات أو خصائص مورفولوجية أى تتعلق بشكل وبناء جسم المجرم وملامح الوجه. كما كان يؤمن بنظرية أخرى مؤداها انتكاس أو تحلل أو تفسخ العباقرة Degeneracy بمعنى أن لومبروزو قد ارجع السلوك الإجرامي أو النزعة الإجرامية إلى علم المورفولوجيا Morphology وهو نوع من علم الأحياء Biology أى دراسة بناء وتركيب وشكل الجسم... وهو علم قريب من علم التشريح Anatomy ويستهدف أصحاب هذا العلم تصنيف الناس إلى فئات أو انماط على أساس جسمى كما يسعون إلى إيجاد رابطة أو صلة بين بناء جسم الإنسان وسماته الانفعالية أو النفسية أو الاتجاهات العقلية [٦].

التفسير الوراثى للجريمة:

ولقد اهتم لومبروزو بالجانب العقلى والنفسى فى الإنسان منذ وقت مبكر، فكتب فى عام ١٨٩١ كتابه المشهور «عبقرية الإنسان» Man of Genius وفى معرض حديثة عن العلاقة بين الجريمة وا لشخصية المضادة للمجتمع، يقول كول مان Coleman أنه حتى وقت قريب كان ينظر للجريمة على أنها اضطراب وراثى Hereditary Disorder وأنها تميل للتكرار فى أوساط أسر معينة. بمعنى ارجاع الجريمة إلى عوامل وراثية واستعدادية أو جبلية Hereditary and Constitutional Factors.

ولقد وصف الطبيب الإيطالى لومبروزو، عدداً من السمات الفيزيقية فى الشخصية Physical Traits اعتبرها وصمة Stigmata للانحطاط أو التدهور أو

الانحلال. Degeneration ومن ثم تقـود إلى السلوك الإجـرامى. بمعنى إنه إذا توفرت هذه السمات أصبح الفرد مجرماً. وإذا ولد الفرد مزوداً بها إنتهى به الحال إلى الإجرام. وما دامت هى سمات فيزيقية أى وراثية فلا دخل فى الجريمة للعوامل البيئية. من تلك السمات الرأس العالية والمدببة ahigh, pointed head وجبهة متراجعة إلى الخلف a retreating for head وأذنان كبيرتان، وعدم انتظام فى شكل الرأس a Symmetry of the head وحواجب ساقطة Projecting eyebraw وكل هذه السمات أو تلك الملامح تشبه مثيلتها عند القردة Aspelike.

ولكن الأنصاف يقتضى أن نقول أنه على الرغم من تأكيد لومبروزو على هذه العوامل الاستعدادية الوراثية، إلا أنه ترك مساحة للعوامل السيكولوجية والاجتماعية فى حدوث الجريمة. ولكن هذه العوامل الأخيرة أهملها العلماء الذين كانوا يريدون توكيد الجانب الاستعدادى (٧).

وعلى الرغم من وجود محاولات حديثة لإحياء آراء لومبروزو فى فكرة ارجاع الجريمة إلى الانحلال أو الانحطاط الاستعدادى أو الوراثى وذلك فى ضوء الأدلة الوراثية والاستعدادية الجديدة، ولكن هذا الرأى ما يزال ينقصه التأييد التجريبى العلمى، ولذلك فلا يقبله معظم العلماء أو لا يقبل فى الأوساط أو الدوائر العلمية. من ذلك فشل الدراسات العلمية التى قارنت بين المجرمين وغيرهم فى وجود فروق ذات دلالة فى موجات المخ لدى الطرفين in brain wave patterns ولذلك يركز العلماء فى الوقت الراهن على الدور الذى تلعبه العوامل السيكولوجية والاجتماعية فى السلوك الجانح والسلوك الإجرامى. فمن المؤكد أن الظروف الاجتماعية التى تسهم فى خلق الشعور بعدم الأمن والأمان، وعدم الثبات، والصراع تساهم فى خلق السلوك الإجرامى. ومن العوامل التى تؤكدها الدراسات فى المناطق المتدنية المستوى اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً Slum areas

وفى حالة رداءة المساكن وقلة وسائل الترويح والترفيه ووجود مشاكل مثل البطالة وكثرة تكرار هجرة الأسرة، والتميز العنصرى أو السلالى racial discrimination والتفكك أو الانحلال الاجتماعى... تلك التى تصاحب الحروب. ولقد تمت دراسة مجرمى الحرب من الألمان أرباب الفلسفة النازية بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية واستطاع الأخصائى النفسى فى السجن أن يصنف مجرمى الحرب هؤلاء وأن يبين فيهم بعض سمات الشخصية أو بعض أنماط الشخصية وسط هؤلاء المجرمين من ذلك ما يلى:

١ - النمط غير المستقر انفعالياً شديد القابلية للإيحاء أو للتأثير بالإيحاء The highly suggestible and emotionally unsable type.

٢ - النمط السيكوباتى The Psychopath.

٣ - النمط الطموح المتسلط.

٤ - النمط صاحب الولاء الشديد للنازية وهو الذى ينفذ الأوامر ويعتبرها مقدسة.

٥ - النمط المفتقد للمبادئ الأخلاقية والميال لخرق المعاهدات والاتفاقيات باسرع ما يمكن.

٦ - النمط المضطرب عقلياً كالإصابة بجنون العظمة أو الاضطهاد Paranoia.

وهناك دراسات حديثة حاولت تمييز شخصية مرتكبى كل نوع من أنواع الجرائم كالسرقة والنشل أو السرقة من المحلات العامة وجرائم السرقة بالإكراه ولقد لاحظت بعض المحاكم علامات الإضطراب العقلى على المتهمين فاحالتهم للكشف والعلاج الطبى النفسى. وتبين أن من بينهم مدمنى المخدرات ومرضى العصاب النفسى أى المرض النفسى السيكوباتى والفصامى والشيوخ وكبار السن ومدمنى الخمور وهكذا..

سيزار لومبروزو وآرائه فى تفسير الجريمة: Ceare Lombroso

أحد علماء علم الإجرام، وطبيب نفسى إيطالى (١٨٣٦- ١٩٠٩م) دعا إلى قبول الرأى بأن المجرمين يتميزون بإمارات أو علامات مورفولوجية خاصة، أى متعلقة بشكل وبناء الجسم. وذهب إلى القول أن زيادة النمو فى قدرة ما كالفن أو الأدب أو الموسيقى أو غيرها يصحبها ميل نحو عدم الثبات والانتكاس أو العودة إلى الوراء، وهى النظرية المعروفة باسم تحلل أو تفسخ أو انتكاس العباقرة(٨) degeneracy ويعبر العوام عن هذا الرأى بالقول أن العباقرة يعانون من هفة عقلية أو ضرب من ضروب الشذوذ أو الإنحراف أو الغربة عن المألوف. ولكن هذا غير صحيح من الناحية الواقعية والعلمية.

ويتضمن مصطلح الإنحلال أو الإنحطاط وجود إنخفاض كبير فى مستوى سلوك الفرد أو فى تصرفاته الاجتماعية أو فى وظائفه العقلية، كالتفكير والتخيل والتصور والإدراك والتعلم والتذكر والتعميم والتمييز والحكم والمقارنة. وقد يكون هذا الإنحلال وراثياً بمعنى أن يكون الفرد مولوداً وهو مزود به، وقد يكون مكتسباً من جراء التعامل والتفاعل مع ظروف البيئة. وقد يعبر هذا الإنحلال أو ذلك التحلل والإنحطاط عن نفسه فى شكل التعبير عن دوافع الفرد الضارة بالمجتمع وثقافته أو السلوك المضاد للمجتمع. وقد يعبر عن نفسه فى بعض مظاهر السلوك الشاذة أو الإجرامية والجنسية كالاغتصاب والفسق بالصغار والحيوانات وكشف العورة. وقديعبر عن نفسه فى بعض مظاهر الشذوذ الأخرى مثل السادية والمازوكية، أى حب الحاق الأذى بالغير وحب الحاق الأذى بالذات. ولكن هذا المصطلح، أى الإنحلال، ليس شائعاً الآن بين الأطباء العقليين، لأنه لا يتضمن كل أعراض الإضطرابات العقلية، فقد يظهر هذا الإنحلال فى الحالات الحدية borderline cases أو فى حالات السكوباتية والحالات القريبة من الصرع epileptic cases وفى حالات الإجرام وقد يدرك الإنسان نفسه هذا الإنحلال.

فالشخص المنحط أو المنحل اصطلاحاً، معناه الشخص الذى ينحرف عن مسار المعايير السوية للسلوك تلك التى قبلها المجتمع الذى يعيش فيه. وقد يتورط الفرد من هذا النوع فى ارتكاب الجرائم الجنسية degenerate ومجافاة القيم الأخلاقية فى الجماعة. فالانحطاط قد يكون بيولوجياً حيوياً، وقد يكون أخلاقياً أو اجتماعياً. وما زالت العامة تصف الشخص من هذا النوع **«بالانحطاط»**. وهناك ما يعرف اصطلاحاً باسم المنحط المنحل degenerae type وقد يكون وراثياً أو متكسباً. ويتميز أصحاب هذا النمط بوصمات أو بوصمة stigmata أى وصمة عار وهى وصمة طبيعية. ولذلك هناك اعتراضات كثيرة على استخدام هذا المصطلح، ولذلك أصبح اصطلاحاً مهجوراً إلى حدما ذلك لأن أخلاقيات العلم تمنع استخدام ألفاظ جارحة.

ولقد قال لومبروزو فى تفسيره للسلوك الإجرامى بأن المجرمين يمتازون أو يتميزون عن غيرهم من الناس بوجود ما يسمى بالوصمة أو الوشم أو الآية أو العلامة stigma وتتضمن وجود أشياء غريبة على جسم الفرد، وخاصة تلك العلامات التى تدل على التشوه أو التنكس. فالمجرم يمتاز بوجود وصمة أو شائبة تلطخ طبع المرء. وهذه الوصمات الشاذة يقال أنها ترتبط بالسلوك غير السوى.

ولقد قال لومبروزو أن المجرمين يعانون من هذه الوصمة والتى ترجع إلى الجدود أو إلى العوامل الوراثية، أى ترجع إلى الأسلاف. بمعنى عودة الجسم إلى خصائص لا توجد إلا فى الوحوش البدائية. ولقد أشار «روزانوف» (١٩٠٥) إلى الوسم أو الوصمات التى تعرقل سير نمو الكائن البشرى مثل صغر الرأس وكبر حجم الدماغ وزورقية الرأس أن يصبح الرأس يشبه الزورق أو القارب من حيث اسقاط الجمجمة من الأمام إلى الخلف وقصر الدماغ الزائد واستطالة الرأس الزائدة. أما شاركو الفرنسى (١٨٢٥- ١٨٩٢م) فلقد وصف علامات وسم المناطق غير الحساسة أو ما اشبهها مما كان يعتقد أنه لا يظهر إلا فى حالة المعاناة

من مرض الهستيريا الخطيرة، ومن ذلك حوْل العينين أو لطخه على جبين الشخص أو حتى سمعته. ومن ذلك وجود الحنك المقوس وتشوهات في الأذينين وانغراس ردئ للأسنان وضيق المجال البصرى. ولقد تحدث «جانيه» عن العلامات العقلية مثل النسيان وعدم الإنتباه وعدم الثبات الإنفعالى أو هوس الكذب وحب المبالغة (٩).

وفيما يلى بعض المصطلحات الفنية التى يلزم توضيحها ونحن بصدد استعراض الجريمة وأسبابها وأنماطها:

النزعة الإجرامية: Criminality عبارة عن التجريد اللفظى للفعل الإجرامى والإجرامية مصطلح قانونى legal وليس مصطلحاً سيكولوجياً أو نفسياً. ويصعب تحديد كل الصفات السيكولوجية التى تحدد نزعة الاجرامية هذه، نظراً لتعدد هذه الصفات وتنوعها واختلافها باختلاف شخصية المجرم ونمط الجريمة.

أما النمط الاجرامى فيشير Criminal type إلى الإتيان بالسلوك المضاد للمجتمع anti social behaviour ولا يمكن قبول الاعتقاد بوجود نمط من هذا المصطلح أى «النمط الإجرامى» تلك الآراء التى تضع الناس فى قوالب جامدة محددة ومستقلة بعضها عن بعض (١٠). لقد بطل استعمالها.

علم الإجرامى Criminology عبارة عن الدراسة المنظمة للجريمة والمجرم مع الإشارة الخاصة للعوامل الشخصية والظروف الاجتماعية التى تقود نحو الجريمة أو التى تبعد عن حقل الجرينمة.

والانحطاط degeneration يشير إلى الإنتقال الذى يحدث فى عضو معين أو فى الكائن الحى كله من الحسن إلى السيئ أو الأسوأ، وعلى ذلك يشير إلى الانحطاط الأخلاقى أو إلى الإجرام moral decary مؤكداً الصلة الوثيقة بين الاجرام (١١) والأخلاق.

الجنوح delinquency

عبارة عن خرق بسيط للقانون الجنائى أو الأخلاقى minor violation of Legal or moral codes وخاصة ما يحدث من هذا النمط من السلوك من الأطفال والمراهقين. أما جنوح الأحداث Juvenile delinquency فهو هذا السلوك الذى يأتيه الأشخاص صغار السن الذين لا يتجاوزون سن ١٦ أو ١٨ عاماً حسب نوعية قانون العقوبات فى المجتمع. الأمر الذى يدفعهم للمثول أمام المحكمة. مما يؤكد الارتباط القوى بين الأخلاق والجريمة، وكذلك مما يؤكد دور العوامل العقلية فى السلوك الإجرامى، إن الضعف العقلى قد يكمن سبباً وراء الجريمة، ولذلك يميز علماء الاجرام الحدث الجانح الضعيف عقلياً defecive deliquent وهو الذى يعانى من الضعف العقلى mental deficiency وفى نفس الوقت يتورط فى إرتكاب الجريمة (١٢).

مفهوم الوراثة ومظاهرها:

الوراثة: Heredity تشير إلى مجمل التأثيرات التى تنتقل بيولوجياً أو حيوياً من الآباء والأجداد إلى الذرية، والتى تحدد الطرق التى سوف يستعملها الإنسان للاستفادة من بيئته. بمعنى أن الوراثة التى تمد الإنسان بالمقومات أو القدرات التى تساعده فى الاستفادة من الامكانات التى سوف تتوفر له فى بيئته. بمعنى أنها ما ينقل من الآباء والأجداد إلى الذرية The Transmission from parent to offspring. تلك التى تؤدى إلى ظهور بعض الخصائص فى هذه الذرية. ويتم هذا الانتقال عبر ما يعرف باسم الجينات Genes أو محددات الوراثة أو ناقلات الوراثة. وتنتقل بعض الجينات من الأم وأخرى من الأب. ويؤدى ذلك إلى نمو سمات تشبه سمات الأم أو الأب. ولكن هذه السمات تتأثر أيضاً بالعوامل البيئية، حيث توجد علاقة تفاعل Interaction قوية بين الخصائص الوراثية والظروف البيئية. والحقيقة أن الاختلاف بين السمة الوراثية والبيئية، إنما هو إختلاف فى الدرجة

فقط degree السمات الوراثية تتأثر قليلاً بالعوامل البيئية. والصفات الوراثية hereditary، لها مرادفات كثيرة منها السمات المولودة أو الفطرية أو الطبيعية . Hereditary, inherited, native, natural and original

والوراثة تشير إلى ما ينقل إلينا من الأسلاف ancestors ولكن العوامل الوراثية تختلف عن العوامل الميلادية أو الولادية Congenital ومعناها وجود السمة عند الميلاد at birth ولكنها قد تكون راجعة إلى الوراثة أم لا من ذلك اصابات الميلاد وجروحه.brith injury فهى ميلادية أى موجودة أثناء الولادة، ولكنها ليست منقولة وراثياً. ويخلط البعض بين العوامل أو المؤثرات الميلادية والوراثية (١٣).

نقد النظريات الوراثية فى تفسير الجريمة

لقد لاقت النظريات التى فسرت السلوك الإجرامى بارجاعه إلى العوامل الوراثية نقداً شديداً. حتى منذ بداية القرن ١٨م قدم مونتسيكو تفسيراً للسلوك الطيب والردئ، بارجاعهما إلى معايير الجماعة التى يحكم عليها بالسواء أو الشذوذ أو الخير أو الشر، فما هو مقبول فى مراكش والجزائر يبدو قبيحاً وغير مقبول فى فرنسا وإنجلترا. ولكنه نسب هذا الإختلاف في الحكم على السلوك السوى والشاذ أو الطيب والسئ إلى عامل المناخ. وبناء على ذلك فإذا أردنا تغيير المجتمع كان علينا أن نغير ظروف ا لمناخ الذى يعيش الإنسان فى ظله، ومع أهمية الإشارة إلى الظروف الاجتماعية، إلا أنه ارجع السلوك إلى عامل واحد فقط وهو المناخ. ولقد رفض «تارد» وهو قاض فرنسى النظريات الوراثية، وقال أن الجريمة ليست صادرة عن طبيعة الإنسان، وأنها تنتقل من فرد لآخر، وأنها تنتقل بالتقليد والمحاكاة، وأن الناس لديهم قابلية للإيحاء. فالمجرم ما هو إلا شخص نشأ بين المجرمين، فقلدهم فى سلوكهم الإجرامى. ولعل ذلك ما يفسر تعليم بعض صغار المجرمين من خلال تجربة الإقامة فى السجن ومخالطة كبار المجرمين لأنماط أكثر

خطورة من الجريمة، إذا لم تكن ظروف السجن العلاجية فاعلة بما فيه الكفاية، وبما يجعل من السجن تهذيب وتأديب وإصلاح وتأهيل إيجابي بالفعل. ولقد انتقد تارد نظرية لومبروزو انتقاداً حاداً. فحين يشبه لومبروزو المجرم بالشخص البدائي المتوحش، فإنه لا يقدم تفسيراً كافياً للسلوك الإجرامي، ذلك لأن البدائية لا تعني الإجرامية بالضرورة. فهناك مجتمعات بدائية مسالمة للغاية. وكان لومبروزو يرى أن **المجرم مجنون**، وأنه عرضة للإصابة بأمراض القلب والإبصار مثل عمى الألوان وضعف الإحساس وبزيادة القدرة على إحتمال الألم والبرد الشديد وكان «تارد» يرى أن مثل هذه التفاصيل لا تفيد المحقق الجنائي في التعرف على مرتكب الجريمة. فإذا فرضنا أن هذه السمات قد تجمعت في شخص ما فهل يقوم ذلك دليلاً على أنه هو الذي ارتكب الجريمة التي وقعت في الحي الذي يعيش فيه؟ وكذلك فإن الصفات السيكولوجية التي عزاها لومبروزو للمجرم من ذلك ضعف في قدرته على الإحساس وموت عاطفته، لا توجد هذه السمات بسبب إجرامه بل لأن المجرمين في الغالب ينحدرون من طبقات الشعب الجاهلة ذات الحظ الضئيل من الثقافة. ولقد لوحظ على هذه الطبقات زيادة القدرة على تحمل الألم وعدم التأثر العاطفي. ولقد عقد لومبروزو مقارنة بين الجنون والجريمة وقال أن المجرم يولد مجرماً. أما المجنون فيصاب بالجنون عن طريق الاكتساب. ولكن تارد رفض هذا التمييز ورأى أن كلاً من الجنون والجريمة مكتسب. وإذا كان الجنون يرتبط بحالات فسيولوجية، فإنه يرتبط أيضاً بكثير من العوامل الاجتماعة. فالمجرم، في نظر تارد، ليس مجنوناً وليس نمطاً متخلفاً من الإنسان المتوحش البدائي. وفي نظره لا بد من دراسة الظاهرة الإجرامية في ضوء المنهج الاجتماعي وفي ضوء التعرف على الآثار البيئية والحياة الاجتماعية في تحديد معنى الجريمة ودراسة انتشارها في الأوساط المختلفة. وكان تارد يقصر الجريمة والتي اعتبرها مهنة على الجريمة المتكررة وليس مجرد الحادث الذي يقع تحت ظروف طارئة (١٤).

إن فكرة الربط بين الخصائص الجسمية والصفات النفسية فكرة قديمة ترجع إلى تقسيم هيبوقراط للشخصية الإنسانية إلى أنماط حسب غلبة أحد عناصر الدم في الجسم كالنمط الصفراوى والسوداوى والبلغمى واللمفاوى. وأن هذه العناصر المرتبطة بكيمياء الدم ترتبط بالخصائص المزاجية للفرد كحدة المزاج أو التبلد. ونظرية لومبروزو تشبه النظريات القائمة على أساس الحكم على أخلاق الفرد وسلوكه عن طريق الفراسة physignomy أى التعرف على صفات الفرد من معرفة ملامح وجهه أو أساريره أو سمات جمجمته ومن بناء جسمه وإعتبار ذلك دليلاً على الخلق. ولكن العلم الحديث يرى أن هذه النظرية لا تقوم على أساس علمى.

الإتجاه الحالى فى تفسير الجريمة

لم يعد إسناد السلوك الإجرامى إلى عامل واحد بعينه مقبولاً فى الأوساط البحثية، وإنما أصبحت دراسة الجريمة والجنوح والإنحراف تأخذ فى الحسبان عدداً من العوامل والمتغيرات المتفاعلة أو المتشابكة أو المتداخلة. وتشمل هذه العوامل الأسباب الوراثية والبيئية والميلادية وتؤكد علاقة التفاعل أو الأخذ والعطاء أو التأثير والتأثر أو التأثير المتبادل بين العوامل الوراثية والبيئية والميلادية، ومعنى ذلك دراسة العوامل الاجتماعية والنفسية والجسمية وظروف تعليم الفرد وأساليب تنشئته اجتماعياً وخاصة تفاعل الفرد مع محيطه الاجتماعى، وما يوجد فيه من مؤثرات وقوى.

وتتطلب دراسة الجريمة معرفة كيفة تكوين الشخصية ونموها وعوامل ثباتها أو سوائها ومرضها وإنحرافها والتأكيد على السلوك المقبول دينياً وأخلاقياً واجتماعياً وتدعيمه. علماً بأنه حتى الآن لا توجد قوانين علمية عامة ثابتة يمكن تطبيقها فى تفسير جميع صور الاجرام، ويمكن تعميمها على جميع الحالات . فالقانون العلى أو السبب معناه أن عاملاً معيناً إذا ما توفر لا بد وأن يؤدى إلى

ظهور نتيجة معينة أو سلوكاً معيناً. ولكن هذا غير متوفر حتى الآن وكل ما لدينا حتى الآن هو تعميمات وما يزال أمام العلم مشواراً طويلاً للوصول لقوانين علية أو سببية ثابتة في تفسير الجريمة. وحتى الدراسات التى تنتهى بوجود معامل ارتباط بين عامل معين كالفقر والجريمة، فإن الإرتباط لا يمكن أن يعنى فى حد ذاته تقرير علاقة علية أو سببية، وإنما معناه فقط أن هناك عاملين يتواجدان معاً ويختفيان معاً أو يقلان معاً ويزيدان معاً، ولكن قد يكون أحدهما سبباً فى وجود الآخر. وقد يرجعان هما الاثنان معاً إلى عامل ثالث غير موجود فى القياس. فارتباط زيادة المواليد فى مصر عبر السنوات العشر الماضية مثلاً قد تترابط مع معدلات حوادث الطريق فى نفس المدة فى الارجنتين، ولكن ليس معنى ذلك أن أحدا لعاملين سبب فى وجود الآخر.

وهناك أسس تقوم عليها دراسة الجريمة الآن.. من ذلك الأسس البيولوجية أو الحيوية أو العضوية أو الجسمية والبدنية والأسس الاجتماعية والنفسية العقلية والشعورية واللاشعورية أو مبادئ التحليل النفسى، ويدخل فى ذلك عوامل مثل الفقر والبطالة والإدمان والعنف والتطرف وتفكك الأسرة وتحلل المجتمع وفقدان الرعاية الوالدية والإشراف الأبوى وقلة الوعى الدينى وعدم الالتزام بمبادئ الدين الحنيف.

المراجع

١ - عبد الرحمن العيسوى، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية دار الفكر الجامعى، الإسكندرية، ١٩٨٦.

٢ - سعد جلال، فى الصحة العقلية، دار المطبوعات الجديدة، الإسكندرية، ص٤٣١.

٣ - أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، المكتب المصرى الحديث، القاهرة.

٣ - سعد جلال، مرجعه السابق ص ٣٣٣.

٤ - المرجع السابق، ص ٣٣٦.

٥ - كمال الدسوقى، ذخيرة علوم النفس، وكالة المطبوعات الحديثة، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٨٠٢.

٦ - المرجع السابق، ص ٨٩٧.

7 - Coleman, J. C., Abnormal Psychologoy Scott, Chicago, 1956, p. 347.

٨ - كمال الدسوقى، مرجعه السابق، ص ٨٠٢.

٩ - المرجع السابق، ص ١٤٢٠.

10. English, H. B. and English, A. C., A Comprehensive Dictionary of Psychological and Pschonnalytical terms, 1958, p. 130.

11 - Op. cit., p. 142.

12 - Op. cit., p. 143.

13 - Op. cit., p. 238.

١٤ - سعد جلال، مرجعه السابق، ص ٣٤٦.

المسئولية الجنائية للحدث الجانح

بناء شخصية الطفل :

تهتم المجتمعات جميعاً بمرحلة الطفولة نظراً لما لها من أهمية في بناء شخصية الطفل وصقلها ونموها فى المراحل اللاحقة فى حياته. وذلك لأن جذور الشخصية الأولى توضع فى مرحلة الطفولة وعلى أساس ما يلقاه الطفل من الحب والعطف والحنان والرعاية والإرشاد والتوجيه، على أساس من ذلك تكون شخصيته فى الكبر. ولا شك أن ما يلقاه الطفل من خبرات الفشل والإحباط والصد والزجر والنهر والألم والقسوة والغلظة تترك آثارها وبصماتها على شخصيته فيما بعد. والمجتمع يولى الطفل السوى والطفل المنحرف أو الجانح عناية خاصة ذلك لأن طفل اليوم هو رجل الغد ولأن الأطفال هم ثروة المجتمع الغالية [١].

ولقد جاء قانون الطفل رقم ١٢ لسنة ١٩٩٦ مؤكداً الاهتمام بالطفل ورعايته وحمايته من الإنحراف والجنوح والتشرد والأهمال والأمراض وكافة الأخطار. وكذلك جاء محدداً لمعالم معاملته جنائياً حين يرتكب عملاً يعاقب عليه القانون [٢].

ويراعى المشرع مستوى نضج الطفل[٣] العقلى ومبلغ إدراكه للمسئولية عن أعماله، فيقرر فى المادة (٩٤) من هذا القانون امتناع المسئولية الجنائية على الطفل الذى لم يبلغ من العمر سبع سنوات كاملة. وذلك لأن الطفل فيما قبل هذا السن لا تمكنه قدراته من الوعى والألمام والإدراك لما يأتيه من أعمال. وتسرى أحكام هذا القانون على كل من لم يبلغ سن (١٨) سنة وقت ارتكاب الجريمة أو عند وجوده فى احدى حالات التعرض للإنحراف ويبدو أن اعتبار سن ١٨ عاماً للطفل من الناحية الجنائية أمر لا يتفق مع الواقع، ويكشف عن إمكان

التساهل فى محاكمة المراهق مما قد يشجع على ارتكاب الجرائم وضياع حقوق المجنى عليهم. ويمكن أن تكون هذه السن (١٥) عاماً فقط.

حالات التعرض للانحراف:

ويحدد القانون الحالات التى يعتبر الطفل فيها معرضاً للانحراف على[٤] النحو الآتى:

١ - إذا وجد متسولاً... ويعد من أعمال التسول عرض سلع أو خدمات تافهة والقيام بألعاب بهلوانية وغير ذلك مما لا يصلح مورداً جدياً للعيش.

٢ - إذا مارس جمع أعقاب السجائر أو غيرها من الفضلات أو المهملات.

٣ - إذا قام بأعمال تتصل بالدعارة أو الفسق أو بافساد الأخلاق أو القمار أو المخدرات أو نحوها أو بخدمة من يقومون بها.

٤ - إذا لم تكن له محل إقامة أو كان يبيت عادة فى الطرقات أو فى أماكن أخرى غير معدة للإقامة أو المبيت.

٥ - إذا خالط المعرضين للإنحراف أو المشتبه فيهم أو الذين اشتهر عنهم سوء السيرة.

٦ -إذا إعتاد الهروب من معاهد التعليم أو التدريب.

٧ - إذا كان سيئ السلوك ومارقاً من سلطة أبيه أو وليه أو وصيه أو من سلطة أمه فى حالة وفاة أبيه أو غيابه أو عدم أهليته، ولا يجوز فى هذه الحالة إتخاذ أى إجراء قبل الطفل ولو كان من إجراءات الاستدلال إلا بناء على إذن من أبيه أو وليه أو وصيه أو أمه بحسب الأحوال.

٨ - إذا لم يكن له وسيلة مشروعة للتعيش ولا عائل مؤتمن (مادة ٩٦).

ويتخذ المشرع الحيطة فيعدد الأنشطة والحالات والظروف التى تعرض الحدث للإنحراف حتى يضمن حمايته من الجنوح والإنحراف. ومع ذلك تزداد ظاهرة

اطفال الشوارع الذين ينامون فوق الأرصفة وتحت الكباري العلوية وفي الحدائق العامة، وما يصاحب ذلك من سلوكيات سالبة كالإدمان(٥) وشم الهيروين والمواد المتطايرة كالكولا والبنزين والغراء وما إليها مما يدمر صحتهم. وكذلك يعتبر الطفل الذى تقل سنه عن السابعة معرضاً للانحراف إذا توفرت فيه احدى الحالات المحددة فى المادة السابقة أو إذا حدثت منه واقعة تشكيل جناية أو جنحة (المادة ٩٧).

وتتدرج الإجراءات العقابية الوقائية بشأن الطفل المعرض للإنحراف، حيث تتولى نيابة الأحداث، وهي نيابة متخصصة، انذار متولى أمره كتابة لمراقبة سلوكه وحسن سيره فى المستقبل، وذلك إذا إرتكب أياً من الحالات الواردة فى المادة ٩٦، والمادة ٩٧ من البند ١ - ٦. ويجوز الاعتراض على هذا الإنذار أمام محكمة الأحداث. وإذا وجد الطفل فى حالة من حالات التعرض للإنحراف بعد الانذار أو إذا كان قد وقع فى الجريمة تحت تأثير مرض عقلى أو نفسى أو ضعف عقلى وكان الطفل لم يبلغ السابعة من عمره اتخذ ضده فقط تدبير الايداع فى أحد المستشفيات المتخصصة. ويقضى القانون (مادة ٩٩) بعلاج الطفل وحمايته صحياً إذا كان مصاباً بمرض عقلى أو نفسى أو ضعف عقلى(٦) وأصبح فاقداً كلية أو جزئياً للقدرة على الإدراك أو القدرة على الاختيار، بحيث يخشى منه على سلامته وعلى سلامة الغير فيعد معرضاً للانحراف ويودع أحد المستشفيات المتخصصة.

ويميز المشرع بين الحالات الآتية:

١ - المرض العقلى أى الذهان العقلى كالاكتئاب وجنون الاضطهاد وجنون العظمة أو فصام الشخصية.

٢ - المرض النفسى أى العصاب النفسى مثل القلق والاكتئاب والمخاوف الشاذة والوسواس القهرى وتوهم المرض والهستيريا والوهن النفسى.

٣ - الضعف العقلي أو التخلف العقلي ويبدو في نقص مقدار ذكاء الطفل أو نقص في نمو ذكاء الطفل.

وتتخذ تدابير الإيداع إذا حدثت الإصابة أثناء التحقيق أو بعد صدور الحكم.

وتتنوع وتتباين العقوبات وفقاً لمستوى نضج الطفل وتقدمه في السن. فالطفل الذي لم يبلغ من العمر ١٥ عاماً يحكم عليه إذا ارتكب جريمة بأحد التدابير الآتية:

١ - التوبيخ.

٢ - التسليم.

٣ - الالحاق بالتدريب المهني.

٤ - الالزام بواجبات معينة.

٥ - الاختبار القضائي.

٦ - الايداع في احدى مؤسسات الرعاية الاجتماعية.

٧ - الايداع في احدى المستشفيات المتخصصة.

ولا تحكم عليه بأية عقوبة أخرى منصوص عليها في قانون آخر.

وواضح أن المشرع لا يستهدف انزال العقاب أو الردع بالطفل بقدر ما يتوخى علاجه واصلاحه واعادة تأهيله. وكذلك تجيء بعض هذه التدابير ايجابية في طبيعتها وفي أثرها مثل الالتحاق بالتدريب المهني لتعليم مهنة مفيدة تحميه من التشرد وتوفر له الكسب والرزق الحلال. فالهدف هو وقاية الطفل وتحذيره بألا يعود إلى مثل هذا السلوك السيء مرة أخرى. ويسلم الطفل لأحد أبويه أو إلى من له الولاية أو الوصاية عليه أو إلى أي شخص مؤتمن يتعهد بتربيته تربية صالحة، وإذا كان هناك من يقع عليه حق نفقة الطفل حكم عليه بأداء نفقه الطفل ويبقى الطفل في يد هذا الشخص المؤتمن مدة لا تزيد عن ثلاث سنوات. وفي حالة توفير التدريب المهني تعهد المحكمة بالطفل إلى أحد مراكز التدريب المهني أو

المصانع[7] أو المتاجر أو المزارع التى تقبل تدريبه. ولا تزيد مدة بقاء الطفل عن ثلاث سنوات (مادة ١٠٤) ويشمل الالزام بواجبات حظر ارتياد أماكن معينة أو أنواع من المحال أو بفرض الحضور فى أوقات محددة أمام أشخاص أو هيئات معينة أو بالمواظبة على حضور بعض الاجتماعات التوجيهية (مادة ١٠٥) وذلك للحد من تعرض الحدث للجنوح.

أما الاختبار القضائى، فيكون بوضع الطفل فى بيئته الطبيعية تحت التوجيه والإشراف ومع مراعاة الواجبات التى تحددها المحكمة، ولا تزيد مدة الاختبار القضائى عن ثلاث سنوات، وإذا فشل الطفل فى الإستقامة خلال مدة عرض الاختبار عرض الأمر على المحكمة لاتخاذ ما تراه مناسباً من التدابير الأخرى.

أما إيداع الطفل فيكون فى احدى مؤسسات الرعاية الاجتماعية للأحداث التابعة لوزارة الشئون الاجتماعية، وإذا كان الطفل ذا عاهة يوضع فى معهد مناسب لتأهيله ولا تزيد مدة الإيداع عن عشر سنوات فى الجنايات وخمس سنوات فى الجنح وثلاث سنوات فى حالات التعرض للانحراف وتقدم المؤسسة تقريراً عن حالته للمحكمة كل ستة شهور (مادة ١٠٧).

وإذا تم ايداع المحكوم عليه بالإيداع فى احدى المستشفات المتخصصة تتولى المحكمة الرقابة على بقائه تحت العلاج[8] فى فترات دورية لا تزيد عن سنة يعرض خلالها تقارير الأطباء، وإذا كانت حالته تسمح تم إخلاء سبيله. وإذا بلغ الطفل سن ٢١ عاماً وكانت حالته ما زالت تحتاج إلى العلاج نقل إلى إحدى المستشفيات التى تعالج الكبار (مادة ١٠٨). وينتهى التدبير حتماً ببلوغ المحكوم عليه سن ٢١ عاماً. وإذا ارتكب الطفل البالغ من العمر ١٥ عاماً جريمة عقوبتها الاعدام أو الأشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة يحكم عليه بالسجن. وتخفف بالنسبة للطفل بقية العقوبات (مادة ١١١). ولا يحكم بالإعدام على المتهم الذى لم يبلغ من العمر ١٨ عاماً. وكما يحمى القانون الطفل من نفسه، ويحد من انحرافه

ويسعى لتوجيهه وارشاده إلى السلوك السوى، فإن القانون أيضاً يفرض عقوبات صارمة (مادة ١١٥) على كل من أخفى طفلاً حكم بتسليمه أو ساعده على الفرار، وذلك فيما عدا الأبوين والأجداد والزوج والزوجة. كذلك يعاقب بالحبس كل من يعرض طفلاً للانحراف أو لاحدى الحالات المشار إليها فى المادة ٩٦ من هذا القانون أى حالات التعرض للانحراف، حتى وإن لم تتحقق حالة التعرض للانحراف فعلاً حتى وإن كان الجانى من أصول الطفل أو من المسئولين عن تربيته أو ملاحظته أو كان مسلماً إليه بمقتضى القانون، وتغلظ العقوبة إذا وقعت الجريمة على أكثر من طفل واحد.

هذا ولا يحبس الطفل احتياطياً إذا لم يبلغ ١٥ سنة من عمره، ولكن يمكن إيداعه فى احدى المؤسسات إذا كانت ظروف الدعوى تستدعى التحفظ عليه. أو تسليمه لأحد وتكليفه باحضاره عند كل طلب لاستكمال التحقيق.

ويقضى القانون بتشكيل محكمة للاحداث أو أكثر فى كل محافظة، وللأحداث نيابات متخصصة، وتشكل محكمة الأحداث من ثلاثة قضاة ويعاونها خبيران من الأخصائيين أحدهما على الأقل من النساء، ولا بد من حضورهما جلسات المحاكمة، ويقدمان تقريراً للمحكمة عن ظروف الطفل من جميع الوجود قبل أن تصدر حكمها (مادة ١٢١). وهنا تكمن دعوة الكاتب لضرورة أن يكون أحد هؤلاء الاخصائيين، على الأقل من المتخصصين فى علم النفس لتقدير حالة الطفل العقلية والنفسية وظروفه الانفعالية ومدى تمتعه بالتكيف والسواء العقلى من عدمه وتحديد الظروف النفسية الضاغطة التى تؤثر فى سير الدعوى والدوافع النفسية والاجتماعية التى دفعته لارتكاب الجريمة (٩). وكذلك تحديد ما يتمتع به الطفل من الذكاء العام والقدرة على ادراك عواقب أعماله. وتخضع الأحكام الصادرة من محكمة الأحداث للاستئناف أمام محكمة ابتدائية مكونة من ثلاثة قضاة اثنان منهما على الأقل بدرجة رئيس محكمة وكذلك الخبيران.

يحاكم الطفل أمام محكمة الأحداث إلا إذا كان مشتركاً في الجريمة مع غيره من الكبار تنظر محكمة الجنايات في الدعوى الجنائية إذا كان قد تجاوز سن الخامسة عشر، وعلى المحكمة أن تبحث في ظروف الطفل من جميع الوجوه (مادة ١٢٢).

ويجوز، عند الاقتضاء، أن تنعقد جلسة المحكمة في احدى مؤسسات الرعاية الاجتماعية التي يودع فيها الطفل. وعندمحاكمة الطفل في جناية يجب أن يكون له محامياً يدافع عنه، وإذا لم يوجد انتدبت المحكمة أحد المحامين لهذا الغرض، وإذا كان قد بلغ (١٥) عاماً جاز للمحكمة أن تنتدب له محامياً في مواد الجنح (مادة ١٢٤) ولا يحضر محاكمة الحدث إلا أقاربه والشهود والمحامين والمراقبون الاجتماعيون، ومن تسمح له المحكمة بإذن خاص (مادة ١٢٦) وذلك حفاظاً على مشاعر الطفل وعدم التشهير به في مستقبل حياته. وللمحكمة أن تخرج الطفل من القاعة بعد سؤاله أو تخرج غيره إذا رأت مصلحة في ذلك، ولكنها في حالة خروج الطفل لا تخرج محاميه أو المراقب الاجتماعي. وقد لا يحضر الطفل جلسات المحاكمة إذا رأت المحكمة ضرورة لذلك. وإذا خرج عليها أن تحيطه علماً بما تم من إجراءات داخل القاعة في غيابه قبل أن تصدر حكمها. ولا بد للمحكمة من الإطلاع على تقرير يوضح الدوافع والعوامل والظروف التي دفعت الطفل للإنحراف أو التعرض للإنحراف ولها الإستعانة بالخبراء (مادة ١٢٧).

ويدخل دور الطب البدني والعقلي، فإذا رأت المحكمة أن حالة الطفل البدنية أو العقلية أو النفسية تستلزم فحصه قبل الفصل في الدعوى، قررت وضعه تحت الملاحظة في إحدى الأماكن المناسبة. ويوقف السير في الدعوى إلى أن يتم هذا الفحص (مادة ١٢٨) كما يقضي القانون في مادته (١٢٩) بعدم قبول الدعوى المدنية أمام محاكم الأحداث أي دعاوى طلب التعويض المدني (مادة ١٢٩)

وللمحافظة السريعة على الطفل يكون الحكم الصادر عليه بأحد التدابير واجب النفاذ وإن كان قابلاً للإستئناف حتى لا يعطل الإستئناف الخطوات الضرورية لحماية الطفل أو علاجه أو تدريبه مهنياً (مادة ١٣٠). وتعلن الأحكام وباقى الإجراءات الخاصة بالطفل إلى وليه، وله أن يباشر إجراءات الطعن نيابة عن الطفل (مادة ١٣١). أما البالغ (١٨) عاماً فتجرى محاكمته أمام محاكم الكبار ويودع سجون الكبار فى حالة الحكم بإدانته.

وتخضع دور الملاحظة ومراكز التدريب ومؤسسات الرعاية الاجتماعية للأطفال ومعاهد التأهيل المهنى والمستشفيات المتخصصة، وغير ذلك من الجهات التى تتعاون من محكمة الأحداث تخضع لزيارة رئيس المحكمة كل ثلاثة شهور أو من ينتدبه لهذا الغرض (مادة ١٣٤).

وتتسم الإجراءات المطبقة على الحدث بالمرونة، بحيث تتلاءم وحالته. فالمشرف الاجتماعى يتولى الإشراف على تنفيذ بعض التدابير، وكذلك توجه التوجيهات للطفل وللقائم على تربيته ويرفع تقاريره إلى محكمة الأحداث.

وللمحكمة أن تستبدل التدبير بتدبير آخر، إذا لم يتمكن الطفل من تنفيذ التدبير الأول، بحيث يتفق مع حالته، وللمحكمة أن تأمر بإنهاء التدبير أو بتعديل نظامه أو بإبداله بغيره، كذلك، فمراعاة لحالة الطفل لا يجوز التنفيذ بطريق الإكراه البدنى على المحكوم عليه الخاضع لأحكام هذا القانون والذى لم يبلغ من العمر (١٨) عاماً (مادة ١٣٩).

فالمشرع يراعى النواحى الإنسانية والنفسية فى تعامله مع الحدث الصغير. ولكن المهم هم القائمون على التنفيذ حيث يلاحظ على بعضهم الشدة والغلظة والقسوة.

ومن الأمور الإيجابية التى تضمنها هذا التشريع الجديد المتمثل فى قانون حماية الطفل عدم إلزام الطفل بأداء أية رسوم أو مصاريف أمام جميع المحاكم فى

الدعاوى المتعلقة بهذا الباب من هذا القانون. وذلك حتى لا تحول الحالة المالية للطفل دون ممارسة حقوقه الشرعية فى الدفاع عن نفسه أمام المحاكم وهيئات التحقق.

ويقضى الطفل العقوبة المقيدة للحرية فى مؤسسات عقابية خاصة بالأطفال، فإذا بلغ الطفل (٢١) عاماً تنفذ عليه العقوبة أو المدة الباقية منها فى أحد السجون العمومية.

ومع ذلك يجوز بقائه إذا لم يكن هناك خطورة من ذلك، وكانت المدة الباقية من العقوبة لا تجاوز ستة أشهر. ولعل ذلك تحاشياً لمخالطة الحدث الصغير لكبار المجرمين فى السجن حتى لا يتعلم منهم أنماطاً أشد خطورة من الإجرام. ذلك لأن السلوك الإجرامى قابل للإنتقال كالعدوى[١٠] المرضية التى تنتقل من المريض المصاب إلى السليم. وينشأ للطفل ملف خاص توضع به جميع الأوراق والمستندات المتلعقة به، ويطلع عليه القاضى قبل صدور أى قرار يتعلق بالطفل، وفى ذلك ضماناً للإستمرارية فى متابعة الطفل وفهم أحواله أولاً بأول ومعرفة تاريخ حالته والإلمام بها وبالعوامل التى تؤثر فى سلوكه.

ولقد تطور التشريع الجنائى المتعلق بالحدث الجانح، ويميل هذا التشريع الجديد إلى معالجة الطفل الجانح وإعتبار الجنوح مرضاً يستلزم العلاج أكثر من كونه جريمة تتطلب العقاب والردع حتى يمكن إعادة الحدث الجانح إلى حظيرة السواء والتكيف والمواطنة الصالحة، ويصبح عضواً نافعاً منتجاً وملتزماً فى المجتمع. ويهتم التشريع أكثر ما يهتم بأساليب الوقاية وحماية الطفل قبل أن يجرفه تيار الإنحراف، فيحافظ عليه حين يستشعر المشرع احتمال تعرضه للإنحراف، فيسعى لحمايته، وتوفير فرص الإصلاح والتأهيل وإعادة التأهيل والتدريب بحيث يصبح قادراً على كسب رزقه بالطرق الحلال.

ويتبع المشرع أسلوباً علمياً يتمثل فى «**شمول النظرة**» للحدث، والنظر لكل

جوانب شخصيته، وأخذ كافة العوامل والمؤثرات التى تؤثر فى الطفل فى الحسبان. وكذلك من الأساليب العلمية «التدرج» فى إتخاذ الإجراءات اللازمة لإعادة الطفل إلى حظيرة السواء. وفتح الأبواب أمامه للعودة إلى الصلاح. وكذلك إتباع منهج «التعزيز الإيجابى» بتوفير الفرص الإيجابية أمام الطفل إذا تحسن سلوكه. وكذلك أسلوب «التعزيز السلبى» ومؤداه فرض العقوبات أو الحرمان من المزايا والمكافآت إذا ما إرتكب الطفل سلوكاً مخالفاً للقانون أو للقيم والمثل والمعايير أو أسلوب الثواب والعقاب معاً، والوقوف من الطفل موقفاً تربوياً وإصلاحياً هادفاً ومراعاة الدوافع والبواعث والمحركات والمؤثرات التى دفعته لإرتكاب الأخطاء. وكذلك مراعاة حالته العقلية ومستواه الإدراكى وذكائه وكذلك حالته العقلية من حيث إصابته بالأمراض النفسية أو العقلية أو الإنحرافات الأخلاقية. على إعتبار أن كثيراً من هؤلاء الأطفال الجانحين يكونون من المصابين بالإنحراف السيكوباتى وهو إنحراف نفسى وأخلاقى يعانى فيه المريض من ضعف الضمير الأخلاقى وضعف المستوى القيمى والمثل والمعايير وعدم شعور الحدث بالذنب على ما يرتكبه من أخطاء.

وهكذا يجتمع علم النفس مع القانون فى السعى نحو علاج الحدث الجانح أو المعرض للجنوح وحمايته وإرشاده ووقايته من الأخطار.

المراجع والهوامش

١ – عبد الرحمن العيسوى، النمو النفسى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦.

٢ – قانون الطفل رقم ١٢ لسنة ١٩٩٦ مصر.

٣ – يقصد بالنضج العقلى Mental Maturation وصول عقل الطفل إلى درجة يتمكن فيها من أداء وظائفه الطبيعية فى التفكير والإدارك والوعى والمعرفة والتعلم والإستدلال والإستنباط والإستقراء وإستخلاص النتائج من المقدمات وحل المشكلات العقلية.

٤ – يقصد بحالات الإنحراف Deviation البعد عن العادى السوى المألوف والمعتاد والمقبول دينياً وأخلاقياً وروحياً واجتماعياً والخروج على العرف والقانون والعادات والتقاليد ومن ذلك السلوك المضاد للقانون وللمجتمع كالسرقة والنشل والتشرد والتسول والدعارة والإدمان والهروب والشذوذ الجنسى والعقلى وكل مظاهر الخروج على جادة الصواب.

٥ – يقصد بإدمان المخدرات Drug addiction إعتماد الفرد على تعاطى المخدر بصورة قهرية وتعمدية والاستمرار فى التعاطى لجرعات متزايدة الحجم بإستمرار لأحداث نفس التأثير التخديرى. وإذا سحب العقار أو المخدر من متناول يد المدمن عانى مما يعرف بإسم أعراض سحب العقار ومنها الألم والتشنج وفقدان الوعى والهلاوس والنسيان وما إلى ذلك.

٦ – هناك المرض العقلى أى الذهان العقلى Psychosis ويعادل الجنون ومنه ذهان الفصام والإكتئاب والإضطهاد والعظمة وذهان الشيخوخة والمراهقة والطفولة. وهناك المرض النفسى أى العصاب النفسى Psychoreurosis وهو أقل خطورة من الذهان ومن الأعصبة النفسية: الإكتئاب – القلق – توهم المرض – الوسواس القهرى – الهستيريا والمخاوف الشاذة والوهن أو الشعور

بالضعف والهزال والتعب وهناك عصاب الحرب أو عصاب الصدمة.

٧ -عبد الرحمن العيسوى، علم النفس في المجال المهنى، دار المعارف، القاهرة والإسكندرية، ١٩٨٩.

٨ - يقصد بالعلاج النفسى Psychotherapy إعادة المريض إلى حظيرة السواء والتكيف وتحقيق سعادته بتخليصه مما يعانى منه من الأعراض والآلام والتعرف على أسبابها والتعرف على التوترات والصراعات والأزمات والمشكلات التى يعانى منها. وهناك مناهج متعددة فى العلاج منها العلاج بالتحليل النفسى والعلاج السلوكى والعلاج الجماعى والفردى والعلاج بالتمثيل والعلاج بالعمل وبالموسيقى.

٩ - عبد الرحمن العيسوى، مبحث الجريمة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩١.

١٠ - عبد الرحمن العيسوى، العلاج النفسى، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٦.

الحماية القانونية والعلمية للطفولة

أهمية مرحلة الطفولة:

لمرحلة الطفولة أهمية بالغة فى حياة الإنسان على امتدادها، ذلك لأن خبرات الطفولة تترك بصماتها قوية راسخة فى شخصية الطفل تظل باقية راسخة طوال حياته. وحيث أن الطفل يكون فى طور الأعداد والتكوين والنمو، فإن جذور شخصيته توضع فى السنوات الأولى من حياته، حيث يكون ما زال غضاً طرياً قابلاً للتعديل والتشكيل والتكوين والصقل، وحيث تكون خبرته قليلة. ومن هنا فإن أسس شخصيته توضع فى المراحل الأولى مّن حياته. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، فإن حياة الإنسان عبارة عن سلسلة متصلة الحلقات يؤثر فيها السابق فى اللاحق والحاضر فى المستقبل. ومن هنا كان طفل اليوم هو رجل الغد. وعلى قدر ما يتمتع به الطفل من التكيف والسعادة والسواء على قدر ما تكون عليه شخصيته فى المراحل اللاحقة. فالطفولة السعيدة المتكيفة تقود إلى مراهقة سعيدة ومتكيفة وهكذا بالنسبة لبقية رحلة الحياة [١]. وتتأثر شخصية الطفل منذ اللحظة الأولى التى يتم فيها اخصاب بويضة أنثوية بحيوان ذكرى، حيث يعد رحم الأم «بيئة» تؤثر فى نمو الطفل وفى سلامته. بل أن التأثير فى شخصية الطفل يرتد إلى الوراء إلى ما هو أبعد عن ذلك إلى عملية الاختيار الزواجى[٢] ومدى صحته وسلامته، حيث ينصح الإنسان بإختيار شريك الحياة من الصالحين، وحيث يتعين توفير قدر من التكافؤ بين الزوج والزوجة وخلوهما كلاهما من الأمراض والاستعدادات السالبة الوراثية وسلامة العقل والجسم والدين والخلق [٣].

ومن هنا كانت أهمية العناية بصحة الأم الحامل، وكذلك الأهتمام برعاية الأسرة بغية تمكينها من تكوين أجيال صالحة تتسم بالوطنية والحرية والأمانة والصدق، وبحيث تكون الأسرة قادرة على حمل راية التقدم والرخاء، وقادرة على حماية أمن الوطن وترابه وتحقيق استقراره الداخلى والخارجى، وبحيث لا يتعرض

المجتمع لما قد يتعرض له من حوادث العنف والسطو المسلح والسرقة بالإكراه والجرائم الجماعية وجرائم هتك العرض والاغتصاب والخطف وجرائم الأقارب وغير ذلك مما يعرف اليوم باسم ظاهرة «البلطجة» ومما نسمع عنه من حوادث مؤسفة (٤).

ويهتم المجتمع كله بحماية الطفولة وتتعدد الجهات والمؤسسات التى تهتم بالأسرة وبالطفولة. ومن بين وجوه الرعاية والأهتمام الشامل الرعاية القانونية والعلمية للطفولة.

القيم النفسية والعلمية فى قانون الطفولة:

ومن أجل ذلك صدر قانون الطفل والأحداث الجديد رقم ١٢ لسنة ١٩٩٦ متضمناً المعاملة الجنائية للطفل الحدث، وأساليب حمايته من الجنوح والإنحراف وتنشئته تنشئة صالحة(٥) ويجئ هذا القانون متفقاً، فى كثير من مواده، مع الاتجاهات العلمية الحديثة فى علم النفس والتربية وغيرهما من العلوم. ويتولى المشرع الطفل بالأهتمام والحماية، حيث تنص مادته الأولى على أن تكفل الدولة حماية الطفولة والأمومة وترعى الأطفال وتعمل على تهيئة الظروف المناسبة لتنشئتهم التنشئة الصحيحة من كافة النواحى فى اطار من الحرية والكرامة الإنسانية.

فالدولة لا تحمى الطفولة، وحسب، وإنما الأمومة أيضاً ذلك لأن فى حماية الأم حماية لطفلها، وإذا تعرضت الأم للأخطار أو الأمراض، فإن ذلك لا بد وأن يلحق بطفلها أيضاً. ولكن كان يفضل أن يحرص القانون على حماية الأسرة كلها بما فى ذلك الآباء، وذلك لأن هناك علاقة تفاعل وتأثير متبادل بين جميع أعضاء الأسرة بما فيهم الآباء. كما أن الأسرة وحدة واحدة متفاعلة، والمفروض أن تكون متماسكة. فالمطلوب حماية الأسرة كلها بكامل أعضائها حماية من التصدع والإنهيار. ويدرك المشرع أهمية الرعاية «المتكاملة أو التربية الشمولية»

التى تتناول كل جوانب شخصية الطفل الجسمية والعقلية والنفسية والروحية والأخلاقية والفكرية والعقائدية والمهنية. فيقرر أن التنشئة يجب أن تكون صائبة، وأن تكون من كافة النواحي، ذلك لأن سواء الشخصية يكمن فى تكاملها وتناغم وتناسق عناصرها. ومعروف، علمياً أن عملية التنشئة عملية بالغة الأهمية، حيث يتم بموجبها تحويل الطفل الرضيع من مجرد كائن حيوى إلى كائن إنساني، حيث يمتص، من خلالها، القيم والمثل والمعايير والعادات والتقاليد والأعراف المرعية فى المجتمع ويكتسب السمات الإنسانية، ويصبح بموجبها مواطناً صالحاً مؤمناً بربه وبوطنه وبعروبته وقادرا على دفع عجلة الإنتاج قدماً إلى الأمام ومسهماً فى تحقيق إستقرار المجتمع وأمنه وسلامته ورخائه. ويرسم المشرع الأسلوب الأمثل أو الاطار الأمثل الذى تتم فى ضوئه عملية تنشئة الطفل فى اطار من الحرية والكرامة والإنسانية مستبعداً بذلك أساليب القهر والبطش والتسلط والعنف والإبتزاز والإستغلال أو الأهمال والنبذ والطرد والإستعباد. وتتفق هذه المبادئ، التى أكدها المشرع، مع ما يذهب إليه علم النفس الحديث والتربية الحديثة فى الوقت الحاضر من ضرورة صون كرامة الطفل وكفالة حريته والمحافظة على حقوقه كإنسان وحمايته من الأذى والظلم. وفى ضوء ذلك يصبح عملاً محرماً استغلال الأطفال فى الأعمال المنافية للآداب أو المضادة للمجتمع. أو فى الأعمال الشاقة أو الأعمال الليلية، ومن ذلك تسخير الأطفال للقيام بأعمال النشل والسرقة وترويج المخدرات أو الأعتداء الصارخ عليهم فى ورش العمل أو ما يعرف اليوم باسم «ظاهرة أطفال الشوارع» أو التسول والتشرد والضياع.

بل إن الإنحراف إمتد ليصيب أطفال المدارس العادية. ويحدد المشرع مرحلة الطفولة بإنتهاء السابعة عشر عاماً. ولعل المشرع قد أراد من تحديد هذا السن المتقدمة أن يضمن وصول الطفل إلى مرحلة من النضوج الفكرى[٧] والنفسى والاجتماعى والمهنى أو العقلى تمكنه من تحمل مسئولية الإستقلال أو المعاملة كراشد كبير. ولكن فى ضوء التقدم العلمى والطبى والاجتماعى، فإن هذا السن يبدو متأخراً جداً وطفل السابعة عشر يكون قد وصل إلى حالة النضج من غير

المعقول معاملته معاملة الطفل حتى هذا السن المتقدمة خاصة إذا ارتكب جريمة قتل أو ما أشبه ذلك، حيث يلاحظ أنه يفلت من العقاب الصارم، يكفى فى نظر الكاتب أن تنتهى الطفولة ببداية سن الخامسة عشر من العمر (مادة ٢).

ويضع المشرع أهمية كبيرة لحماية الطفل ولتحقيق مصالحه فى جميع القرارات الخاصة بالطفولة (مادة ٣).. إذ المفروض أن تكون الأهمية الأولى هى حماية الطفل التى يتعين أن تكون فى المحل الأول، وأن تعلو مصلحته على مصالح غيره. ويتمشى القانون مع التعاليم الإسلامية فتحرم المادة (٤) من ذات القانون عملية التبنى، وتقرر ضرورة أن ينسب الطفل لوالديه الأصليين.

ويجنب المشرع الطفل مرارة الشعور باطلاق اسم هزلى أو مثير للاهانة للاهانة والاحتقار عليه مما يؤثر فى نفسيته ويجعله موضوعاً للتندر، أو يوحى بالإساءة إليه، أو يشير إلى التخنث والشذوذ أو النعومة ، حيث يلاحظ أن هناك بعض الأسماء التى تحمل معانى نفسية واجتماعية سالبة لاصحابها من ذلك «دعبس وشنكل».. وشنكل وخيشة وميمى وفوفو وما إلى ذلك ... «حيث أوجبت المادة (٥) ألا يكون اسم الطفل منطوياً على تحقير أو مهانة لكرامة الطفل ومنافياً لعقائده الدينية، إذ يصاحب الاسم صاحبه طوال حياته، وليس له ذنب فى اختياره. ويحرص المشرع أن أن تكون للطفل هوية وجنسية هى الجنسية المصرية تحقيقاً لعناصر شخصيته واشعاره بالذاتية المنفردة حتى لا تذوب شخصيته فى كيانات أخرى. وللطفل أن يتمتع بحق الرضاعة والحضانة والمأكل والملبس والمسكن ورؤية والديه وفقاً لقوانين الأحوال الشخصية التى تنظم الحضانة والنفقة والرؤية وما إلى ذلك والتى يراعى فيها، فى المحل الأول، مصلحة الصغير والتى تؤكد أن الحضانة حق للمحضون وليست حقاً للحاضن.

ويتضمن قانون الطفل جميع وجوه الرعاية المفروض توفرها للطفل من ذلك الرعاية الصحية والرعاية فى القيد فى سجلات المواليد والتطعيم والتحصين وعمل

بطاقة شخصية للطفل، وتوفير الغذاء للطفل والرعاية الاجتماعية، وتوفير دور الحضانة، وكذلك الرعاية البديلة والحماية من اخطار الطريق والمرور، وتعليم الطفل ودور رياض الأطفال، ورعاية الأم العاملة، وكذلك الطفل العامل، ورعاية الطفل المعاق وتأهيله، وتوفير الثقافة للطفل، والمعاملة الجنائية للطفل، وأخيراً ينص القانون على إنشاء المجلس القومى للطفولة والأمومة.

الرعاية الصحية والنفسية:

وفيما يتعلق بالرعاية الصحية، يحرص القانون (مادة ٨) على ألا يقوم بعملية التوليد إلا الأطباء البشريون والمولدات أو مساعدات المولدات أو القابلات المقيدة أسماؤهن بوازرة الصحة، حتى لا يتعرض الطفل، فى أثناء الولادة، للمخاطر الصحية كالتلوث أو الاختناق أو الإصابة أو حتى الوفاة. ويوجب القانون أن تتحلى القابلة بالاستقامة والشرف والكفاءة المهنية (مادة ١٠) بل أوجب القانون شطب اسم المولدة من سجل المولدات إذا أصبحتْ حالتها الصحية لا تمكنها من القيام بهذا العمل الإنسانى والطبى الخطير (مادة ١٢).

ويصاحب المشرع الطفل منذ اللحظة الأولى لميلاده، فيقرر ضرورة قيده خلال ١٥ يوماً من تاريخ حدوث الولادة (مادة ١٤). وإذا تم الإبلاغ عن ولادة الطفل إلى العمدة عليه أن يبلغ به مكتب الصحة خلال سبعة أيام من تاريخ الإبلاغ. وتقوم مكاتب الصحة بابلاغ السجل المدنى فى خلال ثلاث أيام من تاريخ ابلاغها بالولادة (مادة ١٤). ولعل ذلك يحمى الطفل من المعاناة فى حالة «سقوط القيد» وإذا قامت والدة الطفل بالابلاغ عن ولادته كان عليها إثبات العلاقة الزوجية توكيداً لسلامة النسب، وإذا توفى المولود قبل التبليغ عن ولادته، يجب التبليغ عن ولادته ثم وفاته. أما إذا ولد الطفل ميتاً بعد الشهر السادس من الحمل، فيكون التبليغ مقصوراً على وفاته (مادة ١٨).. وتبليغ القنصلية فى حالة ولادة الطفل فى الخارج. ويقضى القانون بأن يقوم بتسليم الطفل كل من يعثر

عليه فى المدن إلى احدى المؤسسات المعدة لاستقبال الأطفال حديثى الولادة أو تسليمه إلى أقرب قسم شرطة. وتقوم الشرطة بإرساله إلى احدى هذه المؤسسات، وفى القرى يكون تسليم الطفل حديث الولادة الذى يتم العثور عليه إلى العمدة أو شيخ البلد ويقوم بدوره بتسليمه إلى الشرطة أو المؤسسة فى الحال (مادة ٢٠). ويتم تقدير السن عن طريق الطبيب، ويسمى أسماً ثلاثياً ويتم اخطار السجل المدنى بذلك. وحماية لمشاعر الطفل فيما بعد. فلقد قرر المشرع أن يكتب اسم أمه وأبيه، ولكن فى حالة العثور عليه يكتب له اسم ثلاثى ويمنع كتابة اسم الأم أو الأب فى الأحوال الآتية:

١ – إذا كان الوالدان من المحارم فلا يذكر اسمهما.

٢ – إذا كانت الوالدة متزوجة وكان المولود من غير زوجها فلا يذكر اسمها.

٣ – بالنسبة لغير المسلمين.. إذا كان الوالد متزوجاً وكان المولود من غير زوجته الشرعية فلا يذكر اسمه إلا إذا كانت الولادة قبل الزواج أو بعد فسخه، وذلك ما عدا الأشخاص الذين يعتنقون ديناً يجيز تعدد الزوجات (مادة ٢٢).

ويفرض القانون عقوبات على كل من يدلى ببيانات غير صحيحة عند التبليغ عن المواليد – (مادة ٢٤). ويوجب القانون تحصين الطفل وتطعيمه بالطعوم الواقية من الأمراض المعدية وذلك دون مقابل بمكاتب الصحة والوحدات الصحية.. وعلى والد الطفل أو حاضنه يقع هذا الواجب (مادة ٢٥).

ويقضى القانون ضماناً لمتابعة حالة الطفل الصحية، بعمل بطاقة صحية يرصد بها كل أحوال الطفل الصحية وما تعاطاه من طعوم. لتشمل التاريخ الصحي للطفل وتقدم للجهة التى تتولى فحصه وعلاجه وتشخيص حالته (٨). وفى ذلك نوع من دراسة الحالة، وعند دخول الطفل المدرسة توضع بطاقته الصحية فى ملفه المدرسي. ويجرى للطفل فحص دورى خلال مراحل التعليم قبل الجامعي بحيث يجرى هذا الفحص مرة كل عام على الأقل.

ويرعى المشرع الطفل فى غذائه لحمايته من الأغذية الضارة أو الفاسدة أو الملوثة، حيث تقضى المادة (٣٠) بعدم جواز إضافة مواد ملونة أو حافظة لأغذية الرضع والأطفال، إلا ما كان مطابقاً للقانون، مع ضرورة خلو الأطعمة وأوعيتها من المواد الضارة أو الجراثيم. ونظراً لتأثير الإعلان عن الأغذية على سرعة تداولها وتمسك الأطفال واقبالهم على تناولها، فلقد حظر القانون تداول أو الإعلان عنها إلا بعد تسجيلها والحصول على ترخيص بتداولها وبطريقة الإعلان عنها من وزارة الصحة. ويعاقب من يخالف ذلك مع مصادرة المواد الغذائية والأوعية وأدوات الإعلان موضوع الجريمة.

دور مؤسسات الحضانة:

ويقف المشرع موقفاً تربوياً هادفا حيث يحدد بكل دقة أهداف دور الحضانة وهى الأماكن المناسبة للأطفال الذين لم يبلغوا سن الرابعة من عمرهم وذلك على النحو الآتى:

١ - رعاية الأطفال اجتماعياً وتنمية مواهبهم وقدراتهم.

٢ - تهيئة الأطفال بدنياً وثقافياً ونفسياً وأخلاقياً تهيئة سليمة بما يتفق مع أهداف المجتمع وقيمه الدينية.

٣ - نشر الوعى بين أسر الأطفال لتنشئتهم تنشئة سليمة.

٤ - تقوية وتنمية الروابط الاجتماعية بين الدار وأسر الأطفال، ويجب أن يتوفر لديها من الوسائل والأساليب ما يكفل لها تحقيق الأغراض السابقة، وذلك وفقاً لما تحدده اللائحة التنفيذية فى هذا الشأن (مادة ٣٢). والحقيقة أن لدور الحضانة أو رياض الأطفال أهمية كبيرة فى تكوين شخصية الطفل وفى نموه وفى سلوكه وذكائه، فهى تساعد على صقل شخصيته وتنمية قدراته العقلية وذكائه العام وذكائه الاجتماعى وتنمية ميوله واستعداداته وخبراته ومعارفه

ومهاراته واستعداداته وسمات شخصيته وغرس القيم والمثل والمعايير والمبادئ الدينية والأخلاقية وتعليمه العادات السلوكية الجيدة.

وإنطلاقاً من هذه الأهمية، تم إنشاء كلية خاصة برياض الأطفال فى مدينة الاسكندرية ليتخرج فيها معلم مرحلة الحضانة بعد اعداده علمياً ومهنياً وتربوياً وسيكولوجيا. وتعنى هذه المدارس بجسم الطفل وعقله ونفسه وحسه ووجدانه منذ الصغر. وتتبع هذه الدور وزارة الشئون الاجتماعية. ولا يتم إنشاء هذه الدور إلا بعد الحصول على ترخيص بذلك. ولا يمنح الترخيص إلا لمن كان حسن السير والسلوك طيب السمعة كامل الأهلية مصرى الجنسية ولم يصدر ضده أحكام جنائية مخلة بالأمانة والشرف ولا يكون قائماً بعمل يتعارض مع العمل الاجتماعى والتربوى (مادة ٣٤).. ولا يصدر الترخيص إلا بعد المعاينة واستيفاء كافة الشروط والمواصفات في المبنى وعلى صاحب الترخيص أن يضع لداره لائحة تنفيذية يتم اعتمادها من وزارة الشئون الاجتماعية، مع ضرورة فتح السجلات والدفاتر اللازمة لتنظيم العمل بالدار من النواحى المالية والإدارية والفنية. وتمنح الدار معونات من الوزارة والأهالى ومن الخارج بشرط موافقة وزارة الشئون الاجتماعية، وتشكل لجنة بكل محافظة تسمى لجنة شئون دور الحضانة برئاسة المحافظ (مادة ٤٠)، ولا يجوز غلق دار الحضانة إلا بقرار مسبب، كما تعتبر أموالها فى حكم **الأموال العامة** (٤١ - ٤٢) والعاملون بها يعتبرون من الموظفين العموميين. أما السياسة العامة لدور الحضانة على مستوى المجتمع كله، فينشأ لها بقرار من وزير الشئون الاجتماعية «لجنة دور الحضانة» (٤٣) وتضم ممثلى الوزارات المعنية بشئون الطفولة والأمومة. ذلك لأن رعاية الطفولة والأمومة والأسرة بكامل أعضائها إنما هى مسئولية المجتمع كله.

وينظم القانون نظام الأسرة البديلة (مادة ٤٦) كى تقوم بتوفير الرعاية الاجتماعية والنفسية والصحية والمهنية للأطفال الذين تجاوزوا سن العامين، والذين لم يتمكنوا من أن يعيشوا مع أسرهم الطبيعية، وذلك من أجل تربيتهم تربية سليمة وتعويضهم عما افتقدوه من عطف وحنان.

ويحدد القانون أيضاً أهداف اندية الطفولة (٤٧) باعتبارها مؤسسات اجتماعية وتربوية، توفر الرعاية الاجتماعية للأطفال من سن ٦ – ١٤ عاماً. وذلك عن طريق شغل أوقات الفراغ بالوسائل التربوية السليمة، ورعاية الأطفال اجتماعياً وتربوياً خلال أوقات فراغهم وإستكمال رسالة الأسرة والمدرسة، ومساعدة الأم العاملة حماية للأطفال من الاهمال البدنى والروحى، ووقايتهم من الإنحراف والجنوح والشذوذ، وتهيئة الفرص أمام الطفل للنمو المتكامل من جميع عناصر شخصيته الجسمية والعقلية والنفسية والوجدانية واكتساب الخبرات والمهارات والمعارف الجديدة، وتنمية قدراته واستعداداته الكامنة، ومساعدة الأطفال فى التحصيل الدراسى وتقوية الروابط بين النادى وأسرة الطفل وتوعية الأسرة بأساليب التربية السوية والتنشئة الصالحة (٩).

كذلك ينظم القانون العمل بدور الإيواء أو مؤسسات الرعاية الاجتماعية للأطفال المحرومين من الرعاية الأسرية، ولايقل سن من يقبل عن ٦ سنوات ولا تزيد عن ١٨ عاماً.

والمحرومون بسبب اليتم أو التصدع الأسرى أو عجز الأسرة عن الوفاء برسالتها، ويجوز بقاء الطفل بالمؤسسة إذا كان ملحقاً بالتعليم العالى إلى أن يتم تخرجه.

ويفرض القانون حماية للطفل، معاشاً شهرياً لا يقل عن ٢٠ جنيهاً مصرياً وفقاً لقانون الضمان الاجتماعى رقم ٣٠ لسمة ١٩٧٧ ويشمل هذا المعاش الأطفال الأيتام ومجهولى الأب أو الأبوين أى الوالدين وأطفال الأم المطلقة إذا تزوجت أو سجنت أوتوفيت، وأطفال السجون لمدة لا تقل عن عشر سنوات (٤٩). وواضح أن مقدار المعاش المقرر قليل جداً، بحيث يتعين اقتراح زيادته إلى ٥٠ جنيهاً شهرياً حتى يفى بالحاجات الضرورية للطفل أو المراهق أو الشاب.

ويؤكد القانون الحماية الشاملة للطفل فى كل مناحى نشاطه، فيحظر منح

الطفل ترخيص لقيادة أى مركبة آلية ويفرض عقوبة على مخالفة ذلك، حماية للطفل ولغيره من حوادث المرور واصاباته. كذلك يحظر القانون فى مادته (٥١) قيادة الدراجات فى الطريق العام لمن تقل سنه عن ٨ سنوات ، ولا يجوز تأجير الدراجات لمن تقل سنه عن هذا.. ويبدو أن هذا السن صغيراً للغاية إذ يقترح أن يرتفع إلى ١٢ عاماً، حيث أن طفل التاسعة مثلاً لا يقوى على حماية نفسه حين يركب الدراجة فى وسط زحام السيارات فى الطرق العامة.

أهداف تعليم الأطفال:

ويحدد المشرع أهداف تعليم الأطفال تعليماً شمولياً متكاملاً سوياً، بحيث يشب الطفل مواطناً صالحاً مؤمناً بربه ووطنه وعروبته، وذلك على النحو الآتى (مادة ٥٣) يهدف تعليم الطفل إلى تكوينه علمياً وثقافياً وروحياً وتنمية شخصيته ومواهبه وقدراته العقلية والبدنية إلى أقصى إمكاناتها، بقصد إعداد الإنسان المؤمن بربه ووطنه وبقيم الخير والحق والإنسانية، وتزويده بالقيم والدراسات النظرية والتطبيقية والمقومات التى تحقق انسانيته وكرامته وقدراته على تحقيق ذاته وإنتمائه لوطنه، والإسهام بكفاءة فى مجالات الإنتاج والخدمات أو لإستكمال التعليم العالى، وذلك على أساس من تكافؤ الفرص. ونستطيع أن نلمس الملامح العامة الآتية فى هذا التحديد:

١ - استهداف تحقيق التربية الشمولية المتكاملة التى تتناول جسم الطفل وعقله وروحه وحسه ووجدانه وضميره وقيمه ومثله ومعاييره.

٢ - ضرورة الوصول بامكانات الطفل إلى أقصى درجاتها فى التنمية.

٣ - اعداد المواطن الصالح.

٤ - الاهتمام بالتعليم النظرى والتطبيقى معاً.

٥ - تحقيق شعور الطفل بالإنتماء لوطنه ولأسرته ولعروبته.

٦ - تكوين المواطن القادر على الإسهام فى عجلة الإنتاج والعمل والإسهام فى خير المجتمع العام.

كما يؤكد القانون أن التعليم حق لجميع الأطفال، وأنه بالمجان فى جميع مدارس الدولة (مادة ٥٤). ويفرض القانون عقوبة على صاحب العمل إذا منع الطفل من استكمال تعليمه الأساسى. أما رياض الأطفال فتقبل الأطفال بعد سن الرابعة، وعلى ذلك يفرق الشارع بين دار الحضانة وروضة الأطفال (مادة ٥٦). وتهتم بطفل ما قبل المدرسة اهتماماً شمولياً وتخضع لخطط وبرامج وزارة التعليم ولاشرافها الإدارى والفنى (مادة ٥٨). ويتكون التعليم قبل الجامعى من مرحلتين هما:

أ - التعليم الأساسى الإلزامى ويشمل الإبتدائى والإعدادى أى الحلقة الأولى والحلقة الثانية.

ب - التعليم الثانوى العام والفنى.

ويستهدف التعليم الأساسى تنمية قدرات التلاميذ(١٠) واستعداداتهم وميولهم وإشباع حاجاتهم وتزويدهم بالقدر الضرورى من القيم وأنماط السلوك والمعارف والمهارات والخبرات العملية والمهنية التى تتطلبها ظروف البيئة المحلية. بحيث يمكن لمن يتم مرحلة التعليم الأساسى(١١) أن يواصل تعليمه فى المراحل الأعلى أو يواجه الحياة ويلتحق بالعمل بعد أن يتلقى تدريباً مهنياً مناسباً، وذلك حتى يكون الفرد منتجاً فى مجتمعه.

أما التعليم الثانوى فيستهدف اعداد الطلاب للحياة العملية واعدادهم أيضاً لمواصلة التعليم الجامعى أو العالى والمشاركة فى الحياة العامة وترسيخ القيم الدينية والسلوكية والقومية والوطنية، فالمجتمع يتيح للطالب نوعاً من التعليم «المتكامل والشمولى والمفتوح» الذى يقوده إلى المراحل الأعلى من التعليم. حتى التعليم الثانوى والمتوسط أو الفنى يسمح للمتفوقين فيه بمواصلة التعليم العالى والمعاهد العليا والكليات الجامعية. وفى نفس الوقت تساعد المدرسة الثانوية الطالب على ممارسة الأنشطة التى تتطلبها الحياة العملية. والمأمول أن تمتد مرحلة التعليم الأساسى الإلزامى إلى نهاية المرحلة الثانوية.

حماية الطفل من العمالة الجائرة:

تحظر المادة (٦٤) من قانون الطفل لسنة ١٩٩٦ تشغيل الأطفال قبل بلوغهم سن الرابعة عشر. كما يحظر تدريبهم قبل بلوغهم سن ١٢ عام. ويراعى القانون مستوى نضج الطفل الجسمى والعضلى والعقلى والاجتماعى والنفسى، حيث لا تقوى قدراته على تحمل أعباء العمل فيما قبل الرابعة عشر، وإن كان المشرع قد أجاز تشغيل الأطفال من سن ١٢ عاماً فى أعمال موسمية على شرط ألا تضر بصحتهم ولا نموهم ولا تخل بمواظبتهم على الدراسة، وذلك بعد صدور قرار من المحافظ المختص وبعد موافقة وزير التعليم على ذلك نظراً للقيم الاقتصادية لعمالة الصبية وخاصة فى المواسم الزراعية ومواسم الحصاد وحتى لا يؤدى تعليم الطفل إلى الاضرار البالغ بالأسر الكادحة والفقيرة. ويوفق المشرع بين المصالح الاقتصادية وبين تحقيق التعليم للطفل. ولقد كانت هذه الأسر فى الماضى تنظر للأولاد على أنهم سلعة اقتصادية، حيث كانت تسخرهم فى أعمال شاقة زراعية أو غير زراعية، وتعتبرهم مورداً للأسرة دون الاهتمام بصحتهم أو مستقبلهم العلمى أو المهنى... وفى الآونة الأخيرة ظهرت بعض جرائم إعتداء أصحاب الورش اعتداءات صارخة على العمالة الصغيرة فى ورشهم إلى حد الوفاة أو الإصابة بالعاهات المستديمة. ويلزم القانون (مادة ٦٥) بعدم تشغيل الطفل لأكثر من ٦ ست ساعات يومياً، على أن تتخللها فترات للراحة تصل فى مجموعها إلى ساعة، وبحيث لا يعمل الطفل لفترات متصلة تزيد على الأربع ساعات مرة واحدة. وكذلك لا يجوز تشغيل الأطفال لساعات إضافية أو فى أيام العطلات الرسمية والراحة الإسبوعية. ولا يجوز أن يعمل الطفل فى الساعات المبكرة من الصباح ولا الساعات المتأخرة من الليل أى فيما بعد الثامنة مساء أو فيما قبل السابعة صباحاً (مادة ٦٦) ويلزم صاحب العمل بدفع أجر العامل له أو لأحد والديه. وبذلك يوازن المشرع بين الظروف الاقتصادية الصعبة لمعظم الأسر الكادحة وبين مصلحة الطفل والمحافظة على صحته الجسمية والعقلية والنفسية مع العمل

على حمايته من الإنحراف والجنوح والتشرد ومن الإستغلال، والإبتزاز أو التسخير وإساءة الإستعمال.

رعاية الأم العاملة:

وفي رعاية الأم العاملة يمنحها القانون الحق (مادة ٧٠) في أجازة بأجر لمدة ثلاثة شهور للوضع على ألا يزيد عدد مرات هذه الاجازات طوال مدة خدمتها عن ثلاث مرات. وللأم المرضع الحق في الحصول على ساعة زمنية دفعة واحدة أو على مرتين لارضاع رضيعها دون أن تخصم هذه الساعة من أجرها اليومي (مادة ٧١). كما أن لها الحق في أجازة لمدة عامين لرعاية الطفل بدون أجر ولثلاث مرات طوال مدة خدمتها واستثناء من أحكام قانون التأمين الاجتماعي تتحمل الجهة التابعة لها الأم العاملة اشتراكات التأمين المستحقة عليها والمستحقة على العاملة عن فترة هذه الاجازة.

وتحقيقاً لرعاية أبناء الأم العاملة ألزم القانون صاحب العمل الذي يستخدم ١٠٠ عاملة فأكثر في مكان واحد أن ينشئ داراً للحضانة أو يعهد إلى دار للحضانةبرعاية أطفال العاملات (مادة ٧٣). وإذا تعددت جهات العمل في منطقة واحدة وكان يعمل بكل منها أقل من ٥٠ عاملة ألزمها القانون بإقامة دار حضانة مشتركة للأمهات العاملات فيها جميعاً.

رعاية الطفل المعاق:

ويولي المشرع الطفل المعاق عناية خاصة (مادة ٧٦) ورعاية اجتماعية وصحية ونفسية كي تنمي اعتماده على نفسه وتيسر اندماجه ومشاركته في المجتمع. وله الحق في أن ينال التأهيل اللازم أي الخدمات الاجتماعية والنفسية والطبية والتعليمية والمهنية للطفل المعاق وأسرته أيضاً لمساعدته على التغلب على الآثار الناشئة عن عجزه[١٢] وتوفر الدولة خدمات التأهيل، وكذلك الأجهزة التعويضية دون مقابل (مادة ٧٧). وتقوم وزارة الشئون الاجتماعية بإنشاء مراكز

التأهيل والمعاهد الخاصة بتأهيل الأطفال المعاقين، حيث أجاز القانون لها أن تنشئ المدارس أو الفصول لتعليم المعاقين من الأطفال بما يتلاءم وقدراتهم واستعداداتهم. ويمنح الطفل شهادة بدون مقابل تفيد تأهيله (مادة ٧٩). ويتفق هذا التشريع الاجتماعى مع روح العلم فى قضية التأهيل [١٣]. إذ تستهدف عملية التأهيل المهنى تدريب ما تبقى لدى الطفل المعاق من قدرات واستعدادات، بحيث يصبح قادراً على الإنتاج وتحقيق الإستقلال الاقتصادى، وبذلك يسهم فى عملية الإنتاج القومى بدلاً من أن يظل عالة على أسرته وعلى المجتمع، فيشعر بالثقة فى نفسه، ويؤدى ذلك إلى حسن تكيفه الاجتماعى والمهنى والأسرى، ولا يقصد بعملية التأهيل مجرد تعليم المعاق أو تدريبه على ممارسة مهنة معينة، وإنما يقصد بالتأهيل كذلك التأهيل النفسى والاجتماعى، بحيث يتقبل الطفل حالة الإعاقة ويتعايش واياها. وبالطبع لا بد وأن تتفق البرامج مع مستوى ذكاء وقدرات واستعدادات الطفل المعاق، وأن تتفق مع ميوله واهتماماته الدراسية والمهنية.

وتحقيقاً للإستقلال الاقتصادى تلتزم مكاتب القوى العاملة بمعاونة المقيدين لديها من المعاقين فى الإلتحاق بالأعمال التى تناسبهم من حيث العمر والكفاءة ومقر اقامتهم. وتحدد وزارة القوى العاملة ووزارة الشئون الاجتماعية الأعمال التى يمكن للمعاقين القيام بها فى الجهاز الإدارى للدولة (مادة ٨١). ويحدد قانون العمل ٥ ٪ من مجموع عمال المؤسسات للمعاقين. ويحدد هذا القانون فى مادته (٨٢) ٢ ٪ من هذه النسبة للأطفال المعاقين.

ويقضى القانون فى مادته (٨٥) بإنشاء صندوق لرعاية الأطفال المعاقين وتأهيلهم يصدر بتنظيمه قرار من رئيس الجمهورية. ويدخل ضمن موارده الغرامات المقضى بها فى الجرائم المنصوص عليها فى هذا الباب.. أى الجرائم المتعلقة بمخالفة المواد الخاصة بالتعامل مع الأطفال المعاقين.

ومراعاة للمستوى الاجتماعى والاقتصادى للمعاق، أعفت المادة (٨٦) من

جميع أنواع الضرائب والرسوم، الأجهزة التعويضية والمساعدة ووسائل النقل اللازمة لاستخدام الطفل المعاق وتأهيله.

الرعاية الشاملة:

ويهتم القانون بكل جوانب شخصية الطفل الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية والروحية والأخلاقية، ولذلك يهتم المشرع بثقافة الطفل، حيث تكفل الدولة اشباع حاجات الطفل الثقافية فى شتى مجالاتها من أدب وفنون ومعرفة وربطها بقيم المجتمع فى اطار التراث الإنسانى والتقدم العلمى الحديث (مادة ٨٧).

فالثقافة التى ينبغى أن نقدمها للطفل يجب أن تكون مرشدة وموجهة وهادفة وتربوية وإيجابية، وتسهم فى بناء فكره وحسه ووجدانه، وأن تتمشى مع قيم المجتمع، فتكون أداة لحم وتماسك وإتحاد بين أبناء المجتمع بمختلف أجياله.

ولا ينعزل الطفل فى اطار ضيق من الثقافة المحلية، وإنما يطلع على الثقافة فى اطارها العالمى والإنسانى، وخاصة بعد أن أصبح العالم «قرية صغيرة واحدة».

ويحرص المشرع على أن يطلع الطفل على أحدث تطورات العلم. ولعل من هذا القبيل تلك الحملة المباركة والتى تحمل شعار (القراءة للجميع). وإنشاء «مكتبة الأسرة» وتعميم المكتبات العامة الصغيرة فى كل الأحياء والقرى، ومن ذلك تشجيع إنشاء نوادى الطفل وإنشاء دور للسينما والمسرح وغير ذلك من المراكز الثقافية التى تضطلع بها وزارة الشباب والرياضة ووزارة الاعلام ووزارة الثقافة. كما تسعى الحكومة - مشكورة -لمد اشعاع النور إلى المناطق العشوائية والنائية. وإن كان الأمر يقتضى تشديد الرقابة على أندية الفيديو لتشجيعها الطفل على المقامرة والإنحراف. وقد يضطر للسرقة لسد نفقات هذه الألعاب باهظة التكلفة.. فضلاً عن كونها نشاطات تؤدى إلى حرمان جسم الطفل من الأنشطة الإيجابية الأخرى كالرياضة والقراءة وممارسة الهوايات النافعة أو حتى العمل

ومساعدة الأسرة أو العمل بأجر للإسهام فى نفقات الكتب الدراسية والملابس المطلوبة للطفل. ولذلك اتسم المشرع بالحكمة والدقة حيث حظر نشر أو عرض أو تداول أى مطبوعات أو مصنفات فنية مرئية أو مسموعة خاصة بالطفل تخاطب غرائزه الدنيا أو تيزين له السلوكيات المخالفة لقيم المجتمع أو يكون من شأنها تشجيعه على الإنحراف. ويقضى القانون بفرض العقوبات ومصادرة المطبوعات أو المصنفات المختلفة (مادة ٨٩). ويسرى هذا الحظر على دخول الحفلات المحظور دخول الأطفال إليها. وهكذا يحتضن القانون الطفل منذ ميلاده، ويرعى الأم العاملة، ويحرص على تنمية قدرات الطفل واستعدادااته وميوله ومواهبه ومعارفه وخبراته ومهاراته وقيمه ومثله وأخلاقياته وضميره ومشاعره الروحية ويغرس فيه الشعور بالإنتماء والروح الوطنى والقومى ويسعى لتكوينه مواطناً صالحاً نافعاً سوياً منضبطاً وملتزماً. ولعل ذلك ما يحمى المجتمع من تلك الظاهرة التى ظهرت على سطح الأحداث وهى «ظاهرة البلطجة» والعنف والجنوح والشذوذ والتطرف والتشرد والاهمال والعبث والإدمان والبطالة والفقر.. والمأمول أن تجد هذه النصوص الرشيدة مجالها فى التطبيق العملى الجاد.

مراجع وهوامش

١ – عبد الرحمن عيسوى، سيكولوجية النمو، دار النهضة العربية بيروت، لبنان، ١٩٩٢.

٢ – عبد الرحمن عيسوى، علم النفس الأسرى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠.

٣ – يقول الحديث النبوى الشريف «تنكح المرأة لأربع: لمالها وجمالها ونسبها ولدينها، فأظفر بذات الدين تربت يداك».

٤ – عبد الرحمن عيسوى، مبحث الجريمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩١.

٥ – عبد الرحمن عيسوى، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار الفكر الجامعى، الإسكندرية، ١٩٨٦.

٦ – يقصد بعملية التنشئة الاجتماعية socialiZation تلك العملية التى يمتص الطفل، من خلالها، قيم المجتمع ومثله وعاداته ومبادئه ونظمه وتقاليده وأعرافه وأخلاقياته، ويتعلم، من خلالها، الإتيان بأنماط السلوك المقبولة دينياً وأخلاقياً، وبموجبها يصبح عضواً نافعاً فى المجتمع ومتكيفاً معه ومتحداً واياه، وبذلك تصبح عملية التنشئة الاجتماعية وسيلة من وسائل الوحدة الوطنية والتكافل والتساند والتضامن الاجتماعى. والمفروض أن تسمى «عملية التنشئة الاجتماعية والسياسية والأخلاقية والفكرية والعقائدية والمهنية».

٧ – يقصد بعملية النضوج Maturation وصول أعضاء جسم الإنسان إلى حالة تمكنها من أداء وظائفها بصورة صحيحة كالتناسل أو التفكير الصائب أو الحياة الانفعالية والنفسية السوية أو إقامة العلاقات الاجتماعية الإيجابية التى تعبر عن نضج صاحبها.

٨ – يقصد بعملية التشخيص الطبى أو النفسى Diagnosis تحديد كم وكيف

المرض أو العرض أو الاضطرابات، بمعنى معرفة نوع المرض الذى يعانى منه الفرد ومبلغ شدته أو كثافته أو المرحلة التى يوجد فيها هذا المرض.

٩ - قانون الطفل رقم ١٢ لسنة ١٩٩٦.

١٠ - يقصد بقدرة الطالب ability مستوى الأداء الفعلى الذى يستطيع الفرد أن يمارسه فى الوقت الراهن، ومن ذلك القدرة الحسابية أو اللغوية والكلامية والقدرة على التفكير، أما الاستعداد aptitude فهو القدرة الكامنة أو التهيؤ أو الإستعداد الكامن فى الإنسان، والذى يتحول إلى قدرة بفعل التدريب والتعليم والمران والممارسة، ومن ذلك الإستعداد الرياضى أو الميكانيكى أو اللغوى. أما المهارة skill فهى القدرة على الأداء المميز والسريع والمنظم والكفء كالمهارة فى الكتابة أو فى قيادة السيارة أو فى العزف الموسيقى.

١١ - يقصد بعملية التعلم Learning تغير فى أداء الإنسان وفى سلوكه وفى خبراته ومهاراته. ذلك التغير الذى يسير بالإنسان إلى الأحسن والأفضل والذى يحدث من جراء المران والتدريب والممارسة.

١٢ - عبد الرحمن عيسوى، التخلف العقلى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩١.

١٣ - عبد الرحمن عيسوى، علم النفس فى المجال المهنى، دار المعارف، القاهرة، الإسكندرية، ١٩٨٩.

القيمة العلاجية لقانون مكافحة المخدرات

أهمية نشاط مكافحة المخدرات:

تزداد أهمية نشاط مكافحة المخدرات يوماً بعد يوم مع ازدياد انتشار المخدرات واتساع القاعدة التى تسقط فى براثن التعاطى أو الاتجار والجلب والاستزراع والتخليق. ومع سقوط طوائف جديدة من أبناء المجتمع فى مستنقع الإدمان من أولاد الطبقات الاجتماعية الأعلى وأصحاب المهن التى تدر أموالاً طائلة على أصحابها. ومع تخليق أنواع من الجواهر المخدرة ذات آثار تدميرية أكثر خطورة على صحة الإنسان وعقله ونشاطه وحياته وسرعتها فى تكوين عادة الإدمان من التعاطى لأول مرة.

كذلك تزداد أهمية نشاط المكافحة مع تعمد بعض الدول استخدام المخدرات فى حربها ضد الدول الأخرى وتصديرها لكميات كبيرة من المخدرات لهذه الدول على اعتبار أن حرب المخدرات حرب مدمرة تحيل الشباب والقوى العاملة والمنتجة فى المجتمع إلى حطام وركام وتدمير صحة الإنسان وتنال من قدراته وذكائه وقواه العقلية وتحط من قدره وتحطم أسرته وتؤدى إلى فقدان وظيفته وما إلى ذلك من الأخطار التى يتعين بذل كل جهد مستطاع لمكافحة هذه السموم.

والإتجاه الجدير بالأهتمام هو إستخدام الأساليب العلمية والاجتماعية والثقافية والدينية فى المكافحة الشاملة وعدم الإكتفاء بالنشاط البوليسى أو الأمنى وحده، والنظر لمشكلة المخدرات على أنه مشكلة مجتمعية متعددة الجوانب والأبعاد وليت من اختصاص الأمن وحده. ومن هنا كان لا بد من تضافر الجهود الإعلامية والتربوية والثقافية والطبية والصحية والنفسية فى معركة المكافحة الشاملة. كذلك من الاتجاهات الجديرة بالأهتمام والتركيز إعتبار الإدمان مرضاً أكثر من كونه جريمة يعاقب عليها القانون وتوفير فرص العلاج. الإرشاد والتأهيل وإعادة التأهيل أمام المدمن أو المتعاطى للوصول إلى بر الأمان والعودة إلى حظيرة السواء والتكيف

والإنتاج والعمل والمواطنة الصالحة والعودة إلى حظيرة الإيمان الدينى والتقوى والورع والخشوع والبعد عن الخبث والخبائث والشر والشرور الفتاكة.

والقانون رقم ١٢٢ لسنة ١٩٨٩ يفتح الآفاق واسعة أمام التوبة والشفاء والتحرر من آلام الإدمان ورذائله ومفاسده وشروره. ففوق أساليب التدقيق والتشديد والضبط والحزم فى التعامل والتداول للمخدرات يفتح المجتمع قلبه ويمد يديه وذراعيه لاحتضان المريض الراغب فى الشفاء.

المفهوم العلمى والشمولى للمكافحة:

ولقد صدر قانون مكافحة المخدرات رقم (١٨٢) فى سنة ١٩٦٠. ثم صدرت له عدة تعديلات، منها القانون رقم (١٢٢) لسنة ١٩٨٩ [١]. والحقيقة أن مفهوم المكافحة لا يقتصر على الجهود الأمنية فى الضبط، والمصادرة، التحقيق، وإحالة المتهمين إلى المحاكمات وحرس الحدود، وإنما ينبغى أن يتسع مفهوم المكافحة ليشمل كافة الوسائل العلمية والتربوية والطبية والصحية، وجهود التوعية، والترشيد والتربية النظامية وغير النظامية بحيث نقى المواطن من اخطار المخدرات، قبل أن يسقط فى بئر الإدمان، ويقع تحت طائلة القانون والعقاب. ولقدحاولت الدولة، مشكورة، التوسع فى حماية أبناء المجتمع من أخطار المخدرات، وكافة المواد أو العقاقير ذات التأثير النفسى السلبى على الإنسان، ووضعت حذراً على استعمالاتها، ولذلك صدر قرار وزير الصحة رقم ٤٨٧ لسنة ١٩٨٥ متضمناً المواد أو العقاقير ذات الأثر النفسى السئ على متعاطيها، وبالتالى أوجب القرار وضع قيود على تداولها أو بيعها. كذلك فإن قانون تنظيم مهنة الصيدلة رقم ١٢٧ لسنة ١٩٥٥ – يتضمن فرض عقوبات على الصيدلية التى تخالف أحكام هذا القانون. والحقيقة أنه زاد إنتشار حالات شراء الأدوية من الصيدليات وتعاطيها بقصد إحداث حالة السكر أو التخدير، وأقبل عليها المدمنون لهذا الغرض، ومن هذا القبيل أدوية علاج الكحة وغيرها من الأدوية التى تدخل فى تركيبها المواد المخدرة.

وكذلك فلقد اتسع نطاق الإدمان وأصبح لا يقتصر على المواد والخمور والمخدرات التقليدية كالحشيش والأفيون والهيروين، وإنما أصبح بعض الصبية يستعملون المواد المتطايرة كشم رائحة البنزين أو «الكلة» أو الغراء إلى جانب تعاطى السبرتو وما إلى ذلك مما أوجب ضرورة فرض الرقابة على تداول[٢] بعض الأدوية. ومما يدعو إلى ضرورة توفير الرعاية والإرشاد والتوجيه لهؤلاء الصبية من أطفال الشوارع أو من العاملين فى الورش وغيرها من أماكن العمل، حيث يحصلون على النقود التى تساعد فى شراء المواد التى تهدم كيانهم الشخصى والصحى[٣].

وقانون العقوبات - وهو لا يكفى فى حد ذاته لمنع المخدرات - يفرض عقوبات صارمة على العمليات الآتية:

١ - التعاطى.

٢ - التداول.

٣ - الإتجار.

٤ - التخزين.

٥ - الجلب من الخارج.

٦ - الاستزراع، كما هو الحال فى زراعات البانجو فى صحراء سيناء.

وقبل صدور قانون ١٨٢ لسنة ١٩٦٠ كان هناك القانون رقم (٣٥١) لسنة ١٩٥٢ فى شأن مكافحة المخدرات.

ويجئ الحظر شاملاً لكافة أنواع التعامل مع المواد التى تضمنها الجدول المرافق لهذا القانون، حيث نصت المادة الثانية منه على أنه «يحظر على أى شخص أن يجلب أو يصدر أو ينتج أو يملك أو يحرز أو يشترى أو يبيع جواهر مخدرة أو يتبادل عليها أو ينزل عنها بأى صفة أو أن يتدخل بصفته وسيطاً فى شئ من ذلك إلا فى الأحوال المنصوص عليها فى هذا القانون وبالشروط المبينة به.

كذلك يحظر هذا القانون جلب المواد المخدرة أو تصديرها أو نقلها «لا يجوز جلب الجواهر المخدرة أو تصديرها إلا بمقتضى ترخيص كتابى من الجهة الإدارية المختصة» مادة (٣). فالمجتمع المصرى لا يحمى أبناءه فقط من أخطار المخدرات واضرارها، وإنما يحمى أيضاً المجتمعات العالمية الأخرى التى يمكن أن يصدر إليها من داخل المجتمع المصرى. وهو أمر لا يفعله كثير من الدول التى تشجع على الاسترزاع والتصدير للخارج. فالنظرة المصرية نظرة عالمية وإنسانية فى حمايتها لأخطار المخدرات. فالقانون ينظم عمليتى التصدير والإستيراد حتى لا تصل المواد المخدرة بسهولة إلى أيدى التجار أو المتعاطين (٤).

كذلك فإن هذا القانون يحظر على الصيادلة صرف جواهر مخدرة إلا بتذكرة طبية من طبيب بشرى أو طبيب أسنان حائز على دبلوم أو بكالوريوس، أو بموجب بطاقة رخصة مادة (١٤) كما لا يجوز للصيادلة صرف تذاكر طبية تحتوى على جواهر مخدرة بعد مضى خمسة أيام من تاريخ تحريرها (مادة ١٦) وحتى لا يتكرر صرف الجوهر المدخر أكثر من مرة بموجب نفس التذكرة الطبية فإنه لا يجوز ردها إلى حاملها بعد صرفها حتى لا يستعملها مرة أخرى، ويحصل على كميات مضاعفة من الجوهر المرخص له به لأغراض العلاج، بل يجب على الصيدلى حفظها (التذكرة الطبية) وأن يقيدها فى سجل خاص لديه (مادة ١٧). كذلك يتعين عليه تسجيل ما يرد إليه من هذه المواد وما يصرفه منها فى نفس اليوم فى سجل خاص مختوم بخاتم الجهة الإدارية المختصة. ولكن هناك بعض المرضى الذين يترددون، فى نفس الوقت، على أكثر من طبيب ويحصلون منه على أكثر من تذكرة طبية ويذهبون بكل واحدة منها إلى صيدلية خاصة بقصد التلاعب والحصول على كميات إضافية من الجواهر المخدرة.

ونظراً لسهولة تداول الجواهر المخدرة بين أيدى العاملين فى المستشفيات أو الصيدليات الحكومية أو غيرها، فلقد لوحظ أن الإدمان ينتشر بين هؤلاء ذلك

لأنه من بين أسباب أنتشار المخدرات سهولة التداول وسهولة الحصول على الجوهر المخدر. ويلزم لهؤلاء مزيد من التوعية والإرشاد والنصح باخطار المخدرات على حالتهم الصحية.

وعلى كل من يوجد بعهدته مادة مخدرة أن يدون في سجل خاص الوارد والمنصرف والمتبقى منها، وأن يخطر بهذا البيان الجهة الإدارية المشرفة. وهناك جواهر مخدرة مصنعة أو مخلقة ويحظر القانون على الشركات والمصانع عمل هذا إلا بترخيص خاص (مادة ٢٥).

كذلك جاء حظر زراعة النباتات التى احتواها الجدول الملحق بهذا القانون (مادة ٢٨). وذلك في جميع اطوار نموها، وكذلك يحظر التداول في بذورها فيما عدا ما يزرع للأغراض العلمية في معاهد ومراكز البحث العلمى (مادة ٣٠). ويقضى القانون بضرورة الاحتفاظ بالدفاتر والتذاكر الطبية لمدة عشر سنوات بعد آخر قيد تم بها. ويلاحظ أن هذه الجداول ليست جامدة، إنما هى متطورة وقد تشمل مواد جديدة يتبين إساءة استعمالها أو خطورتها على الصحة، ولذلك رخص هذا القانون للوزير أن يعدل من هذه الجداول كلما اقتضت الحاجة.

تغليظ العقوبات:

لقد شدد القانون رقم ١٢٢ لسنة ١٩٨٩ العقوبة ووصل بها إلى **حد الإعدام** وذلك دراء لأخطار المخدرات ومنعاً لتداولها لما تجلبه من هدم صحة المتعاطى وتحطيم(٥) حياة المدمن.

فقد نصت المادة ٣٣ المعدلة بالقانون رقم ١٢٢ لسنة ٨٩ على أن يعاقب **بالإعدام** وبغرامة لا تقل عن مائة ألف جنيه ولا تتجاوز خمسمائة ألف جنيه:

(أ) كل من صدر أو جلب جواهر مخدرة قبل الحصول على الترخيص المنصوص عليه في المادة ٣ من القانون السابق (١٩٦٠).

(ب) كل من أنتج أو استخرج أو فصل أو صنع جوهراً مخدراً وكان ذلك بقصد الإتجار.

(جـ) كل من زرع نباتاً من النباتات الواردة فى الجدول رقم (٥) أو صدره أو جلبه أو حازه أو أحرزه أو اشتراه أو باعه أو سلمه أو نقله أياً كان طور نموه، كذلك بذوره وكان ذلك بقصد الإتجار أو أتجر فيه بأية صورة وذلك فى غير الأحوال المصرح بها قانوناً.

(د) كل من قام، ولو فى الخارج، بتأليف عصابة، أو ادارتها، أو التدخل فى ادارتها أو فى تنظيمها أو الإنضمام إليها أو الإشتراك فيها وكان من أغراضها الإتجار فى الجواهر المخدرة أو تقديمها للتعاطى أو إرتكاب أى من الجرائم المنصوص عليها فى هذه المادة داخل البلاد.

وتقضى المحكمة فضلاً عن العقوبتين للجرائم المنصوص عليها فى هذه المادة بالتعويض الجمركى المقرر قانوناً.

فى هذه المادة العقوبة المغلظة هى «**الإعدام والغرامة**».

أما المادة التالية وهى ٣٤ من ذات القانون، فتنص على أن «يعاقب بالإعدام أو بالأشغال الشاقة المؤبدة وبغرامة لا تقل عن مائة ألف جنيه ولا تجاوز خمسمائة ألف جنيه:

أ - كل من حاز أو أحرز أو اشترى أو باع أو سلم أو نقل أو تعاطى أو قدم للمتعاطى جوهراً مخدراً، وكان ذلك بقصد الإتجار أو أتجر فيه بأية صورة وذلك فى غير الأحوال المصرح بها قانوناً.

ب - كل من رخص له فى حيازة جوهر مخدرا لاستعماله فى غرض معين وتصرف فيه بأية صورة فى غير هذا الغرض.

جـ - كل من أدار أو هيأ مكاناً لتعاطى الجواهر المخدرة بمقابل. تكون عقوبة

الجرائم المنصوص عليها فى هذه المادة الإعدام أو الغرامة التى لا تقل عن مائة ألف جنيه ولا تجاوز خمسمائة ألف جنيه فى الأحوال الآتى﴾:

١ - إذا استخدم الجانى فى إرتكاب احدى هذه الجرائم من لم يبلغ من العمر احدى وعشرين سنة ميلادية أو استخدم أحداً من أصوله أوفروعه أو زوجه أو أحداً ممن يتولى تربيتهم أو ملاحظتهم أو ممن له سلطة فعلية عليهم فى رقابتهم أو توجيههم.

ويلاحظ تدرج العقوبة. ففى المادة ٣٣ جاءت العقوبة الإعدام فقط دون وجود عقوبة بديلة أمام القاضى للاختيار، أما فى المادة ٣٤ فجاءت تخير القاضى بين الإعدام أو الأشغال الشاقة المؤبدة.

والحقيقة أن الفقرة (أ) من المادة (٣٤) تتضمن الكثير من المعانى السيكولوجية والتربوية والاجتماعية والأخلاقية والدينية، وتتضمن قيماً إنسانية نبيلة إلى جانب وظيفتها فى الردع والقصاص من الجانى. ذلك لأنها تستهدف حماية الأطفال والمراهقين والصبية والشباب صغار السن ممن لم يتجاوزا الحادية والعشرين من العمر. وذلك حماية للطفولة البريئة من الوقوع فريسة فى أيدى تجار المخدرات، وحماية للنشء من عوامل الفساد والإدمان والتورط فى جرائم الإدمان أو التعاطى أو الترويج للمخدرات. ولهذه المادة قيمة تربوية جليلة فى وقت زادت فيه نسبة المتعاطين من الأطفال ومن أبناء الطبقات المختلفة حتى أبناء الذوات والطبقة الراقية. وذلك لأن استغلال هؤلاء مرده عدم توفر الخبرة لديهم كى يدفعوا عن أنفسهم هذا البلاء الذى قد يجرهم إليه ضعاف النفوس. ومن المؤسف أننا نلاحظ حالات كثيرة من الصبية والعاملين فى بعض الورش ممن يتوفر فى أيديهم قليل من المال يشمون الكلة أو النبزين أو السبرتو أو الغراء ويسقطون بذلك فى مستنقع[٦] الإدمان وهم ما يزالون فى عمر الزهور وما يزال المجتمع فى حاجة إليهم لأن شباب اليوم هم رجال الغد وهم حملة الراية وورثة المكاسب الشعبية

التي حققتها ارادة النضال الوطني على مر السنين.

كذلك تحمى هذه المادة الأصول(٧) والفروع من الضياع والهلاك والفساد، وذلك حتى لا يستغل ضعاف النفوس الأم أو الأب أو الجد أو الجدة أو الابن أو الابنة أو الحفيد أو الحفيدة فى أعمال إجرامية تتعلق بترويج المخدرات تلك السموم التى تهدم حياة المجتمع وفى ذلك حماية للأسرة من التفكك والتصدع والإنهيار والضياع والتشرد أو حتى الدعارة أو حياة السجون.

المادة تصون صلة الأرحام وتحافظ عليها بما فى ذلك الزوج والزوجة وحتى أبناء التبنى أو أولئك الذين يخضعون لسيطرة الجانى بأية صورة من صور الإشراف أو التربية أو الرقابة أو الملاحظة كأن يكون الطفل عاملاً لدى صاحب العمل أو تلميذاً لدى مدرس ما. وذلك حتى لا يستغل سلطته على الطفل فى دفعه إلى هاوية الجريمة والجنوح والإنحراف. ولهذه المادة حكمة تربوية وهدف إصلاحى وقيمة أخلاقية جديرة بالإحترام والتقدير. وتضيف المادة...

٢ - إذا كان الجانى من الموظفين أو المستخدمين العموميين المكلفين بتنفيذ هذا لاقانون أو المنوط بهم مكافحة المخدرات أو الرقابة على تداولها أو حيازتها أو كان ممن لهم اتصال بها بأى وجه «وتستهدف هذه المادة منع استغلال الموظف العمومى وظيفته فى ترويج المخدرات، وخاصة إذا آلت إليه بسبب سلطته الوظيفية، وذلك حتى لا يصبح «حاميها حراميها» على حد تعبير المثل الشعبى. وحتى لا تخول للإنسان نفسه عندما يصبح المخدر بين يديه أن ينحرف عن جادة الصواب. وتستهدف هذه المادة حماية الموظف العمومى من الفساد والتسيب والرشوة والاختلاس واستغلال النفوذ وما إلى ذلك من الجرائم المتصلة بالاتجار فى الوظيفة العمومية (٨). ويؤكد هذا المعنى الفقرة الثالثة من ذات المادة.

٣ - «إذا استغل الجانى فى ارتكابها أو تسهيل ارتكابها السلطة المخولة له

بمقتضى وظيفته أو عمله أو الحصانة المقررة له طبقاً للدستور أو القانون.

وتشمل المادة لا القيام بارتكاب الجريمة، وحسب، وإنما كذلك تسهيل ارتكابها. ولعل القارئ الكريم يتذكر قضية أعضاء مجلس الشعب المصرى الذين عرفت قصتهم باسم «**نواب الكيف**» والذين ظلت الصحافة تطاردهم حتى تم طردهم من عضوية المجلس وحوكموا جنائياً بعد أن رفعت عنهم الحصانة البرلمانية لاتجارهم فى المخدرات.

ويتم توقيع هذه العقوبة «إذا ارتكبت الجريمة فى احدى دور العبادة أو دور التعليم أو مرافقها الخدمية أو النوادى أو الحدائق العامة أو أماكن العلاج أو المؤسسات الاجتماعية أو العقابية أو المعسكرات أو السجون أو بالجوار المباشر لهذه الأماكن» فقرة (٤).

وذلك احتراماً لقدسية دور العبادة ودور العلم ونظراً لوجود الشباب فى الأندية والحدائق العامة وللتجمعات التى قد تتواجد فى المؤسسات العلاجية والاجتماعية أو السجون أو الاصلاحيات ومراكز رعاية الأحداث أو معسكرات الشباب وذلك لجسامة الخطورة لإنتشار المخدرات وسط التجمعات الاجتماعية الكبرى ومنعاً لتفشى ظاهرة الإدمان ولعدم استغلال هذه الإماكن ذات الطابع الإنسانى والتربوى والعلمى والدينى استغلالاً سيئاً. ولعل من قبيل هذه القضايا قضية المقاول الثرى الذى ضبط يوزع المخدرات على شباب وأطفال نادى الشمس فى مصر الجديدة وتم إعدامه.

٤ – إذا قدم الجانى الجوهر المخدر أو سلمه أو باعه إلى من لم يبلغ من العمر احدى وعشرين سنة ميلادية أو دفعه إلى تعاطيه بأية وسيلة من وسائل الإكراه أو الغش أو الترغيب أو الإغراء أو التسهيل. وذلك أيضاً حفاظاً على النشئ والطفولة من اضرار المخدرات ومن وقوعهم ضحياً لأرباب النفوس الضعيفة. وبذلك يحقق هذا القانون أهدافاً اجتماعية ونفسية وأخلاقية ودينية وتربوية،

ويسهم فى عملية التنشئة[٩] الاجتماعية. الصالحة للشباب وتغلظ المادة العقوبة حتى فى حالة التعاطى بالنسبة لهذه الفئات. وتوقيع هذه العقوبة أيضاً وفقاً لشدة خطورة المادة المخدرة ومقدار ما تحدثه من تدمير على صحة المدمن وعلى ظروفه الأسرية ومكانته الوظيفية والاجتماعية.

٥ - «إذا كان الجوهر المخدر محل الجريمة من الكوكايين أو الهيروين أو أى من المواد الواردة فى القسم الأول من الجدول رقم (١) المرفق بالقانون».

ولعل فى ذلك حماية لما يقال من أن هناك نوعاً من هذه المخدرات تم تخليقه يؤدى إلى الإدمان من التعاطى لأول مرة، حيث يؤثر فى الجهاز العصبى للمدمن بصورة قوية تجعله يدمن على تعاطيه إذا تعاطاه مرةواحدة وقد تكون هذه المرة دون علم منه إذا دسه له الجانى دساً. وفى الحالات الأخرى لا يتكون الإدمان إلا بعد تكرار التعاطى لفترة معينة. علماً بأن هناك نوعين من الإدمان: الإدمان الفسيولوجى وفيه تتوقف خلايا الجسم وأعضائه عن أداء وظائفها إذا لم تتلق المادة المخدرة، وإدمان سيكولوجى أى نفسى، وهو عبارة عن عادة قوية جداً تقهر صاحبها وتتشبث به وترغمه على الإستمرار فى التعاطى حتى يصبح عبداً رقيقاً لهذه العادة التى لا يقوى على التوقف عنها.

٦ - «إذا كان الجانى قد سبق الحكم عليه فى جناية من الجنايات المنصوص عليها فى هذه المادة أو فى المادة السابقة (٣٣). وذلك لمنع المجرمين من العودة إلى إرتكاب الجريمة مرة أخرى. وإلى جانب عقوبة الإعدام وبغرامة لا تقل عن مائة ألف جنيه ولا تجاوز خمسمائة ألف جنيه على كل من دفع غيره بأية وسيلة من وسائل الإكراه أو الغش إلى **تعاطى** جوهر مخدر من الكوكايين أو الهيروين أو أى من المواد الواردة فى القسم الأول من الجدول رقم (١). وهذه المادة العقابية أوسع نطاقاً، حيث لا تحدد العمر، وإنما تشمل أى إنسان يقع تحت ضغط أو غش لتعاطى المخدر النصوص عليه.

ويعاقب القانون حتى على الدفع للتعاطى، وإن كان **دون مقابل**، حيث نصت المادة ٣٥ بأنه يعاقب بالأشغال الشاقة المؤبدة وبغرامة لا تقل عن خمسين ألف جنيه ولا تجاوز مائتى ألف جنيه:

أ - كل من أدار مكاناً أو هيأ للغير لتعاطى الجواهر المخدرة بغير مقابل «ذلك لأن هناك أماكن تدار لأغراض أخرى كالدعارة ويتم التعاطى فيها بدون مقابل لتحريض الناس على الفسق والدعارة والفساد. ويلجأ بعض تجار المخدرات إلى تحريض النشئ على التعاطى مجاناً فى أول الأمر. ويلاحظ أن الإدمان يرتبط بكثير من أنماط الجريمة الأخرى ومن بينها الدعارة والسرقة والقمار والإختلاس والقتل.. فهناك إرتباط قوى بين الإدمان والجريمة وبالطبع الإدمان فى حالة المخدرات هو نفسه يشكل جريمة.

ب - كل من سهل أو قدم للتعاطى بغير مقابل جوهراً مخدرا فى غير الأحوال المصرح بها قانوناً «دون أن يكون هناك مكاناً للتعاطى - ومن باب التشديد على مرتكبى جرائم المخدرات منع القانون النزول بالعقوبة لأكثر من العقوبة التالية مباشرة حتى لا تقل العقوبة أزيد من اللازم، فيشجع ذلك على الترويج [١٠].

إتاحة فرص العلاج وتحقيق الشفاء:

وإستمراراً فى بيان الجوانب الإنسانية والعلاجية فى قانون مكافحة المخدرات ١٢٢ لسنة ١٩٨٩ يلزم الإشارة إلى إمكانية حكم المحكمة بإيداع المحكوم عليه فى إحدى المصحات التى تنشأ لهذا الفرض بقرار من وزير العدل، وبالإتفاق مع وزارة الصحة والداخلية والشئون الاجتماعية، وذلك ليعالج فيها طبياً ونفسياً واجتماعياً. حيث نصت المادة ٣٧ على أن «يعاقب بالأشغال الشاقة المؤقتة وبغرامة لا تقل عن عشرة آلاف جنيه ولا تجاوز خمسين ألف جنيه كل من حاز أو أحرز أو اشترى أو أنتج أو استخرج أو فصل أو صنع جوهراً مخدراً أو وزع نباتاً من

النباتات الواردة فى الجدول رقم (٥) أو حازه أو اشتراه، وكان ذلك بقصد التعاطى أو الاستعمال الشخصى فى غير الأحوال المصرح بها قانوناً. وللمحكمة أن تأمر فى الحكم الصادر بالإدانة بتنفيذ العقوبات المقضى بها فى السجون الخاصة التى تنشأ للمحكوم عليهم فى جرائم هذا القانون أو فى الأماكن التى تخصص لهم بالمؤسسات العقابية. ويجوز للمحكمة عند الحكم بالعقوبة فى الجرائم المنصوص عليها فى الفقرة الأولى - بدلاً من تنفيذ هذه العقوبة - أن تأمر بإيداع من يثبت إدانته احدى المصحات التى تنشأ لهذا الغرض بقرار من وزير العدل بالإتفاق مع وزارة الصحة والداخلية والشئون الاجتماعية، وذلك ليعالج فيها طبياً ونفسياً واجتماعياً، ولا يجوز أن تقل مدة بقاء المحكوم عليه بالمصحة عن ستة أشهر ولا أن تزيد عن ثلاث سنوات أو مدة العقوبة المقضى بها أيهما أقل. ويكون الإفراج عن المودع بعد شفائه بقرار من اللجنة المختصة بالإشراف على المودعين بالمصلحة، فإذا تبين عدم جدوى الإيداع أو انتهت المدة القصوى المقررة له قبل شفاء المحكوم عليه، أو خالف المودع الواجبات المفروضة عليه لعلاجه، أو إرتكب أثناء إيداعه أياً من الجرائم المنصوص عليها فى هذا القانون رفعت اللجنة المشار إليها الأمر إلى المحكمة، عن طريق النيابة العامة، بطلب الحكم بإلغاء وقف التنفيذ واستيفاء الغرامة ويلقى مدة العقوبة المقيدة للحرية المقضى بها بعد استنزال المدة التى قضاها المحكوم عليه بالمصحة.

ولا يجوز الايداع إذا إرتكب الجانى جناية من الجنايات المنصوص عليها فى الفقرة الأولى من هذه المادة بعد سبق الحكم عليه بالعقوبة أو بتدبير الإيداع المشار إليه، وفى هذه الحالة تسرى الأحكام المقررة فى المادة السابقة إذا رأت المحكمة وجهاً لتطبيق المادة رقم (١٧) من قانون العقوبات.

وتكشف القراءة النفسية والطبية والاجتماعية لمضمون هذه المادة عما يلى:

١ - أن العقوبة بالأشغال الشاقة المؤقتة وليست المؤبدة إذا كانت الجريمة بقصد التعاطى وليس البيع أو الترويج أو التوزيع.

٢ - إن لمرتكبي جرائم المخدرات أماكن خاصة لقضاء فترات العقوبة خوفاً من انخراطهم مع انماط أخرى من المجرمين فيتعلمون منهم جرائم أخرى أكثر خطورة وخاصة في ضوء ما يقال في نقد المؤسسات العقابية بأنها مدارس لتعليم الإجرام من جراء الإختلاط بالنزلاء.

٣ - يكشف هذا القانون عن الاعتقاد في معاملة المتعاطي أو المدمن **«معاملة المريض»** أكثر من كونه مجرماً، ولذلك أجاز الحكم بإيداعه في واحدة من المصحات العلاجية[١١] لعلاجه واعادته إلى حظيرة السواء والتكيف والإنتاج والمواطنة الصالحة.

٤ - إشتراك وزارة العدل والداخلية والشئون الاجتماعية والصحة يكشف عن عقيدة المشرع بضرورة **«النظرة الشمولية»** في منهج مكافحة المخدرات، حيث لا يكفي الجانب الأمني أو الشرطي أو البوليسي وحده، وإنما لا بد من تكافل الخبرات ووجهات النظر الطبية والقانونية والاجتماعية والأمنية في معالجة حالات الإدمان وتضافر الجهود العلمية لهذا الغرض. ويتمشى هذا مع مناهج العلاج الحديث والتي ترى أن العلاج النفسي يقوم به فريق من الخبراء بدلاً من معالج واحد بعينه ويشمل هذا القانون الطبيب البشري والعقلي والنفسي.

٥ - وحيث أن القانون أعطى للمحكمة الحق في الأمر بإيداع المحكوم عليه في إحدى المصحات العلاجية، فإن ذلك يجعلنا ندعو إلى ضرورة تعيين أخصائي نفسي في كل محكمة من المحاكم كي يقدم تقريراً نفسياً بدراسة القضية وأطرافها وبواعثها من الناحية السيكولوجية لتهتدي به المحكمة عند صدور أمرها المشار إليه في هذه الحالة وفي غيرها من حالات التقاضي للكشف عن الجوانب والأبعاد النفسية في الدعوى القضائية وبيان المستوى العقلي والإدراكي للمتهمين والدوافع التي كانت تسيطر عليهم وقت ارتكاب

الحادث. وكذلك الدعوة لتعيين أخصائى نفسى فى كل مدرسة من مدارس الحكومة على إختلاف مراحلها ومستوياتها، بل إن تعيين أخصائى نفسى بات أمراً ضرورياً فى كل تجمع بشرى: فى المصنع والديوان والنادى والمستشفى والمدرسة والجامعة والسجن والإصلاحية والمصحة والمحكمة لتقديم الرعاية النفسية: وقاية وعلاجاً.

٦ - يتطلب العلاج النواحى الطبية والنفسية والاجتماعية وهى مؤثرات تتدخل كلها فى حالات الإدمان وكذلك الوعى الدينى والوعظ والإرشاد.

٧ - تحديد حد أدنى للبقاء فى المصحة بستة شهور يدل على الوعى الطبى لدى المشرع لأن مدداً أقل من ذلك غير كافية لتحقيق الشفاء من الإدمان. وكذلك تحديد حدها الأقصى بثلاث سنوات حتى لا يكون القصد الهروب داخل المصحة من قضاء فترات العقوبة المقضى بها فى المؤسسات العقابية.

٨ - يقضى القانون بأن تكون فترة البقاء فى المصحة مشروطة بشروط الإستقامة وعدم معاودة التعاطى أو إرتكاب الجرائم، ولذلك فهى فترة علاجية وتربوية واصلاحية هادفة، وفترة تهذيب وتطويع وتعويد للمريض على ضبط سلوكه والتحكم فى دوافعه وإلا حرم من هذا الإمتياز وعاد إلى السجن وفى ذلك تحقيق لمبدأ «الثواب والعقاب».

كما لا يستفيد من هذه المادة المجرم عند العودة للجريمة. ويتدخل العلم وتتنوع الاختصاصات فى تشكيل اللجنة، حيث تضم مستشاراً وممثلين عن النيابة ووزارة الصحة والداخلية والشئون الاجتماعية ووزارة الدفاع وللجنة أن تستعين فى أداء مهمتها بمن ترى الإستعانه به من أهل الخبرة والاختصاص وذلك ضماناً لشمول النظرة والمعالجة وللتدخل العلمى والطبى والمهنى. والمفروض أن تضم هذه اللجنة بين أعضائها أحد علماء النفس إلى جانب الطب العقلى والأخصائى الاجتماعى.

ولفتح أبواب العلاج دون خوف من والوقوع فى طائلة العقاب، قررت المادة ٣٧ مكرراً (أ) أنه لا تقام الدعوى الجنائية على من يتقدم للجنة المشار إليها فى المادة السابقة من تلقاء نفسه من يتعاطى المواد المخدرة للعلاج ويبقى فى هذه الحالة تحت العلاج فى المصحات المنصوص عليها فى المادة (٣٧) من هذا القانون أو فى دور العلاج التى تنشأ لهذا الغرض بقرار من وزير الشئون الاجتماعية بالإتفاق مع وزير الصحة، وذلك لتلقى العلاج الطبى والنفسى والاجتماعى إلى أن تقرر النجنة غير ذلك. فإذا غادر المريض المصحة أو توقف عن التردد على دور العلاج المشار إليها قبل صدور قرار اللجنة المذكورة يلزم بدفع نفقات العلاج ويجوز تحصيلها منه بطريق الحجز الإدارى. ولا يستفيد من هذا من كان محرزاً لمادة مخدرة ولم يقدمها إلى الجهة المختصة عند دخوله المصحة أو عند تردده على دور العلاج.

فلا عقاب على من يلجأ للعلاج متطوعاً من تلقاء نفسه وفى ذلك تشجيع للمرضى على تلقى العلاج والتخلص من خطر الإدمان مجاناً ولكن بضوابط، منها ضرورة استكمال دورات العلاج حتى يتم الشفاء، كما لا ينبغى أن يدخل المريض معه أياً من المواد المخدرة عندما يدخل طلباً للشفاء والعلاج، وذلك حتى لا تكو ن المصحة مجرد ستار يختفى ورائه ويمارس التعاطى، وحتى تكون نيته فى طلب العلاج صادقة وحتى لا تبدد المصحات جهودها دون جدوى. ومعروف أن الشفاء يتطلب تعاون المريض مع هيئات المعالجة...

فباب العلاج مفتوح بموجب هذا القانون سواء لجأ المريض نفسه طلباً وسعياً وراء العلاج أم إذا طلب زوجه أو أحد أصوله أو فروعه ذلك كما جاء فى نص المادة ٣٧ مكرراً (ب) لا تقام الدعوى الجنائية على من ثبت إدمانه أو تعاطيه المواد المخدرة إذا طلب زوجه أو أحد أصوله أو أحد فروعه إلى اللجنة المنصوص عليها فى المادة ٣٧ مكرراً من هذا القانون علاجه فى احدى المصحات أو دور

العلاج المنصوص عليها في المادة ٣٧ مكرراً (أ). ولكن ماذا يحدث إذا رفض المريض نفسه تلقى العلاج؟ إذا حدث ذلك رفعت اللجنة هذا الأمر إلى المحكمة عن طريق النيابة العامة لتأمر بإيداعه أو إلزامه بالتردد على دور العلاج. وهكذا يجب أن ينظر لمسألة العلاج على أنها مسألة إجبارية، وأنها لا بد أن تؤخذ مأخذ الجد لتحرير المريض من أخطار الإدمان وبالتالي حماية المجتمع كله من هذه الأخطار.

ومن الناحية الإنسانية، فإن القانون يحظر على الجهات التى تحصل على معلومات عن المريض المدمن إفشائها حفاظاً على مشاعر المرضى وظروفهم الاجتماعية. ويقف القانون، في هذا الصدد، موقف الأطباء من علاج المرضى الذى يحرم عليهم قانون ممارسة مهنة الطب النفسى إفشاء ما يحصلون عليه من معلومات عن مرضاهم، وذلك تشجيعاً للمرضى على الإفصاح عن ظروفهم السرية التى أدت إلى اصابتهم بالإدمان أو بالمرض النفسى أو بالشذوذ. ويلاحظ أن المريض فى ثنايا العلاج قد يفصح للمعالج عن أسرار لا يذكرها لزوجه أو والده. حيث نصت المادة ٣٧ مكرراً (جـ) على أنه «تعد جميع البيانات التى تصل إلى علم القائمين بالعمل فى شئون علاج المدمنين أو المتعاطين من الأسرار التى يعاقب على إفشائها بالعقوبة المقررة فى المادة ٣١٠ من «قانون العقوبات»[١٢] وهو أمر من أخلاقيات العلاج.

ولعل القارئ الكريم يتذكر أنه من آداب مهنة البحث السيكولوجى المحافظة على جميع البيانات التى يحصل عليها الباحث من خلال تطبيق الاختبارات أو إجراء المقابلات وإعتبارها أسراراً لا يمكن الإفصاح عنها، وذلك تشجيعاً للمفحوص على الإستجابة الحرة والمصادقة والصريحة والمعبرة فعلاً عن حالته أو عما يشعر به من مشاعر تجاه أقرب الناس إليه أو تجاه رجال الإدارة أو المديرين، ومن ذلك عدم كتابة اسم المفحوص على الاستمارات التى يقوم بملئها [١٣].

وتولى الدولة اهتماماً كبيراً بمشكلة الإدمان، ولذلك نصت المادة ٣٧ مكرراً (هـ) على أن «ينشأ صندوق خاص لمكافحة وعلاج الإدمان والتعاطى تكون له الشخصية الاعتبارية، ويصدر بتنظيمه وبتحديد تبعيته وبتمويله وتحديد اختصاصاته قرار من رئيس الجمهورية بناء على اقتراح **المجلس القومى لمكافحة وعلاج الإدمان**، ويكون من بين اختصاصاته إنشاء مصحات ودور علاج المدمنين والمتعاطين للمواد المخدرة وإقامة سجون للمحكوم عليهم فى جرائم المخدرات، كما تكون من بين موارده الغرامات المقضى بها فى الجرائم المنصوص عليها فى هذا القانون والأموال التى يحكم بمصادرتها.

فنظرة المشرع لا تنصب على العقاب والردع، وإنما تنصب على العلاج والمقاومة والمكافحة والتوجيه والإرشاد وتحقيق الشفاء، كما أنها تشمل – ليس فقط الشخص الذى سقط فعلاً فى الإدمان وأصبح مدمناً – ولكنها تشمل أيضاً المتاعطى قبل أن يجرفه التعاطى ويحوله إلى حالة الإدمان التى يصبح فيها مقهوراً أمام المخدر، ويصبح عبداً أسيراً أمامه ويتمكن منه ويعجز عن القيام بأعماله بدونه.

ويعاقب القانون أيضاً على التعامل مع الجواهر المخدرة حتى وإن لم يكن هذا التعامل عبارة عن الإتجار أو التعاطى أو الإستعمال الشخصى. كأن يستعمله الجانى فى التصنيع أو ما إلى ذلك فى غير الأحوال المصرح بها قانوناً. بل إن القانون يوجه الناس إلى عدم التواجد فى مكان أعد أو هيئ لتعاطى الجواهر المخدرة، وذلك فى أثناء تعاطيها مع علمه بذلك، ولكن هذا الحكم لا يسرى على زوج أو أصول أو فروع أو أخوة من أعد أو هيأ المكان المذكور أو على من يقيم فيه.

الوقاية من أخطار أقران السوء:

ويلمس القانون هنا جانباً سيكولوجياً هاماً طالما نبه إليه علماء النفس والتربية والدين وهو تأثير أقران السوء(١٤) أو الزملاء والرفاق والأنداد ذلك لأن سوء الخلق

يعدى ومخالطة هؤلاء قد تدفع فيما بعد بحكم نزعة التقليد والمحاكاة إلى التعاطى ثم إلى الإدمان.. ولذلك دعا القانون إلى تجنب هذه المخاطر اصالة وفرض عقوبة على من يتواجد فى مثل هذه الأماكن مع علمه بأغراضها بالحبس مدة لا تقل عن سنة (مادة ٣٩).

ويحمى القانون الموظفين القائمين على تنفيذ هذا القانون من اعتداءات تجار المخدرات والمهربين، أو التعرض لهم بالمقاومة أو العنف، وتصل العقوبة إلى حد الأشغال الشاقة المؤبدة إذا نشأت عن التعدى أو المقاومة عاهة مستديمة يستحيل برؤها، أو إذا كان الجانى يحمل سلاحاً أو إذا خطف أو احتجز الموظف العمومى أو زوجه أو أحد أصوله أو فروعه وذلك حماية لأسرة الموظف العام الذى يتصدى لهذه الجرائم والذى يضحى من أجل حماية المجتمع، وتصل العقوبة لحد الإعدام إذا أفضت الأفعال السابقة إلى الموت (المادة ٤٠) كذلك يعاقب بالإعدام كل من قتل عمداً أحد الموظفين العموميين القائمين على تنفيذ هذا القانون. كذلك يحكم بمصادرة الجواهر المخدرة والنباتات المضبوطة الواردة بالجدول رقم (٥) وبذورها والأموال المتحصلة من الجريمة والأدوات، ووسائل النقل المضبوطة التى استخدمت فى ارتكاب الجريمة، ويحكم بمصادرة الأراضى التى زرعت بالنباتات المشار إليها إذا كانت الأرض مملوكة للجانى، وإن كانت له بسند غير مسجل حكم بانهاء سند حيازته. وتستفيد الإدارة العامة لمكافحة المخدرات بوزارة الداخلية وقوات حرس الحدود بالأدوات ووسائل النقل المحكوم بمصادرتها.

مراعاة الدقة فى التعامل مع الجواهر المخدرة :

ويراعى الحذر والدقة المتناهية فى التعامل فى الجواهر المخدرة حتى لاتنتشر بأية صورة من الصور، ولذلك يضع القانون قيوداً على الصيدليات وغيرها من المحال التى تتعامل مع هذه الجواهر، حيث تفرض المادة ٤٣ الغرامة على كل من رخص له فى الإتجار فى الجواهر المخدرة أو حيازتها ولم يمسك الدفاتر المنصوص عليها

في المواد ١٢ و١٨ و ٢٤ و٣٦ من هذا القانون أو لم يقم بالقيد فيها، وكذلك تقضى المادة بغرامة كل من لم يقم بإرسال الكشوف المنصوص عليها فى المادتين ١٣ و٢٣ إلى الجهة الإدارية المختصة فى المواعيد المقررة.

وتتدرج العقوبة فى شدتها تبعاً لخطورة المادة المخدرة التى جاءت مصنفة في جداول أخطرها المواد المتضمنة فى الجدول الأول وهكذا .. ومن نواحئ التشديد فى عقوبات المخدرات عدم جواز وقف تنفيذ الحكم الصادر بعقوبة الجنحة على من سبق الحكم عليه فى إحدى الجرائم المنصوص عليها فى هذا القانون، وتكون عقوبة الجنحة واجبة النفاذ فوراً ولو مع استئنافها .. علماً بأن الطعن بالاستئناف فى الدعاوى العادية يوقف التنفيذ. كذلك فإن القانون ١٩٨٩/١٢٢ يفرض عقوبة على كل من توسط فى إرتكاب إحدى الجنايات المبينة فى هذا القانون، حيث يعاقب بالعقوبة المقررة لها (٤٦ مكرراً)، كذلك فإن الدعوى الجنائية فى الجنايات المنصوص عليها فى هذا القانون (٤٦ أ مكرراً) لاتسقط ولاتسرى على المحكوم عليه شروط الإفراج الموضحة فى القانون ٣٩٦ لسنة ١٩٥٦ فى شأن تنظيم السجون. كذلك فإن العقوبة لاتسقط. كما يحكم بإغلاق المحل المرخص له بالإتجار فى الجواهر المخدرة أو فى حيازتها إذا وقعت فيه إحدى الجرائم المنصوص عليها فى المواد (٣٣ و ٣٤ و ٣٥) وذلك لمدة لاتقل عن ٣ أشهر ولاتزيد عن سنة. وفى حالة العود يحكم بالإغلاق نهائياً.

ويشجع القانون على الإبلاغ عن الجرائم قبل علم السلطات المختصة بها، حيث تقرر المادة ٤٨ الإعفاء من العقوبات المقررة فى المواد ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ على كل من بادر من الجناة بإبلاغ السلطات العامة عن الجريمة قبل علمها بها، فإذا حصل الإبلاغ بعد علم السلطة العامة بالجريمة تعين أن يوصل الإبلاغ فعلاً إلى ضبط الجناة.

أساليب الوقاية من تكرار الجريمة :

ويتخذ القانون الإحتياطات اللازمة لمنع تكرار الجريمة بفرض مجموعة من التدابير تستهدف حماية المواطن الجانى نفسه وحماية المجتمع من تكرار وقوع جرائم المخدرات. إذ نصت المادة رقم ٤٨ مكرراً على أن تأمر المحكمة الجزئية المختصة باتخاذ أحد التدابير الآتية على كل من سبق الحكم عليه أكثر من مرة أو اتهم لأسباب جدية أكثر من مرة فى إحدى الجنايات المنصوص عليها فى هذا القانون:

١ – الإيداع فى إحدى مؤسسات العمل التى تحدد بقرار من وزير الداخلية.

٢ – تحديد الإقامة فى جهة معينة.

٣ – منع الإقامة فى جهة معينة.

٤ – الإعادة إلى الوطن الأصلى.

٥ – حظر التردد على أماكن أو محال معينة.

٦ – الحرمان من ممارسة مهنة أو حرفة معينة.

ولايجوز أن تقل مدة التدبير المحكوم بها عن سنة ولاتزيد على عشر سنوات. وفى حالة مخالفة المحكوم عليه التدبير المحكوم به يحكم على المخالف بالحبس.

ويحدد القانون تشجيعاً على عملية المكافحة – تقرير المكافآت لمن يرشد إلى ضبط الجواهر المخدرة.

المواد المخدرة :

أما عن المواد المعتبرة مخدرة فيشملها عدة جداول جاءت فى القانون المذكور. فمن بين مواد الجدول رقم (١) المواد الآتية :

١ – كوكايين : وكافة مستحضرات الكاكايين والتى تحتوى على أكثر من ٠,١ ٪ الكوكايين سواء صنعت من أوراق الكوكا (خلاصتها السائلة أو صبغتها)

أو من الكوكايين أو مخففات الكوكايين فى مادة غير فعالة سائلة أو صلبة أيا كانت درجة تركيزها.

٢ - الهيروبين : وهو ثنائى ستيل مورفين بذاته أو مخلوطاً أو مخففاً فى أى مادة كانت درجة تركيزه وبأى نسبة.

القسم الثانى ويشمل الأتورفين ، والإستيل ميثادول وأكسيد - ن - المورفين ، والأفيون، ويشمل الأفيون الخام والأفيون الطبى، والأفيون المحضر بجميع مسمياتها وكافة مستحضرات الأفيون المدرجة أو غير المدرجة فى دساتير الأدوية والتى تحتوى على أكثر من ٠,٢ من المورفين. ومخففات الأفيون .

- والأمفيتامين.

- والأيدروكودون.

- والبنزويل مورفين.

والحشيش : بجميع أنواعه ومسمياته مثل : الكمنجة أو البانجو أو المرجوانا أو غير ذلك من الأسماء التى قد تطلق عليه والناتج أو المحضر أو المستخرج من أزهار أو أوراق أو سيقان أو جذور أو راتنج نبات القنب الهندى ذكراً كان أو أنثى وخلاصة القنب الهندى وصبغته وخلاصة النبات أو أى جزء من زيت الحشيش والبودرة المكونة من كل أو بعض أجزاء نبات الحشيش مثل بودرة الحشيش أو فى أى خليط آخر. وكذلك مستخلصات قش الخشخاش وهو المادة الناتجة من عملية تركيز قلويات قش الخشخاش، وكذلك مادة المورفين ومادة الميثادون والميثادون الوسيط.

ويتضمن هذا الجدول العديد من المواد المخدرة المحظورة ويحتوى الجدول على ١٢٦ مادة مخدرة ومشتقاتها. وإلى جانب ذلك يتضمن الجدول أى مستحضر أو مخلوط أو مستخلص أو أى مركب آخر يحتوى على إحدى المواد المدرجة فى هذا الجدول أو أحد أملاحها أو نظائرها أو استيراتها أو اثيراتها أو أملاح النظائر

والاستيرات والاثيرات لهذه المواد. وبأى نسبة كانت ما لم ينص على نسبة محددة. ولقد جاء هذا الجدول ضمن قرار حديث لوزير الصحة هو القرار رقم (١٣) لسنة ١٩٩٤ عندما ظهرت الحاجة إلى تشديد الحظر على تداول أو بيع المواد المخدرة وخاصة من خلال الصيدليات.

ولتحديد مهام الصيادلة يورد الجدول رقم (٢) المستحضرات المستثناه من النظام المطبق على المواد المخدرة، وذلك بنسب ومقادير محدودة.

ويتضمن الجدول رقم (٣) المواد التى تخضع لبعض قيود الجواهر المخدرة.

كذلك يحدد الجدول رقم (٤) الحد الأقصى لكميات الجواهر المخدرة الذى لا يجوز للأطباء البشريين وأطباء الأسنان الحائزين على دبلوم أو بكالوريوس تجاوزه فى وصفه طبية واحدة. أما الجدول رقم (٥) فيحدد النباتات التى لا يجوز زراعتها مثل القنب الهندى بجميع مسمياته مثل الحشيش أو الكمنجة أو البانجو أو غير ذلك من الأسماء التى تطلق عليه. والخشخاش بجميع أصنافه ومسمياته مثل الأفيون أو أبو النوم أو غير ذلك من الأسماء التى تطلق عليه. وكذلك جميع أنواع جنس البابافير والكوكا والقات، ومعروف أن القات ينتشر تعاطيه فى بلاد اليمن.. ويحدد الجدول رقم (٦) أجزاء النباتات المستثناه من أحكام هذا القانون وتشمل الياف سيقان نبات القنب الهندى وبذور القنب الهندى المحموسة حمساً يكفل عدم إنباتها وبذور الخشخاش المحموسة حمساً يكفل عدم إنباتها ورؤوس الخشخاش المجرحة الخالية من البذور.

ويحدد القانون رقم ٤٨٧ لسنة ١٩٨٥ استخدام وتداول بعض المواد والمستحضرات الصيدلية المؤثرة على الحالة النفسية [١٥].

لقد أجاد المشرع فى إتخاذ كافة الاحتياطات اللازمة لمنع إنتشار وتفشى المخدرات وجاءت نصوص القانون حاسمة وصارمة ورادعة وشاملة لكافة الاحتمالات التى كشفت عنها التجارب مع تجار المخدرات والمتعاطين وتم تغليظ

العقوبات وتنوع التدابير وشمول جداول الجواهر المعتبرة مخدرة وفوق كل ذلك جاءت نظرة المشرع نظرة سيكولوجية وتربوية هادفة وعلمية وموضوعية في الاهتمام بعلاج المدمن والمتعاطي وفتح آفاق التوبة والتحرر من هذا الداء اللعين والنظرة الصائبة للمدمن على أنه مريض أكثر من كونه مجرماً.. ومع كل ذلك ما زالت المخدرات منتشرة مما يتطلب الأهتمام بنشاط التوعية الشعبية.

مراجع وهوامش

١ - منير حلمى خليفة، قانون مكافحة المخدرات، زفتى، ١٩٩٦، المؤلف نفسه.

٢ - عبد الرحمن العيسوى، الإدمان وسبل علاجه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦.

٣ - فى هذا الاطار صدر القانون الجديد لحماية الطفل وخاصة تنظيم عمالة الأطفال.

٤ - تؤكد بعض الدراسات أن سهولة الحصول على الجواهر المخدرة تقع ضمن الأسباب التى تؤدى إلى انتشارها وتعاطيها ومن ذلك التقليد والمحاكاة وتأثير اقران السوء، وتوفر المال فى يد المؤمن وقلة الرقابة الأسرية على المراهقين وضعف الوازع الدينى وقلة القيم الأخلاقية ووجود أخطاء فى عملية التنشئة الاجتماعية والاهمال والتشرد وقلة الوعى باخطار المخدرات على الصحة والرغبة فى التجربة ومعرفة مذاق المخدرات والاعتقاد الزائف بأن المخدرات تسبب الشعور بالسعادة والبهجة وأنها تقوى الطاقة الجنسية لدى الفرد وأنها تساعد أصحاب الهموم على نسيانها، فى حين أنها فى واقع الحال تزيد الطين بله.

٥ - يقصد بالإدمان أى الاعتماد على المخدرات، بحيث لا يستطيع المريض العمل دون الاعتماد على تعاطى المخدر. وقد يشار للإدمان على أنه عبودية الفرد لعادة معينة بمعنى تمسك العادة من الفرد وقهرها إياه وارغامه على الخضوع والاستسلام والتعاطى وعدم القدرة على الكف عن هذا التعاطى بمعنى الاعتماد المستمر على تعاطى مادة مخدرة تحدث تأثيراً تخديرياً فى جسم الإنسان مع الحاجة إلى مضاعفة وزيادة الجرعات بإستمرار لأحداث نفس التأثير التخديرى بحيث يضطر المريض إلى تعاطى كميات متدرجة فى الزيادة بصفة مستمرة ليشعر بنفس التأثير التخديرى أو التسممى. ويعانى

المريض في حالات من الاكتئاب والضيق والقلق والألم والتشنج عندما يسحب منه العقار ولا يستطيع تناوله.. وتعرف هذه الحالة بزملة أعراض الإنسحاب أي انسحاب العقار من تناول المريض.

وقد يؤدي الإدمان إلى الجنون فيما يعرف باسم الذهان كما يؤدي إلى تدهور الصحة وإلى وجود خلل في ادراك المريض وفي تفكيره وفي عواطفه وانفعالاته.

٦ – من الأضرار التي تنجم عن إدمان المخدرات كثير من الاضطرابات الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية والأخلاقية. والتي تتمثل في ظاهرة الاعتمادية أي اعتماد جسم المريض على العقار وزيادة قدرته على احتمال تعاطي كميات متزايدة منه لأحداث نفس التأثير التخديري ثم المعاناة من أعراض سحب العقار عندما يعجز المريض عن تناول العقار إلى جانب معاناة المريض من الهلاوس وهي مدركات حسية سمعية أوبصرية أو شمية أو جلدية ولكنها غير موجودة في عالم الواقع.

٧ – عبد الرحمن العيسوي، علم النفس الأسرى، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

٨ – طارق عبد الرحمن، العوامل المسئولة عن سلوك الرشوة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة طنطا، ١٩٩٢.

٩ – يقصد بعملية التنشئة الاجتماعية وتستغرق هذه العملية سنوات عديدة وليست قاصرة على مرحلة الطفولة وحدها وعن طريقها يصبح الطفل عضواً متكيفاً في مجتمعه، حيث يتعلم كيف يضبط دوافعه وانفعالاته وكيف يحسن الاتصال بالغير وكيف يكتسب مجموعة من القيم والعادات والتقاليد والمثل والمعايير السائدة في المجتمع وكيف يمتثل للقانون والنظام.

١٠ – منير حلمي خليفة، مرجعه السابق، ص ٢٤.

١١ – عبد الرحمن العيسوى، العلاج النفسى، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٦ .
١٢ – من آداب مهنة الطب والطب النفسى، عدم الإفصاح عن الأسرار التى يفضى بها المريض للمعالج.
١٣ – عبد الرحمن العيسوى، القياس والتجريب فى علم النفس والتربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٦ .
١٤ – عبد الرحمن العيسوى، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار الفكر الجامعى، الإسكندرية، ١٩٨٦ .
١٥ – منير حلمى خليفة، مرجعه السابق.

الفصل الرابع
من قضايا المجتمع المعاصرة

* السلام الأسرى.
* هل من مصلحة الأسرة المصرية الحديثة تعقيد روابطها ؟
* كيفية تحقيق وحدة الجماعة وتماسكها.
* تنمية الضمير البيئى.

الفصل الرابع

الإرشاد النفسى فى المجال الأسرى(*)

من التقنيات النفسية المهمة فى الممارسة السيكولوجية الحديثة عملية الارشاد النفسى، والارشاد من التخصصات النفسية العملية التى تزداد الحاجة اليها يوما بعد يوم تبعاً لتعقد الحياة العصرية الحديثة وزيادة معدلات مشاكلها وحدة التنافس بين الأفراد والجماعات وارتفاع مستويات الطموح لدى الشباب إلى جانب انتشار الفقر والبطالة والادمان والعنف والتطرف والارهاب ولذلك يستخدم الارشاد النفسى فى مجالات كثيرة منها الارشاد الصناعى والمهنى وفى مجال الطفولة والامومة ومستشفيات الطب النفسى Psychological counseling ولممارسته يلزم ان يكون المرشد النفسى مؤهلا علميا ومهنيا وحاصلا على درجة الدكتوراه فى علم النفس وخاصة علم النفس الاكلينكى. ويتعامل اخصائى الارشاد النفسى مع المشاكل الشخصية والازمات المتعلقة بالعمل أو بالطفولة أو الاسرة ولكنها ليست أمراضا بالمعنى الاصطلاحى فهى مشاكل أخف وطأة من الأمراض تلك التى يتولاها العلاج النفسى وهذا هو مكمن الفرق بين الارشاد والعلاج من ذلك مشاكل الأسرة والتعليم والمشاكل الاجتماعية والعلمية والتربوية أو الاكاديمية أو المشاكل المهنية للعمال. ويتبع نفس المناهج التى يتبعها المعالج النفسى من ذلك الاتجاه السلوكى أو التحليلى أو العلاج الفردى والجماعى والتمركز حول العميل والعلاج بالموسيقى وبالعمل وبالفن وبالسيكودراما وما إلى ذلك من مناهج العلاج المعروفة[١].

(*) د. عبد الرحمن العيسوى، علم النفس الأسرى، دار النهضة العربية بيروت، ودار المعرفة الجامعية بالاسكندرية، ١٩٩٥

دور الارشاد النفسي الجمعي
في تحقيق التكيف الاسرى

الارشاد الجماعي Group counseliмg

هو احد المناهج التى تساعد فى اعطاء الأطراف الاستبصار[١] الكافى لحل مشاكلهما.. أى الفهم الموضوعى الدقيق لها.

ويمكن إستخدام الأرشاد الجماعى Group counseliмg فى علاج مشاكل الزواج فى اعطاء الأزواج بصيرة أو استبصار وفهم للمشاكل وكيفية حلها بالاسلوب العلمى والموضوعى.

ففى احد التجارب تقابل عدد من الأزواج والزوجات الذين عاشوا حياة زوجية سعيدة من الظاهر فقط مع المرشد لمناقشة مشاكل زواجهم وكانت لهم خلفية مختلفة. وتبين لهم انهم واجهوا جميعا نفس المشاكل وهى التى تدور حول المسائل الجنسية والاتجاه نحوها، والاختلافات حول نظم تربية الابناء، والاختلاف حول رعاية أبويهم الكبار فى السن والمشاركة فى ذلك والخلاف حول عدد الاطفال الذين يخططون لانجابهم. ولم يكن هؤلاء الازواج والزوجات قد سبق آن فكروا فى هذه المشاكل مع بعضهم البعض. ولقد ساعد جو الاسترخاء الذى ساد فى المناقشات الجماعية على اتاحة الفرصة لكل فرد أن يناقش مشكلته بحرية، وان يحللها واظهار وجوه النقص الشخصية. كل هذا ساعدهم فى رؤية زواجهم بصورة أكثر موضوعية ودقة[٢].

من بين النتائج الهامة فى احدى دراسات فشل الزواج ونجاحه تبين أن العلاقات الجنسية للآباء ليست مؤشراً صادقاً للصحة الانفعالية ومستوى التكامل للأسرة الواحدة. لقد وجدوا أن الاشخاص أصحاب الصحة الجسمية القوية لا يتمتعون بزواج سعيد وتؤيد مثل هذه النتائج حقيقة هامة معروفة منذ القدم بأن الزواج لا يقوم على أساس الروابط البيولوجية أو الجنسية وانما على أساس الروابط

الروحية والاجتماعية بدليل بقائه واستمراره فى السن الكبيرة بعد توقف النشاط الجنسى.

ضرورة التوسع فى انشاء العيادات النفسية:

وللاسف الشديد لا يوجد حتى فى مجتمع كالمجتمع الاميركى الا عدد قليل من عيادات الزواج Marriage clitic ولكن هناك نحو ثلاثمائة وكالة مرتبطة بتقديم خدمات للاسرة تابعة لرابطة «الخدمات الأسرية الاميركية-The family ser-vice Association of America ولذلك هناك دعوة لتدعيم الارشاد الاسرى وزيادته لتعليم الناس أصول الحياة الاسرية وللوقاية من تحطيم الزواج وتصدعه.

لقد تأسست جمعية أسرية فى اميركا منذ أكثر من ٧٠ عاما، وذلك لعلاج مصاعب الأسرة دون الاهتمام بالجانب الوقائى. وفى اميركا يوجد المعهد الاميركى للعلاقات الاسرية The American Institute of family relation وينشر الوعى الأسرى، ويصدر مجلة شهرية هى مجلة الحياة الأسرية Family life. والآن هل يمكن وضع مبادئ تساعد على تحقيق مزيد من السعادة؟[٣].

وصايا الزواج:

وهناك من يضع بعض الوصايا ويطلق عليها الوصايا العشر للزواج -Decal-ogue for marriage من ذلك مايلى:

١- ضرورة الايمان بان البيوت السعيدة لا تحدث عفوا أو بالصدفة البحتة، انها تتكون عن طريق التفاهم والتعاون وعن طريق تحمس Zeal الناس الذين يعيشون فى هذه البيوت.

٢- أن الجنس ما هـو الا هبة من الله تعالى شأنه فى ذلك شأن نعمة البصر والسمع والكلام، ولذلك يتعين أن يستخدم بذكاء لاثراء الحياة. ويستخدم بطريقة فنية وليست آلية أو ميكانيكية أو عشوائية أو حيوانية أو بهيمية أو شهوانية أو عدوانية مؤذية أو مرهقة.

٣- فى الزواج تتجمع وتتراحم جميع الاشياء والاحداث والانسجام الجنسى، الاهتمامات المشتركة، المساعدة العملية والفعلية والعبادة والصدق والمحادثات المنسجمة أو المتجانسة وتترك بصماتها فى المستقبل إلى جانب التضحية والعطاء والتعاون والسمات الشخصية.

٤- ممارسة الحب بصدق وقوة، ولكن لا تتطلبه فى كل وقت، لأنه نتاج الروح المتحررة أو لا تطلب التعبير عنه طوال الوقت، لأنه لا يوجد من يحب شخصاً آخر ١٠٠٪ كل الوقت .. الحياة النفسية تخضع لتذبذب ولو البسيط.

٥- لا تتخيل أن الزوجين متجانسين متطابقين كحبة الفول عند انقسامها. فيجب أن تكون هناك اهتمامات مشتركة بينكما وهناك اهتمامات فردية لاى منكما وحده. ولذلك على كل طرف أن يساعد الطرف الآخر فى تنمية هواياته الخاصة وإيجاد ذاته(٤).

٦- فليحترم كل منكما فردية زميله تماما الاحترام.

٧- عش اليوم تماما، وأن كان ذلك لا يمنع من التفكير فى الغد، ولكن دون أن يكون هذا التفكير سببا فى ازعاجك. ذلك لأن هناك من الزوجات من تدمن اجترار الماضى.

٨- حاول تقبل شريك حياتك بكل صفاته الايجابية والسلبية لأن السلبى منها قد يختفى أو تعوضه الايجابيات.

٩- اظهر احساسك بفضائل شريكك وامتدح خصاله الحميدة لأننا ننفر من النقد أو الشجار الدائم وكذلك اللوم والعتاب المستمر.

١٠- يجب أن تمتص بعض مظاهر العدوان التى قد تظهر من جانب رفيقك أو حدته أو انفعالاته وحاول أن تستجيب بلطف وعطف لمثل هذه المواقف العارضة.

١١- عبر عن مشاعرك بصدق وبحرية وباصالة(٥).

ونظراً لأهمية الزواج كخطوة حاسمة فى حياة الانسان، فلقد ابتكر بعض علماء النفس آداة للتعرف على مدى استعداد الفرد أو تهيؤه لتكوين الزواج السعيد. من ذلك الاختبار الآتى:

اختبار الاستعداد أو التهيؤ للزواج. مقياس الاتزان أو التوازن الجيد: Am I well balanced?

يجيب الفرد على هذه الأسئلة بوضوح، وسوف تعطيه الاجابة فكرة عن مدى توازنه الشخصى ومن ثم استعداده لكى يكون صالحا للزواج السعيد.

	نعم	لا
١- هل تكره جدا الناس المتسلطين أو محبى المرأسة.	( )	( )
٢- هل تحب أن تكتب خطابات شخصية؟	( )	( )
٣- هل تحب الناس الذين هم أكثر مهارة منك ؟	( )	( )
٤- هل يصعب عليك أن تحب الناس الميالين إلى قول «نعم» دائماً	( )	( )
٥- هل تحب أن تسلى الناس فى المنزل؟	( )	( )
٦- هل تميل الى تخطيط عملك بالتفصيل؟	( )	( )
٧- هل لديك ثقة عظيمة فى نفسك؟	( )	( )
٨- هل تؤم دار العبادة كثيراً؟	( )	( )
٩- غالبا هل تستطيع أن تضحك شخصا مكتئباً؟	( )	( )
١٠- هل يحدث أنك تعيد كتابة الخطابات قبل القائها فى صندوق البريد؟	( )	( )
١١- هل تحارب لتحقيق أغراضك؟	( )	( )
١٢- هل يؤثر فيك المديح أو اللوم كثيراً جداً؟	( )	( )
١٣- هل حدث أن شخصاً ما أهانك وجرح شعورك؟	( )	( )
١٤- هل يعتقد أصدقاؤك أنك شخص مغرور أو معجب بنفسك؟	( )	( )

١٥- هل يزعجك أن تخسر فى مجادلة ما أو جدال ما؟ ( ) ( )

١٦- هل يتحدث أصدقاؤك عنك من ورائك؟ ( ) ( )

١٧- هل يصعب عليك الاحتفاظ باعصابك باردة؟ ( ) ( )

١٨- هل تكره الناس المحافظين والذين يأخذون حذرهم أو يأخذون الحيطة؟ ( ) ( )

١٩- هل تعتقد أن المعايير الاخلاقية الحالية صارمة ازيد من اللازم؟ ( ) ( )

٢٠- هل تشعر دائماً بالتعاسة أو التكبر والتذمر أو الضيق أو الشكوى؟ ( ) ( )

لقد وضع الاختبار كليفورد أدمز ١٩٤٧ Clifford, R.Adams أورده هبنر ص (٢٧٥) Hepner, W.H. واسماه اختبار ما قبل الزواج(٦)

اجابة الأسئلة العشرة الأولى يجب أن تكون «بنعم» والعشرة الأخيرة «بلا» اذا حصل المفحوص على ١٥ درجة فأكثر فمؤدى ذلك أنه متزن انفعاليا. ومن هذه الناحية يتوقع له أن يكون سعيداً فى الزواج. اما الدرجة ١٠ فأقل فتدل على عدم الاستعداد أو التهيؤ الآن لاستئناف مسئوليات الزواج.

الى جانب نضوج الشخصية، فأن الزواج يتوقف على مقدار حاجة الفرد اليه وشعوره بالرضا عن شريك الحياة والاتجاه الايجابى نحو الحياة العائلية والشعور بالواجب والاحترام المتبادل والثقة المتبادلة والامانة والصدق والوفاء والولاء والاخلاص والعفة والشرف والايثار والتضحية والحيوية والنشاط والتعاون والاخذ والعطاء والموده والرحمة والمشاركة الوجدانية والتسامح والعفو والصفح والصبر وقوة الاحتمال والجد والاجتهاد.

«المؤثرات النفسية والدينية والثقافية فى الحياة الزواجية»

الزواج والصحة العقلية:

هناك رأى يقول ان الناس الذين عوقهم الادمان أو الذين يعانون من النزعات الاجرامية أو أصحاب التاريخ الطويل فى المرض العقلى والذين لم تفلح معهم مناهج المعالجة لايمثلون فرصا جيدة للزواج. وقد يبدون من الجاذبية مما قد يجعل الناس يتورطون فى الاختلاط الزواجى بهم ولكن لا ينبغى أن ننظر للزواج على انه يصنع المعجزات العلاجية للأشخاص المرضى والشواذ. فالشخص الشاذ قد يبقى على شذوذه بعد الزواج وينبغى أن نؤمن أن الانسان لا يمكن أن يتغير الا بارادته هو أى اذا رغب هو نفسه فى التغيير وبذل جهدا لذلك، لابد أن ينبع التغيير من الذات من داخل الفرد حتى العلاج النفسى لا يؤتى ثماره الا اذا كان المريض متعاونا مع المعالج[٧]. التغيير يجب أن يبدأ من الداخل والاصلاح يجب أن يكون نابعا من تصميم الفرد على التعديل ومساعدة الطرف الآخر لا تفيد الا اذا وجد الاستعداد عند الشخص نفسه. ويعبر عن ذلك التعبير القرآنى ابلغ تعبير بقوله تعالى: (أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم)[٨] (الرعد ١١)

وينبغى على الفرد أن يبذل جهدا عقليا كبيرا لكى يتخلص مما قد يكون لديه من الاتجاهات غير الواقعية تجاه الزواج، فهو ليس بحرا من السعادة بلاحدود وبلا جهود والانسان فى وسعه تعديل اتجاهات نفسه عن طريق ما يعرف باسم الايحاء الذاتى حيث يوحى الفرد لنفسه بانه فى كل يوم فى كل شئ يتحسن ويسير إلى الأفضل دائما وكذلك عن طريق ما يعرف باسم العلاج العقلانى[٩].

ما هو اثر اختلاف المذهب الدينى على استمرارية الزواج؟

هل يؤثر اختلاف المذهب الدينى لكل من الزوج والزوجة على استمرارية الزواج؟

هناك أناس تزوجوا من أشخاص يختلفرن عنهم فى مذهبهم الدينى. هناك عدد من الدراسات التى تناولت أثر هذه الفروق على ديمومة الزواج وخاصة بين البروتستانت والكاثوليك واليهود من ذلك دراسة كل مندل باركنيل، لورن كاسولر

حول معدلات معدلات بقاء Lee G Burchinal, and Loren - E. Chancellor الزواج أو عمر الزواج بين الزيجات المتجانسة وغير المتجانسة دينيا Surrival Rates smong Religiously Homoganous and inter religious marriages.

ومعدلات بقاء الزواج تختلف اختلافا كبيرا وفق المذهب الديني فهي ٩٦,٢ ٪ بين الكاثوليك والكاثوليك catholic-catholic بينما ينخفض هذا المعدل إلى أدناه فيصل إلى ٢٨,٧ ٪ بين الكاثوليك والبروتستانت catholic-Unspecified protes-tent.

أما نسبة البقاء بين الأفراد في المجتمع الامريكي ككل فكانت ٨٧,٦ ٪ ومعظم علماء الاجتماع يذهبون إلى القول بأن الشخص الذى يتزوج من خارج دائرة مذهبه الديني يقدم على ارتكاب مخاطرة أكثر ممن يتزوج من أبناء مذهبه الديني. ذلك لأن ارتياد أماكن عبادة واحدة مشتركة وكذلك وجود آراء وجهات نظر واحدة ومشاعر وتعاليم ومبادئ وأنشطة ومعارف ومعلومات واحدة يزيد من الاهتمامات المشتركة بين الزوجين وكلما زادت مجالات الموافقة بين الزوجين كلما كان ذلك أفضل بالنسبة للزواج. وعندما تنجب الأسرة أطفالا فأن الأسرة لاتواجه مشكلات بشأن تعليمهم الديني أو التربية الدينية. ولاشك أن الدين عامل من عوامل الوحدة والتوحيد والتقمص المشترك والتجانس الفكرى والوئام الوجداني والالتصاق والالتئام والتماسك. فاعتناق نفس المبادئ والقيم والتعاليم والاشتراك في نفس المناشط يساعد على الاندماج وعلى التوحد والتقمص والتكيف والقبول المشترك بين الأطراف. فالدين آداة من أدوات الالتحام والالتصاق والوحدة والتماسك الاسرى والوطني والقومي، وكذلك التضامن والتكافل والتعاون والاخاء والتساند والتراحم والتعاطف والشعور بالوحدة والمساواة... فالناس سواسية كأسنان المشط. ونؤكد مرة أخرى أن جميع العوامل تتضافر وتتجمع في الزواج.. ومن ذلك مقدار نضوج الطرفين وقدرتهما على الاندماج والتكيف المشترك وتخطى العقبات والصراعات والتحديات. وهناك عامل آخر يلعب دوراً في الحياة الزوجية وهو السلالة(١٠).

المراجع

(1) Hilgard, E.R., Intoroduction to Psychology, Rapert Hart - Davis, London, 1962, p. 616.

(٢) عملية الاستبصار insight معناها الفهم الموضوعى أو وعى الانسان بمشكلته وعيا صحيا كما تعنى الادراك المباشر للمفاهيم والقضايا والعلاقات وهى ادراك أو استيعاب مباشر عن شيء أو لمغزاه ومدلوله.

(3) Hepner, W.H. 1966, Psychology Appled to Life and Work, New Jersey, Prentice - Hall, Englewood Cliffs.

(4) Hepner, W.H., p 274.

(5) Hepner, W.H. p 275.

(6) Hepner, W.H. p 25.

(٧) د. عبد الرحمن العيسوى (١٩٨٨) العلاج النفسى، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

(٨) د. محمد فؤاد عبد الباقى (١٩٨١) المعجم المفهرس الألفاظ القرآن الكريم ط ٢ بيروت، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

(٩) يعتبر العلاج النفسى الانفعالى Rational Emotional Threrapy طريقة من طرق العلاج النفسانى يتم بواسطتها تشخيص المريض من خلال حوار داخلى عن استبدال الأفكار غير العقلانية بأفكار عقلانية ويبدأ العلاج العقلانى، بتغير الأفكار والتصورات والادراكات الذاتية الخاطئة والتى ينتج عنها الانفعالات السلبية والسلوك المضطرب. وذلك يتطلب أولا أن يقتنع المريض بخطأ أفكاره ومنطقه فى تقدير الامور وادراكها ومن ثم يسعى أولا أن يقتنع المريض بخطأ أفكاره ومنطقه فى تقدير الامور وادراكها ومن ثم يسعى بنفسه إلى تعديل نظرته. وحيث أن الصلة مباشرة بين التفكير والانفعال فكل تغيير فى التفكير يترتب عليه تحسنا فى انفعالات الفرد ومن ثم تعديل فى سلوكه.

(١٠) د. عبد الرحمن العيسوى، علم النفس الاسرى وفقا للتصور الاسلامى والعلمى، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٣، ص ٣٢ و ٣٣.

السلام الاسرى(*)

اتساع آفاق السلام:

السلام ليس قضية سياسية وحسب، وانما، فى واقع الحال، فلسفة حياة أو أسلوب حياه، المفروض أن تكتنف حياة الانسان فى كافة مجالات الحياة من أبسطها إلى أكثرها تعقيداً. واذا كان الأمر كذلك، فان السلام «قضية تربوية» فى المحل الأول قبل أن تكون نمطا من العلاقات بين الدول، حيث تنتفى حالة الحرب بينها. وعلى ذلك تبدأ جذور السلام من الأسرة، فالمدرسة، فالجامعة، فالمجتمع برمته، ومؤسساته الاعلامية والتعليمية والثقافية والادارية والسياسية. وعلى ذلك فان تحقيق السلام، بمعناه الشامل، ليس مهمة-القادة والزعماء والرؤساء وصناع السياسة(١) وان كان لهم دور هام وحيوى فى تدعيم سياسة السلام، ولكن السلام: عقيدة وسلوكا، انما هو قضية مجتمعية، ومن هنا يسهم فى تربية الناس على حب السلام والتمسك به رجال الفكر والفلسفة والقادة والزعماء والكتاب ودعاة الاصلاح ورواد التطوير والتنوير وأجهزة الثقافة الجماهيرية. وفوق كل هذه المؤسسات مؤسسة الأسرة، حيث تعد الأسرة هى «الحضانة» الأولى التى ينشأ فيها الطفل ويتربى ويترعرع أو هى «الرحم» الذى ينمو فيه الفرد وهى تلك «الواحة» التى يستظل فى ظلالها ليس فقط الأطفال(٢) وانما ايضا جميع أعضاء الأسرة كالزوج والزوجة والآباء والاجداد. توفر الأسرة لجميع أعضائها مظلة من السلام والوئام والانسجام.

فالأسرة قد يحتويها جو الخصام والشجار والنقار والعراك وقد تعتصرها الأزمات والمشكلات والخلاف والعناد حتى الاعتداء اللفظى أو الجسدى، حيث تتحول الحياة داخل الأسرة إلى جحيم مقيم لايطاق. وحين تنشب «الحرب» بين أعضاء الأسرة تصاب صحة الجميع بالخلل والاضطراب. فضلاً عن اعاقة الأسرة عن

(*) د. عبد الرحمن العيسوى، علم النفس الأسرى، دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية، ١٩٩٥

تحقيق رسالتها. وأهمية الأسرة لاتخفى على أحد، فالمجتمع السوى يتكون من الأسر السوية، ذلك لأن الأسرة هي الوحدة الأولى في تكوين المجتمع أو هي «نواة» تكوين المجتمع، وتصبح كالجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، فاذا صلحت الأسرة وساد جوها السلام والدفء والحب والتعاطف والمودة والرحمة والشفقة والتعاون والأخذ والعطاء والمشاركة الوجدانية، واذا سادها التماسك والتضامن والتكافل والتساند والتضامن، اذا صلحت الأسرة صلح المجتمع. فالاسرة هى التى تستقبل الطفل الرضيع وهو ما يزال ضعيفاً غضا طريا لينا قابلا للصقل والتشكيل والتنمية والتكوين(٣). فجذور الشخصية توضع في مرحلة الطفولة، ولاشك أن خبرات الطفولة تترك بصماتها قوية راسخة في الشخصية في مرحلة الرشد والكبر. بذور الشخصية توضع في مرحلة الطفولة الباكرة وتظل هذه الخبرات راسخة في الشخصية ذلك لأن حياة الانسان أن هى الا وحدة متماسكة ذات حلقات أو سلاسل مترابطة حيث تنتقل خبرات الطفولة إلى المراهقة وتنتقل خبرات المراهقة إلى مرحلة الرشد والكبر(٤) وعلى ذلك اذا اردنا ان نرسخ من قاعدة السلام، وان نجعله جزءا لا يتجزأ من شخصية الانسان، لابد من تدعيم الاسرة وبسط جو السلام بين ربوعها. فالأسرة هى التى تؤصل فلسفة السلام وتزرعها فى حس ابنائها وشعورهم وضمائرهم ووجدانهم واذهانهم. خبرات الطفولة تنتقل مع الانسان إلى المجتمع الخارجى فى المراحل اللاحقة.

اصابة الأسرة بالتدهور:

والمتأمل فى احداث الحياة الحاضرة، فى هذه الأيام، يشعر بالحزن والأسى لما أصاب بعض الأسر من التدهور والانهيار والتصدع، وأبشع صور هذا الانهيار حوادث القتل والسفك وتقطيع الأوصال وحرق جثث الضحايا من أبناء الأسرة الواحدة من ذلك قتل الزوجات لأزواجهن وتمزيق الجثث أو حرقها وقتل الأزواج لزوجاتهم أو الآباء للابناء أو قيام الأبناء بقتل الآباء والاجداد. جرائم الأقارب اتخذت نمطا جديدا ومؤسفا وبشعا لم يعرفه مجتمعنا من قبل. والغريب أن مثل

هذه الجرائم تقع لأتفه الأسباب أو ربما دون أسباب على وجه الأطلاق. وما كنا نسمع عن هذا الاجرام من قبل(٥).

فأين قيم السكينة والمودة والرحمة والإخاء والمحبة وصلة الارحام وعلاقات الدم وعلاقات الزواج التى هى علاقات تباركها السماء ويصونها المجتمع؟

ولاتبدأ اهتمامات المجتمع بتنظيم الاسرة بعد قيام علاقة الزواج، سعيا وراء اقامة علاقة من السلام والوئام والانسجام والمحبة بين أعضائها، وإنما تبدأ قبل تكوين الرابطة الزواجية فى شكل النصح بالتدقيق فى الاختيار الزواجى السليم الذى تتوفر فيه عناصر التكافؤ التعليمى والاقتصادى والاجتماعى والاخلاقى والثقافى والدينى. ولقد كان لا سلامنا الحنيف فضل السبق فى التوجيه لحسن اختيار شريكة الحياة كما جاء فى الهدى النبوى: تنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك، مؤكدا أهمية الجانب الروحى والدينى والاخلاقى والقيمى فى مجال الاختيار. وتحاشيا لانتقال الأمراض الوارثية من أصحاب الوراثات المتشابهة أو انتقال الاستعداد للمرض أو أى من مظاهر الضعف العالم جاء فى الأثر: «اغتربوا حتى لاتضمروا». وذلك للحد من زواج الاقارب. وجاء فى الهدى النبوى الشريف تحذيرا لتأثير الاختيار السئ على الصحة الجسمية والعقلية والنفسية والاخلاقية للذرية: تخيروا لنطفكم فان العرق دساس.

ولاتبدأ رعاية الاسرة للطفل بعد ميلاده، وانما تبدأ من لحظة الاخصاب الأولى فيما يتمثل فى الرعاية النفسية والطبية والجسمية للأم الحامل فى اثناء فترة الحمل. انطلاقا من القاعدة العلمية التى تقرر أن رحم الأم أن هو إلا «بيئة» يعيش فيها الطفل ويتأثر بكل ما يقع عليه من مؤثرات من ذلك تعرض الام لاخطار السموم والاشعاعات وتعاطيها الخمور والمخدرات أو الأدوية دون استشارة الطبيب أو ممارسة الرياضيات العنيفة أو التعرض للحوادث والاصابات أو التعرض لبعض الأمراض التى تؤثر على الحمل مثل الحصبة الألمانية وفقر الدم أو سوء التغذية والحماية من صدمات الميلاد والولادات المتعثرة.

العنف الاسرى:

يعترى الاسرة الحديثة كثير من المشكلات والأزمات ويسود جوها كثير من الصدام والذى يصل أحيانا إلى حد العنف العائلى أو الاسرى Domestic violence واساءة استعمال الزوجة أو الاعتداء عليها أو ضرب الأطفال أو اساءة استعمالهم ، مما يهدد كيان الاسرة ويعرضها للتصدع والانهيار ويحول بينها وبين القيام بوظيفتها الأولى وهى عملية التنشئة الاجتماعية لاطفالها Socialization حيث يمتص الطفل عن اسرته القيم والمثل والمعايير وقواعد السلوك والنظم والعادات والتقاليد والاعراف والخبرات والقيم التى تساعده فى أن يصبح كائنا اجتماعيا متكيفا ومواطنا صالحا. ومن ذلك تنشئته على قيم السلام والمسالمة ونبذ الحرب والعنف والعدوان والدمار والتخريب والتحطيم والتدمير.

الاسره «**مدرسة جامعة مانعة**» . ومن هنا كانت أهمية نشر السلام بين أرجائها ليس فقط من أجل سلامة الأطفال وصحتهم وقيمهم، ولكن من أجل صحة الزوج والزوجة ذلك لأن الأسرة حين تشب فيها الخصومات والمنازعات والمنغصات يصاب أطراف العلاقة الزواجية بالأمراض أو الأدمان والتى قد تنتهى بالانتحار. ومن أجل خلق الاجيال الصاعدة الصالحة والمؤمنة بالسلام وغيره من القيم الانسانية النبيلة.

ويثور تساؤل هام ... هو كيف نكفل جو السلام فى ربوع الأسرة العربية الحديثة؟

كيف نحقق السلام فى ربوع الأسرة؟

لتحقيق جو من السلام والوئام والانسجام والرضا والمحبة والمودة والسكينة والتراحم والتعاطف والتساند والتعضيد والتعاون والتكافل والتضامن والاحترام المتبادل، وما إلى ذلك من القيم، يلزم التعرف على أسباب نشوب المنغصات الاسرية:

لقد أهتم كاتب هذه السطور بقضية الاسرة واجرى عددا من البحوث الميدانية والدارسات حول مشاكل الاسرة وأساليب علاجها وأسبابها وطرق الوقاية منها ومن ذلك الارشاد الزواجي والعلاج الاسرى وأصدر كتاباً - لعله الأول من نوعه في المكتبة العربية - هو **«علم النفس الاسرى»** كما أصدر مؤلفا آخر هو العلاج الاسرى وثالثا لتأصيل الارشاد الأسرى اسلاميا ... ووضع كتبا في نمو الأطفال، وآخر في أساليب التنشئة الاجتماعية. ودرس واقعة الطلاق Divorce وأسبابها وأضرارها على الازواج والزوجات وعلى الابناء وعلى اسرتيهما معا. مع اقتراح الوسائل التى تحد من تفشى ظاهرة الطلاق والانفصال.

والحقيقة أن التكيف الزواجى لايتأتى عفويا أو طفريا أو تلقائيا، وإنما هو كأى نمط من انماط التكيف Adjustment لابد له من الجهد المقصود والتخطيط وبذل المحاولات لتحقيقه. وتهتم الدراسات النفسية بالعوامل المسئولة عن النجاح وعن الفشل في الزواج Marital Success and Failure.

ويؤخذ الطلاق كمؤشر لفشل الزواج أو انهياره وتصدع اركانه. ولقد دلت بعض الدراسات الامريكية على أن السعادة الزواجية ترتبط بعوامل كثيرة منها تمتع آباء العروسين بالسعادة الزواجية، بمعنى أن التكيف في الزواج ينتقل من الآباء والامهات إلى الأبناء . فالمرأة التى عايشت حياة أسرية سعيدة تكون أكثر احتمالا أن تحيا هى الأخرى ، بدورها، حياة سعيدة من جراء التقليد والمحاكاة وامتصاص قيم الاسرة والتربية الصالحة. وبالطبع عدم انفصال أو طلاق الابوين، كما ترتبط السعادة الزواجية بما تتلقاه البنت «العروس» من نصائح من امها بشأن الحياة الجنسية السوية. أو تحصل العروس على معلومات علمية عن الحياة الجنسية من الكتب العلمية الموثوق بها. كذلك ارتبط التكيف الزواجي بالارتقاء في المستوى التعليمى بما يفوق التعلم الثانوى الامريكى High School وكذلك ارتياد أماكن العبادة لثلاث مرات شهريا أو أكثر وارتياد مدارس الآحاد حتى سن ١٨ عاما

وكذلك التنشئة فى الريف أو فى مدينة صغيرة. العلاقة الزواجية قوامها، كما يبدو، الخلق.

وهناك دراسات أخرى اجريت على الازواج والزوجات حول السعادة الزواجية Marital happiness ووجدت مرتبطة بسعادة الآباء الزواجية، والسعادة فى الطفولة، وعدم وجود صراعات فى الطفولة Conflicts مع الأم، وتمتع الزوج والزوجة فى مرحلة الطفولة بنوع معقول من التأديب والتربية دون أن يكون هذا التأديب قاسيا جدا أو صارما جدا أو كثير التدليل والدلع Discipline بمعنى أن تأديب الزوجة فى منزل أبيها يساعدها على أن تحيا حياة سعيدة، ومثلها الرجل فى حياتهما الزواجية. مع وجود درجة من الارتباط أو الدفء مع الأب والأم تجاه قضية الجنس، بمعنى توفير قدر علمى معقول من التربية الجنسية واشباع حب الاستطلاع لدى الاطفال فى هذا الصدد. وجود قدر معقول من القدرة العقلية، بمعنى ألا يكون الزوج أقل ذكاء عن زوجته recreative mental abilityمع عدم تفوق الزوج فى الذكاء تفوقا كبيراً عن زوجته.

وكذلك تسود السعادة الزواجية، حيث تقل العقوبات التى تفرض على الأطفال Childhood punisthment وعدم وجود مشاعر بالتقزز من المسائل الجنسية أو الكراهية والنفور aversion وخاصة فيما قبل الزواج أو توفر حالة من البرود العاطفى لدى المرأة.

كذلك وجد أن ديمومة الزواج، أو أنفصاله ترتبط بعامل السن الذى يتم فيه الزواج، حيث وجد أن السن المناسب للزوج هو ٢٩ عاما للمرأة[٧]. أما الذين تزوجوا قبل هذا السن فكانت نسبة الطلاق بينهن أكثر انتشارا، كالزواج فى سن التاسعة عشر. كذلك كشفت بعض الدراسات الامريكية أيضاً عن ارتباط التكيف والنجاح فى الزواج بعوامل مثل وجود علاقة تعاطف وحب تجاه الأبAffectional relationship فى مرحلة الطفولة، وجودة عملية التنشئة الاجتماعية للفرد،

بمعنى تدريبه على المشاركة في الحياة الاجتماعية واشتراكه في المؤسسات الاجتماعية لانتفاء حالة الانطواء الشديد أو العزلة أو الانسحاب من معترك الحياة الاجتماعية، والتدرب على الاختلاط والتفاعل والمشاركة الاجتماعية والوجدانية وكلها من مؤشرات التمتع بالصحة العقلية السوية.

+ ولقد تبين ان العامل الاقتصادى ليس حاسما فى ذاته فى نجاح أو فشل العلاقات الزواجية، ذلك لأنه متضمن في عوامل أخرى مثل الخلفية الثقافية للزوج والزوجة Cultural background سواء أكانت عوامل ثقافية محلية أو الثقافة العبر حضارية، وتتضمن أيضا فى العوامل النفسية أو العوامل نفسية النشأة أو السمات النفسية، من ذلك معاناة الزوج أو الزوجة من الأمراض النفسية كالانطواء والاكتئاب والقلق والهستيريا وتوهم المرض والوسواس القهرى والمخاوف الشاذة أو الأمراض العقلية الحادة كجنون العظمة وجنون الاضطهاد وجنون الهوس والكتئاب وفصام الشخصية أو الاضطرابات الاخلاقية كالمعاناة من السيكوباتية .Psychopathy ومؤداها اتسام الفرد بقلة أو ضعف أو موت الضمير أو انعدامه والرغبة فى الاستغلال والابتزاز وامتصاص دماء من يتعامل معهم الشخص السيكوباتى إلى جانب عدم الشعور بالاثم أو بالذنب أو تأنيب الضمير أو لوم الذات والميل للكذب والنصب والاحتيال والعدوان والانتقام. والسيكوباتية ترادف الجنون الاخلاقى و «العته الاخلاقى» وصاحبها جامد العواطف متحجر الانفعالات، ليس له أصدقاء، ولا يستفيد من تجاربه السابقة، ولا يجدى معه العلاج، ويقال في حقه أنه «يعض اليد التى تتقدم لمساعدته» وأنه «يقتل ويضحك» اشارة إلى عدم شعوره بالذنب على ضحاياه مهما كانوا من الضعفاء أو الشيوخ أو كبار السن فلا يشعر بالندم أو بعذاب الضمير(٧) . وبالطبع تعامل الزوجة مع هذه الشخصية يعد امرا بالغ الصعوبة. فالسلامة العقلية مدعاة للسلامة الزواجية والأسرية. كذلك تؤثر فى الفرد الطبقة الاجتماعية التى ينحدر منها وأسلوبه فى التعامل والتفاعل مع الناس. كل هذا ينعكس على الحياة الزواجية(٨).

ولقد تبين ان المشاكل الجنسية ترجع إلى عوامل نفسية وعاطفية، فى المحل الأول، أكثر من كونها نتيجة لأسباب عضوية أو جسميةBiological factors وترجع إلى عوامل التشريط الاجتماعى أو التعليم الشرطى الاجتماعى. وأيدت الدراسات ان التنبؤ بنجاح الزواج Prediction ممكن عن طريق اجراء تطبيق منهج دراسة الحالة المتعمقة Case-study وقد يتساءل القارئ العربى الكريم أيهما أكثر تأثيرا فى تحقيق التكيف الزواجي.. العامل الاقتصادى أم العامل الثقافى؟

لقد وجد ان التقارب في الحلفية الثقافية Cultural background أكثر أهمية من التقارب فى الخلفية الاقتصادية للزوجين أو التشابه Similarity of economic background. الثقافة بما تتضمنه من العلم والقيم والمثل والعادات والتقاليد والاعراف والمعايير واللغة والدين والخلق أكثر تأثيراً عن العامل أو التشابه الاقتصادى فى حد ذاته.

ويتوقف الأمر على السن أو بالاحرى درجة النضوج العقلى والنفسى والعاطفى والانفعالى، وتوفر الخبرة وذلك حتى لايتعرض الزواج للهزات العاطفية والتغيرات السريعة والمفاجئة فى الاتجاهات العاطفية، كما هو الحال عند المراهقين. كذلك فان النجاح فى الزواج يتوقف على الاتجاه العقلى لدى الزوج والزوجة نحو الزواج.

فهناك من يتصور خطأ أن الزواج عبارة عن جنة الله على الأرض وأنه سوف يعيش فى جنة عدن تتساقط عليه الأعناب والرمان وأنه سوف يجلس كما جلس هارون الرشيد والخدم والحشم والجوارى ورجال القصر والحاشية يقومون على خدمته، وانه سوف يعيش حياة كلها «حب فى حب». كذلك قد يتصور الزوج انه سوف يحقق كل طموحاته من خلال الزواج سواء أكانت طموحات اقتصادية أو وظيفية. وان زوجته سوف تنظم له أعماله وأوقاته واتصالاته وحفلاته وانها سوف تقوم منه مقام أمه التى كانت ترضعه وتطعمه وتصحبه إلى مخدعه وتروى له

الحكاوى ليغط فى نوم عميق.. مثل هذه الصور الخيالية والوهمية اذا وقرت فى ذهن الشاب أو الشابة كانت سببا فى شعوره بالفشل والاحباط وخيبة الأمل والندم، لأن الزواج لم يحقق له تلك الصورة الوهمية التى كان قد ارتسمها فى خياله عن الزواج. حين يصدم بالطلبات والأعباء والواجبات والأعمال والمحاسبة و «المحاكمة» والاشتراك معه فى المسئولية، وحين يدرك أن الزواج عطاء قبل كل شئ.

ولذلك من الأهمية بمكان ان تعمل مكاتب الزواج على توجيه الارشاد العلمى والنفسى للمقبلين على الزواج لمساعدتهم فى تكوين اتجاه عقلى موضوعى نحو الزواج. إلى جانب مايثار اليوم من إجراء الفحوص الطبية الدقيقة على المقبلين على الزواج حماية لهم من الأمراض الوراثية أو السرية التى قد يعلمها أولا تعرفها الأطراف والتى قد يعمد أحدهم إلى اخفائها.. من ذلك قد لا يذكر عدم القدرة على الانجاب أو العجز الجنسى.

التنبؤ بنجاح الزواج ممكن، ولكنه ليس بدرجة مطلقة، ويحتاج إلى أن يستند إلى معطيات دقيقة وموضوعية.

وتدل الاحصاءات على ان الزواج يتعرض لهزات قوية فى سنواته الثلاثة الأولى، كلما طال عمر الزواج كلما زاد احتمال بقائه قائما دون طلاق أو انفصال Divorce or separation

ماهى أسباب المنغصات الزواجية؟

ماهى الأسباب التى تؤدى إلى المآسى العائلية أو المنازعات والمشاحنات والمنغصات أو أحزان الزواج؟ Domestic grievances

هموم الزوجة:

ومن الجدير بالاشارة ان الدراسات الميدانية حول الأحزان الزواجية كشفت ان

الأسباب الخطيرة والمؤثرة ترجع إلى وجود عيوب فى سمات الشخصية Personlity traits أكثر من «الظروف الخارجية» المحيطة بالجو الاسرى. اتضحت هذه الحقيقة من خلال العشرين سببا الأولى لشكاوى الزوج والزوجة.. من ذلك عدم الثبات العاطفى أو الانفعالى emotional instability

. أو النزعات العصابية neurotic tendencies أى النزعات المرضية الناجمة عن المرض النفسى neurosis أو الانطواء الشديد أو حدة المزاج أو اعتلال الحالة المزاجية بصورة شاملة للزوج أو الزوجة unhappy temperament بمعنى شدة الحزن أو الكآبة أو حدة المزاج والثورة والتهيج أو العصبية الزائدة.

ولقد تبين ان معظم شكاوى الأزواج كانت مايلى:

١- نقد الزوجة أو نكدها وجلبها للهم والغم والنكد والشجار والجدال nagging.

٢- قلة العاطفة أو الحب Lack affection.

٣- الأنانية أو الطمع أو تفضيل الذات أو عدم اعتبار الآخرين.

٤- كثرة الشكوى والتوجع complaining وتدخلها واعاقتها وعرقلتها لهواياته المفضلة، واهمالها فى هندامها ومظهرها واهمالها فى نفسها slovenliness وسرعة الغضب وتدخلها فى أسلوبه فى تأديب الأطفال، وشعورها بالفخر والزهو، وعدم ولائها أو اخلاصها أو سهولة جرح شعورها «من ابو لمس» وكثرة ميلها لتوجيه النقد اليه، وضيق افقها أو دماغها واهمالها للأطفال وخراقتها فى شغل المنزل poor house jeeping والميل للجدال دون داع، ووجود عادات مزعجة وبعض عادات التصنع والافتعال كأن تدعى ثرائها وانحدارها من سلالة امراء ونبلاء، ومعاناتها من عدم الشعور بالثقة وتدخلها فى أعماله، وتدليلها وافسادها للأطفال.

اقامة «التكتلات والاحلاف» داخل الأسرة الواحدة:

وتكشف الملاحظات فى مجتمعنا ان بعض الآباء أو الأمهات تعمد فى

«حربها» للزوج مثلا ان تشكل معسكرا أو تجمع تكتلا من الأبناء يقف فى معسكرها ضد الأب لهزيمته وهى فى سبيل ذلك تنافق الأبناء وتداهنهم وترشوهم وتغدق عليهم العطف المصطنع حتى تنتصر فى معركتها مع زوجها، وبذلك يفلت الزمام وتتحول الحياة المنزلية إلى معسكرات وتكتلات واحلاف يحارب بعضها بعضا. وفى خضم هذا الصراع تختفى القيم والمثل والصالح العام ويصاب أفراد الأسرة بالضرر البالغ، حتى المنتصر منهم فى هذا الصراع يخسر عندما تدور عليه الدوائر ويتنكر له الأبناء فيشرب من نفس الكأس التى سقاها للطرف الآخر.

أسباب هموم الزوجة:

اما شكاوى الزوجات فكانت كمايلى وفقا لدرجة شدتها على هذا الترتيب

١- انانية الزوج Husband's selfishness.

٢- عدم اعتباره لها inconsiderateness.

٣- قلة نجاحه فى عمله.

٤- لا يوثق به.

٥- كثرة الشكوى.

٦- يفشل فى التعبير عن حبه لها.

٧- غير مستعد للقيام بالأعمال نيابة عنها.

٨- القسوة والغلظة مع الأطفال.

٩- شدة الحساسية أو سرعة الانفعال والثورة.

١٠- قلة الميول نحو الأولاد أو قلة الأهتمام بهم.

١١- قلة الميول نحو الحياة الأسرية.

١٢- عدم الصبر وسرعة الغضب.

١٣- كثرة ميله للنقد.

١٤- ضعف قدرته على إدارة دخل الأسرة وتدبيره شئونها المالية.

١٥- ضيق الأفق أو ضيق العقلية.

١٦- عدم الاخلاص أو عدم الولاء.

١٧- كسول أو خامل.

١٨- يشعر بالملل عندما تتحدث هى معه حول شئونها اليومية.

ويتضح من هذه القائمة ان هناك (٦) بنود مشتركة بين شكاوى أو متاعب الزوج والزوجة معا وهى:

المنغصات المشتركة:

١- قلة العاطفة.

٢- الأنانية وعدم اعتباره لها.

٣- كثير الشكوى.

٤- ميال للنقد الزائد.

٥- ضيق الأفق.

٦- لايوثق فيه.

وكلها أمور نفسية وأخلاقية مما يؤيد أن **السمات الشخصية** أكثر تأثيراً فى الزواج عن العوامل الخارجية كالوضع الاقتصادى للزوجين.

اما الأمور التى كانت أقل ازعاجا **للزوجة** فكانت:

١- كبر سن الزوج عنها.

٢- يدخن السجائر.

٣- يختلف عنها فى ذوقه فى الطعام.

٤- أصغر منها سنا.

٥- يختلف عنها فى التعليم.

٦- يشرب الخمر.

٧- يسب ويشتم.

٨- يتأخر عن موعد الطعام.

٩- غيور.

١٠- يختلف عنها فى المعتقدات الدينية.

أما الأمور الأقل ازعاجا والتى قررها **الزوج** فكانت:

١- صغر سن الزوجة.

٢- تشرب الخمر.

٣- تدخن.

٤- أكبر منه سنا.

٥- تختلف عنه فى أذواقها للطعام.

٦- متسلقة اجتماعيا، انتهازية.

٧- تعمل كثيرا خارج المنزل.

٨- تسب وتشتم.

٩- تختلف عنه فى التعليم.

١٠- طباخه خرقاء.

١١- تختلف عنه فى العقائد الدينية.

١٢- ليست أمينة.

ومن خلال هذه الدراسات يمكن القول بان السلام الأسرى أو العائلى يمكن تحقيقه بتحاشى هذه الأسباب والبعد عنها.

ولا شك ان السلام الأسرى هو أساس السلام الاجتماعى، بل السلام العالمى، حيث يتم غرس قيم السلام وعاداته ومثله ومبادئه فى حس الانسان وعقله ووجدانه ويصبح جزءا لا يتجزأ من كيانه الشخصى ويصبح فلسفته فى الحياة. **السلام شطر من التحضر.**

ونحن أبناء أمة الاسلام نؤمن قولا وفعلا بفلسفة السلام وقيمة ومثله ومعاييره، ونتخذ من السلام ايدولوجية راسخة تظلل كل مظاهر حياتنا ولا ينال من وجاهة هذا المذهب السلمى الاسلامى رفض العدو الاسرائيلى الانصياع لنداء السلام. فان التاريخ سوف يرغمه على الخضوع لارادة السلام.. ولو كان ذلك بالقوة المسلحة..

المراجع

(١) عبد الرحمن العيسوى، علم النفس السياسى الاقتصادى، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٦ .

(٢) عبد الرحمن العيسوى، علم النفس الأسرى، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥ .

(٣) عبد الرحمن العيسوى، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار الفكر الجامعى، الاسكندرية، ١٩٨٥ .

(٤) عبد الرحمن العيسوى، سيكولوجية النمو، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٦ .

(٥) عبد الرحمن العيسوى، مبحث الجريمة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٢ .

(٦) عبد الرحمن العيسوى، النمو الروحى والخلقى، مع ترجمة كتاب النمو الاخلاقى لدى الأطفال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠ .

8) Hepner, W.H., Psychology Applied to Life and Work, Prentice Hall, New Gersey, 1965. p. 263

9) Hepner, p. 264

10) Hepner, p. 265

دور علم النفس فى التنمية البشرية
فى مجتمعاتنا العربية

أهمية التنمية البشرية:

لقد أصبحت التنميه الهدف الرئيس، والمنهج الحاسم لحركه النهوض والتقدم التى تستهدفها معظم مجتمعات العالم فى الوقت الراهن، وذلك للتخلص من الفجوه السحيقه التى تفصل دول العالم الثالث عن الدول المتقدمه، بل ان حركه التقدم لا تتوقف حتى فى الدول المتقدمة ذاتها، ولذلك نشأت فكرة التنمية المتواصله. والتنمية، وان كانت متعدده الابعاد: الاقتصادية والاجتماعية، الا ان أعظمها فائدة، وأكثرها قيمه وشرفا التنميه البشرية: تنميه العنصر البشرى، بوصفه الدعامه القويه التى تستند إليها كل الجهود التنموية فى شتى مراحلها، ابتداء من التخطيط العلمى الدقيق والمدروس إلى التنفيذ فالمتابعه وتقويم المشاريع التنموية. فالإنسان هو الغاية القصوى من كل الجهود التنموية الأخرى، تلك التى تستهدف سعادته ورفاهيته ورفع مستوى معيشته، واشباع حاجاته، وحمايته، فالانسان هو الغاية القصوى للجهود التنموية. والإنسان أيضاً هو آداة أو وسيلة تحقيق التنمية، فلا يمكن لمشاريع التنميه ان تؤتى ثمارها المرجوه دون الإنسان الكفء القادر على دفع عجله الإنتاج، وعلى اداره المشروعات وعلى التخطيط العلمى المدروس. الانسان المؤهل علميا، والمسلح بقيم الامانه والوطنيه والصدق والانتماء. الانسان المتحرر من مشاعر الانانية والأثرة والطمع والجشع والانتهازية والوصوليه.. ولذلك فهمها بلغت الامكانات الماديه، ومهما زادت القروض والعطايا والمنح التى تحصل عليها الدوله، فأنها فى النهاية، يلقى بها فى حجر الانسان، فاما ان ينميها ويستثمرها الاستثمار الأمين والأمثل، واما ان يبددها، فتضيع سدى. ولذلك لابد

من احاطه العمل التنموى بسياج متين من القيم الاخلاقية القويمه. والعنصر الانسانى هو عصب الانجازات والانتصارات فى ملاحم الحرب وفى معارك التنميه، والتخلص من الفقر. وعوده سريعه إلى تاريخنا الاسلامى الوسيط أو إلى تاريخنا الحديث، نلمس أهمية العنصر الانسانى، ففى صدر الاسلام استطاعت قوه صغيرة من المسلمين مسلحه بسلاح الإيمان بالدعوة وبقضاياها، واستطاعت ان تقوض عروش دول وامبراطوريات شامخه. وحرب أكتوبر المجيده ١٩٧٣ لم تغب عن ذاكره التاريخ طويلا، يوم دكت الجيوش العربية المؤمنه والمخلصه والمدربه حصون العدو فى ذلك الوقت، وقضت على اسطورة جيش اسرائيل الذى لا يهزم برغم قله السلاح والعتاد الحربى.

ان الاهتمام بالانسان المصرى على أرضنا الطيبه، ورعايته، واحتضانه، وشموله بالعناية منذ ميلاده حتى وفاته وتسخير الجهود التنمويه لرفع كفاءته الانتاجية..ان هذا الاهتمام لايعنى، بحال من الاحوال ، أغفال الجوانب أو الأبعاد التنموية الاخرى: فى التنمية الصناعية والزراعية والسياحية والتجارية والريفية والحضرية والصحراوية والقانونية أو التشريعية والثقافية والاجتماعية وزيادة كفاءة المؤسسات الاجتماعية وتمكينها من آداء رسالتها. التنمية الصحيحة هى التنمية الشاملة، وهى تلك التى لاتفرق فى مد خيراتها وثمارها ونورها بين القرية والمدينة أو بين المناطق العشوائية أو الصحراوية أو النائية وبين المدن الكبرى، وهى التى لا تقتصر على الجهود الحكومية، وانما تفتح الأبواب على مصارعها أمام الجهود الشعبية، فالتنمية قضية مجتمعية، وليست قضية الدولة وحدها، ولاتستطيع الدولة، مهما عظمت امكاناتها، الوفاء بطموحات التنمية. فلابد من الجهود الذاتية، ومن اشتراك آحاد الناس، والشركات، والمؤسسات، والجمعيات ، والنقابات، والاتحادات ، فى الجهود التنموية، كل بحسب قدراته. كذلك فأن التنمية المنشودة هى التنمية المتواصله، ذلك لأن المجتمعات، من حولنا، لاتقف ساكنه عند ما تحققه من تقدم، وانما هى فى ملحمة متواصله من التقدم، بل والتقدم سريع الخطى.

ولذلك لابد وان تتسم جهودنا التنموية بالاستمرارية والطموح والتجديد المتواصل

ولقد أبرزت الجهود التنموية حقيقة هامه، لابد من النظر إليها، تلك الحقيقة التى تؤكد أهمية الجانب الاخلاقى، فيمن يتصدى لاداره المشروعات التنموية، فلقد لوحظ ان بعض مشروعات التنمية تقام فى أماكن نظيفة وصحيه، ولكن ما أن تبدأ هذه المشروعات حتى ونصيب المناطق التى أنشئت فيها بالتلوث، والاعتداء على البيئة، كأن تصب عوادمها فى مجرى المياه العذبه، أو تلقى بنفاياتها حولها. ولذلك لابد من الاهتمام بالجانب الاخلاقى فى حركة التنمية حتى لا تتعرض للتلوث.

ومعروف ان التنمية نشاط واسع الآفاق، ومتعدد الأبعاد والجوانب، ولذلك يمكن ان تسهم فيه جميع العلوم الانسانية كل بقدر مايسمح به تخصصه، من تلك العلوم الطب، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والانثروبولوچيا، والتربية، والاقتصاد، والسياسه والقانون والاداره والاحصاء والخدمة الاجتماعية، والعلوم الزراعيه، والصناعيه، والهندسيه، وفوق كل ذلك علوم الدين والاخلاق والفلسفة واللغة والجغرافيا، وخاصة البشرية منها، والتاريخ وكل فروع المعرفة تستطيع أن تسهم فى العمل التنموى، لأن التنمية هى الحياة برمتها، اما علم النفس فتستطيع كل فروعه الاسهام فى حركه التنمية الشامله، وعلى وجه الخصوص تنمية الانسان.

اتساع افاق علم النفس الحديث:

لقد اتسعت آفاق علم النفس الحديث، وتعددت فروعه، بحيث أصبحت تواكب التغيرات الهائلة التى تحدث فى عالمنا المعاصر، وبحيث أصبح هذا العلم لايقدم خدماته إلى الطوائف الشاذه فى المجتمع كالمرضى والشواذ والمجرمين والجانحين، وانما امتدت لتشمل كافه طوائف المجتمع السويه، كرجال القوات المسلحه، من خلال أحد فروعه وهو علم النفس الحربى أو العسكرى، ورجال

التربيه والتعليم وجمهور المتعلمين من خلال علم النفس التربوى، والتعليمى، ورجال الاداره والقياده من خلال علم النفس الادارى، ورجال الصناعه والانتاج وقضايا العمل والعمال، من خلال علم النفس الصناعى أو المهنى ورجال التجاره والمال من خلال علم النفس التجارى وما إلى ذلك من تلك الفروع النظرية والتطبيقية والتى نوجزها فيمايلى:

١- علم النفس الفسيولوجى.
٢- علم نفس الحيوان.
٣- علم نفس الطفل.
٤- علم النفس الفارقى.
٥- علم النفس الاجتماعى.
٦- علم نفس الشواذ.
٧- علم النفس الاكلينيكى.
٨- علم النفس التربوى.
٩- علم النفس التعليمى.
١٠- علم النفس الادارى.
١١- علم النفس الهندسى.
١٢- علم النفس الصناعى.
١٣- علم النفس التجارى.
١٤- علم النفس الجنائى.
١٥- علم النفس الحربى.
١٦- علم النفس المقارن.
١٧- علم النفس القضائى.
١٨- علم النفس البيئى.
١٩- علم نفس الصحه.

٢٠- علم نفس المجتمع.
٢١- علم النفس الطبى
٢٢- علم النفس القانونى.
٢٣- علم النفس التكوينى.
٢٤- علم النفس الارشادى.
٢٥- علم النفس العلاجى.
٢٦- عنم النفس التحليلى.
٢٧- علم النفس السياسى.
٢٨- علم نفس الشخصية.
٢٩- علم نفس العقاقير.
٣٠-علم التنفس الطبى الشرعى.
٣١-علم النفس الفردى.
٣٢- علم النفس الفلسفى.
٣٣-علم النفس الدينى.
٣٤- علم النفس المرضى.
٣٥- علم النفس المهنى.
٣٦- علم نفس النمو.
٣٧- علم النفس المعرفى.

وهناك العديد من الفروع الأخرى، وحركه التطور فى علم النفس لاتقف عند حد معين، وعلماء النفس يلاحقون التطورات التى تطرأ على عالمنا، وسرعان مايجرون الدراسات على تلك الظواهر المستحدثه، ويفردون لها فرعا من فروع علمهم. فعندما نشأت مشكله الزحام وشيدت ناطحات السحاب ظهر علم نفس الزحام، وعندما ابتلى العالم بمشكله تلوث الهواء والماء والأرض، ظهر علم النفس البيئى وهكذا تواكب التطورات الحياتيه تطورات فى علم النفس وتصاحبها.

وبالنسبة لدور علم النفس فى التنمية البشرية فنستطيع ان نقول أن علم النفس يتناول، بالرعايه والدراسه، الانسان منذ اللحظة الأولى لميلاده حتى وفاته، بل ان رعايته تمتد إلى الوراء، إلى ما قبل الزواج فيما يحدده من شروط الاختيار الزواجى الموفق أو المتكيف، بغيه تحقيق الزواج المتكيف تكيفا حسنا ولا تبدأ عنايه علم النفس بالكائن البشرى بعد مولده، وانما تمتد إلى مرحله الحمل فيما تقدمه للام الحامل من الرعايه والتوعيه التى تكفل حملا سويا.

فمنذ لحظه الاخصاب والمرأة تقع ضمن اهتمامات علم النفس، ويواكب علم النفس الانسان فى رحله حياته بما فيها من انتصارات وكبوات حتى سن الشيخوخه، فيفرد لها فرعا هو علم نفس الشيخوخه بغيه تحقيق مزيد من السعاده والكفاءه لشيوخنا.

ومع الإيمان بأن كافة العلوم والمعارف الانسانية تخدم، بصوره مباشرة أو غير مباشرة قضيه التنمية البشرية، الا أن لعلم النفس منزله خاصه، ذلك لأن العلوم الأخرى، وان كانت تهتم بجسم الانسان أو اقتصاده، فان علم النفس يهتم بأسمى وأرقى وأغلى وأثمن ما يوجد فى هذا الانسان واعنى به عقله، أى العقل البشرى. فيحرص على نموه وازدهاره وتقدمه واستثماره وترشيده، ويحميه من الاصابات بالأمراض والتلف والعاهات والخلل والخبل أو الضعف والتخلف العقلى(٧). واذا كان عقل الانسان يحتل منزله عظمى فى مجال الدراسات النفسيه، فان ذلك لايعنى عدم الاهتمام بجسم الانسان، فعلم النفس يتناول جسم الانسان وما يطرأ عليه من النمو والتطور، وفى نفس الوقت يحرص على حمايه الجسم من الاصابه بمجموعة من الأمراض التى أصبح يطلق عليها الآن، نظرا لكثرة أنتشارها، أمراض العصر، وهى الأمراض السيكوسوماتيه، أى تلك الأمراض التى تنشأ عن أسباب نفسيه أو اجتماعيه، ولكن أعراضها تتخذ شكلا جسميا من تلك الاضطراب السيكوسوماتيه.

١- قرحه المعدة والقولون والاثنى عشر.

٢- مرض البول العسكرى.

٣- ارتفاع ضغط الدم.

٤- الربو الشعبى.

٥- السمنه المفرطه.

٦- بعض الأمراض الجلدية.

٧- بعض آلام المفاصل والظهر.

٨- بعض أمراض القلب والدوره الدمويه.

٩- القراع.

١٠- فقدان الشهيه.

١١- النحاله الزائده(٨).

١٢- بعض أمراض اللثه والفم والاسنان.

١٣- حب الشباب.

١٤- عسر الحيض.

١٥- فرط حموضه المعده.

١٦- مرض النقرس.

١٧- حمى الخريف.

١٨- السل الرئوى.

١٩- البرد المتكرر.

٢٠- الصداع النصفى.

وتتعدد الأبعاد أو الأدوار التى يقوم بها علماء النفس، والتى تسفر، بصوره مباشره أو غير مباشره، عن تنمية قدرات الانسان وذكائه واستعداداته وميوله واتجاهاته وسمات شخصيته ومهاراته وكفاءاته وامكاناته والتى تحميه من الوقوع فريسه للمرض العقلى أو النفسى كما تحرسه من السقوط فى مستنقع الادمان أو براثن الجريمه والجنوح والانحراف.

الادوار السيكولوجيه فى تنميه الانسان:

١- الدور المهنى، ويستهدف تنميه قدرات ومهارات العامل والموظف والادارى ورفع معدلاته الانتاجية وحمايته من أمراض المهنه، ومن حوادث العمل واصاباته، وتحقيق تكيفه فى المهنه، وذلك من خلال تقنيات علم النفس المهنى أو الصناعى، ومن ذلك التدريب المهنى، والتوجيه المهنى، والاختيار المهنى، والتأهيل المهنى، والمواءمه المهنيه وتستهدف وضع الرجل المناسب فى العمل المناسب، وكذلك من خلال الهندسه البشريه، والتى تستهدف تصميم الآلات، بحيث تتفق مع قدرات العامل، وبحيث لا يؤدى تشغيلها إلى إصابته بالأمراض أو التشوهات، ومن خلال دراسه حوادث العمل وأسبابها وإصابات العمل وتحقيق الأمن الصناعى للعمال وللآلات والخامات، وكذلك من خلال دراسه الظروف الفيزيقيه المحيطه بالعمل، وتشمل الحراره والبروده والرطوبه والاضاءه والتهويه والألوان والضوضاء وجعلها مناسبه للعمل ولصحه العامل العقليه والجسميه، ومن خلال دراسه الأمراض المهنيه والتى تنجم عن ظروف العمل وممارسه مهنه معينه كالسل الرئوى الذى يصيب عمال الغزل والنسيج. وكذلك توفير الجو الديمقراطي والانسانى من خلال فرض العلاقات الانسانية بين العمال فيما بينهم وبينهم وبين رجال الاداره والمال.

٢- الدور العلاجى، ويتمثل هذا الدور المهنى والتقنى والانسانى فى اعاده الانسان المريض نفسيا أو عقليا أو أخلاقيا أو سيكوسوماتياً اعادته إلى حظيره السواء والتكيف والتمتع بالصحه النفسيه والعقليه الجيده، ومن اعادته إلى حظيره الانتاج والعمل والخلق والابداع، بدلا من ان يظل عاله على غيره ، بل انه يعوق انتاج بقيه أفراد الأسره. وللعلاج النفسى قيمه إنسانيه، من حيث أنه يعيد السعاده والبهجه للمريض وتخليصه من آلام المرض والحزن والبؤس واليأس والشقاء والشك والريبه، والتفكك والانحدار والانحلال والقسوه والمعاناه والألم المبرح. ولقد ابتكر علماء النفس العديد من المناهج العلاجيه

ومايزالون يبتكرون مناهج جديده تلائم ما يظهر من أمراض وأعراض، ومن أشهر تلك المناهج العلاجية مايلي:

١- العلاج عن طريق التحليل النفسي:

ويستهدف سبراغوار الذات البشريه والغوص في أعماقها واكتشاف المواد الحبيسه في أعماق اللاشعور من صراعات وعقد ودوافع محرمه والذكريات المؤلمه والرغبات الشاذه والبدائية والشهوانيه والحيوانيه والعدوانيه، اخراجها إلى السطح: إلى الشعور، ومن ثم يمكن التعامل معها.

٢- العلاج السلوكي:

ويقوم على دعائم ومبادئ نظريات التعلم، وخاصة التعلم الشرطي، ويهاجم هذا النمط من العلاج الأعراض التي يعاني منها المريض، دون الغوص لمعرفه أسبابها الدفينه.

وهو منهج قصير وسريع وقليل التكاليف ويصلح لعلاج الأمراض النفسيه كالقلق والفوبيات اى المخاوف الشاذه كالخوف من رؤيه المياه الجاريه أو الدم أو الظلام.

٣- هناك العديد من المناهج والتقنيات العلاجية من ذلك العلاج بالماء أو بالموسيقى أو بالرقص أو بالقراءة أو بالتمثيل أو بالفن التشكيلي. فالعلاج بالرقص يساعد على الشفاء من الاكتئاب والعزلة، والعلاج بالعقاقير يقدم مضادات للاكتئاب ومسكنات ومهدئات وهناك العلاج بالعمل والعلاج بالفن والعلاج عن طريق اللعب للأطفال الصغار والعلاج بصدمات الانسولين وبالصدمات الكهربائية، وهناك العلاج الجماعي، والعلاج بالتنويم المغناطيسي والعلاج الزواجي أو الأسرى والعلاج الجشطالتي والعلاج البيئي أو المحيطي والعلاج التعضيدي والعلاج المتمركز حول العميل أو مايسمى بالعلاج غير التوجيهي أو العلاج التسامحي وعلاج الطوارئ أو الصدمات

والازمات والعلاج الموجه. وغير ذلك من المناهج ومشتقاتها والتى يطالعنا العلم بمستحدثاتها بصفه مستمره. وقد يستعمل المعالج أكثر من منهج واحد مع مريض بعينه.

٤- الدور أو البعد الوقائى لعلم النفس دور حاسم فى الوقاية من الإصابة بالأمراض النفسية والعقلية، ومن التعرض للجريمه والجنوح والانحراف، عن طريق مايقدمه من ثقافه نفسيه وتربويه مفيده، توجه مسار النمو الانسانى فى طريقه الصائب، وتمنع تعرض الانسان للصراعات والازمات والتوترات، وخبرات الفشل والاحباط والحرمان والقسوه والضياع. وتوضح هذه الثقافه سبل الوقايه من الأمراض وسبل التمتع بالتكيف النفسى الجيد.

٥- البعد التنموى ويتمثل فى الدراسات النفسيه التى تتناول ظاهره نمو الكائن البشرى منذ لحظه الاخصاب فى رحم الأم حتى الممات، وتساعد على التمتع بصحه الحمل والانجاب، وتدرس مراحل النمو من الرضاعه والطفولة والمراهقة والشباب والكهوله والشيخوخه والرشد، وتوضح خصائص النمو ومتطلباته فى كل مرحله.

٦- البعد أو الدور الادارى، توضح الدراسات النفسيه طرق اعداد القاده ورجال الاداره والملاحظين والمشرفين على الأعمال المختلفة بما يكفل الألمام بالجوانب الانسانية والنفسية من فن الاداره.

٧- البعد الأسرى، تصاحب الرعايه السيكولوجيه الانسان فى رحله تكوين الأسرة، منذ لحظة الاختيار الزواجى أى اختيار شريك الحياه على أسس سويه لا مرضيه أو نفعيه، وتوضح الأسباب التى قد تقود إلى المنازعات أو المنغصات أو القلاقل الأسرية، فضلا عن العلاج الأسرى، والارشاد الأسرى، وتوضح هذه المعلومات الطريق إلى السعاده الزواجية.

٨- البعد أو الدور الوطنى، تدعم الدراسات السيكولوجيه مشاعر المواطنه الصالحة

في نفوس النشئ والشباب، وتغرس مشاعر الانتماء الأسرى والوطنى والعربى والاسلامى، وتعمل على تكوين الاتجاهات العقلية الإيجابية.

وحماية الفرد من مشاعر الاغتراب عن المجتمع، وعن الذات ومشاعر العدوان والتزمت والتعصب والتطرف والعنف والارهاب وتكفير المجتمع والسخط عليه وتغرس حب الوطن والرغبة فى الفداء والشهادة.

٩- الدور العسكرى عن طريق تقنيات علم النفس العسكرى، ومحاولة وضع الجندى المناسب فى مكانه المناسب، ودراسة سبل رفع الروح المعنوية للجنود، والالمام بعمليات الادراك وتمويه المنشآت والمعدات العسكرية، وممارسة الحرب النفسية دفاعاً وهجوماً.

١٠- الدور السياسى، ويوضح علم النفس السياسى العوامل والمؤثرات النفسية فى القرار السياسى وفى شخصية رجل السياسة والاحزاب المختلفة وأثر النظم السياسية على اتجاهات الناس- وخاصة أحزاب مثل النازية أو الفاشستية وما إلى ذلك.

١١- البعد أو الدور التعليمى، تستهدف الدراسات النفسية فى الحقل التربوى عن طريق تقنيات ومفاهيم علم النفس التربوى وعلم النفس التعليمى وعمليات القياس والتقويم ووضع الامتحانات، تستهدف زيادة الكفاءة التحصيلية للدارسين وزيادة عائدات العملية التعليمية ومردوداتها وذلك بما تقدمه من شروط للتحصيل الجيد، ومن تفسيره لعملية التعلم، ومعرفة أسبابها والعوامل التى توثر فيها، كالدافعية والميول الدراسية، وقدرات المتعلم، وذكائه، وأعداد المعلم وتوجيه الادارية التعليمية وجهة انسانية وديمقراطية.

١٢- يضاف إلى هذه الأدوار المهنية ان للتخصص فى علم النفس دوره كأى علم آخر يتلقاه المتعلم، فيرفع كفاءته المهنية كالطب والهندسة والزراعة والاجتماع.

فعلم النفس يمد المجتمع بالاخصائى النفسى المؤهل والمدرب، والذى يستطيع أن يعمل فى حقل التدريس، وكأخصائى نفسى فى السجون والاصلاحيات والمدارس والملاجئ والاندية والمصانع والشركات والمستشفيات والعيادات ومراكز التأهيل المهنى ومراكز التدريب المهنى، وفى الشرطة والجيش وفى الاعلام وما إلى ذلك.

وهناك العديد من الدراسات النفسية التى كشفت عن ان تطبيق المبادئ السيكولوجية قد أدى إلى زيادة الانتاج، ونشير فى هذا الصدد إلى أمثلة قليلة جداً منها، دراسة «فان زيلست» على عمال البناء، حيث قسمهم إلى مجموعات صغيرة تكونت وفقاً لرغباتهم فى اختيار زملاء العمل وفقا لما أسفرت عنه دراسته السيسومترية، وأدى تطبيق هذه الاختيارات إلى زيادة إنتاج عمال البناء. ونشير إلى أثر العوامل النفسية والانسانية فى رفع الروح المعنوية أكثر من تأثير العوامل المادية.. ففى أحدى قواعد الطيران كانت هذه الظروف المادية سيئة، ولكن معاملة القائد العسكرى لضباطه كانت جيدة. ولذلك كشفت الدراسة على ان الروح المعنوية عندهم كانت أكثر ارتفاعا من مجموعة أخرى كانت الظروف المادية جيدة، وكان أسلوب معاملة الناس سيئا.

ودراسة أخرى وضحت التأثير النفسى للألوان، حيث شكا عمال حمل مجموعة من الصناديق من ثقلها أزيد من اللازم.. فأمر مدير الشركة بدهان الصناديق بلون فاتح، بعد ان كانت داكنة اللون، وعندئذ شعر العمال بالارتياح وقالوا فعلا.. أن هذه الصناديق أخف من سابقتها، علما بأنها كانت من نفس الوزن.

وفى دراسة أخرى على عمال انحدروا من الريف الامريكى، وعندما دخلوا أحد المصانع المقامة تحت الأرض، والتى كانت مخصصة للإنتاج الحربى، اشتكوا أنهم على وشك الاختناق من قلة دوران الهواء. علما بأن ظروف التهوية كانت جيدة، وكانت المناور موجودة فى كل ارجاء المصنع. فاهتدى مديره إلى فكرة

مؤداها أن وضع على فتحات التهوية شرائط حريرية هفهافة، حركها الهواء فرآها العمال... فقالوا الآن نشعر بالسعادة.. وكانت ظروف التهوية الواقعية واحدة.

الانسان يزداد انتاجه كلما ارتفعت روحه المعنوية، وكلما تحسنت ادارته وأشبعت حاجاته وعلى وجه الخصوص حاجاته النفسية، ولذلك هناك علاقة سببية دائرية بين الروح المعنوية والانتاج، وعلم النفس ولاشك، أداة نافعة فى يد مجتمعنا العربى للإسهام فى اعادة بناء الانسان العربى وصقل مواهبه وتنمية قدراته ومشاعره واتجاهاته وميوله وسمات شخصيته وتنمية مشاعره بالمواطنة الصالحة وحسه العربى.

المراجع

(٢) عبد الرحمن العيسوى، دراسات سيكولوجية، دار المعارف، مصر، ١٩٨٠.

(٣) عبد الرحمن العيسوى، علم النفس الطبى، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٩.

(٤) عبد الرحمن العيسوى، علم النفس القانونى، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥.

(٥) عبد المنعم الحفنى، موسوعة مدارس علم النفس، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٩٥.

(٦) عبد الرحمن العيسوى، العلاج النفسى، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٦.

(٧) عبد الرحمن العيسوى، التخلف العقلى، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ١٩٩٦.

(٨) عبد الرحمن العيسوى، الأمراض السيكوسوماتية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٦.

(٩) لمزيد من المعلومات والتفاصيل حول موضوعات علم النفس ومعالجاته وأسهاماته فى معركة التنمية الشاملة والبشرية بنوع خاص.. طالع مشكورا مؤلفات الباحث فى: علم نفس النمو، علم النفس الاجتماعى، علم النفس المهنى، علم النفس الفسيولوچى، والارشاد النفسى، وباثولوچيا النفس، وعلم النفس الطبى، والقياس النفسى ومناهج البحث فى علم النفس، وعلم النفس الجنائى، والتربوى، والأمراض العقلية والنفسية والصحة النفسية.

هل من مصلحة الأسرة المصرية الحديثة تعقيد روابطها ؟

يثور فى هذه الأيام جدال حول اقتراح ادخال عدد من القيود والشروط على عقود الزواج سواء اكانت هذه القيود والالتزامات تنصب على الرجل ام على المرأة، فانها ليست فى صالح تكوين الاسرة، والتشجيع عل اقامتها وحث الشباب من الجنسين على الاقبال على الزواج، وتكوين الأسرة، وتحقيق الاشباع الحلال، والاستقرار الاجتماعى والنفسى والاخلاقى والاقتصادى للشاب والشابة على حد سواء ذلك يتطلب التيسير لا التعسير والترغيب لا التنفير.

العلاقات الزواجية ، وان كانت تقوم تأسيساً على تعاقد رسمى، الا ان هذا التعاقد تباركه الاديان وتحترمه وتشجعه المجتمعات وتضع مايلزم لصيانته وحمايته وكفالة استمراره.

ولذلك فليست العبرة بتكبيل أطراف العلاقة بسلاسل من القيود والاشتراطات والالتزامات والجزاءات والعقوبات، ذلك لأن مثل هذه القيود تدفع الشباب للخوف من الاقبال على الزواج وإلى العزوف عنه كلية. فهل لنا ان نترك الأسرة وحالها وقد تأخر سن الزواج فى السنوات الأخيرة بسبب صعوباتها واعبائها الثقيلة التى أصبحت تفوق قدرات معظم الشباب، ولذلك زادت نسبة العنوسة بين بناتنا وهو أمر بالغ الخطورة ولا يرضى الرجال ولا النساء. والمفروض ان يسود بين شقى المجتمع الوئام والانسجام والتواد والتعاطف والتماسك والتعاون والاخاء والمودة.

كفى الأسرة ماتعانيه من الغلاء الفاحش ومن صعوبات فى ايجاد المسكن وتأمينه، وفى تعليم ابنائها وما تتكبده من الأعباء الناجمة عن غول الدروس الخصوصية تلك الدروس التى أصبحت تمتص امكانات الأسرة وتجهدها وترهق كاهلها. ويكفى ما تواجهه من صعوبات اذا ما اضطرت إلى العلاج، وقد بلغت تكاليف العلاج بالمستشفيات الاستثمارية ارقاما خيالية وفلكية باهظة.. المطلوب ان تعود الأسرة إلى المودة والمحبة والتكاتف وان نعيد اليها جو الرومانسية المفقودة والتى ضاعت فى خضم المادية البغيضة.

عقد الزواج ليس شبيها بعقود انشاء الشركات الاقتصادية.. وانما هو عقد له خصوصيته وله طابعة الانسانى الصرف. فهو ينظم علاقة مقدسة قوامها، كما تذهب إلى ذلك الثقافة الاسلامية، المودة والرحمة والسكينة والتعاون والأخذ والعطاء والتضحية اذا ما لزم الأمر.. «ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة» الروم ٢١ وقوله تعالى «وجعل منها زوجها ليسكن إليها» الاعراف ١٨٩. لانريد للشاب المقبل على الزواج ان يجد نفسه تطارده الشروط والشروط المضادة وانما نريد له ان يسكن فى رحاب الأسرة.

الزواج علاقة انسانية فى المحل الأول، لابد وان تترك لاطرافها دون وضع قيود تحد من الاقبال على الزواج أو تسبب صراعات حول تنفيذ بنود الاتفاق تكون مثارا للجدل. انما العلاقة الزواجية علاقة انسانية ديناميكية نامية ومتطورة وتخضع لكثير من الظروف والمتغيرات الطارئة. ويجب ان نتركها للارادة الخيرة فى الطرفين.. هب ان زوجا أو زوجة مرضت مرضاً عضالا.. فهل تنفع الشروط والبنود والقيود؟ وليس معنى ذلك الوقوف ضد مصالح المرأة، فالمرأة هى الأم والأخت والأبنة والزوجة ورفيقة مشوار الحياة، ولابد من الاحتفاظ بقدر من التوازن فى هذه العلاقة من الناحية الرسمية. اما الذى نشجعه فى عصر طغيان المادية فهو العودة إلى الرومانسية داخل الأسرة. وتوقيع ظلم على احد أطرافها ليس فى صالح هذه العلاقة فى شئ. فأبسط ما يمكن ان يحدث ان يعزف الشباب عن الزواج وحينئذ تعانى المرأة من العنوسة ويعانى منها أهلها وكل المجتمع. فى الزواج غض للبصر وحفظ للعرض وصون للخلق والتعفف وليس من مصلحة الزواج توسيع قاعدة الطلاق واطلاق يد المرأة لتطلق نفسها إلى جانب حق الرجل فى هذا. مثل هذا الاتساع سوف يزيد من معدلات الطلاق، وليس ذلك فى صالح أطراف العلاقة الزوجية.. واذا كنا نفهم ان المنظمات النسائية تطالب بالحد من انتشار ظاهرة الطلاق فالأولى ان تطالب بالتقليل من فرصها لا ان تزيد قاعدتها ومنحها لأطراف كثيرة. وان كان ذلك لايلغى حقا مقررا للمرأة لتطلب الطلاق

اذا ما وقع عليها ضرر تستحيل معه المعاشرة.

نحن امام دعوة متناقضة الحد من الطلاق وفي نفس الوقت توسيع قاعدته. هذه العلاقة الانسانية في جوهرها الديناميكية في طبيعتها، لايمكن وضع قيود مسبقة على ما سيحدث من ظروف في المستقبل القريب أو البعيد. فقد يرفض زوج ما الآن ان تعمل امرأته، ولكنه قد يوافق على ذلك اذا تغيرت الظروف بعد فترة من الزمن. وليس من مصلحة العلاقات الزواجية ان تسافر المرأة للخارج تاركة زوجها رغم ارادته فاضعف الاحتمالات ان تعود من رحلتها أو اعارتها لتجده وقد تزوج من غيرها. ومسألة استكمال دراستها العليا مسألة إيجابية حقا.

ولكن ماذا لو ان ميزانية الزوج أو الزوجة لاتفي باعباء الدراسة، أو ماذا اذا كانت الدراسة العليا تؤدى إلى إهمال الأم لابنائها الصغار وماذا اذا كانت دراستها العليا تعرضها لاخطار كالسفر وما إلى ذلك.. المسألة يجب ان تترك للظروف وللحالات الفردية ولمشاعر الثقة المتبادلة بين الزوجين والتى تنمو باستمرار المعاشرة الطيبة.. ثم اين طاعة الزوجة لزوجها بالطبع في غير معصية.. ثم اين قوامة الرجال على النساء.. ثم لماذا يلزم القانون الرجل بالانفاق على زوجته اذا كانت تسافر للخارج في اعارة رغم انفه.. هذه العلاقة قوامها الظروف الفردية. ولا يمكن تعميم أحكامها، وفيما عدا مانص عليه الشرع من شروط صحة النكاح السليم من الرضا والعلانية والمهر ومؤخر الصداق وشهادة الشهود. فأمر لاداعى له ولا فائدة منه لا للرجل ولا للمرأة على حد سواء.. لا ينبغى ان نقلد الغرب فيما يذهب اليه لأنه نظام فاشل في هذه الأمور.

كنا نتوقع تصدر التشريعات حاثة على التشجيع على الزواج وتكوين الأسرة وعلى تمكين المرأة ومساعدتها على التوفيق بين عملها وواجباتها داخل أسرتها وذلك بدعم الأسرة ماليا واجتماعيا وثقافيا وروحيا وحل مشاكلها وحماية ابنائها من اخطار باتت تهدد كيان الأسرة كالادمان والعنف والجنوح والتطرف والارهاب والبطالة والفقر والغلاء.

كيفية تحقيق وحدة الجماعة وتماسكها: تطبيق المنهج السيسيومترى:

لاشك أن لوحدة الجماعة أهمية بالغة فى بقاء الجماعة واستمرارها، ونجاحها فى تحقيق رسالتها وأهدافها، وصيانة حقوق أعضائها، وفى صمودها أمام تحديات الخصوم والأعداء والمنافسين وفى نموها وازدهارها وتقدمها. ولذلك تحرص المجتمعات على صيانة الوحدة الوطنية أو التماسك الإجتماعى وكفالة الحماية للبناء الإجتماعى أو التضامن والتكافل والتساند بين أفراد الجماعة، وذلك حتى تقوى الجماعة على تحقيق أهدافها والارتقاء بأعضائها وأشباع حاجاتهم. ولاشك أن فى الإتحاد، كما يقولون، **قوة**. وفى التناحر والتخريب والانقسام والتشرذم والتمزق ضعف وخور وهوان. وماينطبق على الجماعات صغيرة الحجم ينطبق على المجتمع الأكبر ومن هنا كان حرص القادة والزعماء ورجال الاصلاح دائما على تحقيق التماسك الإجتماعى والوحدة والإتحاد بين طوائف المجتمع أو داخل الجماعات الصغيرة.

ولذلك اهتم علم النفس الحديث بقياس مبلغ تماسك الجماعة ووحدتها واتحادها وتضامنها وترابطها، وكذلك اهتم علم النفس بقياس مبلغ التفاعل أو التعاون الإجتماعى ومقدار مايوجد بين أفراد الجماعة من تماسك ومن تعاون ومن أنشطة مشتركة[1].

وإذا كانت الجماعات الصغيرة متحدة، ساعد ذلك على وحدة المجتمع الأكبر وتماسكه. ومن الوسائل المستخدمة فى التعرف على وحدة بنيان الجماعة وتماسكها وترابطها وقيام علاقات إيجابية أو سالبة بين أعضائها مايعرف **باسم المنهج السيومترى**، فكيف يمكن تطبيقه، وماهى فوائد هذا التطبيق، وكيف يمكن تحقيق الإنسجام والوئام والوفاق والترابط والإلتصاق والإلتحام والإتحاد بين أفراد الجماعة؟

المنهج السسيومترى والتعرف على وحدة الجماعة:

لمعرفة بناء الجماعة أو تركيبها، ومعرفة العلاقات الداخلية، يطبق علماء

النفس المنهج السسيومترى، ومن خلاله يتضح مبلغ تماسك الجماعة أو انقاسمها، أو وجود اقليات أو أحزاب داخلية بينها. ولقد ابتكر هذا المنهج عالم النفس مورينو بقصد قياس العلاقات الإجتماعية داخل الجماعات المختلفة أو مبلغ ماتمتاز به الجماعة من التنظيم وذلك عن طريق معرفة اختيار الفرد لزملائه الذين يرغب فى العمل معهم أو الاستذكار معهم أو الإقامة بجوارهم فى المسكن أو الذهاب معهم فى رحلة أو الإشتراك معهم فى تناول الغذاء أو تبادل معهم الكتب والمذكرات أو غير ذلك من وجوه النشاط الجماعى.

وفكرة هذا المنهج فى غاية البساطة، فهب أننا أردنا أن نتعرف على طبيعة العلاقات القائمة بين مجموعة من التلاميذ داخل قاعة الدروس، فإننا نستطيع أن نتعرف على هؤلاء التلاميذ الذين يرغب كل طفل فى الجلوس بجوارهم، حيث نطلب من كل طفل أن يحدد لنا أسم زميله الذى يرغب فى أن يجلس بجواره عندما نعيد ترتيب الجلسات داخل قاعة الدرس، وبذلك نتعرف على الأطفال الذين يرغب عدد كبير من الأطفال فى الجلوس بجوارهم، وهؤلاء يطلق عليهم مصطلح «النجوم» ونتعرف أيضا على التلاميذ الذين لايرغب أحد فى الجلوس بجوارهم، ويطلق على هؤلاء الأطفال مصطلح «المنبوذين» وفى نفس الوقت نطلب من الأطفال أن يوضحوا أسماء الذين يرغبون فى تحاشى الجلوس بجوارهم. وبذلك نتعرف على «المكروهين». وكما نتعرف على الذين يرغب الجميع فى الجلوس بجوارهم والتعرف على الذين لايرغب أحد فى الجلوس بجوارهم، نتعرف كذلك على الذين يحتلون منزلة وسطية بين رفض زملائهم لهم وقبولهم لهم(٣).

ويتعين أن تكون الأنشطة التى تستخدم فى هذا النمط من القياس أنشطة واقعية فعلية، وليست خالية، فلانسأل الطلاب مثلا: مع من ترغب فى السفر إلى القمر أو إلى المريخ؟ لأنها خيالية وبالتالى لن تكشف عن الطبيعة الواقعية لما يقوم بين التلاميذ من علاقات انجذاب أو تنافر، وعلى ذلك يمكن أن تتضمن الأنشطة المشاركة فى الجلسة أو الرحلة أو تبادل الزيارات المنزلية أو الاستذكار معا أو

الانضمام لنفس الجمعية الطلابية أو حضور حفلات عيد الميلاد وما إلى ذلك من الأنشطة الواقعية.

ولكى تكون اختيارات التلاميذ حرة وصريحة ومعبرة عن الواقع وصادقة، ينبغى أن نوفر لهم جوا من السرية التامة فى أثناء عملية الاختيار حتى لايتعرضون للاعتداء من الأطفال الأقوياء أو العدوانيين الذين يرفضهم بقية الأطفال أو حتى لايشعرون بالخجل من رفض زملائهم.

والطريقة العملية تخلص فى تفريغ هذه الإستجابات فى رسم توضيحى يشمل جميع أطفال قاعة الدرس، بحيث يمثل كل منهم بدائرة يكتب أسمه فى داخلها، ويخرج من دائرة الطفل سهم يتجه إلى دائرة الطفل الذى اختاره هذا الطفل للجلوس بجواره مثلا، ويطلق على هذا الرسم مصطلح «السسيوجرام» ويمثل طبيعة العلاقات الإجتماعية القائمة بين المجموعة، كما يوضح بناء الجماعة أو تركيبها، وعما إذا كانت متماسكة، وعما إذا كانت تشكل مجموعة واحدة ام أنها تتكون من تكتلات وأحزاب فرعية، أى أن بها أقليات منعزلة، كما تكشف لنا هذه الدراسة عن الأطفال النجوم والمنبوذين وعن الأطفال الهامشين والمرفوضين من الجميع(٤).

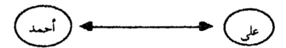
ويدل فحص صفحة السسيوجرام على وجود نماذج متعددة من العلاقات.

النماذج المختلفة للعلاقات الإجتماعية القائمة بين أفراد الجماعة:

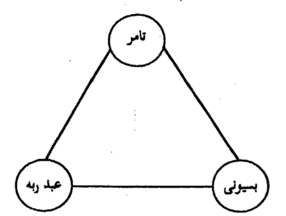
يكشف تحليل هذه العلاقات عن النماذج الآتية:

١- المنعزلون: وهم الذين لايرغب أحد فى مشاركتهم أى الذين لايقبلهم أعضاء الجماعة فليس لهم إتصالات أو علاقات وثيقة بالجماعة، وبالتالى ليس لهم تأثيراً أو نفوذاً على الجماعة.

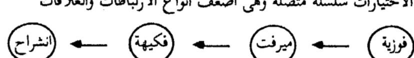
٢- العلاقات الثنائية أو الزوجية: ويوجد بين كل زوج من الزملاء علاقات متبادلة أو إختيارات متبادلة أو جاذبية متابدلة كأن يختار أحمد عليا ويختار على أحمد



٣- العلاقات التى تتخذ شكل المثلث: وهى الجماعة الثلاثية المكونة من ثلاثة أفراد بمعنى اختيار كل منهم الآخر.

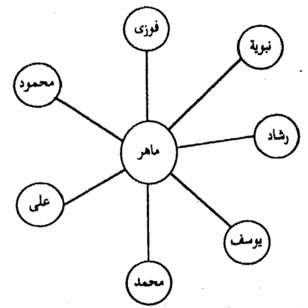


٤- علاقات السلسلة: وفيها يختار كل فرد الفرد الذى يليه بحيث تكون هذه الاختيارات سلسلة متصلة وهى أضعف أنواع الارتباطات والعلاقات



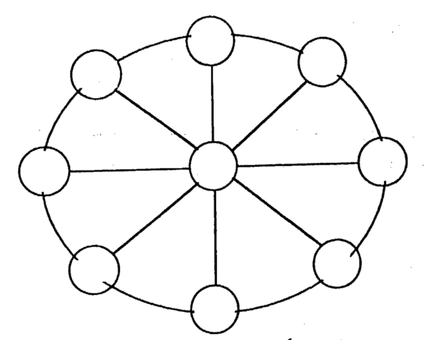
حيث لايعرف العضو منهم أحدا سوى العضو المجاور إذا إنقطعت العلاقة بين عضوين انقسمت السلسلة.

٥- علاقة النجمة حيث تتركز الإختيارات فى شخص واحد يربط بين عدد كبير من الأعضاء ويمثل هو النجم ويصلح لقيادة الجماعة وتتخذ العلاقة هذا الشكل.



ويمثل «النجم» حلقة الوصل بين الجماعة وهو الذى يقوم على ربطها.

٦-العلاقة الشبكية: وتمثل أقوى أنوع العلاقات وأوثق الروابط وأكثر الجماعات إتحادا وترابطا والتصاقا وتماسكا.



حيث يختار كل من أعضاء الجماعة عددا من زملائه ويختاره هو عدد آخر،

وتتشابك وتتداخل وتترابط العلاقات وتدل على أن الجماعة متماسكة، وأنها جماعة واحدة لاتحزب ولاتشرذم ولا اقليات وتكتلات فرعية فيها.

إذا أجرينا هذه الدراسة على جماعة ما ماهى الفوائد التطبيقية العملية من وراء هذا التطبيق

الجوانب التطبيقية للدراسات السسيومترية:

يمكن الإستفادة من النجوم فى قيادة الجماعة وتوجيهها والتأثير فيها كما يحدث فى تعيين رؤساء وملاحظين العمال أو أعضاء النقابات والإتحادات العمالية والمهنية والمشرفين على الطلاب فى تنظيم الحفلات والرحلات والعمد والمشايخ ومشايخ الخفراء ورجال الدين فى القرية. أما المعزولون والمنسحبون فيمكن دراسة الأسباب التى أدت إلى انعزالهم وعلاجها وإذا تعذر تكيف الطفل فى وسط هذه الجماعة أمكن نقله إلى فصل دراسى آخر أو لجماعة أخرى يكون أكثر توافقا معها. وبالمثل يمكن إزالة أسباب عزلة جماعة الأقليات والعمل على دمجها فى الجماعة الأم. وكذلك يمكن، فى ضوء التعرف على رغبات أفراد الجماعة، إعادة تنظيمها وتكوين جماعات عمل فرعية تكون أكثر انسجاما ووئاما وتوافقا مع بعضهم البعض. ولقد تم ذلك فعلا فى حالات كثيرة، فبدلا من تقسيم العمال تقسيما تعسفيا من سلطة عليا خارجية،إلى جماعات عمل صغيرة كما هو الحال فى أعمال البناء، ثم تحقيق رغباتهم وبذلك زاد الإنتاج وإنخفضت تكلفته.

ويتوقف نشاط الجماعة على المكانة السيسومترية التى يتمتع بها الفرد، فالمنعزلون سوف يفرون أو يهربون من الجماعة عندما تتعرض الجماعة لضغط أو تهديد خارجى، وسوف ينفرط عقد الجماعة بناء على ذلك. أما الجماعات التى تقوم بين أعضائها علاقات «شكبية» فإنها تصمد أمام التحديات والضغوط التى تتعرض لها الجماعة وتتولى الدفاع عن الجماعة. أما علاقة النجمة فإنها تدور حول شخص زعيم أو قائد واحد، فاذا سافر أو مات أو اختص من مسرح الجماعة

انهارت وتفككت لأنه محورها ومركز تجمعها وروابطها، حيث يلتف حوله جميع أعضاء الجماعة. وكلما زاد عدد الأعضاء الذين يختارون شخصا معينا كلما زاد تأثير على الجماعة، ويزداد عدد الأعضاء الذين يختارون شخصا معينا كلما زاد تأثيره على الجماعة، ويزداد هذا التأثير إذا كانوا هم أيضا بدورهم من الأشخاص المحبوبين أى الذين اختارهم أعداد كبيرة من الأعضاء، وهنا يستطيع أن يمارس هو تأثيرا كبيراً فى الجماعة عن طريق هؤلاء الأتباع الأقوياء. فليست العبرة بعدد الأفراد الذين يختارون شخصا ما، ولكن العبرة بمراكزهم ونفوذهم ومبلغ تأثيرهم هم أيضا على الجماعة أى مبلغ تمتعهم بحب الجماعة. أما إذا إختار الفرد أشخاص غير محبوبين فإنه لايمارس تأثيرا يذكر على سلوك الجماعة وعلى نشاطها.

وفى الجماعات التى تقاد قيادة دكتاتورية تتخذ العلاقة فيها شكل «النجمة» حيث يسعى الأفراد إلى التقرب من القائد تحاشيا لشروره أو عقابه أو طمعا فى الحصول على مكاسب منه.

ويسهم المنهج السسيومترى هذا فى دراسة ظواهر نفسية وإجتماعية أيضا كثيرة منها القيادة أو الزعامة والروح المعنوية والعمل والإنتاج وحل مشاكل الأقليات، وعما إذا كانت القيادة فردية أم جماعية، أى أن هناك كوادر أو مستويات مختلفة من القيادات داخل الجماعة.

ويشترط لنجاح هذا المنهج أن يكون أفراد الجماعة قد قضوا فترة معقولة على بداية تعارفهم، إذ لايجدى هذا المنهج إذا كان الأعضاء لايعرف بعضهم بعضا معرفة كافية، بحيث يختار الفرد من يرغب فى مشاركتهم، كذلك لايصلح هذا المنهج إلا مع الجماعات صغيرة الحجم حتى يضمن الباحث معرفة بعضهم بعضا.

هذا ويختلف المركز السسيومترى للفرد الواحد من مجال إلى آخر ، فقد

تختار شخصا معينا كى تلعب وتمرح معه، ولكنه مثير للشغب بحيث لايصلح للاستذكار معه. علما بأن مركز الفرد السسيومترى ليس ثابتا ثباتا مطلقا، فقد يكون الفرد منعزلا فى أول العام، ويصبح فى آخره متكيفا ومحبوبا، والعكس قد يكون صحيحا. وتصلح هذه الدراسة أكثر ماتصلح فى إعادة تنظيم الجماعات فى مؤسسات رعاية الأحداث والمعاقين وفى المدارس الداخلية. ومن قبيل الإستفادة من النجوم إستفادة رجال الشرطة والقادة من رجال الدين فى القرية أو المدينة، ومن شيوخ القبائل ونقباء العمال. وإذا كان وجود الفرد وسط جماعة ما معوقا لنمو قدراته وظهور مواهبه، فأنه ينقل إلى جماعة أخرى. وإذا تحققت الرغبات السسيومترية، فإن العمال ترتفع روحهم المعنوية ويزداد إنتاجهم وتقل تكلفته ويشعرون بمزيد من التكيف والرضا والتماسك.

ومن أشهر الدراسات فى هذا الصدد دراسة فان زيلست على عمال البناء والنجارين، وكلما إنخفضت الروح المعنوية بين أفراد الجماعة كلما كانت الإختيارات الإيجابية قليلة والسالبه كثيرة، كما يمكن معالجة الانشقاق أو التصدع داخل كيان الجماعة.

ولقد طبق لوميس هذا المنهج لمعرفة التركيب أو البناء الإجتماعى لسكان قرية صغيرة حيث حسب عدد مرات الزيارات وتناول الوجبات معا وتبادل الآلات الزراعية ومقدار الوقت الذى يقضيه القروى مع زميله وكشفت هذه الدراسة عن نمط التفاعل بين أفراد الجماعة. فالعلاقات السسيومترية جديرة بالتنمية والرعاية لتكون النواة الطيبة فى تدعيم الوحدة الوطنية والتماسك الإجتماعى والإخاء الإجتماعى المنشود.

المراجع

(١) عبد الرحمن العيسوى، دراسات فى علم النفس الإجتماعى ، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٢ .

(٢) القياس والتجريب فى علم النفس.

(٣) العلاج النفسى.

(٤) الارشاد النفسى.

(٥) علم النفس السياسى والاقتصادى.

تنمية الضمير البيئى

أهمية البيئة للحياة المعاصرة :

لانقول أن البيئة Environment ذات أهيه بالغة لحياة انسان العصر وصحته وحسب، ولكنها ذات أهمية لكافة الكائنات الحية التى تشاركنا المعيشة فوق هذا الكوكب، من طيور واسماك وحيوانات برية ومائية، ومزروعات وفاكهة ومحاصيل وأشجار وغابات ومحميات وأحراش وحشائش خضراء ومراع.

بل ان التلوث خطر حتى على الجمادات، فعوامل التعرية وتلويث البيئة تنال من الآثار الجامدة، وتصيبها بالتحلل والانهيار كما هو الحال مع تمثال أبو الهول العظيم اذ يخشى عليه من اضرار تلوث الهواء. ولم يلحق التلوث Pollution بكل مظاهر الحياة فوق سطح الأرض ومائها وهوائها.. بل تعدى ذلك وتسرب لينال من نقاوة المياه الجوفية فأصابها بالتلوث والسموم والاملاح الزائدة فأصبحت غير صالحة للاستعمال(١).

فعلى أساس من نقاء البيئة وصفائها وطهارتها وخلوها من الملوثات يحيا الانسان، ويتمتع بالصحة الجسمية والعقلية والنفسية الجيدة، ومثله فى ذلك عالم الحيوان والأسماك والمحاصيل الزراعية وكل مايوجد من مصادر الخير والنماء على سطح هذا الكوكب الذى امرنا الله بان نكون خلفائه فى عمارته وليس تخريبه.

الانسان يصاب بالأمراض الجلدية، وأمراض الحساسية، والفشل الكلوى، وبالأمراض القلبية، ويتعرض لعدوى الجراثيم الفتاكة، ويصاب بالأمراض الصدرية وأمراض الجهاز التنفسى. بل ان جميع أجهزة جسم الإنسان تتأثر بالبيئة كالجهاز الهضمى والتنفسى والدورى والجلدى والتناسلى والعصبى. وكثير من الأمراض السيكوسوماتية Psychosomatic disorders تنتج من تلوث البيئة(٢).

ولا تمكن أهمية البيئة فقط فى تعرض حياة الإنسان للأمراض والموت، بل

البيئة هي التى توفر له الهواء النقى، والمياه الصالحة، وتمده باللحوم والأسماك وكافة المأكولات النظيفة. ولذلك لم يعد كافيا ان يحافظ الإنسان على سلامة البيئة من التلوث والتخريب، والتدمير، وللاستنزاف، والتحطيم، وانما بات من المؤكد ان عليه ان يعمد إلى تحسين البيئة وتجميلها وتطهيرها وحسن استغلالها واستثمارها الاستثمار الأمثل، بحيث يستخرج من باطنها ومن مياهها وسمائها كل مايوجد بها من خيرات ومنافع ونفائس. ويدخل فى ذلك مشاريع استثمار البيئة والاستفادة منها إلى أقصى حد مستطاع.

وكذلك لم يكن غريبا ان يشعر الإنسان، حين يصحو ضميره، ان البيئة ان هى الا **«الرحم»** الذى يتربى فيه ويترعرع، وهى **«الحضانة»** التى نرى من خلالها الحياة النقية وهى «الأم الحنون» التى تحتضن الجميع بلا تمييز بين غنى وفقير أو قاص ودان. الكل سواء فى معاشرة البيئة والارتماء فى أحضانها والتفاعل واياها interaction ولم تعد قضية البيئة تهم دولة بعينها أو شعب بعينه، وانما هى **الميراث** المشترك الذى يورثه بنى الإنسان فى كل مكان من أقصى المعمورة إلى أقصاها.. هى الملكية العامة الوحيدة. فما يصيب البيئة فى أقصى بلاد العالم ينتقل أثره إلى كل مكان. التلوث البيئى لايعرف حدود المكان، فالرياح والمحيطات والانهار تنتقل الملوثات من مكان لآخر، والعدوى تعبر كافة الحدود وبلا قيود ولا «جمارك».. ومن هنا أصبحت البيئة، بحكم مبالغة الإنسان فى الاساءة إليها، أصبحت أهم عنصر من عناصر حياة الإنسان فى الوقت الراهن.

ومن المؤسف ان نلاحظ ان أرقى وأغنى دول العالم هى أكثرها اساءة إلى البيئة، بما تقيمه من صناعات ينبعث منها الأدخنة والأبخرة والغازات والاشعاعات النووية، وغير النووية. ومواد التلوث الصلبة، الأمر الذى أدى إلى حدوث ثقب فى طبقة الأوزون فى الغلاف الجوى وظهور ظاهرة الأمطار الحمضية وإلى ارتفاع درجة حرارة الجو(٣).

الأمراض الناجمة عن التلوث البيئي لا تفرق بين الإنسان والحيوان.. فهناك طائفة كبيرة جداً من الأمراض المشتركة Common diseases التي تنتقل من الحيوان إلى الإنسان والعكس صحيح. ومن هنا كانت ضرورة الاهتمام بالإنسان والحيوان على السواء.

الإنسان ودوره في تلويث بيئته:

وعلى الرغم من ان الإنسان هو المستفيد الأول من طهارة ونقاء ونظافة وجمال البيئة، الا أنه يعد المصدر الأول لتلويثها وتخريبها وتحطيمها وتدميرها واستنزاف خيراتها والاساءة اليها. وكأن هناك «علاقة عداء وخصومة» بين الإنسان وبين محيطه أو وسطه أو حضانته التي يتنفس من خلالها ويتغذى على خيراتها. الإنسان هو الملوث الأول للبيئة، فهو الذى يقطع الغابات، ويصطاد الحيوانات النادرة، ويسرف فى استنزاف موارد الطبيعة، وهو الذى يسد المجارى المائية ويلقى فيها بالفضلات والعوادم، ويقذف فى مجارى المياه العذبة بحيواناته النافقة، وهو الذى يدير المصانع التى تعبق الاجواء بالأبخرة والأدخنة السوداء القاتلة والتى تصب عوادمها الكيميائية والصناعية فى مجارى الأنهار. والانسان هو الذى يملأ الشوارع بالفضلات والنفايات وبقايا استهلاكه، ولا يحرص على رفعها. وهو الذى يقيم المصانع والشركات والقمائم المخصصة لصناعة الطوب، ولكنها تلوث المنطقة التى توجد بها. والانسان هو الذى يلوث البيئة الزراعية بما يستخدمه من مبيدات حشرية محظور استعمالها، وهو الذى يروى مزرعاته بمياه الصرف الصحى الملوثة، وهو الذى يدفعه الطمع فى محاصيل أكبر حجما وثمار أضخم إلى حقن الأشجار والحيوانات بالهرمونات المحرمة أو يغذى ماشيته وطيوره الداجنة بالدم والعظام الملوثة والتى كان من جرائها انتشار مرض جنون البقر.

وحتى على المستوى الشخصى وفى حياتنا المنزلية، الانسان هو الذى يلوث المكان الذى يعيش فيه فهو الذى يتسبب فى سد مجارى الصرف الصحى

والأحواض والمغاسل والحمامات. وفى القرى هو الذى يقضى حاجته فى المجارى المائية أو على ضفافها. وهو الذى يترك القوارض والحشرات ترعى فى منزله، وهو الذى يحرم منزله من دخول الهواء والشمس. وهو الذى يستحم هو وماشيته فى الترع والرياحات والأنهار. والمرأة هى التى تغسل الأوانى الملوثة فى المجارى المائية. الانسان هو الملوث الأكبر للبيئة وإن كان ذلك؛ لايمنع ان الطبيعة قد تشاركه قليلا فيما تصدره من الرياح والاعاصير والبراكين والزلازل والانهيارات الأرضية ومن تطاير حبوب اللقاح من بعض الأشجار، ولكن ذلك لايقاس بما يحدثه الانسان من تدمير سواء كان ذلك عمدا أو اهمالا للبيئة التى يعيش فيها. والانسان هو المسئول عن الاستغلال الجائر والمسرف فى مصادر الثروة وهو الذى يعمد إلى اخذ مايزيد عن حاجته، وهو الذى يصطاد الأسماك الصغيرة ويذبح اناث الحيوانات الصغيرة ويشترى السلع ويخزنها ويحرم رفقائه فى المواطنة من نصيبهم فيها.

ولذلك كانت تربية الانسان من الأهمية بمكان، ومهما بلغت شدة الردع القانونى، وانزال العقاب، فان ذلك كله امر مطلوب، ولكنه لايكفى، حيث لايمكن ان نعين حراسا للانسان يصاحبونه حتى داخل مسكنه، فهو يلقى بما يسد المراحيض والأحواض ويطلق صنابير المياه مفتوحة. وقد لا يهتم بالشروط الصحية وأساليب النظافة والطهارة فى منزله الخاص. فلقد صدر قانون حماية البيئة رقم (٤) لسنة ١٩٩٥ ولكنه غير كاف.

صدرت التشريعات التى غلظّت من عقوبة الاساءة إلى البيئة، ولكن هذا لا يكفى وحده، فضلاً عن التراخى فى تطبيق أحكام القانون، فلابد اذن من تنمية ضمير الفرد نفسه كى يكون حارسا امينا لبيئته وحتى ينبع الحرص من داخل ذاته.

دور الضمير الاخلاقى فى حماية البيئة:

الضمير الاخلاقى Conscience هو القوة الداخلية الذاتية أو الملكة Faculty التى يتمكن الانسان من خلالها من اصدار الأحكام الاخلاقية الصائبة فى القضايا الاخلاقية Moral issues القوة التى تساعد الفرد على اصدار الحكم بالحلال والحرام والصواب والخطأ والطيب والخبيث والطاهر والفاسد والضار والصالح والخير والشر فى نطاق امكانات الانسان باعتباره بشرا(٤). ولقد كان الفكر الفلسفى قديما يعتبر الضمير ملكة فطرية innate أو ملكة غرسها الله تعالى فى الإنسان divinely implanted اما مدرسة التحليل النفسى فرأت ان هذا الضمير يتكون فى الانسان منذ نعومة اظفاره فى ثنايا سنى الطفولة الباكرة، وذلك عن طريق وسائل وأساليب دينوية بيئية. واطلقت مدرسة التحليل النفسى على هذه الملكة اصطلاح الذات العليا أو الانا الأعلى superego. وتعرف هذه الملكة عن طريق ما تقوم به من وظائف ومهام functions. وضمير الانسان هو مستودع مجموعة من القيم الاخلاقية moral values والمثل والمعايير والقواعد الاخلاقية(٥). فمن حسن الطالع ان **الضمير قوة داخلية ذاتية مكتسبة** ومتعلمة من جراء التفاعل والاحتكاك والتعامل مع البيئة المحيطة بالفرد. ولذلك فهو محصلة مايلقاه الفرد من الأوامر والنواهى والتعليمات والارشادات والهدى والتوجيهات والنصائح والتى توضح له الخطأ من الصواب والحلال والحرام فى كل ما يقوم به من أنشطة.

ومن هنا تبدو أهمية دور الآباء والأمهات والكبار عامة فى تكوين ضمير الانسان، ولذلك يقال ان **الضمير الاخلاقى هو البديل عن الآباء**. فى بداية حياة الطفل لايقوى على التفرقة بين الصواب والخطأ. وعندما يأخذ الآباء فى توجيه نظره إلى ماهو حلال وماهو حرام، فانه يعمل الحلال فقط لأنه يرضى الآباء ولايثر غضبهم، ومن ثم عقابهم. ويظل الطفل على هذا الحال يتلقى الأوامر والنواهى حتى ينضج عقليا واخلاقيا واجتماعيا ويصبح قادرا على ممارسة عملية

امتصاص أو التشيع بقيم الآباء واستدخالها أو استدماجها فى كيانه وفى ذاته فتصبح قيم الآباء جزءا لايتجزأ من كيانه الشخصى، وتصبح قيمه ومثله هو وذلك عن طريق عملية عقلية لا شعورية هى عملية الامتصاص[٦]. يقوم الطفل بعملية استدخال أو استدماج أو امتصاص internalization حيث يكون قيمه الداخلية أو يمتصها ويكتسبها ويتعلمها introjection وكأن الطفل قد ألقى بقيم الآباء إلى داخله إلى أعماق ذاته أى امتصها absorption واستوعبها وهضمها وتمثلها من العالم الخارجى المحيط به، وبدلا من الخوف من قوى الردع الخارجية الممثلة فى الشرطة أو رجال الأمن أو القضاء تصبح قوى الردع عنده داخلية ذاتية. فيخاف من الحرام حتى فى غيبة السلطة الخارجية الرادعة وحتى عندما يكون واثقا من ان امره لن ينكشف، ولن يخضع لطائلة العقاب الخارجى. ومعنى ذلك قيام الطفل بعملية تقمص أو توحد مع قيم الآباء identification.

ماهى وظائف الضمير الاخلاقى؟

وللضمير أهمية بالغة فى توجيه سلوك صاحبه نحو الخير والنفع العام والصالح العام. ويميز العلماء وظيفتين للضمير الأولى[١] وظيفة الردع أو انزال العقاب بصاحبه اذا ما ارتكب اثما أو معصية أو جرما أو خطأ أو خطيئة. وينزل الضمير العقاب فى شكل شعور صاحبه بوخز الضمير أو تأنيب الضمير ولوم الذات وتعنيفها وما يسببه ذلك من أرق وألم وندم. وهنا يشبه عمل الضمير الاخلاقى عمل **«القاضى الذاتى الداخلى»** الذى يحاسب صاحبه على كل كبيرة وصغيرة.

وللضمير الاخلاقى وظيفة أخرى هى منع وقوع الخطأ قبل حدوثه، حيث يمنع الانسان من الاذعان لما تسوس له به نفسه أو من وساوس الشيطان واغراءات المادة أو الجنس. وتشبه هذه الوظيفة دور **«رجل الشرطة الداخلى»** حيث يمنع الجرائم قبل حصولها، أو تشبه وظيفة الرقيب أو رجل الجمارك الذى يحول دون

دخول الممنوعات إلى داخل البلاد. ولذلك يكف صاحب الضمير الحى والوخاز عن السرقة أو الزنا أو افساد البيئة أو الكذب أو الارتشاء أو الاختلاس، حتى وان كان واثقا من ان أمره لن ينكشف. الضمير هو قوة القيادة والتوجيه فى السلوك الانسانى، ولذلك وجب توجيه ضمير الانسان على الشعور بالصواب والخطأ أو الحلال والحرام أو الضار والنافع، واذا تربى على الايثار وتفضيل مصلحة المجموع وعلى الرحمة والشفقة والعدل والانصاف والمساواة، فانه لن يؤذى البيئة التى يعيش فى وسطها وبالتالى لن يتسبب فى ايذاء غيره من ابناء جلدته دون ذنب منهم.

واذا كان الانسان الفرد هو المسئول عن البيئة، فى المحل الأول، واذا كان هو مصدر تلوثها الأول أيضاً، واذا كان الانسان هو المستفيد وهو الهدف من اصلاح البيئة وجمالها وثرائها وغناها، فانه لامفر من ضرورة تنمية ضميره البيئى كى يشعر بالبيئة وبقيمتها وبأثرها عليه وعلى غيره وكى يقيم مصالحة بينه وبين البيئة. فكيف السبيل إلى ذلك؟ كيف يحب الانسان بيئته ويحرص على سلامتها ونظافتها وطهارتها وخلوها من الملوثات والعوادم والنفايات والجراثيم والاقذار والاوساخ.. كيف؟

كيفية تنمية ضمائر الناس:

نقول ان تربى ضمير الانسان وأصبح ضميرا حيا وخازا يقظا، فانه يقود صاحبه إلى العمل الصالح فى كل مجالات الحياة، وليس حيال البيئة وحدها. فعلاج ضمائر الناس التى غابت فى هذه الأيام، يساعد على تطوير نوع الحياة عموما والارتقاء بها وحمايتها من شرور الجريمة والزنا والفساد والتسيب والفوضى والاغتصاب وهتك العرض والادمان والتطرف والارهاب والاستغلال والضلال، ذلك لأن الضمير هو القوة المحركة فى الانسان نحو الخير والابتعاد عن الشرور والرذائل والمعاصى والآثام، وعن الخبث والخبائث والضلال والاهمال والعنف وما إلى ذلك من الأمراض التى باتت تنخر فى كيان المجتمع نخر السوس فى العظام.

هناك أساليب متعددة تسهم فى تنمية ضمير الفرد الاخلاقى منذ نعومة اظفاره وحتى نهاية الحياة. بل ان كل مظاهر الحياة ومناشطها من الممكن ان تصب فى تنمية هذا الضمير. ومن الناحية السيكولوجية تسهم عملية الامتصاص لقيم الآباء والامهات والكبار عامة فى نمو الضمير. كذلك فان توفير القدوة الحسنة ideals توفر فرصة طيبة أمام الفرد للتقليد imitation والأكثر عمقا من التقليد التقمص أو التوحد identification لشخصية يحبها الانسان ويتمثل بها فيعتنق سلوكياتها فى الحفاظ على البيئة وغيرها من وجوه السلوك الطيب.

ومن وسائل تربية أبناء المجتمع الاعتماد على فكرة التعزيز reinforcement بمعنى منح الانسان المكافآت والجوائز والتقدير المعنوى والاستحسان كلما أتى بالسلوك الطيب المرغوب فيه، ويؤدى ذلك إلى عودته لممارسة نفس هذا السلوك الإيجابى، ومن ثم يثبت فى خبرته. وهناك نوع آخر من التعزيز وهو التعزيز السلبى Negative reinforcement ومؤداه توقيع الجزاء أو العقاب أو الروع أو اللوم على الفرد كلما أتى سلوكا محرما أو خاطئا أو ضارا بصحة البيئة التى يعيش فيها ومن ثم يكف عن ذلك السلوك. ويؤكد أثر ما يحصل عليه الفرد من جزاء طيب فى تدعيم وتثبيت سلوكه الايجابى مايعرف باسم قانون الأثر Law of effect بمعنى ان السلوك الذى يؤدى إلى شعور الانسان بالسعادة والرضا والارتياح والاشباع، يميل إلى تكراره فى المواقف القادمة. ومن هنا تلعب الجوائز وشهادات التقدير والمكافآت دورا هاما حينما تمنح لأكثر الشوارع أو الاحياء أو المدن نظافة أو لأكثر الفلاحين حفاظا على البيئة الزراعية أو لأكثر المصانع تمسكا بمبادئ البيئة النظيفة.

ولرجال الدين والوعظ والارشاد والدعوة والفكر دور هام جدا فى غرس القيم فى حس أبناء المجتمع وضمائرهم ووجدانهم وارهاف هذا الحس الاخلاقى وتنمية الضمير الواعى اليقظ(٨). والتراث الاسلامى الخالد حافل بكل معانى قيم الطهارة والعفة والنظافة والهدوء والسكينة واماطة الاذى عن الطريق واتباع آداب الطريق

وغض البصر وعدم الاسراف فى تناول الغذاء وعدم الاسراف فى استهلاك الطاقة واطفاء الأنوار عند النوم وغلق الأبواب وتغطية الأطعمة ونظافة البيوت والمساجد والطرقات وتعمير الكون وزراعة الفسائل والنباتات والعناية بالنخيل والطيور والحيوانات والرحمة والشفقة بها. ونبذ العنف والدعوة للرفق بالبيئة وعدم الاسهام فى نقل العدوى من بلد ينتشر فيه الطاعون أو الجذام أو الوباء إلى بلد آخر[٩].

ومحافظة الانسان على نفسه وعلى صحته لقوله تعالى **«ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة»** البقرة ١٩٥ حتى لا يسئ الانسان إلى بيئته، ومن ثم يعرض حياته لخطر الهلاك. وتقديرا لدور المياه ومن ثم وجوب المحافظة على المصادر والمجارى المائية نظيفة نقية طاهرة قوله تعالى **«وجعلنا من الماء كل شئ حى»** الانبياء ٢٠.

والمفروض ان يقتنع الانسان بوجوب **«عقد مصالحة»** واقامة علاقة ود وصداقة وتآخ بينه وبين بيئته لقوله تعالى **«ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش»** الاعراف[١٠]. فالبيئة هى مصدر غذاء الانسان وأساس لحياته كلها.

والاساءة إلى البيئة معناها الاساءة إلى كل أبناء المجتمع بل إلى كل البشرية وهو أمر منهى عنه لقوله تعالى: **«والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما بينا» الاحزاب ٥٨.**

وفى الاثر الاسلامى الخالد وفى الهدى النبوى المطهر خير عاصم من الزلل والاجرام ضد البيئة. فلقد نهى رسول اللهﷺ عن الطغوت فى طريق الناس أو فى ظلهم أو فى موارد المياه ونحوها ونهى ان يبال فى الماء الراكد كما نهى عن البصاق فى المسجد.

ويتم تنمية الضمير ضمن عملية كبرى هى عملية التنشئة الاجتماعية so-cialization والمفروض ان تكون عملية شاملة للتطبيع الاجتماعى والاخلاقى والروحى والوطنى والقومى والاسرى والمهنى والسياسى. ومن خلال هذه العملية يتم غرس قيم المجتمع ومثله ومعاييره وانماط السلوك فيه وفلسفاته وعقائده ومبادئه، غرسها فى حس الفرد ووجدانه وعقله، بحيث تصبح جزءا لا يتجزأ من

كيانه الشخصى، وبذلك تحيل هذه العملية أى التطبيع الانسان من كونه كائنا حيويا أو بيولوچيا يأكل ويشرب وينام ويخرج، إلى كائن اجتماعى انسانى يتكيف مع المجتمع الذى يعيش فى كنفه ويمثل to conform لقيمه ويطيعها ويلتزم بها. التنشئة هى التى تكسب الانسان انسانيته، ومن ذلك تنمية ضميره الحى الوخاز.

واذا نظرنا إلى عملية تنمية الضمير على انها، وفى جوهرها، عملية تعلم Learning process، فانها تستفيد من كل ما يعرف باسم شروط التحصيل الجيد، والتى تتمثل فى تكرار الخبرة المراد تعلمها، وسهولتها وبساطتها، وتوفر الارشاد والتوجيه نحو السلوك الصائب، والتعلم الفاعل عن طريق العمل، وبذل الجهد الواعى، وتوفر الدافعية والحماسة، والمكافآت نحو عملية التعلم الاخلاقى، إلى جانب مايعرف باسم الطريقة الكلية والطريقة الجزئية فى عملية التعلم وعمليات الحفظ والتسميع ومعرفة نتائج ماتعلمه الفرد ونقل ما يتعلمه فى الجامعة أو فى المدرسة إلى الحياة الخارجية. ويشترط فى ذلك ان تتفق مادة التعلم مع مستوى المتعلم ومقدار اقتداره أو قدراته على الفهم والاستيعاب ومع ميوله واهتماماته.

ويدخل فى اعداد الضمير كل مايندرج تحت التربية النظامية الرسمية formal education كما هو الحال فى المناهج والمقررات والأنشطة المدرسية الرسمية، وكذلك التربية العامة، أى غير النظامية informal education وتشمل التعلم من الحياة وما فيها من مؤثرات كالمسجد والنادى والنقابة والاتحاد والاذاعة والتليفزيون والسينما والمسرح والصحف والمجلات والندوات والحوارات والمناظرات والمؤتمرات والمهرجانات والمعارض والمتاحف والزيارات والرحلات العلمية والملصقات والنداءات والشعارات والخطب والكتب والكتيبات والمجلات والروايات والزملاء والرؤساء. ويساعد فى الحفاظ على البيئة كذلك شعور الانسان القوى بالانتماء the strong feeling of belongingness للوطن وللمجتمع وللحى وللأسرة وللعمل. اذ لا يمكن ان يتوجد الانسان وبيئته، ومع ذلك يسئ اليها ويعمد إلى أفسادها وتدميرها أو اصابتها بالتصحر أو البوار أو الهلاك أو التلوث. ومن هنا كان الضمير هو الحارس وهو الحامى وهو الموجه وفيه الانقاذ من الهلاك.

المراجع

(١) عبد الرحمن العيسوى، فى علم النفس البيئى، منشأة المعارف بالاسكندرية، ١٩٩٧.

(٢) عبد الرحمن العيسوى، الأمراض السيكوسوماتية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٢.

(٣) عبد الرحمن العيسوى، علم النفس فى المجال المهنى، دار المعارف، الاسكندرية والقاهرة، ١٩٨٩.

(4) English,H.B., and English, A.c., A comprehensive Dictionary, Longmans, London, 1958

(٥) عبد الرحمن العيسوى، النمو الروحى والخلقى، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٦.

(٦) عبد الرحمن العيسوى، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار الفكر الجامعى، الاسكندرية، ١٩٨٦.

(٧) عبد الرحمن العيسوى، علم النفس فى المجال التربوى، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٦.

(٨) عبد الرحمن العيسوى، الاسلام والتنمية البشرية، المكتب العربى الحديث، الاسكندرية، ١٩٩٥.

(٩) صحيح الأمام مسلم والبخارى والترمذى ورياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للأمام النووى الشافعى.

(١٠) محمد فؤاد عبد الباقى، المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، وكالة المطبوعات، الكويت.

دور علم النفس فى عملية التوظف

دور علم النفس فى مختلف مجالات الحياة الحديثة:

لقد أصبح علم النفس الحديث قادرا على أن يمد خدماته لجميع مجالات الحياة العصرية، ولم يعد قاصرا على الاهتمام بالطوائف الشاذة، كالمرضى أو المجرمين أو الجانحين أو ضعاف العقول، أنما أصبح يقدم خدماته لطوائف سوية كثيرة، كرجال الجيش والقوات المسلحة ورجال التعليم والتربية ورجال الصناعة والهندسة والعمارة والعمل والعمال والانتاج، وفى مجالات السياحة والتجارة والصناعة والحرب والبيئة والتنمية، ومن ذلك أيضا تقديم خدماته ومنجزاته فى مجالات التوظف Employment.

قبل ظهور الثورة الصناعية Industrial Revolution فى أوربا وأمريكا كان صاحب المصنع هو الذى يقوم بكل أعمال الادارة ووظائفها Management بما فى ذلك توظيف من يساعدونه فى مصنعه وتدريبهم. أما الآن فقد أنتشرت نزعة التخصص Specialization فى كل المصانع والشركات ماعدا المصانع الصغيرة وأصبح هناك أقسام لشئون العاملين أو الموظفين وأصبح هناك من يهتم ببرامج الترقية وخطط التأمين وما إلى ذلك وصدرت القوانين والتشريعات التى حقوق الموظفين وتحدد أساليب ترقيتهم وتعيينهم وعزلهم ورعايتهم وتدريبهم(١).

ولذلك فى معظم الشركات الكبرى فى أوربا وأمريكا يوجد أخصائى نفسى أو أكثر. وذلك لوضع اجراءات التوظيف وخططه بقصد اختيار Selection أكفأ العناصر وأكثرها ميلا ورغبة فى العمل. وحتى الشركات الصغيرة التى لاتقوى حالة العمالة بها على تعيين أخصائى نفسى دائم بها، فإنها تستأجر أو تنتدب أخصائيا يعمل بها لساعات محددة أو يعمل بها عند اللزوم وللاسهام فى حل مشاكل العمال وعلاجها، والاشتراك فى عمليات الاختيار المهنى والتدريب المهنى والتوجيه المهنى والتأهيل المهنى(٢).

ونحن فى مصر وفى شتى أرجاء العالم العربى، فى أمس الحاجة إلى تعيين

أخصائى نفسىٍ أو أكثر فى كل مؤسسة انتاجية أو خدمية يتواجد فيها عدد كبير من البشر ليسهم فى عمليات التدريب والأختيار والتوجيه والتأهيل المهنى واعادة التدريب وفى حل مشاكل العمال وعلاج أمراضهم وأعراضهم وثوراتهم والقيام بعمليات القياس النفسى الدقيق توطئة لوضع المبدأ الشهير القائل بضرورة وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب The best man for The best Job موضع التنفيذ، والمأمول أن تهتم وزارة الصناعة وأن تحذو حذو وزارة التعليم فى مصر التى أصدرت أخيرا قرارا وزاريا بتزويد كل مدرسة على اختلاف مراحل التعليم ومستوياته، بأخصائى نفسى من خريجى أقسام علم النفس، بعد أن يتلقى تدريبا مهنيا على أصول وقواعد هذه المهنة(٣).

ماهى الاضرار التى تنجم عن وضع الانسان فى غير موضعه المناسب؟

فى هذا الصدد يقول عالم النفس جيلفورد S.P Guilford فى كتابه مجالات علم النفس (١٩٦٦) Fields of Psycnology عندما لاتهتم بأختيار العاملين، فان الخسائر تلحق بكل من العامل نفسه ورب العمل على حدا سواء The Employer and The Employee.

عندما تختار العامل غير الكفء، فانه يظل يمارس عمله حتى تتضح عدم كفاءته وتصبح ظاهرة وواضحه ويشعر ببعض الألم. فان هذه الحالة تؤدى إلى خسائر صاحب العمل فى شكل إنخفاض معدلات الانتاج وتكاليف الاعلان عن خلو وظائف. وترتيبات اختيار العمال الجدد، وقد تؤدى خراقة العامل إلى تدمير بعض الآلات أو هدر بعض الخامات. وقد يتورط فى الوقوع فى حادثة Accident فيصاب ويتعرض صاحب العمل لدفع التعويضات عن أصابته وعن تعطل العمل أيضا. وقد تنشب بينه وبين رجال الادارة المنازعات(٤).

وبالمثل فان العامل عندما لايشعر بالتكيف أو التوافق بينه وبين مهنته Maladjustnent ويشعر بالأحباط وبخيبة الأمل وبالتعاسة كما يعانى من انخفاض دخله من جراء انخفاض انتاجه.

من جراء الشعور بعدم التوافق سوف يهجر العمل أو يطالب بالنقل إلى قسم آخر بعد أن يكون قد أضاع جزءا من حياته ووقته ذلك الوقت الذى كان من الممن أن يقضيه بصورة مفيدة ومريحة أكثر جلبا للسعادة عما تعرض له. التكيف مع المهنة Vocational Adjustment جزء من تكيف الفرد العام مع الحياة كلها بل مع ذاته.

ان الاختيار الجيد للعاملين يؤدى إلى تحقيق الأهداف والمنافع الآتية:

١- تقليل نسبة هجرة العمال لأعمالهم وسرعة تغييرها أو الانتقال من عمل إلى آخر.

٢- تقليل نسبة غياب العمال.

٣- تقليل نسبة استقالة العمال.

٤- تقليل نسبة الحوادث.

٥- تقليل نسبة العادم من الخدمات.

٦- تقليل نسبة مرض العمال وتمارضهم أو عصيانهم أو أضرابهم.

٧- تقليل المنازعات بين العامل والادارة أو صاحب العمل.

٨- رفع الروح المعنوية.

٩- زيادة الانتاج.

كيفية تقليل هجرة العمال لاعمالهم أو تغييرها:

عندما يتضح عدم قدرة عامل معين على القيام بواجبات وظيفته يجب أن يتم نقله، ولكن الحقيقة فان تكاليف النقل هذه ليست بسيطة كما يتصور العمال أو بعض الناس فى المجتمع الخارجى، وذلك من جراء الاعلان عن عمال جدد والعمل على تدريبهم من جديد، إلى جانب أن العامل الجديد تظل معدلات انتاجه ضعيفة حتى يتقدم فى عمله ويكتسب المهارات اللازمة للكفاءة الانتاجية Productivity كما وكيفا.

لذا أثناء تدريب العامل الجديد، فإن الشركة تدفع له أجرا، فضلا عن تكلفة التأمين على التدريب مع المشرفين أو المهندسين أو غيرهم، فضلا عن حرص المشرف الدقيق على العامل الجديد حتى لايرتكب أخطاء مكلفه أو يحطم الالات أو بسبب الحوادث.

ولقد تبين أن تكلفة تغيير العامل الماهر تصل إلى عدة فئات من الدولارات. وتصل تكلفة العامل الماهر أو الفنى المتخصص إلى عدة آلاف من الدولارات. ولذلك يفضل صاحب العمل تعيين عمال أكفأ Competent الذين يشعرون بالرضا عن أعمالهم ومن ثم يظلون بها أو يكتسبون مزيدا من الخبرات، بحيث يترقون فى وظائف الشركة المختلفة، وبذلك يحصلون على رواتب أفضل أو وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب يفيد كل من المجتمع والعامل نفسه ويأتى ذلك عندما يوضع الفرد فى المهنة التى تتمشى مع قدراته وذكائه واستعدادته وميوله وسمات شخصيته وخبراته السابقة وظروفه الصحية والاجتماعية.

أما عن كيفية التغلب على كثرة تغيب العمال Excessive Absentetism متى تعتبر أن هناك نسبة عالية من غياب العمال والموظفين؟ هناك دراسات تقول ان نسبة غياب تبلغ ٣ ٪ تعتبر نسبة معقولة ومقبولة. بمعنى غياب يوم واحد من كل ٣٣ يوما من أيام العمل.. أما اذا زادت نسبة الغياب عن ٣ ٪ فلابد أن يكون هناك شئ ما خطأ فى العملية الانتاجية أو الخدمية. وهناك مؤشرات تقول إن ارتفاع نسبة غياب العمال تدل على أن الادارة لم تنجح فى وضع العامل المناسب فى مكانه المناسب.

ولكننا فى عالمنا العربى ومافيه من نهضة صناعية كبرى، ونظرا لاتساع آفاق العمالة فى مجالات التجارة والزراعة والصناعية والسياحة، والتعليم نحتاج إلى دراسة لمعرفة نسبة الغياب وأسبابها. تلك الأسباب التى يرجح أن تكون عدم رضا العامل عن عمله وقلة الحوافز وقلة التدريب vocational training اللازم وسوء العلاقة بين العمال فيما بينهم وبينهم وبين الادارة ومشاكل الاسكان والمواصلات

وارهاق العمل وعدم توفر الرعاية الطبية للعمال ووجود مشاكل نفسية لدى العامل وما إلى ذلك من العوامل التى يمكن أن تكشف عنها الدراسات الميدانية المقترحة فى بيئتنا العربية فى محال العمل والعمال والموظفين والتوظف.

انخفاض معدلات الانتاج أو المخرجات الناتجة من العملية الصناعية:

ما الذى يساعد على زيادة الانتاج؟ هناك عوامل كثيرة تتدخل فى العملية الانتاجية، من بينها مهارة العامل نفسه، كيف تقاس كفاءة العامل efficiency؟ هى عبارة عن وحدات الانتاج فى وحدة زمنية محددة كالساعة أو اليوم. ولقد تبين أن العامل الذى يتم اختياره لمهنة ما اختياراً جيدا، ينتج أكثر من ضعفين ماينتجه العامل قليل الكفاءة الانتاجية أو ذلك الذى لم يتم وضعه فى مكانه الصائب أو المناسب، وعندما يحصل العامل ضعيف الانتاج على نفس الأجر الذى يحصل عليه العامل غزير الانتاج، فان الخسارة تلحق بصاحب العمل. حتى وان كان نظام الأجر «بالانتاج» piece rate plan of payment، فانه يظل من الأفضل أن يعين صاحب العمل العمال المهرة أو أصحاب الكفاءات، ذلك لأن مصروفاته العامة تظل كما هى من ذلك استئجار مكان الشركة وتوفير الحرارة والاضاءة والمياه والصيانة كما هى، وكذلك فان تكلفة الادارة العامة General administrative costss تظل كما هى فى حالة الانتاج القليل من ذلك الاشراف والملاحظة والحسابات أو المحاسبات وما إلى ذلك. تظل كما هى فى حالة العامل البطئ.

وهنا نتساءل كيف يمكن التخفيض من معدلات الحوادث ونسبة العادم من المواد الخام؟ prevention of accidents and spoilage وهنا يروق لنا أن نتساءل عن الأسباب أو العوامل السببية التى تؤدى إلى وقوع الحوادث، وإلى تدمير الخامات أو أفسادها أو هدرها؟

هناك أسباب كثيرة قد تؤدى إلى وقوع الحوادث منها ما يتعلق بالظروف

والآلات والمعـدات داخل المصنع أى الظروف غـيـر الآمنة Unsafe conditions ومنها ما يرجع إلى العامل نفسه فى ذاته، ومن ذلك ميله للوقوع فى الحوادث أو ما يعرف باسم نزعة استهداف الحوادث Accident- proneness، أو ما يعرف باسم الأفعال غير الآمنة أو عدم اتباع شروط الأمان فى العمل Unsafe actions. ولقد تبين أن العامل غير الكفء Inefficient يرتكب أخطاء أكثر من العامل الكفء مما يؤدى إلى اصابات العمال وجرحهم، أو تدمير الآلات والمعدات، ولذلك من الأهمية بمكان أن يكون لدينا عاملون مهرة وأصحاب كفاءات فنية عالية.

وهنا يروق لنا أن نتساءل كيف يسهم علم النفس فى مساعدة أصحاب الأعمال فى زيادة أرباحهم.

يحدث ذلك من خلال العديد من العمليات السيكولوجية، من بينها الأختيار الجيد للعاملين. ومن الجدير بالذكر أن الاختيار المهنى الجيد ليس عملا منفرد الفائدة فى شكل ما يعود على صاحب العمل من الأرباح، وانما يعود أيضا على العامل بالنفع المادى أو الأدبى والنفسى والاجتماعى، حيث يشعر بالرضا عن عمله ويشعر أيضا بالسعادة والتكيف المهنى.

كيفية الاختيار المهنى الكفء:

تتضمن عملية الاختيار المهنى الجيد Vocational Selection الخطوات التالية:

١- وضع معايير الكفاءة فى العمل المطلوب الاختيار إليه.

٢- قم بعمل تحليل لهذا العمل Job- analysis للوقوف على القدرات والمهارات المطلوبة للنجاح فيه.

٣- حدد الاختبارات أو الوسائل الأخرى التى تصلح لجمع المعلومات عن الأشخاص المتقدمين لشغل الوظيفة المطلوبة.

٤- حلل كل جزء من المعلومات للتحقق عما اذا كانت قادرة على التمييز بين العامل الأكثر كفاءة والعامل الأقل كفاءة من عدمه أو العامل الناجح وغير الناجح.

٥- ركب هذه الاجراءات من المعلومات مع بعضها تلك المعلومات التنبؤية للتعرف على قدرة كل جزئية في تحديد العامل الأكثر نجاحا والأقل نجاحاً.

٦- قم بجمع المعلومات المطلوبة حول العمال المتقدمين وضع كل واحد منهم في العمل الذى يناسبه.

٧- قم بدراسة تتبعية A follow- up- study لمعرفة إلى أى مدى نجح نظامك فى اختيار العمال الاكفاء.

ماهى معايير أو محكات الأداء فى العمل المهنى؟.

يحتاج أصحاب الأعمال إلى وضع هذه المعايير وتطبيقها Criteria فى كثير من الأغراض، حيث يلزم تقويم أو تقدير عمل العامل، من ذلك الحاجة إلى تحديد أجره أو الحاجة إلى ترقيته، أو نقله، أو زيادة الأجر وكذلك لتحديد صدق الاختبارات Test validation أو غيرها من المخترعات التى تقيس كفاءة العمال، أو عند تعيينهم وان كان من الصعب الحصول على معايير يمكن الاستناد اليها بسهولة. عملية ايجاد الصدق[٦] Validation فى المقاييس النفسية من العمليات الأساسية، ذلك لأنه مالم يكن الاختبار أو أداة القياس صادقة فيما تقيس، فاننا لا نستطيع أن نطمئن إلى نتائجها، ولا يمكن أن نصدر أحكاما بناء عليها، حيث أن الاختبار يجب أن يكون قادرا على قياس ماوضع من أجل قياسه. كالقدرة الميكانيكية أو الحسابية أو الرياضية وما إلى ذلك. ولقد حاول علماء النفس الامريكان منذ الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) ايجاد صدق الاختبارات والمقاييس النفسية.

معظم المعايير أو المحكات الخاصة بكفاءة العمال الانتاجية أما أن تكون معايير

موضوعية objective criteria، أى تعتمد على معلومات وحقائق خارجة عن الأحكام والآراء الذاتية subjective، مثل كمية العمل أو كمية الانتاج، أو معايير ذاتية قائمة على آراء المشرفين مثلا حول عمالهم.

من بين المعايير الموضوعية مايلى:

أ- سجلات الانتاج أى التى يتحدد فيها كم ما أنتجه العامل.

ب- نسبة الغياب.

جـ- التورط فى الحوادث والاصابات.

د- البطء فى العمل.

من ذلك عدد الوحدات المنتجة أو المصنعة فى الساعة أو فى الأسبوع أو الشهر أو الأشياء المرفوضة أو مقدار الخردة أو القصاصات أو الفضلات أو النفايات أو الأشياء المكسرة من الخامات. Scrap

وفى بعض الاحيان، يتم استخدام أكثر من معيار واحد ضمانا للحصول على تقدير موضوعى لكفاءة العامل. وقد يتخذ عدد وحدات الانتاج مضافا إلى ذلك مقدار الاخطاء. ولقد تبين أن اصلاح الأعمال الخاطئة تستغرق عدة أضعاف من الوقت اللازم لاداء العمل الأصلى. وصل فى بعض الدراسات إلى نحو (١٤) ضعفا للوقت الأصلى. ومن ذلك أخذ مجموع البيع فى المحلات الكبرى. فالمعيار الواحد لايكفى لاعطاء صورة عن أداء العامل وخاصة فى حالة تعدد فروع العمل.

من ذلك الاعتماد على مقدار وحدات الانتاج فى وحدة محددة من الزمن ويشمل ذلك عدد الوحدات التى تم انتاجها ونوعية هذه الوحدات وعدد الوحدات التى يستطيع البائع أن يبيعها أو عدد الأشياء التى يضع عليها العامل أرقاما معينة، مقدار الكسب من جراء العمولة على المنتجات أو عدد الكلمات التى يستطيع الطابع على الآلة الكاتبة انجازها.

ويمكن أيضا الاعتماد على مقدار جودة المنتجات، ويشمل هذا الجانب على أمور مثل مقدار الأشياء المرتدة، ومقدار تكاليف العوادم أو العادم من العمل، حصر اعداد الأخطاء أو وضع الأخطاء في ملفات خاصة أو مقدار المرتجع بالنسبة للمبيعات أو مقدار شكاوى العملاء.

كذلك يمكن أن نأخذ في الاعتبار مقدار الوقت المفقود، ويشمل ذلك عدد الأيام التي يحضر فيها العامل إلى عمله، ومقدار البطء أو التباطؤ أو عدد أيام المرض، مقدار التردد على مراكز الاسعافات الأولية، مقدار أخذ الراحات دون أذن أو الراحات غير المسموح بها.

كذلك يمكن الاعتماد على حركة انتقال العامل من عمل إلى آخر Work Turnover.

من ذلك طول مدة الخدمة في المؤسسة أو المؤسسات، عدد مرات الطرد، نقل العامل من قسم لآخر، بسبب سوء الأداء في العمل، وترك الوظيفة أو طلب النقل بناء على طلبه.

كذلك يمكن اتخاذ الوقت الذى استغرقه في التدريب، واحتمالات الترقية إلى الوظائف الأعلى، من ذلك الوقت المستغرق في التدريب للوصول إلى مستوى الانتاج المطلوب، وتكلفة المواد الخام الفاسدة أثناء التدريب، ومعدلات التقدم في العمل، وعدد دورات التدريب التى أداها العامل بنجاح، وعدد الوظائف التى أصبح العامل صالحا للقيام بها في الشركة ومعدلات الجدارة merit. والفترة الباقية عليه لكى يترقى.

كذلك يمكن اتخاذ شعور العامل بالرضا كمعيار، من ذلك عدد مرات الشكاوى التى تقدم بها Grivances ودرجته في الروح المعنوية Morale[٧]، ومقدار زياراته للطبيب العقلى في المصنع، ومقدار مشاركة العامل في المباريات الرياضية بالشركة، ومقدار اسهامه فيما يقدم للشركة من اقتراحات.

الهوامش والمصادر

١- من ذلك قانون العاملين المدنيين فى الدولة، وقوانين العاملين العسكريين وكوادر الفئات الخاصة، كقانون تنظيم الجامعات، وقانون رجال الشرطة، والاذاعة والصحافة والقضاء، والسلك السياسى والدبلوماسى، وقوانين المعاشات والتأمينات الاجتماعية.

٢- عبد الرحمن العيسوى، علم النفس فى المجال المهنى، دار المعارف بمصر، ١٩٩٠م.

٣- فى هذا الصدد أتخذت وزارة التربية والتعليم فى مصر قرارا حاسما بتعيين أخصائى نفسى فى كل مدرسة على اختلاف مراحل التعليم ومستوياته لتقديم الرعاية والخدمات النفسية للطلاب.

٤- عبد الرحمن العيسوى، علم النفس والانتاج، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ١٩٨٦.

٥- الكفاءة أو القدرة أو الانتاجية، تشير إلى قدرة الفرد على الانجاز أو الأداء، والتحصيل، أى نسبة الطاقة المستهلكة لبلوغ النتيجة المرغوبة أى القدرة على تحقيق النتائج تحقيقا كاملا، وهناك أنواع متعددة من الكفاءات مثل الكفاءة الادارية والكفاءة الانتاجية والكفاءة الشخصية والكفاءة التربوية أو التعليمية.

٦- الحادثة Accident عبارة عن فعل خاطئ أو ظرف خاطئ قد ينتج عنه خسائر مادية أو بشرية وقد لاينتج عنه آيه خسائر، ومع ذلك يعتبر حادثة.

وتنتج الحادثة أما من ظروف غير آمنة كوجود شحم فوق الأرضية يساعد على انزلاق قدم العامل، أو وجود آلات حادة مكشوفة، وقد تنتج من فعل خاطئ كأن يترك العامل الكهرباء موصولة مما يؤدى إلى اشعال النيران فى المصنع مثلا، ومن الأسباب النفسية لارتكاب الحوادث نزعة استهداف الحوادث.

٧- الروح المعنويةMorale للفرد أو للجماعة، ويدل على ارتفاعها عدة

مؤشرات، منها الشعور بالرضا بين أفراد الجماعة، وزيادة الاتصال والترابط، والشعور بالنجاح، والتماسك والتوحد، وهى تؤدى إلى زيادة انتاج العامل أو الموظف واجادته. وتتضمن عدة عوامل منها الشعور بالثقة وقوة الدافعية أو الرغبة فى العمل والاستمرارية فيه والابتهاج والسرور والعمل الجاد.

8- Guilford, j.p., ed. by, fields of psyohologgy, D. Van Nostrand N: Jeersey, 1966.

دور الادارة الحديثة فى اعداد القوى البشرية

أهم مميزات العصر وتحدياته:

لاشك أننا نعيش فى عصر التحديات، حيث تتلاحق الأحداث، مما يؤدى إلى تغير الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، مما يفتح آفاقا جديدة، وفرصا جديدة للعمل والانتاج، وفى نفس الوقت يخلق مشاكل جديدة، من ذلك حدة التوتر بين الشرق والغرب، وانتشار الحركات الديمقراطية فى أوربا الشرقية، والارتياح السياسى فى جنوب أفريقيا، وزيادة المنافسات العالمية فى المجالات الصناعية والتجارية، وظهور أوربا كقوة ثقافية واقتصادية. هناك تأكيد على القيم الانسانية، وتكامل الاقتصاد العالمى، وزيادة أهمية المعرفة العلمية كقوة اقتصادية دافعة نحو التقدم أى الإيمان بدور العلم ومناهجه فى الحياة الاقتصادية، يضاف إلى ذلك الاقتراب من نهاية القرن الذى شهد تقدما تكنولوجيا عظيما لمس جوانب حياتنا المعاصرة. من ذلك الانتقال، والمواصلات، والطاقة، والمعلومات، والاتصال، والصحة، والتعليم. وفى نفس الوقت أدى إلى نشأة بعض المشاكل من ذلك تدهور البيئة من جراء سلوك الانسان نحوها واصابتها بالتلوث المائى والهوائى والأرضى وبالضوضاء وبالذات تلوث بيئة العمل.

هذه المشاكل تحتاج إلى اهتمام الادارة بها للتفكير فى حلها والوقاية من تكرار حدوثها. واعداد العاملين فى كافة المجالات وتأهيلهم تأهيلا صالحا وفاعلاً.

أهمية التدريب والتعليم:

التقدم التكنولوجى سريع جداً، وكذلك النمو الاجتماعى. لقد أصبح سوق العمل فى حاجة إلى مهارات وقدرات وخبرات وطموحات واتجاهات وميول جديدة نحو العمل. وفى ضوء ذلك، نتساءل عن نوعية العمالة المطلوبة للمستقبل أو بعبارة أخرى ماهى الخصائص والسمات والقدرات المطلوب توافرها فى القوى البشرية الصالحة للغد؟ لاتحتاج هذه القوى إلى اتقان المهارات المهنية اللازمة للأداء الكفء فى مكان العمل وحسب، ولكن يلزمها أيضا المهارات الاجتماعية

والنفسية والادارية، لكى تشارك فى المجتمع بنجاح باعتبار أفرادها أعضاء فى المجتمع، بحيث يتمتعون بالتكيف للتغيرات الجديدة. ويدل التقدم الاقتصادى الهائل الذى حدث مؤخرا فى بعض المجتمعات على ان للتعليم قيمة عظيمة، ففى خلال فترة قصيرة امكنها ان تدرب قواها البشرية، بحيث أصبحت قادرة على المنافسة فى الأسواق والتكنولوجيا العالمية. التحدى الآن الذى يواجه جميع الدول هو كيف يمكن تحقيق التوازن بين المطالب الاجتماعية أى التعليم من أجل الحياة وللحياة، وبين المطالب الاقتصادية، بمعنى التعليم من أجل القيام بالعمل المنتج، بمعنى تنمية القدرة على الانتاج. وهنا نتساءل، مع القارئ الكريم، هل هناك علاقة أو رابطة بين التعليم والعمل؟

ما العلاقة بين التعليم والعمل؟ هناك رابطة قوية ومتعددة الابعاد بين التعليم والعمل على البعد الثقافى والاقتصادى والاجتماعى والسياسى، وما إلى ذلك. وعلى ذلك فلكل مجتمع نمط التعليم الذى يناسبه ولا يصلح لسواه، واذا اردنا ان ننقل عن الغير فلابد من ان نحدث بعض التعديلات، فيما ننقل، بحيث لا ننقل ما يتعارض مع أمهات الثقافة العربية والقيم الاسلامية. هناك من يقترح ادخال نظام التعليم المشترك Co operative education لتحقيق هذه الرابطة أو تلك الغاية أى «التنسيق بين التعليم والعمل» حيث يتم الربط بين التعليم والاعمال والصناعات، وفى هذا النمط من التعليم التعاونى أو المشترك يتلقى الدارس تعليمه النظرى فى واحد من المعاهد أو الكليات المتخصصة وفى نفس الوقت يتلقى تدريبا فى الشركات والمصانع ووحدات الانتاج أو الخدمات، بالمستشفيات، وبذلك يتخرج الدارس ملما بالأصول العلمية النظرية، وبالمهارات العملية التطبيقية فى آن واحد (p.4). لقد كانت الولايات المتحدة الامريكية حتى منتصف القرن ١٩ كانت أساسا مجتمعا زراعيا agricultural society وتلا ذلك زيادة فى حركة التصنيع industrialization والانتقال إلى مجتمع صناعى، والذى وصل إلى القمة فى منتصف القرن العشرين، ثم تلا ذلك حقبة أخرى، وهى عصر

المعلومات The information age أو مجـمع مـابعـد الصناعـة The post-industrial. ageوما يصاحب ذلك من التقدم الهائل في مجال الاتصال Com-munication عند نهاية هذا القرن. ولقد انعكس هذا التطور في شكل الأعمال والمهن في المجالات الزراعية والصناعية والمجالات الخدمية والمعلومات. ولاشك أن الزراعة افادت كثيرا من التقدم العلمي والتكنولوجي، والتي أدت إلى ظهور محاصيل جديدة وانتاجية أكثر وفرة. وتشهد وزارة الزراعة نهضة علمية عظيمة في الوقت الحاضر عن طريق انشاء عشرات المراكز والمعاهد العلمية التي حولت الوزارة بالعفل إلى قلعة علمية تضاهي أعظم جامعات العالم. من ذلك معهد بحوث صحة الحيوان ومعهد البحوث الزراعية وبحوث الصحراء وبحوث المياه وما إلى ذلك. فالمتغيرات الاقتصادية يصاحبها تغيرات في الحياة التعليمية للمجتمع. بمعنى ان معدلات التعليم الثانوي في الولايات المتحدة الامريكية قد زادت كثيراً. لقد أدى الارتفاع في مستوى التعليم إلى كثير من الاختراعات التكنولوچية أو التجديدات التكنولوجية، كذلك فان النمط الاقتصادي الجديد يتطلب مزيدا من القوى البشرية أو قوى العمل المتعلمة للقيام بالأعمال المعقدة. ولاشك أن الصناعة الحديثة تتسم بالتعقيد والآلية مما يتطلب معه ضرورة الارتفاع بالمستوى التعليمي للعمال لاتقان المهارات الفنية اللازمة للنجاح في تشغيل مثل هذه الآلات المتقدمة وصيانتها. ومن هنا يدخل التعليم في عصب الصناعة وبالتالي في عصب الانتاج القومي. ولذلك أصبح ينظر إلى التعليم على انه من «أرقى أنواع الاستثمار». ويلاحظ ان المجتمع المصري قد مر بتطورات متشابهة مع مامر به المجتمع الامريكي، وان كانت معدلات السرعة تختلف في الحالتين، حيث تقل معدلات العمالة في الزراعة بينما تزيد في مجالات الخدمات. ولكن في مصر الصناعة مازالت تنمو وتزدهر (p.5). وعندما نشرع في العناية بالتدريب والتعليم، فان مؤشر زيادة الاعتمادات المالية لايكفي، لأن التوسع في التعليم لايعني الكمال أو الجودة. لابد من تحرير النظم التعليمية ونظم التدريب مما يجابهها من الثغرات أو كما يقولون لابد من الاهتمام بالكيف فيما نقدمه لطلابنا كما نهتم بالكم. وفي

مصر يعانى المجتمع التعليمى من كثير من المشاكل التى نوجزها فى زيادة كثافة الفصول، وتكديس المناهج والمقررات وزحمتها، واعتمادها على النظر لا على التطبيق. وقلة تدريب المعلمين ورجال الادارة التعليمية، ووجود نقص فى الابنية التعليمية وفى المعامل والمختبرات والمكتبات المدرسية والورش الفنية، وأخيرا تفشى الدروس الخصوصية وضعف نظم التقويم والامتحانات، وان كان هناك محاولات جادة للنهوض بعملية التعليم والتدريب فى مصر، من ذلك ارسال المعلمين فى بعثات للخارج للتدريب، والاهتمام بالتعليم التقنى، وغربلة المناهج، والأخذ بنظام الفصلين الدراسيين، والارتفاع بمستوى المعلم، وادخال الحاسب الآلى ضمن المقررات والمناهج الدراسية وتحسين أحوال المعلمين والتوسع فى انشاء المدارس والجامعات كجامعة جنوب الوادى وتدعيم المكتبات وصدور قرار بتعيين اخصائى نفسى فى كل مدرسة لحل مشاكل الطلاب والاستفادة من خبراء كبار وعلماء الجامعات. النمو الاقتصادى يتوقف على التعليم والمعرفة والمعلومات والاهتمام بالانتقال من رأس المال الاقتصادى إلى رأس المال المعرفى أو المعلوماتى، ومن الاقتصاد المحلى إلى الاقتصاد العالمى. نحن نعيش فى عصر «الثروة البشرية» واكتشافها والاهتمام بالعنصر البشرى.

– الرخاء أو الرفاهة prosperity يلزمها وضع أنظمة تساعد فى خلق اجيال محصنة بالمعارف الجديدة والمخترعات التى تزيد الانتاج productivity

– ماهى نوعية العمالة المطلوبة فى المستقبل القريب؟ يجب ان تكون أكثر قدرة على التنبؤ بالمستقبل، ولذلك نضع الخطط اللازمة لمواجهة ظروف المستقبل وتحديد نوع التعليم المطلوب ونوع العمالة المطلوبة ونوع الادارة المطلوبة. من ذلك تكنولوجيا المعلومات وسهولة وسرعة الاتصالات ووجود الخدمات وتقدم العلم والتكنولوجيا. ادخال الجديد فى عالم الادارة وفى عالم التكنولوجيا يجب ان يرتبط التعليم بالتكنولوجيا، ولكن ماهو النموذج التعليمى المطلوب للمستقبل؟

هذا ما يتطلب منا التفكير فيه. التعليم هو موضوع الساعة وكل ساعة

وخاصة في هذه الأيام. هو الشغل الشاغل لكل لدول حتى المتقدمة منها، تحاول ان تعيد النظر فى نظمها التعليمية وبرامجها التدريبية. قضية التعليم أصبحت قضية عالمية. وتسهم الصناعة والأسرة فى رفع درجة الدافعية نحو التعليم الكفء والفاعل والصالح لمجتمع الغد: مجتمع العلم والتكنولوجيا والتقدم الاقتصادى وزيادة الخدمات لأبناء المجتمع وتحقيق الرفاهة والازدهار. لقد زاد مستوى طموح الناس مع النمو الاقتصادى، وان يسهم فى خلق فرص عمالة جديدة. علينا ان ننمى البشر وننمى الاقتصاد. والملاحظ عدم اتفاق برامج التعليم ومشاريعه مع الحاجات الفعلية للمجتمع، حيث يلاحظ تخريج اعداد ازيد من اللازم فى العلوم الاجتماعية أو القانون ولا تخرج النظم التعليمية ما يكفى من المهندسين والعلماء وأرباب المهارات الفنية العالية كتلك المهارات المطلوبة لاصلاح الآلات الالكترونية الحديثة وتشغيل واصلاح أجهزة العقول الحاسبة. مايختاره الطالب الآن موضوعا لدراسته لا يتمشى مع مايحدث له بعد التخرج فى سوق العمالة. وقد يغير الدارس تخصصه فى الكبر. فهناك المهندس الذى يستطيع بسهولة ان يدرس الأدب والقانون. ولكن العكس ليس صحيحا أو يصعب على المحامى ان يجد فرصة سهلة كى يصبح مهندسا. هنا يلزم توفير نوع من الارشاد والتوجيه الطلابى الجيد guid-ance بحيث نضع الفرد المناسب فى المكان المناسب، لكن بعض المجتمعات أخذ شبابها فى العزوف عن دراسة التكنولوجيا والعلوم (p.7.). يجب عقد المقارنات بين نظامنا التعليمى وبرامج التدريب وبين نظائرها فى المجتمعات التى نتنافس معها. وأن نأخذ مانراه مناسبا مع ظروفنا العربية. ومن بين الأمور المهمة قضية جودة التعليم quality لانها مطلوبة للقوى العاملة المنشودة work force والصالحة للمستقبل. ولقد كان يعتقد فى مطلع السبعينات من هذا القرن ان التغيرات التكنولوجية كما ظهرت فى الكومبيوتر واتخاذ الآلية automation سوف تقلل من المهارات المطلوبة لدى العمال فى مجال الصناعات والخدمات ولكن العكس هو الصحيح. فالمطلوب اكتساب العمال لمهارات أكثر لفهم واستيعاب التكنولوجيا

الحديثة المعقدة، وفهم مطالب المستهلك، ولفهم التنافس العالمى international competition المطلوب الآن استيعاب المهارات اللازمة لاستخدام الكومبيوتر والقدرة على التعامل مع المعطيات التى نحصل عليها وتحليلها. الأعمال التليفونية والأعمال الكتابية وغيرها أصبحت فى حاجة إلى الملم من يقوم بها بفنون الحاسوب computer skills ولكن كان فى بداية هذا القرن، كان عامل النسيج قليل التعليم، يستطيع ان يعمل بنجاح، حيث كان يستطيع ان يفهم كيف تعمل الآلة التى يشتغل عليها، ويفهم ماذا تطلبه منه. ولكن الآن صناعة النسيج أو انتاج النسيج textile production تعتمد على أجهزة بالغة التعقيد تدار آليا باستخدام الأرقام وتتحكم فيها معدات صغيرة لايراها العامل هى معدات الكترونية. يجب ان يكون العامل قادرا على فهم التعليمات المعقدة، وان يفهم نظام الضبط فى الآلة.

واذا كنا نستطيع ان نصنف الأعمال حسب مستوياتها فى المهارات المطلوبة للأداء فيها.

واذا كنا بناء على هذا التصنيف نقول ان أصحاب المهن الآتية يحتاجون إلى مهارات عالية:

١- العلماء

٢- المهندسون.

٣- المديرون.

٤- المعلمون.

بينما المهن الآتية أقل درجة فى المهارات المطلوبة أو الخبرات اللازمة:

١- العمال.

٢- العمال اليدويون.

٣- عمال المزارع والحقول.

٤- عمال النظافة.

اذا كنا نصنف الأعمال على هذا النحو، فاننا نقول ان عامل الغد يحتاج إلى مهارات أكثر دقة عن عامل الأمس، لأننا نحتاج إلى فهم لغة الرياضيات، والاحصاء ومهارات الاستدلال والاستنتاج والاستنباط، واتخاذ القرارات، وصدور الأحكام.

وهناك دراسات توقعت حاجة القرن الحادى والعشرين إلى مزيد من المهارات فى القوى العاملة. كذلك فاننا نستطيع ان نتوقع ان بيئة العمل فى القرن القادم سوف تمتاز بالتعديل والتغيير فى المعدات والأدوات وفى العمليات، وبالتالى فى مطالب ومتطلبات القيام بالأعمال بنجاح. بمعنى تدريب القوى العاملة على العمل فى بيئة غير روتينية non- routin environment.

والتعليم ولاشك يزيد من قدرة الانسان على التكيف مع المواقف الجديدة والتكيف مع المتغيرات الجديدة. العلم نفسه عبارة عن تغير فى آداء أو فى عمل الكائن الحى البشرى، وهو وسيلة لاكتساب الخبرات والمهارات إلى جانب القدرة على التكييف adaptability الصناعات الحديثة تميل إلى تشغيل القوى العاملة الأكثر تعليما highly educated workforce حتى فى المجتمع الامريكى، هناك بعض الدراسات التى أوضحت وجود فجوة بين مهارات الطلاب وحاجات مقار العمل منهم (work place) (p.10)، وان هذه الفجوة آخذة فى الاتساع. فجوة بين مطالب العمل ومهارات الطلاب وخبراتهم وقدراتهم التى تعلموها فى معاهد العلم. وان سوء التوزيع آخذ فى الازدياد. من المهارات الهامة المطلوبة مهارة الاتصال. التعليم يجب ان يجعلنا أكثر استعدادا لمواجهة المستقبل. ولاشك ان تعليم المواطن لابد وأن يبدأ منذ بداية الحياة من الطفولة الباكرة. يبدأ هذا من المنزل ثم فى المؤسسات الأخرى بعد ذلك. ولكل مرحلة أهميتها. ذلك لأن القصور فى مرحلة يصعب علاجه فى المراحل اللاحقة. وحياة الانسان وحدة ذات حلقات متصلة أو سلسلة واحدة. والمراحل الأولى من حياة الانسان أكثر تأثيراً عن

المراحل اللاحقة، فلا يمكن، مثلا، ان تسير نظمنا التعليمية بصورة خاطئة في التعليم الأساسى والثانوى ثم نتوقع ان تصلح الجامعة ما أفسده الدهر. ولا نقتصر فى الاهتمام بالتربية الرسمية فقط، ولكن أيضا التربية غير الرسمية لها أهميتها فى إعداد المواطن المنتج والمؤمن بربه ووطنه وعروبته. المواطن المنتمى والملتزم فى الجهود الرامية إلى خلق المواطن المنتج، حتى بعد تخرجه يجب ان توفر له جهات العمل فرصا للتعليم المستمر، وتجديد خبراته وتزويده بكل ماهو جديد بين الحين والحين، فى شكل برامج التدريب المنشطة. التعليم نشاط من المهد إلى اللحد وعلى ذلك يلزم إيجاد نوع من الاتصال الوثيق بين المدرسة الثانوية وبين المعاهد العليا، وبينهما وبين جهات العمل، لأن التعليم سلسلة واحدة متصلة الحلقات. يجب فهم أهداف كل مرحلة وحاجات كل مرحلة. فالتعليم الجامعى يجب ان يكون قائما على فهم صحيح للتعليم الثانوى. التعليم والتدريب من الوسائل الهامة. ونحن فى طريقنا للعبور للقرن الحادى والعشرين وعلى مستوى اتجاهات الفرد نفسه، يجب ان يؤمن كل منا ان التعليم نشاط مستمر ومتصل ومتواصل، والتعليم غذاء للعقل والفكر والروح والنفس والخلق، وتنمية للقدرات والمهارات والخبرات والمعارف والاتجاهات والميول والاستعدادات،ففيه ثراء دائم للشخصية. وان هناك دائما فرصا للاكتساب والتعلم والاتقان فى برامج التعليم المستمر أو حتى للتعليم الذاتى. حيث يعلم الانسان نفسه باستمرار، وحين يتخذ من التعليم هواية نافعة. ولعل استخدام التلفاز والبرامج الفضائية والارسال المحلى والعالمى كل هذا يوفر انماطا من التعليم المستمر. العلم يمكن توصيله اليك. حتى فى منزلك فى أقاصى البلاد عن طريق مايعرف باسم «التعليم عن بعد أو التعليم المفتوح» باستخدام الكتب والشرائط والتسجيلات. وجامعة الهواء فى الاسكندرية ان هى الا جهد طيب ومحمود تقوم به جامعة الاسكندرية مشكورة لنشر العلم عبر اثير الهواء ليستنشق عبيره طلابها وغيرهم من هواة الثقافة الرفيعة فيما يجرى داخل قاعات الدرس تنقله جامعة الهواء عبر الاثير لكل ابناء المجتمع نشرا للثقافة والوعى ونشرا

للعلم والتنوير العـام. ويمكن ان يتم ذلك عن طريق الصوت والصورة والافلام والكتب والنشرات والشرائط والكتيبات وغيرها والمهرجانات والندوات واللقاءات والمناظرات والمؤتمرات والمعارض. والتعليم المبرمج ان هو الا ضرب من ضروب استفادة التعليم من التكنولوجيا الحديثة حيث تسهم الآلة فى تعليم المتعلم بنفسه، وتوفر قدرا من جهد المعلم. هذه المادة التعليمية المذاعة أو المبثة يمكن نقلها إلى القرى والعزب والنجوع والاماكن القريبة والبعيدة والنائية والعشوائية بل إلى الدول والمجتمعات الأخرى والقارات الأخرى. من هذا النشاط الجهد الذى يقوم به العالم الكبير الدكتور «مصطفى محمود» فى برنامجه «العلم والإيمان» حيث ينقل أحدث ماتوصلت إليه عجلة معامل العلم ومختبراته إلى الجمهور كافة. وقد يقال فى مجال العمل والعمال ان المعلومات التى تنقلها التكنولوجيا إلى العامل أكثر دقة من المعلومات التى كانت تنقل إليه عن الطرق التقليدية. يجب نشر الإيمان بالتعليم مدى الحياةلكل أفراد المجتمع(Life long learning (p.11 عن طريق التربية الرسمية وغير الرسمية.. هذا الهدف من الأهداف الهامة أمام رجال الادارة، بل أمام المجتمع كله. نشر العلم المستمر هدف ورسالة وهواية وواجب مقدس. على الانسان العربى ان يعلم نفسه، وان يعلم غيره بالنسبة للقوى العاملة وغيرها من أبناء المجتمع.. تعليم الغير رسالة وواجب على كل قادر عليه. لقد وجد ان المهندس مثلا يحتاج إلى تجديد معلوماته التكنولوجية كل خمس سنوات، بل هناك من يقول ان معلوماته تصبح قديمة حتى قبل ان يتخرج من كلية الهندسة، وربما يصدق هذا على مجال الطب أيضا. التعليم المستمر أصبح هدفا كبيرا فى الولايات المتحدة، وخاصة تعليم الأعمال والصناعة. وهناك العديد من المنظمات التى تساهم فيه كالاتحادات ونقابات العمال ورجال المال والأعمال ومعاهد العلم والمؤسسات الحكومية لدرجة أن بعض الاحصاءات تقول ان هذه الموسسات تقدم تدريبا لنحو ١٢ مليون فرد سنويا. ويمثل هذا العدد عدد الطلاب فى المعاهد الرسمية ويفوقه، وذلك للمساهمة في اعداد القوى العاملة اللازمة للمستقبل. الانسان ثروة عظيمة يجب الاهتمام بصيانتها وتنميتها ورعايتها. والحقيقة ان نشر العلم لجميع أبناء المجتمع يعد رسالة طيبة. وهناك من يقوم بها على المستوى

الرسمى والشخصى كثيرا من أساتذة الجامعات العربية اذ لا تنحصر جهودهم داخل جدران قاعات الدرس فى الحرم الجامعى، وحسب، وانما هناك من يساهم فى المؤتمرات والندوات واللقاءات وحلقات الدرس وفى القاء المحاضرات العامة، ويشترك فى المواسم الثقافية وفى برامج الاذاعة والتليفزيون. وفى الكتابة فى الصحف والمجلات العربية، ومنهم من ينشر الكتب التى تبسط العلم فى مجال تخصصه كعلم النفس مثلا وبيان أثره فى حياة المواطن العادى وأهميته فى تربية الأطفال وفى الوقاية من الاصابة بالأمراض النفسية والعقلية والسيكوسوماتية والانحرافات السلوكية أو الاخلاقية. ومن منطلق الإيمان بأن «العلم الجميع» وان من ينعم الله عليه بنعمة العلم يجب ان ينشره ويعلمه لغيره وان يسهم فى حركة التنوير الثقافى والدينى والعلمى بقدر ما يستطيع وان يستعرض المفاهيم والمبادئ العلمية لأبناء مجتمعه إلى جانب طلابه: وكاتب هذه السطور، بكل معانى التواضع، يقرر ان الله وفقه لتحقيق شيئا بسيطا من هذه الرسالة العظيمة التى يسهم فيها كثيرون غيره، وذلك من خلال ماينشره من الكتب (١٠٢ كتابا) والمقالات ومايجريه من أبحاث ميدانية ومايلقيه من محاضرات ولقاءات ومايقدمه من نصائح وارشادات متى طلبت منه، فضلاً عن عيادته النفسية من وجوه التعليم المستمر ما اقترحه كاتب هذه السطور على جامعة الاسكندرية من تنفيذ برامج تعليمية لأرباب بعض المهن فى البيئة المحلية للجامعة من ذلك الاخصائيون الاجتماعيون والنفسيون والاطباء والممرضون والقادة والمديرون ورجال الأشراف والملاحظين فى الشركات والمصانع والمعلمون، والأمهات وربات البيوت ورجال الأعلام والصحافة، ورجال الأمن الصناعى، وذلك بقصد توفير نوع من التعليم المستمر فى مجالات الصحة النفسية والعقلية، وفى مجالات الادارة والقيادة، وفى مجالات التدريب المهنى والتأهيل والتوجيه والاختيار وتحليل العمل والهندسة البشرية ودراسات الحركة والزمن والظروف الفيزيقية المحيطة بالعمل والحماية من أخطار الأمراض المهنية وحوادث العمل واصاباته وتربية الأطفال وحل مشاكل المراهقين والشباب والعمال وعلاج الأمراض النفسية والوقاية من أخطار التلوث

ومن أخطار الادمان والجنوح والجريمة الانحراف والتطرف والتزمت والعنف والعدوان والبطالة والارهاب وجرائم الصغار وتشغيلهم وما إلى ذلك مما تحتاجه ظروف العمل فى هذه المجالات. ولايزال الأمل قائماً لوضع هذه البرامج موضع النفاذ. مركز خدمة المجتمع بجامعة الاسكندرية يوفر نوعا آخر من التعليم المستمر فى مجالات عديدة. من ذلك أيضا برامج التدريب التحويلى من المهن التى يوجد بها وفرة زائدة كالسعاه والفراشين إلى المهن النادرة، كذلك فان إدارات التدريب فى مختلف الوزارات والهيئات والمصالح تؤدى هذا الغرض. وتقوم النقابات والاتحادات بتوفير مزيد من الخبرة والمعرفة المهنية لأربابها كالمحامين والأطباء وغيرهم. إلى جانب بعض البرامج التليفزيونية التى تعلم بعض الأعمال والمهن الزراعية والحرفية المختلفة إلى جانب بعض المدارس الفنية أو المهنية vocational-schools لتشجيع الطلاب واثارتهم نحو الأعمال المنتجة والمجالات الحيوية المطلوبة للعمل. اذ من الملاحظ وجود وفرة فى بعض المهن وندرة فى الأعمال الحرفية واليدوية الماهرة ونصف الماهرة، مما أدى إلى ارتفاع أجور أرباب الحرف الماهرة ارتفاعا مخلا. ومع الدعوة للتعليم الفنى والمهنى والحرفى، فان ذلك لايعنى اهمال التعليم النظرى أو تعليم العلوم الانسانية أو القيم والمبادئ والمثل الاخلاقية والروحية. ولاينبغى ان تطغى التكنولوجيا على حياة الانسان، ولابد من الاهتمام بالمعارف النظرية قدر الاهتمام بالمعارف العملية، ولذلك يقترح تدريس مواد علم النفس ومناهج البحث والمنطق والاخلاق لطلاب الكليات والمعاهد العملية. كذلك هناك دعوة للبحوث المشتركة بين رجال الجامعات ورجال الادارة الذين يعرفون عن قرب مواطن الشكوى والضعف فى مؤسساتهم الانتاجية، وفى ذلك دمج الخبرة الاكاديمية مع الخبرة العملية فى البحوث المشتركة. يجب ان تستعد المؤسسات التعليمية لاعداد عمال الغد. مع توثيق العلاقة بين التعليم الاكاديمى والعمل ومجالاته ومتطلباته وبين العلم ورجال الادارة[1] والقانون والطب والجيش والسياحة والهندسة.

---

(1) Wiss, Karl, Educating tomorrow,s workforce, conference on cooperative education, May 1990, Alexandria, Egypt.

الفصل الخامس
علم النفس فى الحقل الإدارى

* سيكولوجية الإدارة
* دراسة ميدانية للمشكلات الإدارية فى مصر

سيكولوجية الإدارة

هناك كثير من السمات والقدرات والمهارات والعوامل والمؤثرات النفسية التى تلعب دوراً كبيراً فى العملية الإدارية أو فى وظائف الإدارة وتحددها، وفى كيفية إصدار القرارات والأحكام الإدارية ونتائجها وأسبابها - وفى هذا المقال - المتواضع - يتناول الكاتب هذه السمات بالشرح والتوضيح. ذلك لأنه على أساس من هذه السمات وتلك العوامل السيكولوجية يتحدد نجاح المدير أو فشله، حب التابعين له أو نفورهم منه، اقترابهم منه أو بعدهم عنه وهكذا. بل إن سمات القائد تحدد نوع العلاقة التى تقوم بين أتباعه فيما بينهم، وأول ماتتناوله بالعرض تعريف مصطلح الإدارة Management. فهو كما يورده أ.د كمال الدسوقى، توجيه التيسيرات أو الإمكانات أيا كان نوعها وتحريكها ودفعها وإثارتها والإستفادة منها وتوظيفها وضبطها، وقد تكون هذه الإمكانات أشخاصا وذلك لتحقيق نتيجة أو أهداف مرسومة أو موضوعة أو مقدره سلفا، أى أن إدارة الأشخاص المنوط بهم القيام بعمل معين وتشمل الإدارة الوظائف الإدارية Adminstrative Functions والوظائف التنفيذية Executive Functions، وهناك الإدارة العامة والخاصة وتنصب على العلاقات وليس على التنظيمات والقيام بالإتصال فيما بين تسلسلها الهرمى كدينامية جماعات ودوافع العمل كالروح المعنوية للأفراد والتعريف بالقاب المديرين والرؤساء ووظائفهم الرسمية والقيادية وتدريبهم على أداء الوظائف الإدارية بنجاح.

أما المعنى القاموسى اللغوى فيشير إلى لفظ مدير Manager بأنه يعنى: يدير أو يدبر أو يروض، أو يسوس أو يخضع أو يقتصر فى الإنفاق أو يستعمل أو يستخدم أو يتدبر فى الأمر أو يحتال للأمر أو يأكل أو ينجح فى تحقيق غرضه أو هدفه أو غايته أو حتى ترويض الخيل. والصفة من هذه اللفظة معناها: طيّع أو سهل القياد -Man-ageable أما لفظ الإدارة Management فيشير فى معناه القاموسى إلى الادارة أو التدبير أو اللباقة أو البراعة فى الإدارة أو يشير إلى أهمية الإدارة فى المؤسسة كمدير

الشركة Manager أو المؤسسة أو البنك أو القيم على النفقة فى المنزل وتولى ذلك بحسن تدبير وإقتصاد أو مدير الفريق الرياضى ونحوه، أما الصفة من وظيفة المدير فهى إدارى أو مديرى أى متعلق بالإدارة أو بالمدير Managerial . أما لفظة Man-aging فتشير إلى نوع من النزوع نحو التسلط وإصدار الأوامر والنواهى (المورد ص ٥٥٥).

تتضمن دراسات علم النفس الصناعى دراسة البيئة المحيطة بالعمل Envion-ment والحقيقة أن البيئة لاتقتصر على البيئة المادية أو الفيزيقية Phgsical Envi-ronment مثل الإضاءة والحرارة والتهوية والرطوبة والضوضاء والألوان وشكل الأرضية وتجديد الهواء Ventilation أما الأهم من البيئة المادية هذه البيئة السيكولوجية أو النفسية، لأنها أكثر تأثيرا فى نفسية العاملين وفى أدائهم، وتتضمن هذه البيئة السيكولوجية عوامل كثيرة مثل الدافعية والتأثيرات المختلفة على العاملين والمكانة الإجتماعية والبناء التنظيمى داخل المصنع.

ويستهدف علم النفس الصناعى جعل المنظمة الصناعية أكثر فاعلية، وذلك عن طريق العديد من الوسائل والإجراءات من بينها جعل المدير يفهم ويتنبأ ويتحكم فى العوامل الإنسانية أو المتغيرات الإنسانية بمعنى أن هناك هدفين الأول زيادة فاعلية المؤسسة والثانى تحقيق رفاهية العمال ورفع الروح المعنوية وزيادة الإنتاج، وتحقيق التكيف والملاءمة مع العمل.

وهنا نتساءل عن مدى العلاقة بين مايعرف بحركة الإدارة العلمية Scientif-ic Managment Movement وعلم النفس الحديث أو بالأحرى علم النفس الصناعى.

الإدارة العلمية يقال أنها كانت السبب فى تقدم الصناعة فى الولايات المتحدة الأمريكية - الإدارة العلمية إتجاه هندسى وتتضمن عددا من النقاط من بينها تحسين مناهج العلم، وذلك عن طريق تحديد الطريقة المثلى لأداء كل جزء

من العمل. وفى ذلك يستخدم علم النفس دراسات الحركة Motion للتحقق من أن كل عامل قد استعمل الطريقة الأفضل والطريقة المثالية فى الأداء. كذلك تستعمل دراسات الزمن Time Study لتحديد متوسط الزمن اللازم لأداء جزء معين من العمل بواسطة أكفأ العمال حتى يمكن إستخدام هذا المعيار فى تحديد مايحصل عليه العامل من الحوافز Competent Worker (Incentive) على افتراض أن العمال سوف يعملون بأقصى طاقاتهم لمضاعفة دخولهم أو الوصول بها إلى الحد الأقصى الممكن. كذلك فإن الإدارة العلمية تتضمن تقسيم العمل أو تجزئته إلى أجزائه البسيطة Simplest Components أى تبسيط الأعمال وذلك بهدف أن يصبح العامل خبيرا فى الجزء البسيط من العمل الذى يتخصص فيه.

فى ضوء هذا النمط الإدارى العلمى، يتم بناء المنظمة بحيث تخضع للإشراف الدقيق من أعلى وللتحكم فيها تخضع الإدارة لسلطة عليا مركزية، ويكتب كل ملاحظ تقريراً ويرفعه لمن هو أعلى منه، وبتكرار هذه المستويات قد لايصل إلى المدير العام إلا صورة مشوهة عن العامل الفعلى.

تفترض الإدارة العلمية أن المدير سوف يتعامل مع مرءوسيه على أنهم أفراد وليسوا أعضاء فى جماعة إجتماعية. وهذا هو الأساس الذى يقام عليه نظام دفع الأجور بالإنتاج أو بالقطعة وتقدير العمل الفردى وتتجاهل الإدارة العلمية التعاون وفكرة دوران العمل. ويتعارض هذا مع إتجاه حل المشاكل جماعيا. وتسيطر الإدارة العلمية على المؤسسات الصناعية فى أمريكا وتتفق مع الفلسفة الأمريكية المعروفة باسم البراجماتية. ولقد تبين أن مناهج الإدارة العلمية تنجح إذا استعانت بعلم النفس ولقد نجحت فعلا فى زيادة الكفاءة عن طريق دراسة الحركة ودراسة الزمن وتحسين طرق العمل وتقليل الشعور بالتعب والتورط فى الحوادث وتحسين الظروف الفيزيقية بتوفير الإضاءة الجيدة والتهوية الجيدة وتوفير الأنغام الموسيقية المشجعه والتحرر من الضوضاء المكثفة والحرارة الزائدة.

فيما يتعلق بدراسات الحركة تستهدف هذه الدراسات تحليل عناصر الحركة

الضرورية للقيام بالعمل وذلك بهدف تحديد الحركات التى تؤدى إلى أداء العمل فى أقصر وقت ممكن. المهندسون يفترضون أن هناك طريقة مثالية واحدة فقط لأداء العمل، وعلى كل عامل أداء العمل وفقا لهذه الطريقة المحددة. وبذلك أمكن تحسين سرعة العمل عن طريق إيجادطرق سهله للأداء بقليل من الحركات. ولقد حاول علماء النفس إجراء العديد من دراسات الحركة بقصد تحسين مستوى الكفاءة.

ولكن علماء النفس لايوافقون على أرغام جميع العمال على القيام بحركات واحدة ومحددة، تلك التى يستخدمها أسرع عامل فى الشركة – العامل يتعلم الحركات الأسرع والحركات الأبطأ ويترك لكى يختار بحرية لكى يختار الطريقة المريحة بالنسبة له، قد يكون هى الطريقة الأسرع وقد تكون غيرها.

بعد إجراء دراسات الحركة، يقوم المهندسون بدراسة الزمن لوضع معايير أو مقاييس الوقت أو الزمن اللازم وكذلك لتحديد مستويات الأجور. تقوم دراسة الزمن على تحديد الزمن الذى يستغرقه العامل المتوسط والعامل السريع.

إنما قد ينطوى ذلك على أرغام العامل على العمل بصورة شاقة جداً وعلى كل حال، دلت الأبحاث على أن نظام العمل بالقطعة أو الأجر على حسب الإنتاج قد أدى إلى زيادة الإنتاج وزيادة الكفاءة الإنتاجية.

التعب Fatigue قد يعنى إنخفاض قدره العامل لإدارة العمل أو قد يدل على حالة فسيولوجية فى الجسم، وقد يدل على حالة نفسية هى الشعور النفسى بالتعب والإرهاق. فى الصناعة يستخدم المصطلح ليشير إلى إنخفاض قدره العامل على أداء العمل. ذلك الشعور الذى يرجع إلى ممارسة الأعمال السابقة، والذى يرجع أيضا إلى الحالة الفسيولوجية، لايتضمن مفهوم التعب الشعور بالملل Bore-dom الناتج عن الرتابة فى أداء العمل Monotony ولقد أمكن حل هذه المشكلة فى الصناعات الأمريكية عن طريق ميكنة الأعمال الثقيلة أو العنيفة أو عن طريق تقليل ساعات العمل أو عن طريق توفير فترات من ا لراحة تتخلل ساعات العمل.

فى الأسبوع يعمل العامل نحو ٤٠ ساعة، ويمكن إنجاز أعمال أكثر إذا زيدت الساعات إلى ٥٠ ساعة فى الأسبوع، ولكن يقل معدل العمل فى الساعة فالإنتاج فى نظام الأربعين ساعة أزيد فى الساعة الواحدة عنه فى نظام الساعات الخمسين أسبوعيا. ولقد اسفرت التجارب التى أجريت خلال الحربين العالميتن الأولى والثانية أن هناك إنخفاضا فى إنتاج الأسبوع كله عندما يطبق نظام السبعة أيام عمل فى الأسبوع بدلا من ستة فقط.

هناك فروق فى الإنتاج فى الساعة ترجع لإختلاف طبيعة العمل، وبإختلاف نظام دفع الأجور عما إذا كان بالإنتاج أو باليومية.

ويدل التجريب على أن فترات الراحة أدت إلى زيادة كمية العمل فى الساعة، بل كمية العمل فى اليوم كله. ويفضل منح هذه الفترات قبل أن يصل الإنتاج إلى أعلى معدلاته. أما فى نظام الماهيات الشهرية، فإن الشعور بالتعب يتخذ شكلا نفسيا، إذ يدل التجريب على عدد من الموظفين أنهم لم يشعروا بالتعب عندما كلفوا بأعمال لمدة ٦٥ ساعة أسبوعيا، وأنما قرروا أن زوجاتهم يشكون من الحرمان من وجود الزوج فى المنزل فى صحبتهن.

ماهو تأثير الظروف الفيزيقية كالضوضاء على الإنتاج؟.

لقد تبين أن الضوضاء المتصلة المستمرة العالية تسبب بذل مزيد من الجهد، ولكنها لاتقلل القدرة على العمل. الإنتاج لايتأثر بالضوضاء العالية، ولكن جهود العمال تزداد، ولكن الإنتاج يعانى عندما ترتفع درجة الحرارة إرتفاعا كبيرا، أو عندما تنخفض إنخفاضا كبيراً، وعندما تزداد درجة الرطوبة Humidity وعندما تكون الإضاءة غير ملائمة لطبيعة العمل. لقد انتبه رجال الصناعة إلى هذه الظروف الفيزيقية وتلك البيئة الفيزيقية وحاولوا تعديلها وتحسينها وجعلها صحية.

من الأمور الهامة جدا فى مجال علم النفس المهنى وليس فقط فى مجال علم النفس الصناعى، الوقاية من حوادث العمل وإصابات العمال، وذلك نظرا

لفداحة الخسائر فى الأرواح والمعدات والخامات وكثرة الإصابات والجروح مما يضطر الشركة لدفع مبالغ هائلة تعويضات للمصابين، فضلا عن تعطيل العمل والإنتاج بسبب الحوادث. كيف يمكن الوقاية من وقوع الحوادث Accident Prevention مازالت الحوادث تمثل مشكلة كبيرة فى الصناعات الحديثة على الرغم مما يبذل من جهود للوقاية منها. ماهى أهداف تحقيق أعلى قدر من الأمان Maximun Safety بصرف النظر عن التكاليف المادية؟ وإن كان الإهتمام بالوقاية من حوادث العمل وإصاباته ليس واحداً في كل الشركات، ولكنه بصورة عامة محل إهتمام معظم الشركات، وله أولوية كبيرة فى جهود الشركات.

ولعل أفضل تقدم تم الوصول إليه هو تدريب العامل تدريبا جيدا على أداء العمل بدقة وبصورة آمنة، وذلك بعد دراسة العمل وتحليله. ومن ذلك الحصول على آراء العمال ومرئياتهم ومقترحاتهم ووضعها أمام لجنة الأمن الصناعى فى المصنع. لقد تغيرت نظرة الناس إلى الحوادث وأسبابها وضعف الأعتقاد فيما كان يعرف بنزعة إستهداف الحوادث فى العامل أو الميل القهرى الإستحواذى للتورط فى الحوادث ولم تعد هذه النزعة اللاشعورية مسئوله عن وقوع الحوادث الا لدى عدد صغير جدا من العمال Accident Proneness.

التدريب الجيد أكثر أهمية من الاختيار الجيد للعمال. وإن كان ذلك لايلغى أهمية الأختيار الجيد للعناصر الصالحة من العمال. فلقد كشفت دراسة أجريت على عمال النقل والمواصلات فى الولايات المتحدة الأمريكية على أن الإختيار له قيمة جيدة. الإختيار القائم على وجود إتجاهات إيجابية والتكيف النفسى أو الإنفعالى، أو على أساس توفر المهارات السيكولوجية. تبين أن هذه السمات هامة بالنسبة لقائد سيارة التاكسى أو الأتوبيس أو قائد الطائرة. ولذلك لقد اقترح الكاتب إنشاء مركز سيكولوجى للإختيار والتوجيه النفسى لإختيار أرباب المهن المختلفة وتدريبهم وخاصة قائدى سيارات النقل العام.

أما فيما يتعلق بالبيئة السيكولوجية أو المحيط النفسى المحيط بالعمل فله أهمية

كبيرة فى مسار العملية الإنتاجية والادارية. لقد تحول الإهتمام إلى البيئة السيكولوجية على أثر الدراسة التى أجريت فى شركة هاورثون Hawthorne Plant لأعمال الكهرباء فى أمريكا، وكان ذلك منذ زمن مبكر يرجع إلى عام (١٩٣٣) أى منذ نحو (٦٥) عاما مما يكشف عن تأخر الدراسات النفسية الميدانية عندنا فى عالمنا العربى. ولقد كانت هذه الدراسات فى بدايتها تستهدف دراسة البيئة الفيزيقية، مثال ذلك زيادة الإضاءة Illumination على معدلات الإنتاج، وبعد ذلك أجريت للتعرف على تأثير فترات الراحة على الإنتاج، وبعد ذلك تمت دراسة تقديم وجبه إضافية للعمال. من ذلك وضع عمال التجميع فى صناعة الغزل والنسيج فى غرفة صغيرة، حيث إستطاع المشرفون أن يمارسوا إشرافا دقيقا وملاصقا عليهم لقد أدى هذا إلى زيادة الإنتاج Greater Attention by Management. فى هذه الدراسات، كان الباحث يستخدم «مجموعة تجريبية» هى التى تخضع للإشراف الإدارى أو الإنتباه الزائد بينما يوجد هناك مجموعة ضابطة من العمال لاتقع تحت هذا المؤثر وتؤدى عملها أيضا، وذلك بقصد عقد المقارنات بين إنتاج «المجموعة الضابطة» والمجموعة التجريبية على شرط تساوى المجموعتين فى كل الظروف والسمات والقدرات والإمكانات فيما عدا المتغير التجريبى الذى يسقط على الجماعة التجريبية وحدها دون الجماعة الضابطة.

ومن الأساليب المفضلة أن جماعة العمل هى التى تضع لنفسها المعيار الذى تسعى للوصول إليه فى معدلات الإنتاج بدلا من إرغامها على الوصول إلى معيار يفرض عليها من خارجها.

ماهو تأثير تطبيق منهج المقابلة الشخصية على حالة العمال؟

فى هذه السلسلة من الدراسات التى أجرتها شركة هاوثورن تمت مقابلة أكثرمن (٣٠) ألف عامل بطريقة غير موجهة أى مقابلة حرة وطليقة تدور حول أعمالهم وظروفها فى هذه الشركة، ولم تكن الشكاوى دقيقة، ولكن العمال قرروا أنهم يشعرون أفضل عما قبل بسبب حديثهم لشخص يحسن الإستماع ويتفهم

أمورهم. ولقد قادت هذه الدراسة إلى تطبيق برنامج للإرشاد يتفهم أمورهم. ولقد وقادت هذه الدراسة إلى تطبيق برنامج للإرشاد غير ا لتوجيهى أى الحر الطليق. وقام المرشدون المدربون بالإستماع إلى مشاكل العمال. واستمر هذا البرنامج الإرشادى لعدة سنوات. وبعد ذلك تم تدريب ملاحظى خطوط الإشراف الأولية على الإستماع إلى شكاوى العمال بدلا من المرشدين.

وهكذا نستطيع أن نلمس أن الإدارة الواعية تستطيع أن تستخدم كثيرا من أساليب العلم ومناهجه وتقنياته فى سبيل رفع معدلات الكفاءة الإنتاجية وتحقيق تكيف العمال ورضاهم عن أعمالهم[1].

---

(1) Guilford, J.p. Fields of Psychology, 1966, p. 314.

دراسة ميدانية للمشكلات الإدارية فى مصر

تمثل الإدارة الحديثة عصب الحياة العصرية، بما فيها من ظواهر سياسية وإقتصادية وإنتاجية وخدمية. بل إن الإدارة مهمة حتى فى حياة الإنسان الشخصية عندما ينجح فى إدارة شؤون نفسه وتدبيرها، فيما يعرف باسم «إدارة الحياة»(١)..

فنجاح المشروعات والمؤسسات والشركات والمصانع والوحدات الإنتاجية والهيئات الخدمية، يتوقف على مبلغ كفاءة الإدارة بها. كذلك فإن مايصيب هذه الشركات وتلك المؤسسات من الفشل والعجز والخسارة والإنهيار، إنما يرجع إلى نمط القيادة بها، ونظرا لأهمية الإدارة فى تحقيق المؤسسات لرسالتها، فلقد أهتم العلماء منذ وقت مبكر بالإدارة وأجريت الدراسات لتنميتها وزيادة كفاءتها وتحريرها مما يكبل طاقاتها من المشكلات والأزمات والعقبات والعراقيل، كما تتمثل هذه العقبات فى نقص الكفاءة والخبرة فى الإدارة أو عقم القوانين واللوائح التى تقيد العمل الإدارى أو العجز المالى أو تعدد الرئاسات أو التسيب والفوضى والإهمال وقلة الردع وقلة تدريب العاملين. ويمدنا التراث العلمى فى الحقل الإدارى بما يعرف بالإدارة العلمية ومانهضت به من دراسات حول الحركة والزمن، ثم الإدارة بالأهداف، والإدارة بالمشاركة، والإهتمام بإعداد برامج تدريب رجال الإدارة والمشرفين والملاحظين، وأجريت الدراسات الميدانية حول الأنماط القيادية المختلفة كالديمقراطية والدكتاتورية والعلاقة بين أفراد الجماعة فيما بينهم وما أسفرت عنه هذه الدراسات من تأكيد حقيقة مؤداها أن الإدارة ليست فنا وحسب وإنما هى علم وفن فى نفس الوقت(٢). ومن الشعور بالأهمية المتزايدة للإدارة فى مجتمعنا فى الوقت الراهن، وفى ضوء الإنفتاح الإقتصادى والإصلاح الإقتصادى، والأخذ بسياسة الخصخصة، وتحسين الجودة لما ينتجه المجتمع من السلع، ومايقدمه من الخدمات، فى ضوء هذا انبثقت فكرة هذا البحث فى ذهن الباحث، تدعيما لما يدعو إليه من تطبيق كافة مناهج العلم وتقنياته على جميع

جوانب النشاط الإدارى، وخاصة تقنيات علم النفس الحديث، ومايعرف بعلم النفس الإدارى أو سيكولوجية الإدارة(٣).

مشكلة البحث:

تدل الملاحظات، وكذلك الدراسات وكتابات كثير من المفكرين أن النشاط الإدارى يعانى من كثير من المشكلات أو العقبات والعراقيل. ولذلك تستهدف هذه الدراسة التعرف على أهم المشكلات الإدارية فى المجتمع المصرى فى الوقت الراهن، كما يشعر بها ويدركها المشاركون فى هذه الدراسة، وتتمثل مشكلة الدراسة الحالية فى معرفة الأضرار الناجمة عن المشاكل الإدارية، وكذلك التعرف على الأسباب التى تؤدى إلى إنتشار هذه المشكلات الإدارية، بمعنى تشخيص هذه المشكلات، وأخيراً تستهدف هذه الدراسة التعرف على مقترحات المشاركين ومرئياتهم لعلاج هذه المشكلات، وللوقاية من ظهور مشكلات جديدة. تقوم هذه الدراسة على أساس افتراض أن هناك العديد من المشكلات والصعاب الإدارية، وأن هذه المشكلات يشعر بها ويدركها أبناء المجتمع، وأن لهذه المشكلات أضرارا جسمية وإقتصادية وإجتماعية ونفسية على أبناء المجتمع وعلى الدولة. كما أن لهذه المشكلات، بالقطع، أسبابا، ومن ثم يمكن التخلص منها فى شكل مايبديه أفراد العينة المشاركة من آراء ومقترحات، ويمكن إيجاز أهداف هذه الدراسة فيما يلى:

١- إستهدفت هذه الدراسة التعرف على أهم المشكلات الإدارية الموجودة فى المجتمع المصرى فى الوقت الراهن، وذلك كما يدركها أفراد العينة المشاركين فى الدراسة من واقع خبراتهم الذاتية.

٢- التعرف على الأضرار الإقتصادية والإجتماعية والصحية والنفسية والأخلاقية التى قد تنجم عن هذه المشكلات.

٣- التعرف عن الأسباب المؤدية إلى تفشى هذه المشكلات وذلك بغية القضاء على هذه الأسباب للتحرر من المشكلات الإدارية.

٤- التعرف على إقتراحات العينة المشاركة لعلاج هذه المشكلات أو لحلها أو الوقاية منها مستقبلا.

المنهج والأدوات:

بدأ هذا البحث باجراء عدد من المقابلات الشخصية مع مجموعة من الموظفين الاداريين بلغ عددهم خمسين موظفا من العاملين بكليات جامعة الاسكندرية، وذلك لاستطلاع آرائهم حول أهم المشكلات الادارية واضرارها المختلفة وأسبابها وكيفية علاجها، ومن خلاصة هذه المقابلات اهتدى الباحث إلى تصميم الاستبيان المستخدم فى هذه الدراسة وترآى أن تكون أسئلته مفتوحة النهاية لعدم تحديد فكر المشارك فى مشكلات معينة، ولاتاحة الفرصة أمام المشارك للتعبير الحر والطليق عما يشعر به من المشكلات الادارية وأسبابها واضرارها واقتراحات حلها، وضمانا للسرية ولصدق المشارك وصراحته، لم يطلب منه كتابة الأسم. وقد تضمن الاستبيان الاسئلة مفتوحة النهاية الآتية:

١- ماهى أهم المشاكل الادارية التى تشعر بها الآن فى مصر؟

٢- ماهى الاضرار الاقتصادية والاجتماعية والنفسية والصحية التى تنجم عن وجود المشاكل الادارية؟

٣- ماهى أهم الأسباب، فى نظرك، التى تؤدى إلى وجود المشاكل الادارية؟

٤- ماهى اقتراحاتك فى حل هذه المشاكل الادارية..

عينة الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة على التطبيق على عينة بلغ عددها ٣٥٣ شخصاً من فئات مختلفة، شملت موظفين وأطباء وطلاب، وذلك للحصول على صورة متكاملة عن حجم المشكلات الادارية، ونوعيتها، كما تراها فئات مختلفة من أبناء المجتمع، وذلك باعتبار أن هذه الدراسة مجرد دراسة مسحية تستطلع حجم المشكلات وأسبابها واضرارها واقتراحات علاجها وذلك على أمل اجراء دراسات أكثر تفصيلاً وأكثر عمقاً وتحديداً فيما بعد.

عرض النتائج وتحليلها

آهم المشكلات الادارية:

لقد اسفر تحليل استجابات المشاركين على السؤال الآتى:

ماهى أهم المشاكل الادارية التى تشعر بها الآن فى مصر؟

عن المعطيات الآتية والتى رؤى تصنيفها إلى مشكلات قانونية تشريعية أو لائحية ومشكلات الروتين والتعقيد والبيروقراطية والبطء فى إتخاذ القرارات والمشكلات الأخلاقية والسلوكية والشخصية والنفسية والدينية والمشكلات الإقتصادية أو المالية وغلاء المعيشة وقلة الدخل وما إلى ذلك على نحو ماستعرضه الجداول الآتية علما بأن هذا التقسيم من أجل سهولة العرض والتوضيح فقط ولعرض كل مشكلة بمفردها على حدة.

جدول رقم (١)

يوضح المشكلات القانونية والتشريعية واللائحية ومبلغ جمودها وتحجرها وكثرتها وقدمها وعجزها عن مسايرة ظروف العصر

مفردة رقم (٢) العينة كلها ن = ٣٥٣ ٠ نسب مئوية وتكرارات

نوعية المشكلات	ك	٪
– جمود القوانين وعدم تغيرها وعجزها عن مسايرة العصر.	١٠	٢,٨
– عدم التنسيق بين الهيئات التشريعية والإدارية المختلفة.	١١	٣,١
– كثرة القوانين وتضاربها ووجود «غابة من القوانين».	٦	١,٧
– وجود أخطاء فى النصوص القانونية.	٤	١,١
– التفسير الشخصى لبعض أحكام القانون من قبل الموظفين.	١	٠,٣

هذه النوعية من المشكلات قليلة كما يراها المشاركون في الدراسة، فلقد تراوحت نسبة ادراكها ما بين ٠,٣ ٪ و ٣,١ ٪ فقط متمثلة فى عدم التنسيق بين الهيئات التشريعية والإدارية المختلفة (٣,١ ٪) وكثرة القوانين وتضاربها أو ما يعبر عنه بعبارة «غابة من القوانين» (١,٧ ٪) ووجود أخطاء في النصوص القانونية (١,١ ٪). وكلها نسب قليلة، ولكنها تعبر عن حقائق واقعية، من ذلك وجود ثغرات فى قانون أعمال البناء أدت إلى استغلال بعض ضعاف النفوس من المقاولين وغيرهم القيام بالبناء فى أراضى الغير أو حتى أراضى الدولة، وذلك بعد تحايلهم على الأحياء باستخراج تراخيص للبناء بحجة أن القانون قضى بأن الحى لا يفصل فى منازعات الملكية، ولكن ذلك معناه أن هذا الحى يشجع المغتصب على الاغتصاب، والقيام بالبناء في أراضى ليست مملوكة له. ولعل الحكومة الجديدة قد ادركت معاناه أبناء المجتمع، فالغت عدداً من القوانين، منها قانون ضريبة الأيلولة، وخفضت بعضا من الرسوم وما إلى ذلك مما يعد فى صميم حركة الاصلاح الإدارى. والحقيقة أن «غابة القوانين» الموجودة تحتاج إلى عملية غربلة وتنقية وتوحيد وتحديث.

٢- مشكلة الروتين والتعقيد والبيروقرطية والبطء فى الانجاز، وفى اتخاذ القرارات.

هذه المعطيات يعرضها الجدول الآتى:

جدول رقم (٢)
يوضح مشكلات الروتين والتعقيد والبيروقراطية والبطء
فى اتخاذ القرارات وفى الانجاز

مفردة رقم (٢) العينة ككل   ن = ٣٥٣

نوعية المشكلات	ك	٪
– الروتين والتعقيد الوظيفى والإدارى	٢١٥	٦٠,٩
– كثرة الأوراق المطلوبة لعمل ما	٤	١,١
– كثرة الامضاءات والاعتمادات والموافقات	١٢	٣,٤
– كثرة «الأختام» وبطء اتخاذ القرارات وصعوبة الحصول على خاتم شعا ر الجمهورية	٢١	٥,٩
– البيروقراطية فى العمل والإدارة	٦٥	١٨,٤
– تأخير استخراج الأوراق الرسمية وتعطيلها	٨	٢,٣
– الجمود والتحجر	١	٠,٣
– البطء فى البحث فى الاجراءات القانونية والمدنية	٢	٠,٦
– كثرة «الدمغات» المطلوبة على الأوراق الرسمية	١	٠,٣

أكثر هذه النوعية من المشكلات شيوعا هى:

– الروتين والتعقيد الوظيفى والإدارى ٦٠,٩ ٪

– البيروقراطية فى العمل والإدارة ١٨,٤ ٪

– كثرة الاختام وصعوبة الحصول على خاتم شعار الجمهورية والبطء فى اتخاذ القرارات ٥,٩ ٪ فالشكوى الأكثر انتشارا تحدث من الروتين والتعقيد ثم البيروقراطية، وكذلك البطء فى استخراج الأوراق الرسمية كشهادات الميلاد أو الشهادات الدراسية وكثرة التوقيعات على المحرر الواحد.

أما أقل الاستجابات فكانت فى الجمود والتحجر الإدارى وكثرة الدمغات

المفروضة على المحررات الرسمية، ومثل هذه المشكلات تحتاج إلى حلول عاجلة لتحقيق التنمية الإدارية المنشودة.

٣- المشكلات الاخلاقية والسلوكية والشخصية والنفسية والدينية:

ويكشف الجدول الآتى عن تنوع هذه النوعية من المشكلات وتعددها وشمولها لكل جوانب شخصية الموظف والحاق الضرر للمتعاملين معه وتعطيل سير العمل، ولعل أسوأ ما يصيب الأجهزة الإدارية هو التدهور الاخلاقى وضعف الضمير الاخلاقى والوازع الدينى ومعاناة الموظف من الأمراض النفسية والعقد والقلق والسادية والرغبة فى الاذى كما هو الحال فى حالة الاصابة بالسيادية وهى نزعة نفسية شاذة تدفع صاحبها لالحاق الاذى والضرر والانتقام بالناس الآخرين حتى أقرب الناس إليه كالزوجة[٤].

جدول رقم (٣)

يوضح المشكلات الاخلاقية والسلوكية والشخصية والنفسية والدينية

العينة ككل ن = ٣٥٣ مفردة رقم (٢)

نوعية المشكلات	ك	٪
- الوعود بدون تنفيذ وسوء المعاملة	٨	٢,٢
- عدم الجدية فى عمل الموظف الإدارى واللامبالاة	١٠	٢,٨
- التوانى فى العمل واضاعة الوقت بلاجدوى	١٧	٤,٨
- سوء الحالة المزاجية للموظف ونفسيته	٥	١,٤
- النفاق والرياء والمداهنة من المرؤوس للرئيس	٤	١,١
- عدم الاهتمام بالمشاكل النفسية للموظف	٥	١,٤
- البعد عن الاخلاقيات والسلوك المثالى	١٠	٢,٨
- ضياع الضمير وضعف الوازع الدينى	١٠	٢,٨
- عدم وجود اخصائيين نفسيين فى المصانع والشركات لحل المشاكل النفسية	٥	١,٤

(تابع جدول رقم ٣)

نوعية المشكلات	ك	٪
– الشعور بالاغتراب والانطواء	١٠	٢,٨
– عدم الشعور بالرضاء فى العمل	٢	٠,٦
– احتماء الموظف بالمرض أو تمارضه وانقطاعه عنه	١	٠,٣
– استغلال الموظف لحقه فى الاجازات أزيد من اللازم	١	٠,٣
– شيوع فكرة «يابخت من نفع واستنفع» (النفعية)	١	٠,٣
– عدم الاهتمام بشئون الناس والاهمال الشديد	١	٠,٣
– عدم منح الرؤساء الثقة للمرؤسين	١	٠,٣
– عدم ولاء الموظف لعمله فى الإدارة	١	٠,٣
– عدم مراعاة الموظف للصالح العام والصالح الوطنى	١	٠,٣
– تفضيل المصالح الشخصية على المصالح العامة	١	٠,٣
– التفرقة فى المعاملة بين الموظفين	١	٠,٣
– سادية الموظف الإدارى وأهماله مصالح المواطنين	١	٠,٣

هذه المشاكل تشمل ما يعانى منه الموظف نفسه من المشكلات النفسية، وعدم المساواة وعدم أعطاء الرئيس الثقة فى المرؤوس ومنها ما يلحق أبناء المجتمع المتعاملين مع الموظف والمترددين عليه لقضاء حاجاتهم وأظهر هذه المشكلات وأكثرها اقرارا من قبل العينة المشاركة مايلى:

- – التوانى فى العمل واضاعة الوقت بلاجدوى ٪ ٤,٨
- – عدم الجدية فى عمل الموظف الإدارى واللامبالاة ٪ ٢,٨
- – البعد عن الاخلاقيات والسلوك المثالى ٪ ٢,٨
- – ضياع الضمير وضعف الوازع الدينى ٪ ٢,٨
- – الشعور بالاغتراب (أى عدم الانتماء) ٪ ٢,٨
- – الوعود بدون تنفيذ وسؤ معاملة الجمهور ٪ ٢,٣

وكثرة هذه المشكلات الاخلاقية، تجعلنا فى حاجة إلى «ثورة اخلاقية» لاعادة بناء الانسان المصرى على أسس من الخلق القويم وقيم الحق والعدل والانصاف والمساواة والعدالة والرحمة والعفة والنزاهة والطهارة والجدية وتحمل المسئولية وتقدير الصالح العام والانتماء الوطنى، والطاعة والالتزام والانضباط والجدية والرحمة بمن يتعامل معهم الموظف العام.

٤- مشكلات اقتصادية ومالية والغلاء وقلة الدخل:

الجدول الآتى يعرض نتائج تحليل استجابات العينة فى هذه النوعية من المشكلات الاقتصادية أو المالية ومشكلة غلاء المعيشة وارتفاع الأسعار وإنخفاض معدلات الدخل وصعوبة تحقيق المعادلة بين الأسعار والدخول وهو الأمر الذى تسعى لتحقيقه الحكومة حالياً.

جدول رقم (٤)

يوضح المشكلات الاقتصادية أو المالية وغلاء المعيشة وقلة الدخل

العينة ككل ن = ٣٥٣ مفردة رقم (٢)

نوعية المشكلات	ك	٪
- عدم الأخذ بأساليب «الأولوية» فى أنفاق الأموال	٣	٠,٨
- عدم التوزيع الأمثل للدخل القومى وقلة مرتبات الموظفين وغلاء المعيشة	٢٦	٧,٤
- إدارة فئة معينة لاقتصاد البلاد	٦	١,٧
- عدم الفهم الصحيح لعيوب ومزايا نظام الخصخصة	٢	٠,٦
- الاحتياج إلى مشاريع استثمارية جديدة	٥	١,٤
- الارهاب وعدائه للسياحة	٥	١,٤
- سياسة الحوافز والعلاوات التشجيعية «الجماعية»	١	٠,٣
- عدم السيطرة على الأسعار	١	٠,٣
- اختفاء بعض السلع الأساسية للمعيشة	١	٠,٣
- اعاقة الاستثمار فى مصر	١	٠,٣
- كثرة المشاكل الأسرية والاقتصادية للموظف الإدارى	١	٠,٣
- ضياع حقوق العاملين بالمؤسسات الإدارية	١	٠,٣

تنوع المشاكل ذات الطابع الاقتصادى، أو الأثر الاقتصادى، وإن كان اظهرها مايلى:

- عدم التوزيع الأمثل للدخل القومى وقلة مرتبات الموظفين وغلاء المعيشة ٧,٤٪
- الاحتياج المُلِح إلى مشاريع استثمارية جديدة ١,٤٪
- الارهاب وعدائه للسياحة ١,٤٪
- عدم الأخذ بأساليب «الأولوية» فى انفاق الأموال ٠,٨٪

وهذه المشكلات، وإن كانت قليلة الانتشار فى رأى المشاركين، الا أنها تلمس أموراً حيوية فى غاية الأهمية منها عدم التوزيع الأمثل على بنود الانفاق، وأن ينفق باغداق على المهرجات والمؤتمرات والحفلات ومشاريع الترف ودور السينما والاعلام والاوبرا، وترك أمور أكثر خطورة كايجاد مساكن لمن تهدمت منازلهم، أو إيجاد فرص عمل للعاطلين، أو توفير العلاج والتعليم المجانى أو تمهيد الشوارع والطرق أو حماية البيئة من أخطار التلوث. ومما اشارت إليه العينة أيضاً عدم فهم مزايا وعيوب تظام الخصخصة فهما جيداً وعدم ترشيد نظام الحوافز والعلاوات بين الموظفين ومعوقات الاستثمار وضياع حقوق الموظفين فى المؤسسات الإدارية وكثرة معاناة الموظف من المشاكل المالية. ولعل من الجدير بالإشارة إلى أن الحكومة قد اتخذت أخيراً عدداً من القرارات التى تسهل عملية الاستثمار وتشجعها.

٥- المشكلات المهنية وصراع المؤهلات وتضارب وتداخل التخصصات:

الجدول الآتى يستعرض استجابات المشاركين فى هذه النوعية من المشكلات فى شكل تكرارات ونسب مئوية.

جدول رقم (٥)

يوضح المشكلات المهنية وصراع المؤهلات وتضارب وتداخل التخصصات

مفردة رقم (٢) العينة ككل ن = ٣٥٣ تكرارات ونسب مئوية

نوعية المشكلات	ك	٪
– صراع الشهادات وعدم ملائمة العمل لنوع التخصص	٤	١,١
– عدم وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب	٤٥	١٢,٧
– عدم وجود تأهيل وظيفى وكفاءة مهنية	٨	٢,٣
– عدم تكافؤ الفرص فى تعيين الموظفين	١٠	٢,٨
– عدم استغلال الكفاءات الإدارية فى مجال الإدارة	٤	١,١
– الإعتماد على «تعيين» رجال الإدارة دون «الإنتخاب»	٣	٠,٨
– إنتشار الغيرة والصراع بين الموظفين	٢	٠,٦
– وجود تمييز بين المديرين والإدارات	١	٠,٣

تتنوع هذه المشكلات أيضا، وتشمل جوانب كثيرة تمس حياة الموظف وسياسة التوظف والتعيين، وعدم وضع الرجل الماسب فى مكانه المناسب، وعدم إحترام التخصصات العلمية والمهنية، وأكثر هذه المشكلات ادراكا من قبل جماعة المشاركين مايلى:

– عدم وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب ١٢,٧٪

– عدم مراعاةمبدأ تكافؤ الفرص فى تعيين الموظفين ٢,٨٪

– عدم وجود تأهيل وظيفى كاف وضعف الكفاءة المهنية ٢,٣٪

وبذلك تمس العينة لب المشكلات الإدارية، وهى عدم وضع الرجل المناسب فى مكانه الوظيفى المناسب. وعلماء النفس يقررون بأن الفرد يوضع فى مكانه المناسب إذا اتفقت المهنة ومتطلباتها مع مايمتلك الفرد من الذكاءالعام والقدرات

الخاصة والميول المهنية والاستعدادات والخبرات والمهارات والمعارف السابقة وسمات شخصيته وظروفه الإجتماعية، وتحقيقا لهذا المبدأ أى وضع الرجل المناسب فى مكانه المناسب تتم هذه العمليات الثلاث(٥):

١- تحليل الفرد تحليلا موضوعيا وعلميا دقيقا بإستخدام الإختبارات والمقاييس والأجهزة وغير ذلك من تقنيات القياس لمعرفة ذكائه وقدراته وما إلى ذلك(٦).

٢- تحليل العمل أى تقسيمه إلى أجزائه الصغرى المكونة له ومعرفة حركاته وواجباته، وتحديد الطرق المثلى فى آدائه، وذلك بإستخدام مناهج مختلفة، منها ملاحظة العامل أو ملء الاستبيانات أو المقابلات الشخصية أو قيام الباحث نفسه بأداء العمل أو تشغيل الآلة أو الجهاز بنفسه بغية معرفة القدرات اللازمة للنجاح فيه(٧).

٣- المؤامة المهنية أى المزاوجة بين عمل مناسب ورجل مناسب، وبذلك نستبعد أساليب الوساطة والمحسوبية والرشوة وتعيين الأقارب والأنساب وقليلى الكفاءة... وما إلى ذلك.

كذلك تشير العينة إلى تعيين أناس فى غير تخصصهم العلمى وهى ظاهرة منتشرة بكثرة. كذلك تدعو الدراسة لوضع مبدأ تكافؤ الفرص بين أصحاب المؤهل الواحد فى الحصول على الوظيفة الشاغرة. كذلك تشكو العينة من قلة التدريب المهنى والإدارى لمن يقوم بالأعمال الإدارية، ونقص الكفاءة الإدارية مسئول عن كثير من مشاكل المؤسسات والإدارات.

٦- المشكلات ذات الطابع الإجتماعى:

تشمل هذه الطائفة من المشاكل العديد من أوجه المعاناة سواء مايشعر به الموظف الإدارى نفسه أو مايلحقه هو بغيره من أبناء الشعب.. وأكثر هذه المشكلات اقرارا من قبل العينة المشاركة مايلى:

- شيوع الوساطة والمحاباة والمحسوبية	٢٣,٨٪
- وجود البطالة المقنعة فى المصالح الحكومية	٧,١٪
- عدم إهتمام الموظف بمشاكل الغير	٣,٧٪
- الترقية لمن لايستحق	٣,٧٪
- زيادة الموظفين وتكدسهم فى مكان واحد وسوء توزيعهم	٣,٤٪
- عدم تساوى الطبقات	٢,٨٪
- عدم الإهتمام بمشاكل الشباب	٢,٥٪

ولعل مايستدعى الانتباه من هذه المشكلات، وجود البطالة المنقعة بين الموظفين وتكدس العمالة فى بعض الجهات ونقصانها فى البعض الآخر. فالخريجون لايرغبون فى التعيين فى الأعمال التى يوجد بها أعمال جادة أو مكثفة مثل الشهر العقارى والسجل المدنى والبنوك وإدارات المرور، ويرغبون فى الأماكن التى لايوجد فيها عمل حقيقى. كذلك من السمات النفسية السابقة لدى بعض الموظفين عدم التوحد مع أصحاب المصالح نفسيا وعدم الشعور بشعورهم وعدم مراعاة وتقدير وقتهم وطاقتهم وإلى جانب ذلك ماتقرره العينة من عدم الإهتمام بمشاكل الشباب، وأن كانت الدولة، مشكورة، وعلى قمتها السيد الرئيس مبارك تسعى جاهدة لتوفير سبل الأمان للشباب.

جدول رقم (٦)

يوضح المشكلات الإجتماعية

مفردة رقم (٢) العينة ككل ن = ٣٥٣ تكرارات ونسب مئوية

نوعية المشكلات	ك	٪
- عدم تساوى الطبقات	١٠	٢,٨
- عدم الاهتمام بمشاكل الغير	١٣	٣,٧
- شيوع الوساطة والمحاباة والمحسوبية	٨٤	٢٣,٨
- ترقية من لايستحق	١٣	٣,٧
- العمل من أجل المصلحة الشخصية وليس المصلحة العامة	٢	٠,٦
- عدم المساواة فى الحقوق والواجبات ومنح الامتيازات لمن لايستحق	١	٠,٣
- وجود البطالة المقنعة فى المصالح الحكومية	٢٥	٧,١
- زيادة الموظفين وتكدسهم فى مكان واحد وسؤ توزيعهم	١٢	٣,٤
- زيادة العمالة وكثرة عدد الموظفين عن الحاجة الفعلية للعمل	٧	٢,٠
- قلة الوظائف والدرجات المالية	١	٠,٣
- نقص العمالة فى بعض المصالح وزيادتها فى مصالح أخرى	١	٠,٣
- مشكلة المواصلات وازدحامها بالنسبة للموظفين	٥	١,٤
- الهجرة من الريف للمدينة وزحمة المدن	٣	٠,٨
- مشكلة الإسكان	٨	٢,٣
- عدم ملائمة أماكن العمل التى يعمل فيها الموظفون	١	٠,٣
- تداخل الاختصاصات وتعطيل مصالح الشعب	٧	٢,٠
- عدم الاهتمام بشئون الناس والإهمال الشديد	١	٠,٣
- تعطيل إنجاز مصالح الآخرين	١	٠,٣
- عدم الإهتمام بمشاكل الشباب	٩	٢,٥

من وجوه اهتمام الرئيس مبارك بالشباب انشاء صندوق التنمية الاجتماعية وتيسير منح القروض للشباب، وتعيين أكبر قدر ممكن منهم، والتوسع فى إنشاء المشروعات التى تمتص أكبر قدر من العمالة. والعمل على حسن تدريبهم وتشجيعهم واقامة المعارض لمنتجاتهم وأخذهم من يدهم لمساعدتهم لممارسة الأعمال الحرة، والمشروعات الصغيرة، إلى جانب توفير فرص التعليم وتنوع انماطه، فهناك التعليم الجامعى الرسمى النظامى فى مختلف الكليات والمعاهد، وهناك نظام الانتساب الموجه ثم التعليم المفتوح أو التعليم عن بعد، والتعليم المستمر وأخيراً صدور القرار الجمهورى بانشاء أربع جامعات خاصة، وذلك لاتاحة الفرص لكل المتعطشين للتعليم من الشباب.

٧- المشكلات التنظيمية والضبط والربط والاشراف وسؤ استعمال السلطة:

هناك العديد من المشكلات التى تقع ضمن هذه الفئة من المشكلات الإدارية، وان كانت جميع المشكلات مترابطة ومتداخلة، فالتسيب والاهمال مثلا يؤديان إلى السرقة والرشوة والاختلاس، وضعف الضمير يؤدى إلى تعطيل الأعمال، وهكذا تترابط المشاكل الإدارية وتتداخل مع بعضها البعض مما يدعو إلى ضرورة إتخاذ «منهج الشمول» فى معركة التنمية الإدارية. والجدول الآتى يوضح هذه المشكلات كما ادركتها العينة المشاركة فى الدراسة:

جدول رقم (٧)

يوضح المشكلات التنظيمية، والضبط، والربط، والاشراف، والمتابعة وسؤ استعمال السلطة، والرشوة، والاختلاس

مفردة رقم (٢) العينة ككل ن = ٣٥٣ تكرارات ونسب مئوية

نوعية المشكلات	ك	٪
– عدم انضباط المواعيد بالنسبة للموظفين	٦	١,٧
– قلة الاشراف والمتابعة على الموظفين	٥	١,٤
– التسيب وعدم الانضباط	٥	١,٤
– عدم انعقاد اللجان الإدارية فى مواعيدها	١	٠,٣
– عدم توفر السجلات والملفات	١	٠,٣
– قلة من الموظفين تقوم بالعمل وكثرة تتفرج	١	٠,٣
– تعدد الاختصاصات فى المجال الواحد	١	٠,٣
– تساوى الموظف الذى يعمل مع الموظف الذى لايعمل	٢	٠,٦
– تعدد المسئولين	١	٠,٣
– قلة التنظيم داخل المصالح الحكومية	٢	٠,٦
– تعدد الإدارات للعمل الواحد	١	٠,٣
– تفتيت العمل الواحد الذى يمكن أن يقوم به موظف واحد على كثير من الموظفين	٣	٠,٨
– تنصل الموظف الإدارى من المسئولية والقائها على غيره	١	٠,٣
– عدم تحديد المسئولية	١	٠,٣
– عدم وجود تخطيط محكم	١	٠,٣
– عدم دراسة القرارات دراسة وافية ومعرفة اثرها قبل صدورها	١	٠,٣
– ارهاق الموظف الإدارى بسبب اشتغاله طول الليل فى عمل آخر	١	٠,٣
– وجود معظم المصالح فى القاهرة مما يؤدى لمشقة فى الوصول اليها	١٥	٤,٢
– تداخل الاختصاصات وتعطيل مصالح الشعب	٦	١,٤
– السرقات فى المصالح الحكومية والاختلاس	١١	٣,١

تابع جدول (٧)

نوعية المشكلات	ك	٪
– الرشوة والغش فى العمل	٦٦	١٨,٧
– التسلط فى اتخاذ القرارات	١٢	٣,٤
– وضع التقارير السرية السنوية للموظفين على اهواء الرؤساء	١	٠,٣
– منح الحوافز والعلاوات من لا يستحقها	٢	٠,٦
– فساد الجهاز الإدارى وسؤ استعمال السلطة	١٢	٣,٤
– الانحراف والتعسف	١٠	٢,٨
– الديكتاتورية وسؤ العلاقة بين الإدارة والعمال	١٥	٤,٢
– تحكم المديرين فى مرؤوسهم	١	٠,٣
– فرض الجزاءات على صغار الموظفين فقط	١	٠,٣
– سؤ استغلال الوظيفة	١	٠,٣
– الانحراف الإدارى	١	٠,٣
– الانفراد بالسلطة واتخاذ القرارات الفردية	١	٠,٣

يتضح من خلال الجدول السابق أن أكثر المشكلات اقرارا من قبل العينة:

١– الرشوة والغش فى العمل ١٨,٧٪

٢– وجود معظم المصالح الحكومية في القاهرة مما يودى لمشقة الوصول اليها ٤,٢٪

٣– الديكتاتورية وسؤ العلاقة بين الإدارة والعمال ٤,٢٪

٤– التسلط فى اتخاذ القرارات ٣,٤٪

٥– فساد الجهاز الإدارى وسؤ استعمال السلطة ٣,٤٪

ولاشك أن ادراك المشاركين لخطورة الرشوة يعبر عن كونها آفة تهز ثقة المواطنين فى الآداة الإدارية، وتؤدى إلى ضياع حقوق الناس وتعطيلها، وإلى انتشار الظلم والفساد والطغيان والانحلال، ويتبع جريمة الرشوة ، فى الغالب، جريمة

التزوير فضلاً عن ضياع القيم الاخلاقية وضعف النفوس. وتشير العينة إلى واحدة من الصعوبات الناجمة عن بقاء نظام الإدارة المركزية ، حيث تتركز السلطات فى العاصمة، ويؤدى ذلك إلى تعطيل الأعمال، وتكبد الجمهور مشاق السفر وما إلى ذلك من عيوب للأنظمة المركزية، كذلك من العيوب البارزة للحياة الإدارية اتسامها بالتسلط والجمود والانحراف بالسلطة واساءة استعمالها. ولعل سجل القضايا المرفوعة من الموظفين وآحاد الناس عامة أمام محاكم القضاء الإدارى لخير دليل على ضخامة هذه المشكلة، وهى بطلان القرارات الإدارية وفسادها وابتعادها عن المصلحة العمومية أو هدرها لأحكام القانون.

كذلك تشير الاستجابات إلى بعض مظاهر الصعوبات الإدارية ومن ذلك

- عدم انضباط الموظفين فى مواعيد الحضور والانصراف.
- قلة الاشراف والمتابعة على الموظفين.
- التسيب وعدم الانضباط.
- الانحراف والتعسف.
- السرقات.
- تداخل الاختصاصات.

مثل هذه الاستجابات تجعلنا ندعو للاستمرار فى عملية الاصلاح الإدارى، وتحقيق التنمية الإدارية، ودراسة مشاكل الإدارة بغية التخلص منها، ورفع الكفاءة الإدارية لدى رجال الإدارة.

٨- مشكلات التكاسل وعدم الرغبة فى العمل والفوضى والتسيب واضاعة الوقت والجهد:

الجدول الاتى يعرض المعطيات فى شكل تكرارات ونسب مئوية:

جدول رقم (٨)

يوضح مشكلات التكاسل وعدم الرغبة فى العمل والفوضى والتسيب واضاعة الوقت والجهد

مفردة رقم (٢) العينة ككل ن = ٣٥٣ تكرارات ونسب مئوية

نوعية المشكلات	ك	٪
- التكاسل وعدم الرغبة فى العمل	٣٥	٩,٩
- الفوضى والتسيب فى العمل	١	٠,٣
- عدم الاهتمام بالوقت	١	٠,٣
- البطء فى الانجاز وفى اتخاذ القرارات	٤	١,١
- اللامبالاة	١٠	٢,٨
- التسيب الإدارى فى المصالح الحكومية	٨	٢,٣
- تزويغ الموظفين وهروبهم من العمل	٢	٠,٦
- ارهاق الموظف الإدارى بسبب اشتغاله طول الليل فى عمل آخر	١	٠,٣
- عدم الاستمرارية فى الالتزام بالعمل	١	٠,٣
- عدم كفاية ردع المهمل وعقابه	٢	٠,٦
- انشغال الدولة بالأمور الخارجية عن أمور الإدارة	٢	٠,٦

من أكثر المشكلات تكراراً فى نظر العينة مايلى:

١- التكاسل وعدم الرغبة فى العمل والأهمال ٩,٩ ٪

٢- اللامبالاة لدى الموظف الإدارى، وخاصة صغار الموظفين ٢,٨ ٪

٣- التسيب الإدارى فى المصالح والهيئات ٢,٣ ٪

ومن أطرف ما أدلى به بعض أفراد العينة تزويغ الموظفين وهروبهم من العمل بحجة الذهاب للتأمين الصحى، أو لغيره من الأسباب.

وجدير بالذكر شعور المشاركين بعدم كفاية الردع والعقاب الذى يلحق

بالموظف اذا ما ارتكب مخالفة ما، وقد لايقع عليه أيةجزاءات على وجه الاطلاق قياسا لما كان عليه الوضع فيما مضى.

فلقد كان الموظف العام يرتعد من رعب النقل إلى الأماكن النائية وإلى أقاصى البلاد، كذلك كان فى وسع الرؤساء انزال العقوبة بالموظف التى قد تصل إلى حد الفصل، ولكن عندما قامت الثورة أرادت أن تستفيد من تأييد العمال لها، فجاملتهم وحابتهم وقدمت لهم مايمكن أن يكون على سبيل «الرشوة» للوقوف معها فى شكل منع الفصل للأفراد والنقل والجزاء. ومايزال هذا الوضع سائدا، حيث تغل يد المدير عن انزال العقاب بالمخالف. ومن وجهة النظر السيكولوجية البحتة يلفت البحث النظر إلى هذه المفردة أو تلك الإستجابة والتى تقرر تكاسل الموظف وعدم الرغبة فى العمل والاهمال، ذلك لأنها عبارة عن عادة نفسية فى المحل الأول، وناتجة عن سوء التربية والتنشئة، وكلما «قل» العمل المكلف به الموظف كلما كان رافضا للقيام به. فهناك بعض الموظفين الذين ينحصر عملهم اليومى فى التوقيع على خطاب أو أكثر أو على تسجيل خطاب أو أكثر فى دفتر الوارد أو الصادر، ومع ذلك يشعر الموظف بثقل العمل، ويسعى جاهدا للتهرب منه، وهى عادة مرضية تزداد كلما قل العمل، ذلك لأن التدريب على حب العمل والاقبال عليه عادة تربوية تتكون فى الموظف من خلال تعليمه وتدريبه ثم من خلال حزم الادارة وحسمها، ومن خلال حسن توزيع العمل مع ضرورة العمل على عدم ترك موظف بلا عمل حقيقى مما يسمى **«البطالة المقنعة»** وتظهر هذه الحالة عندما تدخل قاعة مكتظة بالموظفين، وتطلب النظر فى طلبك، فتقدمه فيحيلك إلى من يجلس بجانبه، ويحيلك الثانى إلى الثالث والرابع وهكذا.. وكأن العمل ضرب من ضروب العذاب يتهربون منه بصورة مرضية على حين تجد أناسا آخرين يعملون كلّ دقيقة من أوقات العمل الرسمية بل قد يأخذون أكواما من العمل لانجازها فى منازلهم.. أمور تحتاج إلى علاج نفسى ادارى وتنظيمى.

المشكلات التعليمية والتدريبية:

يشير الجدول الآتى إلى أهم المشكلات التربوية أو التعليمية والمتعلقة بالتدريب الادارى والمهنى وبنشر الثقافة وقلة الخبرة والكفاءة الادارية.

جدول رقم (٩)

يوضح المشكلات التعليمية والتربوية والتدريبية والثقافية والمتعلقة بقلة الخبرة

مفردة رقم (٢) العينة ككل ن = ٣٥٣ تكرارات ونسب مئوية

نوعية المشكلات	ك	٪
- سؤ الإدارة التعليمية والسياسية	٦	١,٦
- قلة الاهتمام بالوعى الثقافى	٧	٢,٠
- قلة الدورات التدريبية	٣	٠,٨
- عدم وجود كوادر إدارية مدربة وقلة الخبرة الإدارية	٣	٠,٨
- عدم معرفة الموظفين بواجباتهم الوظيفية	١	٠,٣
- عدم فهم الموظف الإدارى للقوانين واللوائح	٢	٠,٦
- عدم وجود الكفاءات الإدارية وعدم حصول البعض على المؤهلات اللازمة	٣	٠,٨
- عدم ادخال الحاسب الآلى وما إليه من التكنولوجيا فى النظام الإدارى	٣	٠,٨
- عدم المساواة بين الرجل والمرأة فى مجال العمل	١	٠,٣

تشير الاستجابات إلى قلة الاهتمام بنشر الوعى الثقافى بين الموظفين، وأبناء المجتمع عامة، وذلك لأن الثقافة تزيد من وعى الموظف، ومن سعة أفقه ومداركه، ومن احساسه وشعوره ووجدانه، فهى من الوسائل الجيدة فى «التربية الوطنية»، كذلك تشير الاستجابات إلى سؤ الإدارة التعليمية بالذات، ولعل من أسؤ ما افرزته

هذه الإدارة تفشى « وباء» الدروس الخصوصية، وما نجم عنه من مشكلات افسدت مجانية التعليم، وأرهقت كاهل الأسرة، ولأن اثر التربية فى الفرد يظل باقيا طوال حياته ولايتوقف عن مغادرته المؤسسة التعليمية.

كما تشير الاستجابات الى نقص الدورات التدريبية وعدم معرفة الموظف لواجباته الوظيفية على الوجه الصحيح، وقلة الكفاءات الإدارية، وأخيراً تشير العينة إلى عدم كفاية استخدام التكنولوجيا الحديثة والآلات الحاسبة أو العقول الحاسبة فى قضايا الإدارة، وهو ما يعرف اليوم باسم الذكاء الاصطناعى، وتوفير ما يلزم للمدير من المعلومات والحقائق والمعطيات والبيانات التى تمكنه من إتخاذ القرار الصائب، والتى تجعله ملما بكل حركات الأسواق والامكانات والظروف والمنافسات وكل ما يتعلق بالموضوع الذى يعكف على دراسته، ومن ذلك انشاء مركز المعلومات واتخاذ القرار فى مجلس الوزراء وغير ذلك من الدوائر التليفزيونية وشبكات المعلومات العالمية وإستخدام الحاسبات الالكترونية.

العينة تطالب بالمزيد من هذا التطور .. ولكن الباحث يؤكد أهمية الاهتمام بالعلاقات الإنسانية، مع عدم انكار جدوى التكنولوجيا فى مجال الإدارة، اذا لا يمكن جعل الإدارة مجرد سلوك آلى ميكانيكى، وانما لابد من أخذ العلاقات الإنسانية والأمور الإنسانية فى الحسبان.

التطور لا يكون على حساب الإنسان، وإنما هو من أجل الإنسان وسعادته .. والإنسان لا يمكن أن يصبح عبدا رقيقا للآلة لأنه هو سيد الالة.

أهم الاضرار الاقتصادية والاجتماعيةوالصحية التى تنجم عن وجود المشاكل الإدارية

تم تحليل استجابات عينة المشاركين فى الدراسة للسؤال مفتوح النهائة الآتى:

«ماهى الاضرار الاقتصادية والاجتماعية والنفسية والصحية التى تنجم عن وجود المشاكل الإدارية ؟

بطبيعة الحال ، فان المشاكل والصعوبات والعراقيل الإدارية تؤدى إلى نشوب بعض الاضرار .. ولذلك استهدف السؤال الآتى التعرف على هذه االاضرار كما يدركها جماعة المشاركين وكما يشعرون بها.

ولاشك أن أقرار اضرار كثيرة انما يعكس أهمية النشاط الإدارى ورسالة الإدارة فى تحقيق أهداف المجتمع، وفى حمايته من المعاناة من المشكلات وفى تحقيق التنمية والرخاء والتقدم والازدهار والتطور، وتحقيق رفاهة المجتمع وتقدمه فى شتى المجالات وتوفير الخدمات لأبناء المجتمع.

الجدول الآتى يستعرض استجابات أفراد العينة - كضعف معدلات الإنتاج وإنخفاض مستوى جودته وسؤ حالته وتعطيل دولاب العمل وإنخفاض الانجاز وقلة كفاءة الجهاز الإدارى.

١- ضعف معدلات الإنتاج:

جدول رقم (١٠)

يوضح مشكلة ضعف معدلات الإنتاج وانخفاض مستوى جودته وسؤ حالته وتعطيل دولاب العمل، وانخفاض معدلات الإنجاز وقلة كفاءة الجهاز الإدارى

نوعية الاضرار	ك	٪
- ضعف الإنتاج وقلته وعدم وصوله إلى المكانة والجودة الجيدة	٢١	٥,٩
- عرقلة حركة العمل أو سيره	١	٠,٣
- عدم كفاءة العمل	١	٠,٣
- قلة الإنتاج وسؤ حالته	٨	٢,٣
- تعطيل دولاب العمل	١	٠,٣
- سؤ حالة الإنتاج	١	٠,٣
- عدم القيام بالأعمال نتيجة سؤ الإدارة	١	٠,٣
- الشعور بالعدوان والحقد على النظام الإدارى	٦	١,٧
- أثارة البغضاء بين الشعب أو المواطنين	٦	١,٧

من أظهر اضرار المشكلات الإدارية وسوء الإدارة فيما يتعلق بالإنتاج :

- قلة الإنتاج وضعف مستوى جودته ٪٥,٩
- قلة الإنتاج وسؤ حالته ٪٢,٣
- الشعور بالعدوان والحقد على النظام الإدارى ٪١,٧
- اثارة البغضاء بين الشعب أوالمواطنين ٪١,٧

٢- انتشار الفساد والتسيب والانحراف والاهمال:

من عيوب سؤ الإدارة أو معاناتها من المشكلات مايلى:

١- ظهور حالات الاتكالية واللامبالاة ١٠,٢٪

٢- الفقر وانتشار الفساد ٥,٧٪

٣- شعور الفرد بانعدام القيم ٥,٤٪

٤- انتشار البطالة ١,٧٪

٥- عدم المبالاة فى العمل ١,١٪

٦- الشعور بعدم المساواة بين الهيئات المختلفة فى البدلات والحوافز ١,١٪

جدول رقم (١١)

مشكلة انتشار الفساد والتسيب والانحلال والاهمال واللامبالة والفوضى الإدارية

نوعية الأضرار	ك	٪
- الفقر وانتشار الفساد بين الشعب	٢٠	٥,٧
- ظهور حالات الاتكالية واللامبالاة	٣٦	١٠,٢
- أهمال العمل والفوضى الإدارية	٣	٠,٨
- عدم المبالاة فى العمل	٤	١,١
- انتشار الانحلال والفوضى	١	٠,٣
- الاهمال	١	٠,٣
- شعور الفرد بانعدام القيم	١٩	٥,٤
- انتشار البطالة وضياع الاخلاق	٦	١,٧
- عدم اعطاء الموظف واجبه نحو العمل ونحو المجتمع	١	٠,٣
- شعور المواطن بالظلم	١	٠,٣
- عدم المساواة بين الهيئات المختلفة فى البدالات والحوافز	٤	١,١

٣- عدم الشعور بالثقة فى الجهاز الإدارى:

يعرض الجدول الآتى المعطيات المتعلقة بهذا الأثر الضار من آثار الإدارة أو معاناة الإدارة من المشكلات ...

جدول رقم (١٢)

أضرار مشكلة عدم الشعور بالثقة فى الجهاز الإدارى وعقمه وسؤ فهم فلسفة الديمقراطية - مفردة رقم (٣)

نوعية الأضرار	ك	٪
- فقدان الثقة فى الجهاز الإدارى	١٧	٤,٨
- سؤ فهم معنى الديمقرواطية	٢	٠,٦
- فقدان الثقة فى العمل	١	٠,٣
- عقم النظام الإدارى	١	٠,٣
- تعدد الآراء فى العمل الواحد	١	٠,٣
- انتشار الوساطة	٤	١,١
- انتشار الرشوة والمحسوبية	٥	١,٤
- لجؤ المواطنين لأساليب ملتوية للتغلب على الروتين	١	٠,٣
- كثرة السرقات	١	٠,٣
- استغناء المواطن عن معظم حقوقه	١	٠,٣
- سؤ العلاقة بين المصلحة «وصاحب المصلحة»	٢	٠,٦
- عدم أخذ كل فرد ما يستحقه من دخل	١	٠,٣
- - حرمان المواطنين من الخدمات	١	٠,٣
- عدم العدالة فى توزيع المكافآت على من يعمل ومن لا يعمل	١	٠,٣

- أظهر الأضرار فى هذا الصدد مايلى:

١- فقدان الثقة فى الجهاز الإدارى ٤,٨ ٪

٢- انتشار الرشوة والمحسوبية ١,٤ ٪

٣- سؤ فهم معنى الديمقراطية ٠,٦ ٪

٤- سؤ الفهم بين المصلحة الحكومية «وأصحاب المصالح» ٠,٦ ٪

٤-الاضرار الصحية والاخلاقية:

يعرض الجدول الآتى المعطيات الخاصة بهذا الأثر الشئ للإدارة السيئة ...

جدول رقم (١٣)

يوضح الأضرار الصحية والنفسية والكسل والتراخى والعزوف عن العمل واللامبالاة – مفردة رقم (٣)

نوعية الأضرار	ك	٪
– يؤثر الروتين على نفسية العامل	١٢	٣,٤
– جعل الإنسان متكاسلا لا يحب العمل	٢٢	٦,٢
–تدهور الحالة الطبية	١٠	٢,٨
– انتشار أمراض العصر	٢٢	٦,٢
– انتشار الأمراض المهنية	٤	١,١
– الملل	١	٠,٣
– الارهاق	١	٠,٣
– فقدان الثقة فى النفس	١	٠,٣
– فقدان الثقة فى الرؤساء والمرؤسين	١	٠,٣
– اهتزاز الشخصية	١	٠,٣
– الاكتئاب النفسى والقلق والتوتر والاحباط والالم	١٣	٣,٧
– زيادة نسبة الوفيات	١	٠,٣
– انتشار الأوبئة والأمراض	٢	٠,٦
– انتشار الأمراض النفسية	٥	١,٤

تابع جدول رقم (١٣)

نوعية الأضرار	ك	٪
– انتشار الأمراض الجسمية	٤	١,١
– شعور المجتمع باليأس فى اصلاح جميع المجالات	١	٠,٣
– ضعف الصحة العامة	١	٠,٣
– المتاعب العصبية	١	٠,٣
– ظهور المشكلات والأمراض النفسية	٤	١,١
– نشؤ حالات الاتكالية واللامبالاة	٣٦	١٠,٢
– ارتفاع نسبة الوفيات	٢	٠,٦
– انعدام الروح المعنوية	١٠	٢,٨
– الهروب من ضغط العمل	١	٠,٣
– كراهية الموظف لعمله	١	٠,٣
– تفشى ظاهرة الطلاق والتفكك الأسرى	٧	٢,٠
– عدم اتاحة الفرصة للزواج	٤	١,١
– الحاق الاضرار بالأسرة المصرية	٦	١,٧
– صعوبة الزواج وتنظيم الأسرة	١	٠,٣

أظهر هذا النمط من الأضرار الناجمة عن انتشار المشاكل الإدارية مايلى:

١ – ظهور حالات الاتكالية واللامبالاة ١٠,٢٪

٢ – جعل الإنسان متكاسلاً لايحب العمل ٦,٢٪

٣– انتشار أمراض العصر ٦,٢٪

٤ – الاصابة بالاكتئاب النفسى والقلق والتوتر والاحباط ٣,٧٪

٥– يؤثر الروتين على نفسية العامل ٣,٤٪

٦– تدهور الحالة الطبية ٢,٨٪

٧– انعدام الروح المعنوية ٢,٨٪

وهكذا تتسع دائرة الاضرار الناجمة عن عيوب الإدارة ومشاكلها، حيث أن للإدارة انعكاساتها السلبية على صحة العامل الجسمية والعقلية والنفسية وعلى روحه المعنوية وعلى شعوره بالرضا والسعادة والاستقرار.

٤ - الاضرار الاقتصادية:

يكشف الجدول الآتى عن تنوع الاضرار الاقتصادية الناجمة عن مشاكل الإدارة.

جدول رقم (١٤)

جمود النظام الاقتصادى

مفردة رقم (٣) ن = ٣٥٣

نوعية الأضرار	ك	٪
- عرقلة النمو الاقتصادى المصرى	٦	١,٧
- يؤثر الروتين على النواحى الاقتصادية ويؤدى إلى جمود النظام الاقتصادى	٢٣	٦,٥
- التخلف الاقتصادى وعدم اللحاق بالدول الكبرى	٢	٠,٦
- الاستعمار الاقتصادى والتدخل فى شئون الدولة والتبعية الاقتصادية	٥	١,٤
- وجود عجز فى ميزان المدفوعات	١	٠,٣
- ضياع الوقت والجهد بالنسبة للشعب	٣٠	٨,٥
- اضاعة الوقت والجهد والطاقة	٨	٢,٣
- فشل القطاع العام	١	٠,٣
- فشل الجهاز الحكومى فى تأدية وظائفه	١	٠,٣
- عدم الاستقرار الاجتماعى	٢	٠,٦
- قلة العائدات المالية من الأعمال والمشروعات	١	٠,٣
- فشل المشاريع وزيادة الخسارة	٢	٠,٦

تابع جدول رقم (١٤)

نوعية الأضرار	ك	٪
– هروب المستثمرين	٢	٠,٦
– ضياع الأموال بدون فائدة	٢٨	٧,٩
– هدر الأموال والجهد فى سبيل أى عمل بسيط	٢	٠,٦
– ضعف دخل الفرد	٥١	١٤,٤
– الفقر وانتشار الفساد بين الشعب	٢٠	٥,٧
– تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية	٥	١,٤
– قلة الدخل وإنخفاض مستوى المعيشة	٨	٢,٣
– تدهور الحالة الاقتصادية	١	٠,٣
– الاضرار بالمال العام	١	٠,٣
– تفشى الفقر والجهل والمرض	٤	١,١
– اعاقة التنمية والتطور	١٣	٣,٧
– فشل المشروعات التنموية	١٥	٤,٢

من أظهر هذه الأعراض مايأتى:

١– ضعف دخل الفرد ٪١٤,٤

٢– ضياع وقت الشعب وجهده ٪٨,٥

٣– هدر الأموال والجهد فى سبيل انجاز عمل بسيط ٪٧,٩

٤– جمود النواحى الاقتصادية ٪٦,٥

٥– تفشى الفقر والفساد بين الشعب ٪٥,٧

٦– فشل المشروعات التنموية ٪٤,٢

٧– اعاقة التنمية والتطور ٪٣,٧

وكلها آثار خطيرة ومدمرة للاقتصاد وللحياة الاجتماعية ومعوقة للتنمية وللانطلاقة الاقتصادية المنشودة.

٥- انتشار الصراعات بين طوائف الموظفين:

يعرض الجدول الآتى الاثار الضارة والتى تدور حول هذا المتغير والناجمة من سوء الادارة.

جدول رقم (١٥)
يوضح اضرار الصراعات بين الموظفين

نوعية الأضرار	ك	٪
- انتشار الصراعات بين الموظفين	١	٠,٣
- ارتفاع اسعار السلع الغذائية	٦	١,٧
- زيادة تكلفة السلع والخدمات	١	٠,٣
- ارتفاع الاسعار والسوق السوداء	١	٠,٣
- التفرقة بين طبقات المجتمع	١٨	٥,١
- اختلال التوزان الاجتماعى وتفككه	١٣	٣,٧
- شجار الموظف مع زوجته وأولاده	٤	١,١
-قلة الالفه والمودة بين الناس	٤	١,١
- تنصل الفرد من الانتماء وشعوره بعدم الانتماء	٢٥	٧,١
- ضعف الانتماء والولاء للوطن	٢	٠,٦
- احساس الفرد بالظلم والنبذ	٦	١,٧
- إثارة الحقد والحسد بين زملاء المصالح الحكومية ا لمتباينة فى الأوضاع المالية	١	٠,٣
- انتشار الظلم والعداوة والحقد بين الناس	٢	٠,٦
- الاتجاه إلى المخدرات والتخلف	٩	٢,٥
- انتشار الجرائم	٥	١,٤
- تدهور الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية	٥	١,٤
- فساد النظام الاجتماعى والتعليمى	٦	١,٧
- انتشار الصراعات والحروب بين طبقات الشعب	١١	٣,١
- انخفاض المستوى الاجتماعى	١	٠,٣

وأكثر الاضرار إقراراً من قبل العينة المشاركة مايلى:

١- انعدام شعور الفرد بالانتماء ٧,١٪

٢- التفرقة بين طبقات المجتمع ٥,١٪

٣- اختلال التوازن الاجتماعى وتفككه ٣,٧٪

٤- انتشار الصراعات بين طبقات الشعب ٣,١٪

تدرك العينة كثيرا من الاضرار الخطيرة لتفشى المشاكل الإدارية، من ذلك ضعف الشعور بالانتماء ومايصاحبه من الشعور بالغربة أو الاغتراب عن المجتمع وعن الاسرة. وقد يصل الاغتراب إلى حد الاغتراب عن الذات وكلها حالات مرضية سالبة جديرة بالمعالجة والرعاية.

٦- هجرة العمالة وهروب الكفاءات النادرة:

يعرض الجدول الآتى استجابات أفراد العينة المشاركة فى هذه الاضرار

جدول رقم (١٦)

مشكلة هجرة العمال للخارج وهروب الكفاءات - مفردة رقم (٣)

نوعية الأضرار	ك	٪
- هجرة العمال للخارج	١٤	٤,٠
- هروب الكفاءات الادارية	٥	١,٤
- الاضطرار للهجرة خارج الوطن	١	٠,٣
- انتشار البطالة وفساد الاخلاق	٢٥	٧,١
- تكدس الموظفين وعدم وجود وظائف	٢	٠,٦
- عدم الاستقرار الاجتماعى	٢	٠,٦
- وضع الانسان فى غير تخصصه	١	٠,٣
- وضع الانسان فى غير درجته العلمية والمالية	١	٠,٣
- التكدس الوظيفى	١	٠,٣
- يؤدى الروتين إلى شل قدرات الشباب وكفاءتهم	١	٧,٤
- عدم وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب	٢٦	٠,٣
- عدم تركيز العامل فى عمله	١	٠,٣
- عدم الاحساس بأهمية التعليم	١	٠,٣
- تفاقم المشاكل وصعوبة حلها	١	٠,٣

وأظهر هذه الاضرار الناجمة عن سوء النظام الادارى مايلى:

١- فشل قدرات الشباب والقضاء على كفاءتهم ٧,٤٪

٢- انتشار البطالة وفساد الاخلاق ٧,١٪

٣- هجرة العمال للخارج ٤,٠٪

٤- الهروب خارج الوطن ١,٤٪

من الاثار الضارة بالحياة الاقتصادية تعطيل دولاب العمل، وارتفاع أسعار العمالة الماهرة، وظاهرة هجرة الكفاءات الحرفية إلى الخارج، مما أبقى النوعية الردئية فقط مع إرتفاع أسعارها مما كان له أسوأ الأثر فى زيادة تكلفة المشروعات، وخاصة مشاريع البناء واصلاح السيارات وما إلى ذلك.

تكدس العمالة وزيادتها:

الجدول الآتى يلخص نتائج تحليل استجابات المشاركين فى هذا الصدد:

جدول رقم (١٧)

يوضح تكدس العمال والموظفى

نوعية الأضرار	ك	٪
- تكدس الموظفين وعدم وجود وظائف	٢	٠,٦
- تعطل المصالح الفردية والجماعية	٥	١,٤
- تعطيل انهاء مصالح المواطنين	٧	٢,٠
- تراكم الأوراق فى المصالح الحكومية	١	٠,٣
- تعطيل مصالح الجمهور واصابته بعدم الثقة	١	٠,٣

هذه الاضرار على الترتيب هى:

١- تعطيل انهاء مصالح المواطنين -٢,٪

٢- تعطيل المصالح الفردية والجماعية ١,٤ ٪

٣- تكدس الموظفين ٠,٦ ٪

وهكذا تكشف المعطيات أن للمشكلات الإدارية انعكاساتها أو آثارها السالبة على كل جوانب الحياة الفردية والجماعية فى المجتمع، وأن أخطر هذه الآثار الضارة مايصيب القيم الأخلاقية والعادات والسلوك.

الخاتمة وآفاق البحث المستقبلية

طافت هذه الدراسة باذهان مجموعة كبيرة ومتنوعة من أبناء المجتمع، من بينهم من خبروا الحياة الادارية ممارسة أو احتكاكا بالجهاز الادارى طلبا لتحقيق حاجاتهم ومصالحهم من الهيئات والمصالح الحكومية. وتكشف هذه الدراسة عن احساس أفراد العينة المشاركة فى الدراسة بالمشاكل الادارية، وأهمها فى نظرهم، والاضرار الناجمة من هذه المشكلات الادارية.. تلك الاضرار التى تبين أنها تلمس حياتهم الصحية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية والاخلاقية والاسرية. ذلك لأن الإدارة هى عصب الحياة الفردية والجماعية، وهى وسيلة تحقيق أهداف المجتمع ورسالة الأمة. تعبر الدراسة عن مشاعر الناس واحساسهم واتجاهاتهم وخبراتهم الذاتية بمشاكل الادارة وتشخيصها من وجهة نظرهم، أى تحديد أسبابها والتى بان من الدراسة أنها أسباب متنوعة تشريعية ولائحية وإدارية وتنظيمية وشخصية. فهناك غابة من القوانين واللوائح المتضاربة. وهناك التعقيدات والروتين والبيروقراطية، والمركزية الصارمة. وهناك، فوق كل شىء، «ساديه» الموظف ورغبته الذاتية الداخلية فى الحاق الاذى والضرر بغيره من المواطنين طالبى الحاجات والمترددين عليه. على أن مشاكل الادارة ليس المسئول عنها جهة واحدة، انما هى مجموعة من الجهات منها الأفراد أنفسهم والمجتمع عامة والقوانين. ونقص الامكانات والسمات الشخصية للموظف الادارى.

ولقد ابدت العينة المشاركة كثيرا من المقترحات التى تصلح للاصلاح الادارى أو الثوره الادارية أو لحركة اعادة بناء الإنسان المصرى بخاصة والعربى بعامة. ونشر الوعى العلمى والثقافى والادارى والوطنى والقومى والدينى والأخلاقى والأمنى.. نشر الثقافة واتقان تدريب الموظف الادارى والأخذ بسياسة وضع الرجل

المناسب في مكانه المناسب، وبسط سياسة عادلة للثواب والعقاب وتجديد دماء الأجهزة الرقابية وتدعيمها بالمال والخبرة والقوى البشرية والامكانات المادية والقانونية.

وتفتح الدراسة آفاقا واسعة لاجراء دراسات أكثر عمقا تتناول شخصية المدير الكفء وكفاءة النظم القانونية وغربله القوانين واللوائح وتصفيتها وتنقيتها ومسايرتها لروح العصر.

والاهتمام بالشباب ودراسة مشاكله ومشاكل البطاله والتكدس الوظيفى والبطاله المقنعة وإستخدام العلم والمنهج العلمى فى مجال الادارة ودراسة مايعرف باسم «الإدارة العلمية» وتوسيع آفاقها.

المراجـــع

- إبراهيم عبد العزيز شيحا، أصول الادارة العامة، ١٩٨٥ ، بدون ناشر.
- أحـمـد مـاهر، السـلوك التنظيـمى، حـركـة التنمـيـة الإدارية، كليـة التـجـارة، الإسكندرية، ١٩٩٣ .
- أحمد طلعت البشبيشى، الإدارة الفندقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ب.ت.
- داويت والدو، ترجمة الشريف عبود، دراسة الإدارة العامة، دار الفكر العربى ب .ت.
- سونيا البكرى، على عبد الهادى مسلم، مقدمة فى نظم المعلومات الإدارية، كلية التجارة، الإسكندرية، ١٩٩٣ .
- عادل حسن، ومصطفى زهير، الإدارة العامة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٧٦ .
- عبد الرحمن العيسوى، علم النفس الإجتماعى، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٦ .
- ــــــــــــــــ، سيكولوجية الإدارة، الدارة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦ .
- ــــــــــــــــ، الذهانات والأعصبة النفسية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٢ .
- ــــــــــــــــ، الكفاءة الإدارية، الدار الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦ .
- ــــــــــــــــ، القياس والتجريب فى علم النفس والتربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- ــــــــــــــــ، علم النفس فى المجال المهنى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٩ .
- ــــــــــــــــ، علم النفس فى الحياة المعاصرة، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٠ .

- عبد الرحمن العيسوى ، أمراض العصر، الأمراض العقلية والنفسية والسيكوسوماتية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٢.
- ________________، علم النفس والانتاج، الدار الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦.
- عبد الغنى بسيونى عبد الله، القانون الإدارى، بدون ناشر، ١٩٨٨.
- محمد منير مرسى، إدارة وتنظيم التعليم العام، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٤.
- محمد عبد المنعم بسيونى، وأخرون، ديوان الموظفين، مجلة الموظفين، دار النيل، القاهرة، ط ١، ١٩٥٧.
- محمد رفعت عبد الوهاب، القانون الإدارى، ط ١، الدار المصرية العربية، الإسكندرية، ١٩٨١.
- ناتايل كنتور، ترجمة د. على حامد بكر، عملية تدريب الرؤساء، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٦٤.

الفصل السادس
خصائص الشخصية السكندرية

تسعى هذه الدراسة لتحقيق الأهداف التالية:

١- التعرف على السمات السائدة والسمات غير السائدة فى الشخصية السكندرية سواء أكانت هذه السمات إيجابية أم سلبية.

٢- العرف على مقدار هذه السمات ووضعها فى ترتيب هرمى بدءاً من أكثرها إلى أضعفها، ووفقاً لشدة وجودها فى الشخصية السكندرية. كما يعبر عن ذلك التقدير الكمى المعطى لكل سمة فى شكل المتوسط الحسابى لوزنها على مقياس مداه خمس نقاط.

٣- التعرف بشكل كمى، على مقدار مسؤولية الظروف البيئية والظروف الوراثية عن اكتساب الفرد لسماته الجسمية والعقلية والنفسية وخصالة وعادته ، كما يقرر ذلك المشاركون فى الدراسة فى شكل متوسط حسابى للنسب المئوية المعطاة من قبل المشاركين فى الدراسة.

٤- التعرف على الأسباب التى تؤدى إلى اكتساب الفرد السكندرى لسماته أو ملامح شخصيته من واقع الظروف التى يعيشها فى المجتمع السكندرى.

٥- التعرف على العادات السلوكية السائدة والمنتشرة فى الشخصية السكندرية.

٦- السمات التى تميز الشخصية السكندرية عن غيرها من شخصيات أبناء المحافظات المصرية الأخرى.

٧- مدى شعور المشارك بالرضا أو عدم الرضا عن سمات الشخصية السكندرية «حكم قيمى» وأسباب الرضا أو عدم الرضا «حكم تعليلى».

٨- الأمور التى يقترح المشاركون ضرورة تحلى الشخصية السكندرية بها فى هذه الأيام «حكم توجيهى وتنموى».

٩- السمات التى يرغب المشاركون فى تغييرها أو تعديلها فى الشخصية السكندرية «جانب علاجى وتنموى».

المنهج والإجراءات وأدوات القياس:

إعتمدت هذه الدراسة الميدانية على إجراء عدد من المقابلات الشخصية التى أجراها الباحث مع عدد من الزملاء المتخصصين فى علم النفس والتربية والإجتماع والفلسفة والتاريخ، بلغ عددهم عشرين فرداً من أعضاء هيئة التدريس من جامعة الإسكندرية، وتناولت المقابلات آراءهم وتصوراتهم عن الشخصية السكندرية فى الوقت الراهن، وعما يميزها، أو يفردها عن غيرها من أبناء المحافظات المصرية الأخرى، وعن تلك السمات الإيجابية والسلبية التى يرون أنها تبرز بوضوح فى الشخصية السكندرية إلى جانب ذلك، فقد استطلع الباحث التراث العلمى والأدبى المكتوب عن الشخصية السكندرية، وماتمتاز به من القيم والخصال الإيجابية والسلبية، وذلك حتى تكون الصورة متكاملة وليست متحيزة للجانب الإيجابى فى هذه الشخصية، فالتعرف على الطابع القومى أو السمات القومية لأبناء مجتمع مايفيد فى تنمية الصالح منها وتدعيمه وتقويته وعلاج الطالح، أو تحرير الفرد منه أو تعديله لما هو أقوم وتناولت المقابلات الشخصية أيضا Interviews، رؤية المشاركين فى الدراسة فى مدى مسؤولية العوامل الوراثية والعوامل البيئية Environmental Factors عن سمات الفرد الجسمية والعقلية وخصاله، وخصائصه وعاداته، وإضافة لذلك إستهدفت المقابلات الشخصية التعرف على الأسباب التى يراها المشاركون مسؤولة عن اكتساب الشخصية السكندرية لسماتها المميزة. وكذلك التعرف على أهم العادات التى تميز الشخصية السكندرية، فى الوقت الراهن لتشمل الدراسة بعضاً من جوانبها السلوكية، وما إذا كان المشارك يرضى أو لايرضى عما تتسم به الشخصية السكندرية من سمات، وأسباب الرضا أو عدم الرضا فى حالة وجوده.

وأخيراً تناولت المقابلات أيضاً جانباً تطبيقياً وهو التعرف على اقتراحات المشاركين لما ينبغى أن تتحلى به الشخصية السكندرية فى الوقت الراهن.

وأخيراً التعرف على السمات التى يطلب المشارك تغييرها أو تعديلها فى الشخصية السكندرية ومثل هذه الدراسة وماتكشف عنه من حقائق تساعد فى حسن التعامل مع أبناء المجتمع المدروس إلى جانب تعديل أساليب التنشئة الإجتماعية وتم جمع قدر كبير من المعلومات والخصائص والحقائق والآراء عن هذا الطريق، وقام الباحث بترجمة هذه الآراء وتلك الحقائق وصياغتها فى شكل استبيان صممه لهذا الغرض، وبعد تصميمه قام بعرضه على نفس المجموعة من السادة الزملاء الـ (٢٠) أعضاء هيئة تدريس بالجامعة، وذلك للتحقق من صحة عباراته وسلامتها ووضوحها، وبناءً على ما أبدوه مشكورين من ملاحظات قيمة، تم تعديل بعض مفردات الاستبيان وتم تصميمه فى صورته النهائية.

وصف أداة القياس المستخدمة فى الدراسة

تكون الاستبيان من عشرة أسئلة، إلى جانب بيانات شخصية عن المشارك كالسن والجنس والفرق الدراسية والتخصص العلمى. وجاء عدد من هذه الأسئلة محدودة الأجابة «نعم» أو «لا ارض» أو «موجودة» أو «غير موجودة» وجاء بعضها الآخر متعدد الإختيارات، بينما جاء البعض الثالث مفتوح النهاية.

وذلك لاتاحة الفرصة أمام المشارك لابداء رأيه بحرية وصراحة وانطلاق وبأسلوبه هو وتعبيراً عن مشاعره هو دون التقيد بما يراه الباحث، ومن ذلك المفردات الآتية:

١- سمات وخصائص تتسم بها الشخصية السكندرية وضحها من فضلك..

٢- العوامل الأخرى التى ترى أنها السبب فى إكتساب الشخصية السكندرية ملامحها أوصفاتها... وضحها هنا مشكوراً.

٣- ماهى أهم العادات التى تميز الشخصية السكندرية فى الوقت الراهن..

٤- بماذا فى نظرك تمتاز الشخصية السكندرية عن باقى سكان المحافظات المصرية الأخرى؟

٥- ما الذى تقترح أن تتحلى به الشخصية السكندرية هذه الأيام.

٦- ماهى السمات التى ترغب فى تغيرها فى الشخصية السكندرية[١]؟

إستخدام المقايس المتدرج.

لقد رؤى عدم الاكتفاء بتقدير المشارك عما إذا كانت السمة «موجودة» أو «غير موجودة» فى الشخصية قياساً بأبناء الأقاليم الأخرى، وإنما رؤى التعرف على مقدار أو كم وجودها أو قوة وجودها أو انعدام وجودها، ولذلك تضمن المقياس خمس نقاط لكل سمة من السمات الـ (٣٤) التى تضمنها السؤال الأول، وهذه النقاط هى:

الوصف اللفظى	التقدير الكمى (درجة)
١- السمة موجودة بصورة مطلقة وقوية	٥
٢- موجودة	٤
٣- موجودة إلى حد ما	٣
٤- غير موجودة	٢
٥- غير موجود اطلاقا	١

وسوف نستفيد منها، وذلك عند تحليل إستجابات المشاركين بصورة كمية، حيث يتم حساب المتوسطات الحسابية التى تمثل ثقل أو شدة وجود السمات (٣٤سمة) «إيجابية وسلبية».

المعالجات والتحليلات الاحصائية

اعتمدت هذه الدراسة على إيجاد النسب المئوية لوجود كل سمة من عدمه، ثم نسبة وجودها وفقاً للقياس ذى النقاط الخمس، بمعنى «وجودها بصورة قوية ومطلقة» أو عدم وجودها اطلاقاً، وهكذا بالنسبة لبقية النقاط الخمس، كذلك تم

حساب الفرق بين الجنسين فى كل متغيرات الدراسة ودلالته الإحصائية مقاسة بالنسبة الحرجة «ن – ج»[٢].

وتم كذلك حساب المتوسطات الحسابية والتأكد من وصول الفرق إلى حد الدلالة الإحصائية الجوهرية بإستخدام مقياس «ت»[٣] إلى جانب قياس الإنحرافات المعيارية وتطبيق منهج تحليل التباين للمجموعات الفرعية غير المتساوية فى الحجم، وذلك للتحقق من وصول العوامل الرئيسية إلى حد الدلالة الإحصائية، وكذلك مقدار التفاعل بينها.

الاطار النظرى للدراسة – المفاهيم الأساسية:

الإبداع يشير إلى ابتكار أشياء أو أنماط جديدة لاغرار لها ولم يسبق لها وجود. ويتخذ الإبداع أشكالاً متعددة فى العلم والفن والفلسفة والتكنولوجيا، ومانزخر به من إختراعات ومبتكرات، وكذلك يظهر فى النظم والفلسفات والقوانين والقواعد وأساليب الحياة وفلسفاتها وليس من الضرورى أن يكون المنتج الابداعى جديداً كلية وإنما قد تكون عناصره موجودة من قبل ولكنه توظيف أو تركيب أو بناء جديد لعناصر قديمة سابقة فمبدع اللوحة الزيتية لم يخترع الألوان ولا المادة التى يرسم عليها، ومكتشف البخار لم يخترع الماء، ومكتشف الجاذبية لم يخلق التفاحة، ومع ذلك فالابداع ليس مجرد تجميع لعناصر قديمة ووضعها مرصوصة بعضها إلى جانب بعض، وإنما توجد فى شكل جديد ولوظيفة جديدة[٤]، فالابداع هو الحلول الجديدة للمشاكل، وهى حلول إيجابية وصادقة، وذات معنى ودلالة[٥]، والإبداعية ليست سمة موروثة وإنما يمكن التدريب عليها وتنميتها وصقلها وتغذيتها، كذلك فإنها ليست سمة واحدة فالشخص المبدع يتميز بسمات متعددة غير الذكاء، منها المثابرة والجلد وسعة الأفق والمرونة الفكرية والرغبة فى التجديد وعدم النمطية كما يمتاز بالطموح الزائد والاصرار وعدم الخنوع للقديم بصورة مطلقة.

الذكاء الإجتماعى Social Intelligence.

أحد أنواع الذكاء، ذلك الذكاء أو القدرة العامة أو قدرة القدرات التى تتفرع إلى الذكاء المجرد أو الأكاديمى، والذكاء النظرى، والذكاء الميكانيكى، والذكاء العلمى، والذكاء الرياضى والذكاء الفطرى والذكاء الحسى، والذكاء البيولوجى(٦)، أما الذكاء الإجتماعى فيبدو فى قدرة الإنسان على إقامة علاقات إجتماعية ناجحة وإيجابية مع الناس، والقدرة على فهم المواقف والمثيرات الإجتماعية، وعلى حسن التعامل مع الناس وفهم دوافعهم وميولهم وحاجاتهم(٧) وظروفهم، والقدرة على حل المشكلات الإجتماعية.

مفهوم العلية أو السببية Causality, Causation.

علاقة العلية أو السببية أى الرابطة بين الأسباب وماتقود إليه من نتائج أو آثار. فالعلية تشير إلى تعليل الأحداث بأحداث أخرى وقعت قبلها زماناً، فتسمى الأولى أسباباً والثانية تسمى نتائج أو معلولات(٨). وهناك كثير من مدارس علم النفس منها التحليلية التى تؤمن بفكرة العلية، بمعنى أن لكل سبب نتيجة أو لكل معلول علة، فالمثيرات أسباب الإستجابات، وتكمن أسباب الأحداث فى حياة الفرد الماضية والراهنة الشعورية أو اللاشعورية وليس من الضرورى أن النتيجة المعينة أو الإستجابة المعينة تكون بالضرورة نتيجة لسبب واحد، وإنما قد تتعدد الأسباب المؤدية لسلوك ما، وهذا مايعرف باسم الاتجاه المتعدد العوامل في تفسير الأحداث النفسية بمعنى رجوعها لأسباب وراثية وبيئية وولادية(٩)، كذلك فإن العامل السببى الواحد ليس من الضرورى أن يقود إلى نفس الإستجابة فى كل الأحوال.

الانبساط/ الانطواء Extraversion - Introversion

يعد الانبساط/ الانطواء فى الشخصية من المفاهيم التى استخدمها عالم النفس السويسرى كارل(*) يونغ وفى حالة الانبساط يتم توجيه طاقة الإنسان ونشاطه وإهتماماته وميوله ورغباته إلى خارج ذاته، وإلى عالم الناس والأشياء. وعلى ذلك

فالشخص المنبسط يميل أن يكون اجتماعياً له كثير من الأصدقاء والأعداء، قادر على التعبير عن ذاته، واثبات وجوده، ويقيم علاقات جديدة مع الناس الغرباء بسهولة، قادر على مواجهة الناس والتحدث إليهم، ويمتاز الشخص المنبسط بالجرأة والجسارة والشجاعة الأدبية. أما الشخص المنطوى فعلى العكس من ذلك يوجه اهتمامه وطاقته إلى الداخل إلى الذات، ويشغل ذاته فى أموره الذاتية، حساس إلى النقد، قليل الأصدقاء والأعداء، خجول منزوى، يبتعد عن الناس، ويتحاشى الاختلاط بهم ومعظم أنشطته داخلية، ويقسم كل من المنطوى والمنبسط إلى أربعة أنماط فرعية أخرى هي:

١- النمط المنطوى الوجدانى أو الشعورى.

٢- النمط المنطوى الحدسى.

٣- النمط المنطوى الحسى.

٤- النمط المنطوى المفكر.

ومثلها للنمط المنبسط، وليس الإنطواء أو الانبساط عيبا فى الشخصية، ولكن يفضل التوسط والاعتدال بين هذين القطبين.

التكيف Adjustment

يطلق على هذا المصطلح أحياناً «التوافق» ولكن الكاتب يفضل إستخدام لفظ التكيف، ويشير التكيف إلى وجود علاقة إيجابية بين الفرد وذاته، وبينه وبين البيئة المادية والإجتماعية التى يعيش فى كنفها، مع الشعور بالرضا عن الذات، والتكيف يمكن النظر إليه على أنه وظيفة تكييف الفرد مع ظروف بيئته المادية والاجتماعية(١١). ومن معانى التكيف عدم معاناة الفرد من الصراعات والأمراض. وهناك إتجاهات متعددة لتحديد التكيف منها مايشير إلى التكيف المطلق ومؤداه خلو الفرد من جميع الأمراض والاضطرابات والصعوبات مع اشباع كافة حاجاته النفسية والاجتماعية والبيولوجية، ومع قيام جميع أعضائه بوظائفها على الوجه الأكمل(١٢).

وهذا النمط من التوافق أو التكيف المطلق غير موجود فى الواقع، وإنما كل مايوجد فى الواقع هو توافق أو تكيف نسبى بمعنى وجود قدر معقول من التكيف والانسجام والتوافق والوئام مع البيئة ومع الذات وهناك من يشير للتكيف على أنه مجرد الخلو من الأمراض، ولكن الخلو من الأمراض، وحده لايكفى، إذ لابد من قيام الفرد بجهد جاد لتحقيق سعادته وسعادة أسرته ومجتمعه، وتحقيق أهدافه، وهناك من يشير للتكيف بمعنى الامتثال لقيم المجتمع ونظمه ومعاييره، ولكن هذا المفهوم يجعل التكيف أمراً نسبياً بإختلاف المجتمعات والعصور، كذلك فإن الفرد قد يكون على خلاف مع المجتمع، ولكنه على صواب، فالامتثال يحرم المجتمع من إعادة التغيير والتطوير والاصلاح والتجديد والتقدم ويكتب على المجتمع الجمود والبقاء كما هو ولأن ماهو خير فى مجتمع ماقد يكون شراً فى مجتمع آخر.

الشخصية Personality

للشخصية معان كثيرة تختلف بإختلاف المجال الذى تستخدم فيه، ففى مجال علم النفس، يمكن النظر لشخصية الإنسان على أنها مجموع مايمتاز به من السمات والخصائص الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية والروحية والأخلاقية، والتى تميزه عن غيره من الناس فهى ذلك التنظيم المتكامل والدينامى أى المتغير والنامى والمتطور(١٣). ذلك لأن الشخصية ليست مجرد مجموعة من السمات أو القدرات المتراصة بعضها إلى جانب بعض والتى يحيطها غلاف من «الجليد» وإنما تقوم بين جميع عناصرها وأبعادها وسماتها علاقات تفاعل أى تأثير وتأثر أوتأثير متبادل. وتتضمن شخصية الفرد سماته الوراثية والمكتسبة وعاداته وقيمه واهتماماته وعواطفه واتجاهاته وميوله. وسمات الشخصية ليست ثابتة ثبوتاً مطلقاً وإنما يحتويها التغير والتطور والنمو، ولذلك لاتتمتع إلا بالثبات النسبى(١٤).

السمة Trait

عبارة عن صفة أو خاصية يتميز بها الفرد عن غيره من الأفراد أو تتميز بها

جماعة من الجماعات وقد تكون هذه السمة أخلاقية كالكرم أو التعاون أو التسامح أو الصدق، وقد تكون فكرية كالمرونة، أو ثقافية كسعة الأفق، أو شخصية كالانطواء، أو الانبساط، أو مزاجية كسرعة التقلب فى المزاج، أو حركية أو جسمية، مكتسبة أو موروثة، شعورية أو لاشعورية، وقد يعوض الإنسان شعورياً أو لاشعورياً بسمة مناسبة أخرى. وقد تكون السمة سطحية أو عميقة متسطرة أوبسيطة، وقد تكون متغيرة متحركة ديناميكية(١٥) أو ثابتة ثبوتاً نسبياً.

العادة Habit

العادةعبارة عن إستجابة تلقائية أوسلوك تلقائى، يحدث فى مواقف معينة والعادة متعلمة أى مكتسبة نتيجة المران والتكرار والممارسة. وتعد العادة قمة التعلم أو أعلى مستوى يصل إليه التعلم. والعادات منها العادات الحركية والفكرية والعصبية.

ويسعى الإنسان، تحت الظروف العادية إلى ممارسة عاداته، فإذا وجد هذا فى أكثر العادات تفضيلاً إليه تحول إلى العادة الأقل تفضيلاً. والوضع المثالى لعادات الإنسان ألا تتداخل أو تتعارض حتى لاينشب بينها الصراع ذلك الصراع الذى قد يؤدى إلى إضعافها أو سيطرة أحداها على الأخرى(١٦).

وتستهدف التربية ومؤسسات التنشئة الإجتماعية غرس السمات الطيبة فى الإنسان وتنميتها، وخاصة السمات الأخلاقية والروحية كالإيمان والصبر والتعاون والإخاء والصدق والولاء والوفاء والإخلاص والتضحية والمودة والبر والإحسان والإيجابية(١٧).

مفهوم البيئة Environment

يطلق اصطلاح البيئة على كل ماهو خارج عن الكائن الحى، وبذلك تتضمن المؤثرات الفيزيقية والاجتماعية أو الثقافية التى تؤثر فى الفرد. وللبيئة شقان: شق مادى فيزيقى أو طبيعى يتمثل فى عوامل الطقس والمناخ والمواقع

الجغرافى والسطح والمجال الحيوى ومظاهر العمارة والتصنيع، وشق إجتماعى يتضمن جميع الجماعات البشرية التى يتفاعل وإياها الفرد كجماعة الأسرة والمدرسة والعمل، إلى جانب مايوجد فى المجتمع من النظم والقوانين والأعراف والعادات والتقاليد والقيم والمثل والعلوم والمعارف والثقافة والفنون.

ويذهب أنصار المذهب البيئى Environmentism إلى القول بأن البيئة هى التى تقرر سلوك الفرد وشخصيته، بينما يذهب أنصار المذهب الوراثى Herediarianism إلى توكيد أثر الوراثة وغلبتها على الفرد وسلوكه، ولكن الواقع أن البيئة لاتستطيع أن تخلق من العدم، ولاتستطيع أن تحيل الأقزام إلى عمالقة والأغبياء إلى عباقرة، أو تحول الأبيض إلى الأسود، كما أن الوراثة لاتعطى إلا المادة الخام أو تضع البذور أو الجذور الأولى أو الاستعدادات العامة التى تتولاها عوامل البيئة بالتزكية والتنمية والتطور أو تنالها بالطمس والذبول والاضمحلال.

«فالإنسان ابن البيئة والوراثة معاً» أى أنه محصلة التفاعل بين العوامل الوراثية والعوامل البيئية، وإن كنا فى علم النفس والتربية نركز على العوامل البيئية، لأنها هى التى نستطيع أن نتحكم فيها بالتعديل والتحسين والتطور والتغيير. أما القول بالوراثة فإنه يسد الطريق أمام اصلاح الفرد وتعديل سلوكياته، وإن كانت هناك محاولات من خلال علم الهندسة الوراثية تستهدف تحسين وراثة الإنسان وناقلات الوراثة عنده(١٨).

مفهوم الوراثة Heredity

مؤداها ماينقل من الآباء والأجداد إلى الذرية عبر المورثات أو الجينات أوناقلات الوراثة – من خصائص جسمية أو بدنية وعقلية ونفسية، ويبدأ دور الوراثة من لحظة الاخصاب وتكوين الحمل، وإذا كان من المقرر عملياً صعوبة تحديد الأثر النسبى لكل من الوراثة والبيئة إلا أن للوراثة أثراً أقوى فى خصائص مثل طول القامة ولون الشعر وشكله، ولون العينين وبناء الجسم.

ويميز بين الخصائص الوراثية المنقولة بفعل عوامل الوراثة وبين الخصائص الميلادية أو الولادية Congenital وهى الخصائص الناجمة من «البيئة الرحمية» أى كل مايقع للأم الحامل من تأثيرات كالإصابة بالحوادث والأمراض المعدية وتعرضها للادمان والتدخين علاوة على مايتعرض له الجنين فى أثناء الولادات المتعثرة من صعوبات قد تؤدى إلى اختناقه ومنع امداد مخه بالدم والأكسجين مما يؤدى إلى تدمير بعض خلايا الدماغ عنده[١٩].

وصف العينة

اختيرت العينة المشاركة فى الدراسة من طلاب الفرقة الثالثة والرابعة بأقسام علم النفس والفلسفة والاجتماع بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية على اعتبار أن طلاب السنوات الدراسية المتقدمة يكونون أكثر خبرة ونضجاً بما يسمح لهم بالحكم على سمات الشخصية السكندرية وظروفها وحتى إذا كان الطالب فى الأصل مغترباً، فإنه يكون قد أمضى ثلاث أو أربع سنوات بالإسكندرية أو تردد عليها متفاعلاً مع أهلها، بحيث يستطيع أن يحكم عن خبرة على سماتها وأن يتحسس ظروفها وطبيعتها. واختيرت العينة من طلاب وطالبات هذه الأقسام لخبرتهم العلمية بدراسة الشخصية ودراسة المجتمع وأصول الفكر المنهجى وتراوح عمر العينة من ٢١ عاماً إلى ٢٧ عاماً، بمتوسط حسابى قدره ٢٣,٥ عاماً، وكان الذكور أكثر تقدماً فى السن قليلاً حيث بلغ متوسطهم الحسابى ٢٤ عاماً، بينما كان متوسط عمر الإناث ٢٢ عاماً فقط، ولكن الفرق الملاحظ لم يصل إلى حد الدلالة الإحصائية، مما يمكن معه افتراض تساوى عينتى الإناث والذكور فى متغير السن. ولقد قيست دلالة الفرق الجنسى فى متغير السن بموجب مقياس «ت» لقياس دلالة الفروق بين كل متوسطين حسابيين وفقا للقانون الآتى[٢٠]:

$$\text{ت} = \frac{\text{م}_{١} - \text{م}_{٢}}{\sqrt{\dfrac{\text{ن}_{١}\,\text{ع}_{١}^{٢} + \text{ن}_{٢}\,\text{ع}_{٢}^{٢}}{\text{ن}_{١} + \text{ن}_{٢} - ٢} \times \left(\dfrac{١}{\text{ن}_{١}} + \dfrac{١}{\text{ن}_{٢}}\right)}}$$

وكانت العينة موزعة وفقا للجدول الآتى:

جدول (١)

يوضح توزيع العينة وفقا للجنس والفرقة الدراسية، تكرارات ونسب مئوية

نـــوع العينـــة	العـــدد	النسبة المئوية
العينة الكليـة	٣٠٠	١٠٠
الرابعـة ذكـور	٣٠	١٠
الرابعـة انـاث	١٧١	٥٧
اجمالي الرابعـة	**٢٠١**	**٦٧**
ذكـور الثـالثة	٢٤	٨
انـاث الثـالثة	٧٥	٢٥
اجمالي الثـالثة	**٩٩**	**٣٣**
اجمالي الذكـور	٥٤	١٨
اجمالي الانـاث	٢٤٦	٨٢

غالبية العينة من طلاب وطالبات الفرقة الرابعة (٦٧٪) فى مقابل ٣٣٪ من الفرقة الثالثة، وكذلك فإن غالبية العينة من الإناث ٨٢٪ فى مقابل ١٨٪ من الذكور، وسوف يعطى هذا انطباعاً خاصاً للدراسة توضح رأى الشباب الجامعى واتجاهاتهم نحو الشخصية السكندرية وعما إذا كانوا يحملون اتجاهاً إيجابياً أم سلبياً نحوها.

صدق الاستبانة المستخدمة

الصفات المتقاربة

القدرة على استيعاب أصحاب الثقافات الأخرى – الانطلاق والانفتاح – التحرر وقبول الآراء الجديدة – الابداع.

الميل للتوسط والاعتدال وعدم التطرف – عدم التعصب الذهنى أو الفكرى – روح المودة والصداقة – القدرة على اقامة الصداقات بسرعة، شخصية مسالمة – التعايش السلمى – الشعور بالاعتزاز بالوطن السكندرى – الروح الوطنى القوى – الرشاقة والوسامة – سلامة البناء الجسمى.

الأسئلة المتقاربة فى المعنى والدلالة.

٤– ماهى أهم العادات التى تميز الشخصية السكندرية فى الوقت الراهن؟

٥– بماذا فى نظرك تمتاز الشخصية السكندرية عن باقى سكان المحافظات المصرية الأخرى (حكم مقارن).

ولقد تم تحليل استجابات أفراد العينة على هذه المفردات المتقاربة بغية التحقق من صدق الاستبانة المستخدمة فى الدراسة وتم إيجاد أسئلة تأكيدية تشمل المعنى الوارد فى أسئلة أخرى، وذلك للتحقق من صدق إستجابة المفحوص. هذا ولقد تم حساب نسبة الثقة فى الاستمارة على نحو مايشرحه السيد محمد خيرى ووفقاً للقانون الآتى:

$$\text{نسبة الثقة في الاستمارة} = \frac{\text{ن ش}}{\text{ن م}} = ٠٫٨٦$$

حيث

ن ش = عدد الأسئلة المتعادلة فى الاستمارة والتى اجيب عليها إجابة مشتركة أو واحدة

ن م = جميع الأسئلة المتعادلة ولقد بلغت هذه النسبة ٠,٨٦ وهى نسبة يعتبرها الباحث عالية مؤكدة صدق الاستبانة[٢١].

نتائج البحث:

«قياساً بابناء الأقاليم المصرية الأخرى، إلى أى مدى تتسم الشخصية السكندرية (ذكوراً وإناثا) بالسمات الآتية»؟

لقد تم تحليل استجابات المشاركين عى المفردة «الأولى» من الاستبيان المستخدم فى الدراسة وتضمنت ٣٤ سمة إلى جانب سؤال مفتوح النهاية (سمات وخصائص أخرى وضحها من فضلك).

وأسفرت عملية التحليل عما يأتى:

أولاً: بالنسبة للإستجابات المحددة أمكن تصنيف هذه السمات إلى سمات «نفسية» و«عقلية وفكرية» و«اجتماعية» و«سياسية ووطنية» وسمات «جسمية»، وذلك وفقاً للمظهر الغالب فى السمة، وإن كان هناك تداخلاً كبيراً بين هذه السمات باعتبارها كلها من سمات الشخصية، التى يفترض فيها أن تكون وحدة جسمية عقلية فكرية نفسية اجتماعية روحية متفاعلة ومتكاملة ويؤثر بعضها فى بعض.

وفيما يلى استعراض لهذه النتائج:

جدول (٢)

استجابات المشاركين فى «السمات النفسية للشخصية السكندرية» تكرارات، ونسب مئوية، للعينة المشاركة ككل، ولكل من طلاب الفرقة الثالثة والرابعة كلاً على ح

رقم المفردة	السمة	العينة كلها ك	العينة كلها ٪	اجمالي ثالثة ن = ٩١	اجمالي رابعة ن = ٢٠١
١٨	الانبساط وعدم الانطواء أو الانزواء	٢٨٨	٩٨	٩٦	١٩٢
١٩	روح الود والصداقة	٢٩١	٩٩	٩٩	١٩٢
٢٠	القدرة على اقامة الصداقات بسرعة	٢٨٥	٩٧	٩٣	١٩٢
٢٦	حب الفنون بصورة عامة	٢٧٠	٩١ر٨	٩٠	١٨٠
٢٧	الرغبة في السفر والترحال	٢٨٨	٩٨	٩٣	١٩٥
٢٨	لم تنصهر الشخصية السكندرية وتذوب في غيرها	٢٥٨	٨٧ر٨	٨٤	١٧٤
٢٩	الاعتماد على النفس	٢٩١	٩٩	٩٩	١٩٢
٣٠	سرعة النرفزة والعصبية	٢٥٨	٨٧ر٧	٨٤	١٧٤
٣١	سرعة التقلب	٢٣١	٨٧ر٦	٧٢	١٥٩
٣٢	البرودة	١٠٨	٣٦ر٧	٣٠	٩٨
٣٣	اللامبالاة	٨٧	٢٩ر٦	١٥	٧٢

تقّوم العينة المشاركة الشخصية السكندرية تقويماً عالياً على جميع الصفات أو السمات النفسية الإيجابية، وتأتى فى مكان الصدارة سمات

- روح الود والصداقة .... موجودة بنسبة ٩٩٪
- الاعتماد على النفس ٩٩٪
- الانبساط ٩٨٪
- الرغبة فى السفر والترحال ٩٨٪
- القدرة على اقامة الصداقات بسرعة ٩٧٪

وفى تفسير ذلك يمكن القول بأن ذلك يرجع إلى أن أبناء المجتمع السكندرى قد تعودوا، منذ أقدم العصور، على استقبال الشعوب الوافدة ذات الثقافات المختلفة من الداخل والخارج والانخراط معهم والتفاعل وإياهم، بسبب موقعها الجغرافى ومكانتها التاريخية كمتلقى للثقافات والتيارات والثورات، ويبدو طبيعياً أن ترتبط سمة الاعتماد على النفس مع الرغبة فى السفر والترحال، ولقد ساعد البحر على نمو هذه السمات فى الشخصية السكندرية وبحكم موقعها المتميز كميناء بحرى هام. هذا بالنسبة لأكثر السمات انتشاراً أو اقراراً من قبل العينة، أما أقل السمات اسناداً إلى الشخصية السكندرية، فكانت على النحو الآتية:

- اللامبالاة ٢٩,٦٪
- البرود ٣٦,٧٪
- سرعة التقلب ٧٨,٦٪

لاتميل عينة المشاركين إلى وصف الشخصية السكندرية بسمات سالبة كالبرود واللامبالاة أما سرعة التقلب، فهناك نسبة كبيرة نسبياً تراها فى الشخصية السكندرية (٨٧,٦٪) وقد تكون سمة سرعة التقلب أو التغيير انعكاساً طبيعياً لظروف البحر، ومايعتريه من تقلبات وقد ترجع إلى «الخلطة» الثقافية المكونة لنسيج

المجتمع السكندرى فى الوقت الراهن حيث يتكون فى معظمه من خليط متنوع من الوافدين من الأقاليم الأخرى. والتى هى محصلة لتفاعل العديد من العوامل التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والجغرافية والثقافية.

فلاشك أن الاسكندرية «ملتقى الثقافات منذ عصور بعيدة». ومما يتمشى مع الملاحظة الواقعية أو حكم العينة المشاركة فى الدراسة على الشخصية السكندرية بحبها للفنون بصورة عامة، فالإسكندرية عروس البحر، ومصدر خصب لمختلف الفنون التى يشهد بها تاريخها الطويل وآثارها العتيدة، ويحفل تاريخها بالشخصيات الفنية قديماً وحديثاً ويكفى أنها أنجبت سيد درويش وغيره من كبار الفنانين والمفكرين.

جدول (٣)

يوضح الفروق بين الجنسين فى السمات النفسية

رقم المفردة	اجمالي الذكور		اجمالي الانـاث		الفرق بين الجنسين	ن – ح ودلالته
	ك	٪	ك	٪		
١٨	٤٨	١٠٠	٢٤٠	٩٧ر٦	٢ر٤	
١٩	٤٨	١٠٠	٢٣٤	٩٨ر٨	١ر٢	
٢٠	٤٨	١٠٠	٢٣٧	٩٦ر٣	٣ر٧	
٢٦	٤٨	١٠٠	٢٢٢	٩٠ر٢	٩ر٨	٢٠ر٥**
٢٧	٤٨	١٠٠	٢٤٠	٩٧ر٦	٢ر٤	
٢٨	٤٥	٩٣ر٨	٢١٦	٨٧ر٢	٦ر٦	١ر٧٠
٢٩	٤٥	٩٣ر٨	٢٤٣	٩٨ر٨	٥ر٠	
٣٠	٤٢	٨٧ر٥	٢١٦	٨٧ر٨	٠ر٣	
٣١	٣٠	٦٢ر٥	٢٠١	٨١ر٧	١٩ر٢	٢ر٧٠**
٣٢	٢٤	٥٠	٨٤	٣٤ر٢	١٥ر٨	٢ر١٢*
٣٣	١٢	٢٥	٧٥	٣٠ر٥	٥ر٥	

* لهذا الفرق دلالة احصائية عند مستوى ثقة ٩٥٪

** لهذا الفرق دلالة احصائية عند مستوى ثقة ٩٩٪

أبرز الفروق التى ترجع إلى تفوق تقويم الذكور تكمن فى السمات:

٢٦- حب الفنون بصورة عامة

٢٨- لم تنصهر فى الثقافات الأخرى، أما الاناث، فلقد تفوق تقويمهن فى السمات التالية:

٢٩- الاعتماد على النفس.

٣١- سرعة التقلب.

٣٣- اللامبالاة.

أفراد عينة الإناث ترى أن الشخصية السكندرية تتسم بسرعة التقلب واللامبالاة، وربما يرجع ذلك إلى اهتمام الأنثى، أكثر من الذكور، بالجوانب العاطفية من الشخصية ذلك لأنها نفسها يغلب عليها الجانب العاطفى أكثر من الجانب العقلانى الجاف.

وتم حساب دلالة الفرق بين كل نسبتين للتحقق من وصول الفروق الملاحظة إلى حد الدلالة الاحصائية الجوهرية، ولذلك تم حساب قيمة النسبة الحرجة (ن - ح) وذلك تطبيقا للقانون الآتى:

الفرق بين كل نسبتين

$$ن - ح = \sqrt{\frac{ط_1 \; ق_1}{ن_1} + \frac{ط_2 \; ق_2}{ن_2}}$$

حيث $ط_1$ = نسبة من اجابوا بـ «نعم» فى المجموعة الأولى، $ق_1$ = النسبة المتقية من الواحد الصحيح أى الذين قالوا لا، $ط_2$ = نسبة من اجابوا بـ «نعم» من المجموعة الثانية، $ق_2$ = النسبة المتبقية من الواحد الصحيح.

وذلك للفروق التى يحتمل أن تصل إلى حد الدلالة الاحصائية فقط.

جدول (٤) يوضح الفرق بين تقويم طلاب الفرقة الثالثة

والفرقة الرابعة فى السمات النفسية

المفردة	اجمالي الثالثة	اجمالي الرابعة	الفرق بين الدراسة	ن – ح ودلالتها
	٪	٪		
١٨	٩٧	٩٨ر٥	١ر٥	
١٩	١٠٠	٩٨ر٥	١ر٥	
٢٠	٩٤	٩٨ر٥	٤ر٥	
٢٦	٩٠ر٩	٩٢ر٣	١ر٤	
٢٧	٩٤	١٠٠	٦ر٠	٢ر٥٨**
٢٨	٨٤ر٩	٨٩ر٢	٤ر٣	
٢٩	١٠٠	٩٨ر٥	١ر٥	
٣٠	٨٤ر٩	٨٩ر٢	٤ر٣	
٣١	٧٢ر٧	٨١ر٥	٨ر٨	١ر٧٠
٣٢	٣٠ر٣	٤٠ر٠	٩ر٧	١ر٧٠
٣٣	١٥ر٢	٦٣ر٩	٢١ر٧	٤ر٤٠

ارتفعت النسب لدى الفرقة الرابعة فيما يلى:

- ٢٠ – القدرة على اقامة الصداقات بسرعة
- ٢٧ – الرغبة فى السفر والترحال
- ٢٨ – لم تنصهر فى الثقافات الأخرى
- ٣٠ – سرعة النرفزة والعصبية
- ٣١ – سرعة التقلب
- ٣٢ – البرود
- ٣٣– اللامبالاة

---

* ن – ح الجدولية = ١,٩٦ عند مستوى ثقة ٩٥٪

٢,٥٨ عند مستوى ثقة ٩٩٪

** لهذا الفرق دلالة إحصائية عند مستوى ثقة ٩٩٪

وقد يفسر هذا الفرق بكون الفرقة الرابعة من الذين أوشكوا على التخرج من الجامعة وعلى انهاء المرحلة الجامعية وهم أكثر نضجاً فى أحكامهم وأكثر موضوعية من طلاب الفرقة الثالثة، أما تقويم طلاب السنة الثالثة فكان أعلى فى السمات:

- روح الود والصداقة
- الاعتماد على النفس

جدول (٥)، يوضح السمات العقلية والفكرية للعينة ككل

ولكل جنس على حده والفرق الجنسى ودلالته

السمـــة	الكل	ذكور	اناث	الفرق	ن-ح
١ - المرونة	٩٩	١٠٠	٩٦ر٣	٣ر٧	
٣ - سرعة التكيف للمواقف الجديدة	٩٨	٩٤ر٤	٩٦ر٣	١ر٩	
٤ - الانطلاق والانفتاح	٩٥ر٩	٨٨ر٩	٩٥ر٢	٦ر٣	١ر٤٠
٥ - التحرر وقبول الآراء الجديدة	٩٤ر٩	٩٤ر٤	٩٢ر٧	١ر٧	
٦ - الطلاقة اللفظية	٩٥ر٩	٩٤ر٤	٩٣ر٩	٠ر٥	
٨ - الابـــداع	٨٤ر٧	٨٨ر٩	٨١ر٧	٧ر٢	١ر٥٠
١٤- الميل للتوسط والاعتدال وعدم التطرف	١٠٠	١٠٠	٩٧ر٦	-٢ر٤	
١٦- سعة الأفق والاطلاع	٩٣ر٨	٩٤ز٤	٩١ر٥	٢ر٩	

يقوم المشاركون الشخصية السكندرية تقويماً عالياً على السمات «الفكرية والعقلية» التى تميزها، وكانت أكثر السمات انتشاراً مايأتى:

- الميل للتوسط والاعتدال وعدم التطرف ١٠٠٪
- المرونة ٩٩٪
- سرعة التكيف للمواقف الجديدة ٩٨٪

- الانطلاق والانفتاح ٪٩٥,٩

- الطلاقة اللفظية ٪٩٥,٩

وهى نسب تقترب من حد الاجماع فى طرحها على الشخصية السكندرية وهى سمات إيجابية مرغوب فيها ومطلوب تنميتها وصقلها، ولعل الميل للتوسط والاعتدال وعدم التطرف يفسر ولله الحمد عدم تفشى ظواهر العنف والتطرف والارهاب فى الإسكندرية، جميع الدرجات عالية حتى أقلها تعبر عن الغالبية العظمى فنسبة الانتشار تصل إلى ٨٤,٠٪ لسمة «الابداع» وهى نسبة عالية ومشجعة وتدعو للاهتمام بأبناء المجتمع السكندرى لتنمية مايوجد من مواهب وقدرات مبدعة واستعدادات خلاقة.

وجدير بالإشارة إلى أن القدرة على سرعة التكيف للمواقف الجديدة تعد أحد عناصر الذكاء العام Genernal Intelligence ومنها كذلك القدرة على الحكم والمقارنة والتحليل والتركيب والنقد والتعلم واكتساب الخبرات الجديدة والقدرة على التعليل والقدرة على التفكير، والقدرة والقدرة على الربط واكتشاف العلاقات القائمة بين الأشياء والقدرة على التفكير والتخيل والتصور والادراك وعلى التذكر والقدرة على الخلق والابداع والابتكار مما يشير إلى وصف الشخصية السكندرية بالذكاء، إرتفعت النسبة بين الذكور بدرجة كبيرة فى سمات التحرر وقبول الآراء الجديدة، الابداع، التوسط والاعتدال، سعة الأفق. وهى سمات تتصل بالذكاء ووظائفه، ومن الطبيعى أن يكون الذكور أكثر اهتماماً بها، وأكثر ملاحظة لها فى الشخصية السكندرية وفى غيرها، أما الأناث فكانت تقديراتهن أعلى نسبة فى: سرعة التكيف للمواقف، الانطلاق والانفتاح.

وإن كنا نستطيع أن نفترض التساوى بين الجنسين لعدم وصول الفروق الملاحظة إلى حد الدلالة الاحصائية.

جدول (٦)

الفرق بين طلاب الفرقة الثالثة والرابعة فى «السمات العقلية»

المفردات	الثالثة ٪	الرابعة ٪	الفرق بين طلاب الثالثة والرابعة	ن-ح
١	١٠٠	٩٨ر٥	١ر٥	
٣	١٠٠	٩٦ر٥	٣ر١	
٤	٩٧	٩٥ر٤	١ر٦	
٥	١٠٠	٩٢ر٣	٧ر٧	٢٠ر٤*
٦	٩٣ر٩	٩٦ر٩	٣ر٠	
٨	٩٧	٧٨ر٥	١٨ر٤	٥٠ر٥*
١٤	١٠٠	١٠٠	صفر	
١٦	٩٧	٩٢ر٣	٤ر٧	

النسب المئوية أعلى بين طلاب الثالثة فى السمات:

١- المرونة ٢- سرعة التكيف ٣- الانطلاق ٥- التحرر ٨- الابداع ١٦- سعة الأفق

أما طلاب الرابعة فكانت أعلى فى ٦- الطلاقة اللفظية

ويصل الفرق إلى مستوى الدلالة الاحصائية فقط فى سمة التحرر والابداع ويمكن افتراض التساوى فيما عدا ذلك من سمات.

جدول (٧)

يوضح استجابات المشاركين على السمات الاجتماعية والسياسية

العينة كلها وكل جنس على حده بين الجنسين

السمة الموجودة في الشخصية السكندرية	اناث	ذكور	الكل	الفرق بين الجنسين	ن-ح
٢ - القدرة على استيعاب أصحاب الثقافات الاخرى	٩٣ر٩	٩٤ر٤	٩٤	٠ر٥	
٧ - القدرة على ممارسة الحوار الحر	٩٠ر٢	٩٤ر٤٤	٩٠	٤ر٢	
٩ - التعايش السلمي	٩٢و٧	٩٤ر٤	٩٣	١ر٧	
١١- روح الفكاهة	٩٧ر٦	٩٤ر٤	٩٧	٣ر٢	
١٣- الروح الوطني القوي	٩٦ر٣	١٠٠	٩٧	٣ر٧	
١٥- عدم التعصب المذهبي أو الفكري	٩٥ر٢	٩٤ر٤	٩٥	٠ر٨	
١٧- الذكاء الاجتماعي	٨١ر٧	١٠٠	٩٥	١٨ر٣	٤٠ر٧**
٢١- المسالمة	٩٧ر٦	١٠٠	٩٨	٢ر٤	
٢٢- الشعور بالاعتزاز بالوطن السكندري	٩١ر٥	٩٤ر٤	٩٢	٢ر٩	
٢٣- التمسك بكل ماهو أصيل في التراث	٩٠ر٢	١٠٠	٩٢	٩ر٩	٢٠ر٥**

تتسم الشخصية السكندرية، فى نظر عينة المشاركين فى الدراسة بشكل كبير بالسمات الإيجابية فى النواحى الاجتماعية والسياسية

- وتحتل مكانة الصدارة : سمة «شخصية مسالمة» ٩٨٪
- وتلى ذلك «الروح الوطنى القوى» ٩٧٪
- روح الفكاهة ٩٧٪
- عدم التعصب فى المذهب أو الفكر ٩٥٪
- الذكاء الاجتماعى ٩٥٪

وأقل نسبة انتشار كانت لسمة «القدرة على الحوار الحر» وبلغت نسبة انتشارها ٩٠٪ من مجموعة المشاركين وهى نسبة عالية أيضاً ومشجعة وجديرة بالرعاية والاهتمام.

** يصل هذا الفرق إلى مستوى الدلالة الإحصائية عند مستوى ثقة ٩٩٪.

تقويم الذكور أعلى فى الصفات:

٢- استيعاب أصحاب الثقافات الأخرى ٧- الحوار الحر ٩- التعايش السلمى ١٧- الذكاء الاجتماعى ٢١- المسالمة ٢٢- الاعتزاز بالوطن المحلى السكندرى ٢٣- التمسك بالأصيل من التراث

أما تقويم الاناث فكان أعلى فى : ١٥- عدم التعصب المذهبى أو الفكرى

جدول (٨)

يوضح الفرق بين طلاب الفرقة الثالثة والرابعة

فى استجاباتهم لاسناد السمات الاجتماعية والسياسية والوطنية

رقم المفردة	الثالثة/الكل ٪	الرابعة/الكل ٪	الفرق	ن - ح
٢	٩٠ر٩	٩٥ر٥	٤ر٦	
٧	١٠٠	٨٥ر١	١٤ر٩	٥ر٩**
٩	٩٣ر٩	٩٢ر٥	١ر٤	
١١	٩٧	٩٧	—	
١٣	٩٧	٩٧	—	
١٥	١٠٠	٩٢ر٥	٧ر٥	٤ر٠٤**
١٧	٩٧	٩٤	٣ر٠	
٢١	٩٣ر٩	١٠٠	٦ر١	٢ر٦**
٢٢	٨٤ر٦	٩٥ر٥	١٠ر٩	٢ر٨٥**
٢٣	٩٠ر٩	٩٢ر٥	١ر٦	

تقويم الفرقة الرابعة أعلى من تقويم الثالثة فيما يلى:

٢- استيعاب الثقافات الأخرى ٢١- المسالمة ٢٣- التمسك بكل أصيل ٢٢- الشعور بالاعتزاز بالوطن السكندرى - بينما كانت درجات الفرقة الثالثة أزيد فيما يلى:

** لهذا الفرق إلى دلالة إحصائية عند مستوى ثقة ٩٩٪.

٧- الحوار الحر ٩- التعايش السلمى ١٥- عدم التعصب ١٧- الذكاء الاجتماعى

وتصل الفروق الملاحظة لحد الدلالة الاحصائية فى سمات: الحوار الحر، عدم التعصب، المسالمة ، الشعور بالاعتزاز بالوطن السكندرى

جدول (٩)

يوضح السمات الجسمية أو البدنية

العينة كلها ولكل جنس على حده

السمة الشخصية	الكل ٪	ذكور ٪	اناث ٪	الفرق ٪
١٠- سلامة البناء الجسمي.	٩٧	١٠٠	٩٦ر٣	٣ر٧
١٢- حب النشاط الرياضي والترويحي.	٩٢	٩٤ر٤	٩١ر٥	٢ر٩
٢٤- تغلب عليها سمات حوض البحر المتوسط.	٩٨	١٠٠	٩٧ر٦	٢ر٤
٢٥- الرشاقة والوسامة	٩٧	١٠٠	٩٦ر٣	٣ر٧
٣٤- النشاط والحيوية	٩٧	١٠٠	٩٦ر٣	٣ر٧

يكشف الجدول أن أكثر السمات اقراراً هى: تغلب عليها سمات حوض البحر المتوسط، سلامة البناء الجسمى، الرشاقة والوسامة، النشاط والحيوية.

وربما يساعد فى اكتساب هذه السمات الجسمية مناخ حوض البحر المتوسط، والمعيشة على شواطىء البحر، ومايعيشه من النشاط ونظافة للجو من الغبار والأتربة فى المناطق الساحلية ويتمتع سكانها بمزيد من الصحة الجسمية والحيوية والنشاط نظراً لارتباطهم بالبحر ومايسببه من تلطيف للمناخ، ومن فرص للاستحمام وممارسة الرياضة البحرية.

الذكور أكثر تقديراً لجميع السمات الجسمية المقاسة ذلك لأن الذكور أكثر اهتماماً بالنواحى الجسمية وممارسة النشاط الرياضى وإن كانت الفروق الملاحظة

طفيفة ولاتصل إلى حد الدلالة الاحصائية مما يمكن مع افتراض تساوى تقديرات الجنسين.

جدول (١٠)

يوضح الفروق بين طلاب الفرقة الثالثة والرابعة

في السمات الجسمية، نسب مئوية

المفردات	الثالثة	الرابعة	الفرق بين الثالثة والرابعة	ن-ح
	٪	٪		
١٠	٩٧	٩٧	-	
١٢	٩٤	٩١	٣	
٢٤	١٠٠	٩٧	٣	
٢٥	٩٧	٩٧	-	
٣٤	١٠٠	٩٥٫٥	٤٫٥	٣٫٠٨**

نسب الفرقة الثالثة أعلى فى ١٢ - يحب النشاط الرياضى والترويحى ٢٤- سمات حوض البحر المتوسط ٣٤- النشاط والحيوية

تحليل الأوزان لسمات الشخصية السكندرية:

تحليل التكرارات السابقة أوضح النسب المئوية لمقدار انتشار الصفات المختلفة بمعنى وجودها فى الشخصية السكندرية من عدمه، ولكن هذه الصفات تختلف من حيث قوتها، فقد توجد الصفة بأى من مستويات القوة الخمس السابق الإشارة إليها فى بيان منهج هذه الدراسة.

ولحساب هذه الأوزان بشكل كمى تم استبدالها بالدرجات والقيم الخمس المقابلة وتم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للسمات المدروسة

** لهذا الفرق دلالة إحصائية عند مستوى ثقة ٩٩٪.

وعددها ٣٤ سمة، والجدول الآتى يستعرض هذه القيم موضحة قوة أو شدة وجود السمة فى الشخصية السكندرية ومنه يتضح أن أكثر السمات قوة كمايلى:

الصفـات الموجـودة	المتوسـط
١٩ - روح الود والصداقة	٤٫٣٤
٢٢ - الشعور بالاعتزاز بالوطن السكندري	٤٫٣٢
١١ - روح الفكاهة والمرح	٤٫٢٤
٢٩ - الاعتمـاد على النفـس	٤٫٢٠
٢٠ - القدرة على اقامـة الصداقات بسرعة	٤٫١٧
٢١ - شخصية مسالمة	٤٫١٦
١٨ - الانبساط وعـدم الانطـواء	٤٫١٣
٢٧ - الرغبة في السفر والترحـال	٤٫١٢
١٤ - الميل للتوسط والاعتدال وعدم التطرف	٤٫٠٤
١٠ - سلامـة البنـاء الجسمي	٤٫٠٣
١٢ - حب النشاط الرياضي والترويحي	٤٫٠٢
١٣ - الـروح الوطني القـوي	٤٫٠١
٣٤ - النشاط والحيويـة	٤٫٠٠
أما أقل السمات وزناً فكانت كمايلى:	
٢٣ - اللامبـالاة	٢٫٣
٣٢ - الـبرود	٣٫٣٢
٣١ - سـرعـة التقلـب	٣٫٣٤
٨ - الابـداع	٣٫٣٩
٢٨ - لم تنصهر الشخصية السكندرية وتذوب في الثقافات	٣٫٥٧
٢ - القدرة على استيعاب أصحاب الثقافات الاخرى	٣٫٧٢

أما بقية السمات فقد احتلت في أوزانها منزلة وسطى، وواضح أن سمة «اللامبالاة» و«البرود» وسرعة التقلب من أقل السمات وزناً.

الفرق الجنسي في الأوزان:

أظهرت النتائج زيادة القيم المعطاة من الذكور في السمات الآتية:

١- القدرة على استيعاب أصحاب الثقافات الأخرى ٥- التحرر وقبول الآراء الجديدة ٩- التعايش السلمي ١٠- سلامة البناء الجسمي ١٢- حب النشاط الرياضي والترويحي ١٣- الروح الوطني القوى ١٥- عدم التعصب المذهبي أو الفكري ٢١- شخصية مسالمة ٢٩- الاعتماد على النفس

أما تقديرات الاناث فكانت أعلى فيما يلي:

٦- الطلاقة اللفظية ٢٠- القدرة على اقامة الصداقات بسرعة ٢٤- تغلب عليها سمات حوض البحر المتوسط ٢٥- الرشاقة والوسامة ٢٨- لم تنصهر في الثقافات الأخرى ٣٠- سرعة النرفزة والعصبية

من أكثر السمات وزناً لدى طلاب الفرقة الثالثة مايلي:

٥- التحرر وقبول الآراء الجديدة ٦- الطلاقة اللفظية ٧- القدرة على ممارسة الحوار الحر ١١- روح الفكاهة والمرح ١٩- روح الود والصداقة ٢٩- الاعتماد على النفس

وهي صفات نفسية واجتماعية وفكرية أو عقلية، أما السمات الأكثر وزناً لدى طلاب الفرقة الرابعة فكانت كمايلي:

٩- التعايش السلمي. ١٣- الروح الوطني القوى. ١٤- الميل للتوسط والاعتدال وعدم التطرف. ١٥- عدم التعصب المذهبي أو الفكري. ١٨- الانبساط وعدم الانطواء والانزواء. ١٩- روح الود والصداقة. ٢١- شخصية مسالمة. ٢٢- الشعور بالاعتزاز بالوطن السكندري. ٢٧- الرغبة في السفر والترحال الاعتماد على النفس.

وهي السمات التي حصلت على متوسط حسابي قدره أربع درجات ومافوقها

من مجموع الدرجات وقدره خمس درجات ومنها سمات مشتركة مع السمات البارزة لدى طلاب الفرقة الثالثة وتغلب عليها السمات الوطنية والسياسية وخاصة التوسط والاعتدال وعدم التطرف أو التعصب.

الفرق بين طلاب الثالثة والرابعة:

كانت أبرز الفروق لصالح الفرقة الثالثة:

٤- الانطلاق والانفتاح، التحرر وقبول الآراء الجديدة. ٧-القدرة على ممارسة الحوار الحر. ١١- روح الفكاهة والمرح. ١٩- روح الود والصداقة. ٢٩- الاعتماد على النفس.

وهى صفات نفسية واجتماعية وفكرية أو عقلية، أما السمات الأكثر وزناً لدى طلاب الفرقة الرابعة فكانت كما يلى:

٩- التعايش السلمى. ١٣- الروح الوطنى القوى. ١٤- الميل للتوسط والاعتدال وعدم التطرف. ١٥- عدم التعصب المذهبى أو الفكرى. ١٨- الانبساط وعدم الانطواء والانزواء. ١٩- روح الود والصداقة. ٣٢١- شخصية مسالمة. ٢- الشعور بالاعتزاز بالوطن السكندرى. ٢٧- الرغبة فى السفر والترحال، الاعتماد على النفس.

وهى السمات التى حصلت على متوسط حسابى قدره أربع درجات ومافوقها
من مجموع الدرجات وقدره خمس درجات ومنها سمات مشتركة مع السمات البارزة لدى طلاب الفرقة الثالثة وتغلب عليها السمات الوطنية والسياسية وخاصة التوسط والاعتدال وعدم التطرف أو التعصب.

الفرق بين طلاب الثالثة والرابعة:

كانت أبرز الفروق لصالح الفرقة الثالثة:

٤- الانطلاق والانفتاح، التحرر وقبول الآراء الجديدة. ٧- القدرة على ممارسة الحوار الحر. ٨- الابداع. ١١- روح الفكاهة والمرح.

وهى سمات فكرية أو عقلية واجتماعية ونفسية. أما طلاب الرابعة فأبرز الفروق

لديهم ظهرت فيمايلى:

١٥- عدم التعصب المذهبى أو الفكرى. ١٨- الانبساط وعدم الانطواء أو الانزواء. ٢٢- الشعور بالاعتزاز بالوطن السكندرى. ٣١- سرعة التقلب.

أثر الظروف البيئية والوراثية فى تكوين سمات الفرد:

وجهت الدراسة الحالية السؤال الآتى لعينة المشاركين: «فى نظرك كم فى المائة ترجع سمات الفرد الجسمية والعقلية وخصاله وعاداته إلى الظروف البيئية وإلى الظروف الوراثية» مع ملاحظة أن مجموع النسبتين لاينبغى أن يزيد عن ١٠٠ ٪ وأسفر تحليل هذا السؤال كما يأتى:

جدول (١١)

يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات تأثير الوراثة للعينة ككل ولكل جنس على حده ولكل من طلاب الفرقة الرابعة والثالثة على حده

العينـــــة	ن	م	ع	ت ودلالتها
ذكور الرابعة	٣٠	٣٩,٥	١٤,٦	
اناث الرابعة	١٧١	٤٦,٨	١٨,٥	
الفرق الجنسي	١٤١	٧,٣		٢,٠٤*
اجمالي الرابعة	٢٠١	٤٥,٨	١٨,٢	
ذكور الثالثة	٢٤	٤٦,٩	١٦,٤	
اناث الثالثة	٧٥	٤٢,٤	١٩,٦	
الفرق الجنسي	٥١	٤,٥		١,٠٠٦
اجمالي الثالثة	٩٩	٤٣,٥	١٨,٩	
اجمالي الذكور	٥٤	٤٢,٨	١٥,٨	
اجمالي الاناث	٢٤٦	٤٥,٥	١٧,٧	
الفرق الجنسي	١٩٢	٢,٧		١,٠٣
العينة الكلية	٣٠٠	٤٥,٠٠	١٨,٤	
الفرق بين الفرق الدراسية		٢,٣		١,٠١

• المتوسط الحسابي للنسبة المئوية لدى العينة كلها لتأثير الوراثة يصل إلى ٤٥٪، بمعنى أن تأثير الوراثة أدنى من تأثير البيئة.

طلاب الفرقة الرابعة أكثر اسناداً للوراثة من طلاب الفرقة الثالثة ويبلغ الفرق الملاحظ فى المتوسط الحسابى (٢,٣). وللتحقق من وصول هذه الفروق الملاحظة بين كل متوسطين، ثم حساب قيمة «ت» للدلالة الاحصائية.

جدول (١٢)

يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات

تأثير البيئة فى اكتساب الشخصية السكندرية لسماتها المختلفة

العينــــة	ن	م	ع	ت ودلالتها
ذكور الرابعة	٣٠	٦٠ر٥	١٤ر٦	
اناث الرابعة	١٧١	٥٣ر٢	١٨ر٥	
الفرق الجنسي	١٤١	٧ر٣		٢ر٠٤*
اجمالي الرابعة	٢٠١	٥٤ر٢	١٨ر٤	
ذكور الثالثة	٢٤	٥٣ر١٠	١٦ر٤	
اناث الثالثة	٧٥	٥٧ر٦٠	١٩ر٦	
الفرق الجنسي	٥١	٤ر٥		١ر٠٠٦
اجمالي الثالثة	٩٩	٥٦ر٥	١٨ر٩	
اجمالي الذكور	٥٤	٥٧ر٢	١٥ر٨	
اجمالي الاناث	٢٤٦	٥٤ر٥	١٨ر٩	
الفرق الجنسي	١٩٢	٢ر٧		٠ر٩٧
العينة الكلية	٣٠٠	٥٥ر٠	١٨ر٤	

المتوسط الحسابى للعينة الكلية لتأثير البيئة يساوى ٥٥٪ ومؤدى ذلك أن العينة الكلية تؤمن بوجود تأثير يزيد عن النصف للعوامل البيئية كالمدرسة والمسجد والتربية والتنشئة والتغذية وأساليب التعامل مع الطفل والمراهق والشاب ومقدار أشباع أو

* لهذا الفرق دلالة إحصائية عند مستوى ثقة ٩٥٪.

الحرمان لحاجاته النفسية والبيولوجية والاجتماعية، ومعنى ذلك الأثر النسبى الأكبر يرجع للبيئة أننا نستطيع أن نعدل من سلوك الفرد ومن سماته بحيث نجعلها أكثر إيجابية ونمواً وتطوراً عما لو كانت مقررة أصلاً بالوراثة التى لانحكم السيطرة عليها.

طلاب الثالثة أكثر اسناداً لعوامل البيئية فى تكوين سمات شخصية الفرد، ولكن الفرق لايصل إلى حد الأدلة الاحصائية.

جدول (١٣)

يوضح المقارنة بين تقديرات العينات الفرعية

والعينة الكلية بين تأثير الوراثة والبيئة

العينـــة	م. الوراثـة	م. البيئـة	الفرق بين البيئة والوراثة
ذكـور رابعة	٣٩ر٥	٦٠ر٥	٢١ر٠
انـاث رابعة	٤٦ر٨	٥٣ر٢	٦ر٤
اجمالي الرابعـة	٤٥ر٨	٥٤ر٢	٨ر٤
ذكـور ثالثـة	٤٦ر٩	٥٣ر١	٦ر٢
انـاث ثالثـة	٤٢ر٤	٥٧ر٦	١٥ر٢
اجمالي الثالثـة	٤٣ر٥	٥٦ر٥	١٣ر٠
اجمالي الذكـور	٤٢ر٨	٥٧ر٢	١٤ر٤
اجمالي الانـاث	٤٥ر٥	٥٤ر٥	٩ر٠
العينـة الكليـة	٤٥ر٠	٥٥ر٠	١٠ر٠

ترتفع درجات البيئة فى كل العينات الفرعية عن تأثير الوراثة دون أى استثناء، وإن كانت أبرز هذه الفروق لدى ذكور الفرقة الرابعة وإناث الثالثة وإجمالى الذكور، فهناك إجماع لدى كل فئات عينة الدراسة فى أن تأثير العوامل البيئية فى سمات الفرد أكثر من تأثير الوراثة.

تباين التداخل

للتعرف عما إذا كان التباين الملاحظ لايرجع إلى العوامل التجريبية وحدها وإنما يرجع إلى التداخل أو التفاعل بينها تم حسابه، ذلك لأن أثر عامل الجنس مثلاً يختلف فى حالة وجود الجنس وحده عنه فى حالة امتزاجه مع عامل «الفرقة الدراسية» الأعلى أو الأدنى، ولقد تم حساب التباين بين كل عنصرين بتصميم جدول (٢×٢)، للجنس والفرقة الدراسية ولها مستويان أيضاً (الثالثة، الرابعة).

وتم حساب تباين التداخل بتطبيق المعادلة الآتية:

$$\frac{\left((أ + د) - (ب + جـ) \right)^{٢}}{\text{عدد الحالات أي عدد المتوسطات (٤)}}$$

ولكل مقدار من مقادير تباين التداخل درجة حرية واحدة، ولذلك فهو يساوى متوسط التباين. ولذا أمكن الحصول على مقدار التباين أ × ب × جـ× د بالطرح من التباين بين المجموعات. درجات الحرية المخصصة له تساوى ١ × ١ × ١= ١

والجدول الآتى يلخص نتائج عملية تحليل التباين المبدئى ٢ × ٢ لدرجة متغير الوراثة

جدول (١٤) تباين التداخل

مصدر التباين	مقدار التباين	د . ح	متوسط التباين	ف
التباين الكلي	١١٠٧٥٨	٢٩٦		
التباين بين المجموعات	٧٧٤٥١	٣		
التباين داخل المجموعات	٣٣٣٠٦ر٩٥	٢٩٣	١١٣ر٧	
مقدار الخطأ			٠٤٤ر	
تباين عامل الجنس	١١ر٧٢	١	٢٢٦	
تباين عامل الفرقة الدراسية	٢ر١٦	١	٤٩	
تباين التداخل	٢٤ر٩٣	١	٧٩٣	

متوسط التباين داخل المجموعات = التباين داخل المجموعات / درجـــات الحريـــة = ٢٣٣٠٦ر٩٥

مقدار الخطأ = قيمة التصحيح × متوسط التباين داخل المجموعات = ٤٤.ر

جدول (١٥) تباين التداخل بين الفرق الدراسية

الفرقة	ذكـــور	انـــاث	
ثالثة	٤٦ر٨٨(أ)	٤٠ر٤٢ (ب)	٨٩ر٢٨
رابعة	٣٩ر٥٠ (جـ)	٤٦ر٨٤ (د)	٨٦ر٢٤
المجموع	٨٦ر٣٨	٨٩ر٢٤	١٧٥ر٦٢

الفروق الملاحظة تصل إلى الدلالة الإحصائية وفقاً لقيمة النسبة الفائية مؤكدة أن الإناث أكثر تقديرا لدور الوراثة عن الذكور، كما أن تباين التفاعل أو التداخل بين الجنس والفرقة الدراسية يصل أيضاً إلى حد الدلالة الاحصائية العالية مؤكداً أن تأثير عامل الجنس مثلاً يختلف فى حالة الفرقة الرابعة عنه فى حالة الفرقة الثالثة، حيث إن ذكور الثالثة أكثر تقديراً من إناث الثالثة، بينما إناث الرابعة أكثر تقديراً من ذكور الرابعة.

تحليل التباين لدرجات الوراثة

جدول (١٦) تحليل التباين للوراثة

مصدر التباين	مقدار التباين	د. ح	متوسط التباين	ف
التباين الكلي	٥٢٩٤١٦	٢٩٦		
التباين بين المجموعات	٤٤٨٩٧	٣		
التباين داخل المجموعات	٣١١٢٦ر٢٨	٢٩٣	١٠٦ر٢	
مقدار الخطأ	٧ر٥٠		٧ر٥	
تباين الجنس	١ر٢٢		١ر٢٢	١٦ر
تباين الفرقة	٣ر٣٢		٣ر٣٢	٤٤ر
تباين التفاعل الجنس × الفرقة			٣٠ر٨٦	٤ر١١

لايصل تباين الجنس والفرقة الدراسية إلى حد الدلالة الاحصائية مما يمكن معه افتراض تساوى الجنس فى هذا الصدد، وكذلك طلاب الفرقة الثالثة والرابعة، أما تباين التداخل أو التفاعل بين الجنس والفرقة الدراسية أى «الجنس × الفرقة» فيصل إلى حد الدلالة الاحصائية العالية مؤكداً أن تأثير الجنس يختلف وهو بمفرده عما لو كان مختلطاً مع عامل الفرقة الدراسية.

شعور المشارك بالرضا أو عدم الرضا عما تتحلى به الشخصية السكندرية

نصت المفردة رقم (٦) على مايلى: بصفة عامة جداً، هل ترضى عن سمات الشخصية السكندرية الراهنة؟ أرضى / لا أرضى.

جدول (١٧)

يوضح استجابات الرضا وعدم الرضا لدى المشارك عن سمات الشخصية السكندرية فى الوقت الحاضر

العينــــة	أرضى ٪	لا أرضى ٪	الفرق
ثالثـة انـاث	٧٦ر٠٠	٢٤ر٠٠	٢٤ر٠٠
ثالثـة ذكـــور	١٠٠	—	١٠٠
الفرق الجنسي	٢٤	٢٤	—
اجمالي الثالثة	٨١ر٨٢	١٨ر١٨	
اجمالي الرابعة	١٠٠	—	١٠٠
رابعة اناث	٧٠ر٢٠	٢٩ر٨٢	٤٠ر٣٨
الفــرق	٢٩ر٨٢	٢٩ر٨٢	٤٩ر٢٦
اجمالي الرابعة	٧٤ر٦٣	٢٥ر٣٧	٥٤
العينة كلها	٧٧	٢٣	
اجمالي الاناث	٧٢	٢٨	
اجمالي الذكور	١٠٠	صفر	
الفرق الجنسي	٢٨ ن ح = ٧ر٢٠		

بالنسبة للعينة كلها هناك ٧٧٪، تقرر أنها تشعر بالرضا عما تتحلى به الشخصية السكندرية من سمات، وهناك ٢٣٪ منهم يقررون أنهم لايرضون عن ذلك، وإذا كنا نتوقع أن تكون نسبة الرضا بالاجماع، فإن ذلك يدعو من الناحية التربوية ومن ناحية التنشئة الاجتماعية والسياسية والاخلاقية والروحية إلى ضرورة العمل على تنمية سمات المواطن السكندرى وخاصة الأطفال والمراهقين والشباب. وتجميلها وصقلها ورعايتها بحيث تكون محل رضا أبنائها جميعاً. وتقع مسؤولية هذه الرسالة، فى المحل الأول، على المؤسسات التربوية من أول مراحلها فى الحضانة إلى اعلاها فى الجامعة والمعاهد العليا، إضافة إلى دور الإذاعة والتلفزيون والصحافة والمسجد والأسرة والأندية ورجال الوعظ والارشاد والكتاب والمفكرين ورجال الاصلاح الاجتماعى والقادة والزعماء والقدوة. ويلاحظ أن ذكور الثالثة أكثر رضا من اناثها، بفارق قدره ٢٤٪، وكذلك يلاحظ أن ذكور الرابعة أكثر رضا من إناثاها، فالذكور أكثر شعوراً بالرضا عن سمات الشخصية السكندرية عن الإناث، ولعل فى دراسة مقبلة يستطاع التعرف على أسباب هذه الفروق ومن المحتمل أن يرجع ذلك إلى كون الأنثى أكثر حساسية وأكثر نقداً من الذكر ويلاحظ كذلك أن طلاب الثالثة من الجنسين معاً أكثر رضا عن طلاب الراعة ٨١,٨٢٪ فى مقابل ٧٤,٦٣٪ بفارق قدره (٧,١٩٪) وقد يرجع ذلك لعامل السن والنضج بالنسبة لطلاب الثالثة والرابعة.

ومن الأمور البديهية أن نشير إلى أن جميع المجتمعات تتصف ببعض السمات الإيجابية والسلبية، ولايمكن أن يكون هناك مجتمع جميع صفات أبنائه إيجابية اللهم فى أرض الأحلام وفى اليوتوبيات كجمهورية أفلاطون أو أرض الأحلام عند توماس مور.

تطبيق مقياس كا٢ أو مربع كاى على الشعور بالرضا وعدم الرضا

للتحقق من صدق الفرض الصفرى بين الذكور والاناث فى متغير الرضا وعدم الرضا عن سمات الشخصية السكندرية تم حساب قيمة مقياس كا٢ على النحو التالى:

جدول (١٨)

كا٢ للشعور بالرضا وعدم الرضا عن سمات السكندرى

الجنس / الشعور بالرضا	ذكــر	انــثى	انــثى
اشعر بالرضا	٥٤ (أ)	١٧٧ (جـ)	٢٣١
اشعر بعدم الرضا	صفر (ب)	٦٩ (د)	٦٩
الاجمالي	٥٤	٢٤٦	٣٠٠

بمعنى قياس دلالة الفرق بين القيم التجريبية الناجمة عن عملية القياس والقيم النظرية كما يتضح من جدول ٢×٢ أعلاه يختلف التوزيع التجريبى عن التوزيع القائم على أساس الصدفة أو العشوائية. ماذا يحدث إذا كان تأثير عامل الجنس منعدماً بمعنى أن يكون عدد الراضين من الذكر يساوى عدد غير الراضين من الاناث.

$$كا^{٢} = \frac{ن \ (أ \times د \ - \ ب \times جـ)^{٢} \ = \ ١٩٫٦٧}{٥٤ \times ٢٤٦ \times ٢٣١ \times ٦٩} = ١٩٫٦٧$$

وحيث إن قيمة كا ٢ الجدولية مع درجات الحرية المقابلة عند مستوى ثقة ٩٩٪ = ٦,٦٣٥، فالقيمة الملاحظة تصل إلى حد الدلالة الإحصائية العالية مؤكدة رفض الفرض الصفرى وتأكيد وجود فروق دالة بين نسبة رضا الإناث ونسبة رضا الذكور، حيث إن الذكور أكثر شعوراً بالرضا عن سمات الشخصية السكندرية.

العوامل المسؤولة عن اكتساب الشخصية السكندرية لسماتها الحالية (مفردة رقم ٣).

تم تحليل استجابات العينة المشاركة فى الدراسة على السؤال الآتى:

ماهى العوامل التى ترى أنها السبب فى اكتساب الشخصية السكندرية ملامحها وصفاتها؟

أسفر تحليل هذه المفردة عما يأتى:

جدول (١٩)

يوضح أسباب اكتساب الشخصية السكندرية لسماتها - العينة كلها

العوامل المسببة	المتوسط
١ - وجود جاليات أجنبية كبيرة سبق أن عاشت بها.	٤٩
٢ - هجرة أبناء الأقاليم الاخرى إليها.	٤٥
٣ - وجودها على البحر المتوسط.	٨٤
٤ - وجود الميناء بها.	٧٣
٥ - لكونها مركزاً تجارياً.	٧٦
٦ - لكونها مركزاً صناعياً.	٤٩
٧ - لكونها مركزاً سياحياً.	٢٤
٨ - اختلاط أهلها بأصحاب ثقافات اخرى محلية.	١٧
٩ - ظروفها المناخية.	٨٣
١٠ - موقعها الجغرافي.	٧٧
١١ - عراقتها وقدمها في التاريخ.	٧٩
١٢ - اختلاطهم وتفاعلهم بأبناء عادات وثقافات اخرى.	٥٢

بين الجدول السابق رقم (١٩) الأولوية فى اكتساب الشخصية السكندرية لصفاتها كانت الظروف الجغرافية، كالموقع والظروف المناخية الجيدة وظروفها التاريخية وبصورة عامة تنوعت وتعددت الأسباب، ولم تقتصر على سبب واحد أو عامل سببى واحد وتلك نظرة علمية دقيقة تتمشى مع «الإتجاه المتعدد العوامل فى تفسير الشخصية»، وهى العوامل الوراثية والولادية أو الميلادية والبيئية، تلك العوامل

الثلاثة التى تتفاعل مع بعضها البعض، وتبقى عبر فترات زمنية طويلة حتى تؤتى ثمارها فى تشكيل وتكوين الشخصية السكندرية فأعلى هذه العوامل «وجودها على البحر المتوسط» ٨٤٪، وأقلها «اختلاط أهلها بأصحاب الثقافات الأخرى» ١٧٪.

أما العوامل التى تحتل منزلة وسطى، فهى عوامل مثل: «وجود الميناء بها» و«اختلاطهم وتفاعلهم بأبناء عادات وثقافات أخرى» ٧٣٪، و ٥٢٪ على الترتيب. فالشخصية السكندرية وليدة هذه الظروف مجتمعة، وإن كانت هذه الظروف تختلف فى أهميتها النسبية من عامل إلى آخر (من ١٧ إلى ٨٤٪).

وكما يوضح الجدول الآتى (٢٠) فإن الفرق الجنسى فى العوامل السببية: الذكور أكثر تقديراً للعوامل الآتية: ١- وجود جاليات. ٥- مركز تجارى. ٦- مركز صناعى. ٧- مركز سياحى. ٨- اختلاط أهلها.. ١٠- موقعها الجغرافى. ١١- عراقتها وقدمها فى التاريخ.

جدول (٢٠)

يوضح الفروق الجنسية فى الأسباب المؤدية
لاكتساب الشخصية السكندرية لسماتها

رقم العامل السببي	الذكور ٪	الاناث ٪	الفرق	ن - ح
١	٥٥ر٦	٤٧ر٦	٨ر٠	١ر١٠
٢	٣٣ر٣	٤٧ر٦	١٤ر٣	١ر٩٦*
٣	٧٧ر٨	٨٥ر٤	٧ر٦	١ر٢٠
٤*	٧٢ر٢	٧٣ر٢	١ر٠	
٥	١٠٠	٧٠ر٧	٢٩ر٨	٩ر٩٠**
٦	٦١ر١	٤٦ر٤	١٤ر٧	٢ر١٠*

تابع الجدول (٢٠)

رقم العامل السببي	الذكور %	الانـــاث %	الفرق	ن - ح
٧	٨٨٫٩	٨٤٫٢	٤٫٧	
٨	٦١٫١	٤٧٫٦	١٣٫٥	١٫٩٦*
٩	٧٧٫٨	٨٤٫٢	٦٫٤	١٫١٠
١٠	٩٤٫٤	٧٣٫٢	٢١٫٢	٥٫٠٢**
١١	٨٨٫٩	٧٦٫٨	١٢٫١	٢٫٤٠*
١٢	٥٠٫٠	٥٢٫٤	٢٫٤	

وهناك فروق فى تقدير الأسباب ترجع إلى عامل الجنس كما نرى. وكانت درجات الاناث أعلى فيما يلى: ٢- هجرة أبناء الأقاليم. ٣- وجودها على البحر المتوسط. ٤- وجود الميناء بها. ٩- ظروفها المناخية. ١٢- اختلاطهم وتفاعلهم مع ثقافات أخرى.

جدول (٢١)

يوضح الفروق بين طلاب الفرقة الرابعة والثالثة فى العوامل السببية فى اكتساب الشخصية السكندرية لسماتها

رقم العامل السببي	الثالثة %	الرابعة %	الفرق	ن - ح
١	٤٨ر٥	٤٩ر٣	٠ر٨	
٢	٥١ر٥	٤١ر٨	٩ر٧	١ر٦٠
٣	٨٤ر٩	٨٣ر٦	١ر٣	
٤	٦٩ر٧	٧٤ر٦	٦ر٢	١ر٢٠
٥	٨٣ر٨	٧٣ر١	١٠ر٧	٢ر٧٠
٦	٥٤ر٦	٤٦ر٣	٨ر٣	١ر٤٠
٧	٩٢ر٩	٨٠ر٦	١٣ر٢	٣ر٦٠
٨	٧٨ر٨	٥٠ر٨	٢٨ر٠	٥ر١٧
٩	٨٤ر٩	٨٢ر١	٢ر٨	
١٠	٧٢ر٧	٧٩ر١	٦ر٤	١ر٢٠
١١	٨٤ر٩	٧٦ر١	٨ر٨	١ر٨٠
١٢	٥٧ر٦	٤٩ر٣	٨ر٣	١ر٤٠

النسب لدى طلاب الفرقة الثالثة كانت أعلى فيما يأتى: ٢- هجرة أبناء الأقاليم. ٣- وجودها على البحر المتوسط. ٥- لكونها مركزاً تجارياً. ٦- لكونها مركزاً صناعياً. ٧- لكونها مركزاً سياحياً. ٨- اختلاط أهلها بغيرهم. ٩- ظروفها المناخية. ١١- عراقتها وقدمها فى التاريخ. ١٢- اختلاطهم وتفاعلهم بأبناء عادات أخرى.

تفوقت درجات الفرقة الرابعة فيما يلى: ١- وجو دجاليات أجنبية. ٤- وجود الميناء بها. ١٠- موقعها الجغرافى.

الاستجابات الحرة للأسئلة مفتوحة النهاية:

١- سمات وخصائص أخرى تميز الشخصية السكندرية، مفردة رقم (١):

دل تحليل هذه المفردة على أن هناك ٥٠٪ من مجموع أفراد العينة لم يتمكنوا

---

* لهذا الفرق دلالة إحصائية عند مستوى ثقة ٩٩٪

** لهذا الفرق دلالة إحصائية عند مستوى ثقة ٩٩٪

من ذكر سمات أخرى غير السمات الـ (٣٤) التى دونت فى الاستبيان، وكانت الاستجابة الغالبة «لايوجد سمات أخرى أعرفها»، أما الباقى فلقد ذكروا عدداً كبيراً من السمات الإيجابية، فى معظمها، والسالبة وإن كانت هذه السمات السالبة قليلة جداً، ومن ذلك أن العينة المشاركة نفسها من أبناء المجتمع السكندرى، فى معظمها ومن الطبيعى أن يتعاطفوا مع الشخصية السكندرية. هذا وتكررت سمات أكثر من غيرها. وفيما يلى هذه السمات مرتبة حسب نسبة تكرارها فى الإستجابات لأفراد العينة كلها اناثاً وذكوراً.

م	الصفـــة	م	الصفـــة
١	الشجاعة والشهامة وحب المغامرة		الشدائد والأزمات
٢	روح المرح والفكاهة والدعابة	١٣	الوضوح والصراحة
٣	التعـــاون	١٤	الاخـــلاص
٤	حب الناس ويشمل الأجانب والجيران	١٥	احترام الأكبر سناً
٥	الشعـور بالانتمـاء لوطنهم السكندري	١٦	التسامح والعفو
	والشعور بالفخر والزهو والاعتزاز به	١٧	الثبات الانفعالي
٦	الـكرم والجـود والعطـاء	١٨	حـب النظـام
٧	خفـة الـدم أو خفة الظـل	١٩	سعة الأفق وسعة الثقافة
٨	التمسك بالمحافظة على العادات والتقاليد	٢٠	التفكير الموضوعي في المستقبل
	الأصيلة	٢١	عـدم التعالي أو التكبر
٩	شخصية «خدومة» معطاءة.	٢٢	الطيبة، أو طيبة القلب
١٠	تكوين صداقات موسمية بسبب كونها	٢٣	حب الهوايات كالقراءة
	مصيفاً يتردد عليه الناس الغرباء	٢٤	التـــدين
١١	الثقة بالنفس والقيادة	٢٥	التصدي لكل ماهو خطأ
١٢	تحـمل المسؤوليـة وخـاصـة في أوقـات	٢٦	نزعة اجتماعية نحو الصداقة

م	العادات السلوكية	م	العادات السلوكية
١	الشهامة والشجاعة والرجولة	١٢	طيبة القلب
٢	الكرم وحسن الضيافة	١٣	الفهلوة والجدعنة
٣	المرح والسعادة والفرح والدعابة والفكاهة	١٤	حب السفر والترحال والأسفار والرحلات
٤	حب الخير وعمله	١٥	الثقة بالنفس والاعتماد عليها
٥	سهولة التعامل مع أصحاب الثقافات الاخرى	١٦	التكيف والتأقلم في المواقف الجديدة
		١٧	الحيوية والنشاط
٦	المرونة واللباقة وقبول الأراء الجديدة	١٨	الحب الشديد تجاه مدينة الاسكندرية
٧	الصداقة والتراحم والود مع الأخرين	١٩	الانفتاح وعدم الانغلاق على الذات
٨	التعاون والأخذ والعطاء ومساعدة الغير	٢٠	حب الأصالة والتجديد معاً
		٢١	الخلق والابداع أو الابتكار
٩	التسامح والسماحة	٢٢	التماسك الاجتماعي والتزاور الاسري وخاصة في المناسبات
١٠	خفة الظل أو خفة الدم		
١١	الطموح وخاصة في النظر للمستقبل	٢٣	المرؤه والمشاركة الوجدانية

وكلها سمات إيجابية مستمدة ومستوحاة من حياة البحر، ومن التفاعل التاريخى، «والخلطة الثقافية» المتنوعة التى انصهرت فى المجتمع السكندرى، واسفرت عن الشخصية السكندرية بصورتها الراهنة.

أما السمات السلبية، فكانت قليلة ولم تزد عما يأتى:

١- عدم الموضوعية فى النظر لأهل المدن الأخرى كالسخرية منهم، ٢- صداقاتهم طارئة وليست قوية. ٣- تنزع نزعة مادية. ٤- تحب السيطرة. ٥- عدم الشعور بالمسؤولية. ٦- المكر والدهاء. ٧- تحقيق الأهداف الشخصية أولا. ٨- حب التملك.

وتشكف هذه الإستجابات عن وعى عينة المشاركين فى الدراسة بالشخصية السكندرية، وميلهم للموضوعية فى الحكم وإن كانوا، فى جملتهم أميل إلى المجاملة فى أحكامهم بسبب كونهم من أبناء الإسكندرية ذاتها.

٢- ماهى أهم العادات السلوكيـة التى تميز الشـخصيـة السكندرية فى الوقت الراهن؟ «مفردة رقم ٤».

كشفت العينة المشاركة فى الدراسة عن المامها واحاطتها بكثير من العادات السلوكية لأبناء المجتمع السكندرى فى الوقت الحاضر. ولقد جاءت هذه العادات فى معظمها عادات إيجابية جديرة بالتنمية والصقل والرعاية والاهتمام والتشجيع والعمل على غرسها فى نفوس النشىء، وتناولت هذه العادات جميع جوانب الحياة الأسرية والاجتماعية والاقتصادية والمهنية والشخصية، فالعادات المسجلة تمتاز بالشمول والتنوع، وجاءت قلة بسيطة من هذه العادات سالبة دليلاً على موضوعية الحكام وتناولهم للجوانب الإيجابية والسلبية. تلك التى تستوجب العمل على تحرير المواطن السكندرى منها إن وجدت فعلاً. وفيما يلى بيان لهذه العادات مرتبة حسب كثرة تكرارها فى استجابات العينة المشاركة بدءاً بأكبرها تكراراً:

م	الصفة	م	الصفة
٢٧	الرزانة	٤١	الذكاء واللباقة
٢٨	القبول الاجتماعي	٤٢	سهولة التعامل مع الثقافات الاخري
٢٩	القدرة على اثبات الذات	٤٣	سهولة التفاعل الاجتماعي
٣٠	حب السفر وركوب المغامرات.	٤٤	الترابط الاسري
٣١	النشاط والحيوية	٤٥	الأمانة مع الأصدقاء
٣٢	حب الحرية	٤٦	التقدمية
٣٣	البعد عن الأحزان	٤٧	سعة الخيال
٣٤	عدم الرغبة في التغيير	٤٨	حب الخير
٣٥	الإيثار	٤٩	الصفاء الوجداني
٣٦	الإيجابية	٥٠	الجرأة
٣٧	الروح المعنوية المرتفعة	٥١	الطموح المرتفع
٣٨	التحرر الفكري	٥٢	الود
٣٩	القدرة على الانجاز	٥٣	حب حياة البحر
٤٠	تعدد الأذواق		

م	العادات السلوكية		العادات السلوكية
٢٤	التفــاؤل	٣٨	الطلاقـة اللفظيـة
٢٥	الـروح الاجتماعية	٣٩	الاحتفال بشهور الصيف واعتبارها أعياداً
٢٦	عـادات الأمـانـة	٤٠	حــب النظــام
٢٧	الحشمة والاحتشام وخاصة عند الانثى	٤١	الواقعيــة
٢٨	الأخـلاق الحسنة	٤٢	حب التجارة والأعمال الحـرة
٢٩	عـادات حب المغامـرة	٤٣	الـذكاء الاجتماعي
٣٠	التنزه على البحر وحب البحر وأمواجه	٤٤	حب الهجـرة لخارجهـا
٣١	عمـل زفـة كبرى في الأفـراح	٤٥	حب الأطعمة السكندرية البحرية
٣٢	العمل على تحسين جمال مدينتهم	٤٦	المسالمـة أو السلــم
٣٣	الانبساط وعـدم الانطواء	٤٧	حسن التصرف
٣٤	الــوطنية	٤٨	الكيـاسـة
٣٥	الاحــترام	٤٩	حب النظـافـة
٣٦	عـادة الحــب	٥٠	التحــرر
٣٧	الــتدين		

كانت الصفات الغالبة هى الصفات والعادات الإيجابية، ولكن هناك عدداً قليلاً من العادات السالبة وهى:

١- العصبية أو شدة الانفعال. ٢- التعصب الزائد لمدينتهم. ٣- الإهمال. ٤- عدم المحافظة على الوقت. ٥- المبالغة الزائدة فى الاهتمام بالمظاهر فى المناسبات الخاصة. ٦- إقامة حفلات الزار. ٧- سرعة التقلب . ٨- اللامبالاة. ٩- البرود.

الصفات التى يرغب المشارك فى تغييرها فى الشخصية السكندرية:

عالجت المفردة رقم (١٠) من الاستبيان المستخدم هذه النقطة، بقصد إتاحة الفرصة أمام المشارك للإدلاء برأيه وبحكمه النقدى للشخصية، ومايبنغى أن تكون عليه ومايبنغى أن تتخلى عنه أو تتحرر منه الشخصية السكندرية. ويمكن استعراض هذه المقترحات على النحو الآتى:

عدم التقليد الأعمى لكل ماهو وافد من الغرب، والالتزام أكثر من ذلك بتعاليم الإسلام الحقة، التخلص من العصبية الزائدة وعدم إستخدام الألفاظ النابية، عدم تغليب حب المال على الأفراد والرجوع للقيم الأصلية، التخلص من البرود وعدم اللامبالاة ومن الحرية الزائدة والانطلاق الزائد عن الحد، عدم الانشغال بأشياء ليست فى الصالح العام، الخضوع، السذاجة، اللامبالاة وخاصة لدى الشباب، التسرع، التقليد الأعمى، المكر والرغبة فى التفوق على حساب الغير، الحرية الزائدة، الاهمال، عدم الاهتمام بالنظافة العامة.

تعقيب:

عبرت غالبية العينة على أنها لاترغب فى تغيير شىء مما تتسم به الشخصية السكندرية، وهناك قلة ذكرت بعض السمات التى تود تغييرها فى الشخصية السكندرية أو تعديلها أو تطويرها أو تحريرها وتخليصها منها ومن ذلك مايلى:

عدم التقليد الأعمى لكل ماهو وافد من الغرب، تعبيراً للدعوة لعدم الانبهار بكل ماهو غربى وترك تراثنا وتقاليدنا وقيمنا الخالدة، وفى هذا الانبهار ضعف للروح القومى المصرى وللشعور بالانتماء والثقة فى الوطن ومنجزاته وتاريخه وحضارته وتقدمه، والنيل من التقاليد الراسخة والأصيلة، والميل للتفرنج والتبرج، والتمسك بعادات وافدة أو مستوردة أو مصدرة إلينا بقصد إيذائنا والنيل من عضد الشخصية المصرية عامة. فالنقل ليس محرماً، ولكن فقط نقل مايتمشى مع أمهات ثقافتنا الإسلامية الخالدة، وترك مادون ذلك.

وتدعو العينة الشخصية السكندرية لعدم التعصب الزائد لبلدها وإن كان هذا لايمنع من الشعور بالاعتزاز والفخر والشعور بالانتماء. ولكن هذا يختلف عن التعصب، لأن التعصب فيه عدوان على أرباب الأقاليم الأخرى. وهنا دعوة أخلاقية طيبة وجديرة بكل اهتمام، مع وجوب التخلى عن إستخدام الألفاظ النابية فى العلن أو السر لأنها مظهر من مظاهر الانحطاط السلوكى والقيمى والخلقى جدير بالتصدى له بكل قوة وحزم وعزم. وتدعو العينة إلى عدم تغليب المال على حب الناس، وهى نزعة إنسانية جديرة بالاحترام والتنمية، وفيها تنفير من الفلسفات المادية البحتة.

تتخذ العينة موقفاً وسطاً فى قضية التحرر أو الحرية، فلاتقبل الحرية المطلقة أو الحرية الزائدة عن الحد أو التحرر الزائد عن ذلك، لأن ذلك ينقلب بالطبع، إلى فوضى وحيوانية وبهيمية وغوغائية. لايوجد حرية مطلقة اطلاقاً.. وإنما الحرية الحقة هى الحرية التى يحكمها القانون والنظام العام والتى تخضع للقيود، فأنت

حد على حد قول المثل السائر أنت حر مالم تضر، بمعنى أن حريتك تنتهى حيث تبدأ حرية الآخرين، ولايمكن أن تستخدم الحرية فى إيذاء حقوق الغير والاعتداء عليهم أو على راحتهم أو مصالحهم، فالحرية الحقة هى الحرية المقيدة، وتكرر العينة دعوتها للمواطن السكندرى للاهتمام بالنظافة العامة لمالها من أثر فى الحماية من أخطار التلوث وتدمير البيئة وفسادها.

أسباب الرضا أو عدم الرضا عن صفات الشخصية السكندرية.

عالجت المفردتان ٧، ٨ تعليل المشارك لشعوره بالرضا أو عدم الرضا عن الشخصية السكندرية. ومن ذلك الرضا عنها «لأنها تشارك فى كل مايثير الرأى العام إيجابيا» أو لأنها تتسم حقاً بسمات الشعب الشرقى وعاداته»، «لأن أهلها يتسمون بالود والتسامح والولاء»، أو «لأنها تمتاز بالسمات الحميدة، لأنها ذات سمات جيدة ، أو لأنها شخصية ممتازة جداً، ولأن سماتها بها الكثير من الإيجابيات» أو «لأنها شخصية سوية وليس لها مثيل»، أو «لأنها شخصية محبوبة ومقبولة وتتسم بالتوسط والاعتدال»، أو «بصورة اجمالية لأننى أعجب بها جداً. أو لأنها شخصية متحررة».

ويرجع بعضهم عدم الرضا إلى تغيير أخلاق الناس عموماً، وليس فى الإسكندرية وحدها «لأن شبابها فى حاجة إلى مزيد من الجدية عما هم عليه الآن»، لأنها لا تتمشى مع طبعى كفلاح ابن فلاح»، و« أحب الوضوح والإيثار وتفضيل مصلحة الغير»، «لأن بها المزيد من التحرر وعدم الخضوع للتقاليد أو لعدم التمسك بالعادات والتقاليد».

الصفات والخصائص الواجب أن تتحلى بها الشخصية السكندرية.

نصت المفردة ٩٠) على مايلى:

ما الذى تقترح أن تتحلى به الشخصية السكندرية فى هذه الأيام؟

وذلك بقصد الوصول إلى غاية مثالية ولتسحين سمات هذه الشخصية

وتنميتها وغرس القيم والمثل والعادات والتقاليد والسمات المرغوب فيها من وجهة نظر العينة المشاركة. ويمكن استعراض استجابات المشاركين كما وردت وباسلوبهم الخاص لاعطاء صورة أكثر صدقاً واحساساً لمشاعرهم الفعلية: «المحافظة على التراث» «الأمانة والصدق»، «النظام والنظافة»، «التدين» «الاكثار من روح التعاون أكثر من قبل نظراً لما يواجهه المجتمع فى هذه الأيام من المشكلات أو الثقة بالنفس»، «حب الوطن والانتماءالقوى له»، و«العمل الجماعى للقضاء على التطرف والارهاب»، «الروية والهدوء»، «الاهتمام بالشؤون العالمية، الكرم، الاهتمام بالأفراد الآخرين، الاقدام، والاقبال على التعليم، حب الآخرين، الرغبة فى التجديد، والهمة والمثابرة على تحقيق الأهداف».

يجب أن يتسم الشباب بمزيد من الجدية، وحب العمل والجد فيه والاستمرار فى أدائه والمحافظة على نظافة بلدهم والعمل لخيرها، «احترام أبناء الأقاليم الأخرى وعدم الاستهزاء بهم»، والاهتمام بالدين وشعائره، الاخلاص، عدم البرود، عدم اللامبالاة، حب الخير، والحفاظ على المدينة وحمايتها من أخطار التلوث، حب مصر عموماً.

تعقيب:

تنم هذه المقترحات عن وعى العينة والمامها بالشخصية السكندرية، ومايتبغى أن تتحلى به من السمات والخصائص والعادات والتقاليد والقيم والمثل. وفى الدعوة للمحافظة على التراث والتمسك بالقيم القديمة والتراث الفنى والعلمى والمعمارى والحضارى لهذه المدينة العريقة، التى كانت تضم أعظم مكتبة فى التاريخ، والتى نشأ فيها كثير من المدارس الفكرية والفلسفية، وفى الدعوة لحب النظام والنظافة، احساس من المشارك بأهمية النظام بعد أن غلبت الفوضى على الشارع المصرى عموماً وقل الضبط والربط والالتزام بالقانون سواء فى المرور أو البناء أو استخدام المرافق أو اشغالات الطريق أو الطاعة والنظام واحترام آداب الطريق ومراعاة حقوق الآخرين. وفى الدعوة للنظافة بالذات صيحة مدوية من العينة المشاركة احساساً

منها بخطورة اهمال النظافة، والنظافة هنا ترد على اطلاقها نظافة الجسم، والمنزل، والشارع، ومقر العمل، والنظافة الشخصية، والنظافة الخارجية، حماية للبيئة المحلية مما يكاد يلم بها من أخطار التلوث وسمومه المدمرة والقاتلة والفتاكة التى تكاد تقضى على الإنسان وعلى حياته وعلى ثروته السمكية والحيوانية والنباتية، وعلى جمال البيئة وحسنها فها هى أمراض الفشل الكلوى والأمرض الصدرية وأمراض القلب والجلد والعيون والكبد الوبائى تنتشر، ومن بين أسبابها ولاشك التلوث، ونقل العدوى والجراثيم، وفى الدعوة للتدين احساس من قبل العينة، بأهمية الدين ومثله ومبادئه وتعاليمه السمحة، وأثره الطيب فى الحياة الدنيا والآخرة، وفى علاقة ا لإنسان بربه وعلاقته باخوانه وبوطنه، فالدين عاصم من الزلل ومن الخطأ ومن الرذيلة ومن الفحش والفواحش والخبث والخبائث ومن الجريمة والعنف والتطرف والارهاب. والدين مدعاة لتمتع الفرد بالصحة النفسية والعقلية الجيدة، وللتماسك والتضامن والتساند والاخاء والتكافل الاجتماعى والاسرى وما إلى ذلك من فضائل الدين الإسلامى الحنيف.

وترى العينة أن المجتمع فى حاجة أكثر من أى وقت مضى فى هذه الأيام للتعاون قولاً وفعلاً بين جميع طوائفه وطبقاته للتصدى لما يواجه المجتمع من المشكلات والمعضلات ومن أظهرها المشكلات الأمنية والاقتصادية والبطالة والاهمال واللامبالاة والتسيب وعدم تحمل المسؤولية. وكذلك تنطوى الدعوة للثقة بالنفس على أهمية كبيرة وخاصة بالنسبة للشباب بحيث يتحرر من الاعتماد على أسرته أو على الدولة ويظل عالة ثقيلة عليها بل عليه أن يثق فى نفسه. وفى ذلك قضاء على روح السلبية والتواكل والاعتماد على الغير والشك فى قيمة الذات وفى قدرتها. ويعد ذلك من صميم الارشاد النفسى السوى والتنشئة الاجتماعية والسياسية والاخلاقية والروحية الصالحة، لخلق المواطن الصالح المؤمن بربه وبوطنه وبعروبته وبرسالته.

وتدعو النتائج إلى مزيد من حب الوطن والشعور بالانتماء القوى له، والتوحد

وإياه وبالاحساس بما يحس به بحيث يشعر الفرد وكأنه ومصر شيءواحد أو جسد واحد إن اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. الوطن هو الذى أمدنا بما نحن فيه من العلم والتكوين والشخصية وهو الذى وفر لنا الحماية والعزة والكرامة والمأكل والمشرب وما إلى ذلك. لعل هذه الدعوة مصدرها لدى عينة المشاركين احساسها بضعف الانتماء نسبياً عند القلة من الشباب، ومايعرف باسم «ظاهرة الاغتراب» اغتراب الفرد عن وطنه أو اغتراب الذات عن الوطن وانفصاله عنها، ويظهر ذلك فى دعاوى السلبية والتواكلية والاستحواذية واللامبالاة والطمع والجشع والأنانية وتفضيل المصلحة الذاتية والسخط على المجتمع، ونقد أوضاعه نقداً سالباً والتفكير فى الهجرة وترك الوطن بما فيه. ومن السمات النفسية الطيبة المقترحة «الروية والهدوء» لتقف ضد تسرع الشباب وميله للعنف والبعد عن الحكمة والاتزان وعن التفكير المتأنى الهادىء الرزين. وترى العينة المشاركة أنه يجب على الشخص السكندرى الانفتاح وعدم الانغلاق على الذات بل هناك دعوة إلى العالمية والاهتمام بالشؤون العالمية والأحداث والوقائع المعاصرة، ليعايش العالم عن وعى وبصيرة وتفهم، وحتى لا ينفصل أو يغترب عن عالمه المعاصر، وحتى لايحصر نفسه فى بوتقة الداخل فتصم آذانه عن صوت العالم وما يزخر به من الأحداث. وتدعو العينة لاهتمام الشباب بالتعليم واكتسابه والتزود به. وهى دعوة حضارية تقدمية راقية إذ إن التعلم من أرقى سبل التقدم والتطور والرقى والتحضر والتمدين والنهوض والتنمية والاستنارة والوعى والبصيرة، وهناك الدعوة للتجديد والتطوير والتحسين والاجادة، إلى جانب المثابرة والصمود والاصرار على بلوغ الأهداف الإيجابية وبلوغ الغايات الوطنية، وهناك دعوة الشباب لمزيد من الجدية والبعد عن السلبية وهى سبيل لاصلاح أحوال الشباب. كذلك من الاقتراحات المهمة الدعوة لاحترام أبناء الأقاليم الأخرى وعدم الاستهزاء بهم تأكيدا لمعنى الوحدة الوطنية وتماسك المجتمع وتضامنه وتكافله وتناسقه وتناغم العلاقة بين طبقاته وفئاته. فالوحدة الوطنية وحدة لاتتجزأ ولا تنفصم عراها أبداً. فنحن أبناء وطن واحد نحن جميعاً سواسية فى حب مصر وفى حب مصر لنا.

الخلاصة والتوصيات وآفاق البحث المقبلة:

استعرضت هذه الدراسة بعض سمات الشخصية السكندرية وصفاتها وخصائصها وعاداتها السلوكية. «وتكمن أهمية دراسة الطابع القومى أو السمات القومية National characters لأبناء مجتمع ما فى إمكانية تنمية وتقوية وتدعيم السمات الإيجابية المرغوبة وعلاج السمات السالبة أو غير المرغوب فيها وتحرير الفرد منها وتخليصه من سلبيات وقد يتطلب ذلك تعديل أو تطوير أساليب التنشئة الاجتماعية والاخلاقية والسياسية والتربوية والفكرية المتبعة فى ذلك المجتمع. ولاشك أن التعرف على سمات شخصية أبناء مجتمع ما تسهل التعامل الحسن معهم والتكيف والتعرف على العوامل السببية أو العوامل المؤثرة فى تكوين الشخصية السكندرية والتعرف على مايميز الشخصية السكندرية عن أبناء المحافظات المصرية الأخرى، وعما إذا كان المشارك فى الدراسة يرضى أو لايرضى عن هذه السمات وأسباب ذلك الرضا أو عدم الرضا، ثم ماهى السمات التى يقترح المشارك أن تتحلى بها الشخصية السكندرية فى الوقت الراهن وتلك السمات التى يرغب فى تغييرها أو تعديلها أو تحرير الفرد السكندرى منها، على ما ينطوى عليه ذلك من أهداف علاجية وارشادية وتقويمية. وفى الاطار النظرى للدراسة أوضحت معانى ومفاهيم الدراسة الأساسية ومنها الابداع، الذكاء الاجتماعى، مفهوم العلية أو السببية ومفهوم الانبساط والانطواء كبعدين من أبعاد الشخصية أو نمطين من أنماط الشخصية، ومفهوم التكيف وأهميته والنظريات المختلفة التى وضعت لتفسيره، ثم الشخصية ومدلولها والعوامل المؤثرة فيها والسمة والعادة ومفهوم البيئة والوراثة كقوى مؤثرة فى تكوين شخصية الإنسان ونموها وصقلها، واعتمدت الدراسة على إجراء المقابلات الشخصية وتم تصميم استبانة أسئلة محددة الاستجابة وأخرى مفتوحة النهاية لاعطاء المشارك مزيداً من الحرية فى ابداء رأيه والتعبير عن مشاعره واتجاهاته وخبراته فى موضوع الدراسة وهو «الشخصية السكندرية» وفى ذلك طابع اسقاطى فى منهج الدراسة، ولم تقتصر الاستبانة على طلب بيان عما

إذا كان المشارك يرى «السمة» موجودة أو غير موجودة فى الشخصية السكندرية، وإنما طلب منه أن يعطى وزناً أو قيمة رقمية كمية عددية عن قوة وجود السمة أو شدة وجودها أو ثقلها وذلك بتقويم كل سمة من السمات الـ (٣٤) قيمة على مقياس مداه خمس نقاط.

وفيما يتعلق ببيان الأثر النسبى لتأثير كل من البيئة والوراثة فى تكوين شخصية الفرد قررت العينة الكلية أن للبيئة الغلبة فى تكوين الشخصية. الأمر الذى يفتح الأبواب أمام رجال الوعظ والارشاد والتوجيه والتربية ودعاة الاصلاح والقادة والزعماء والكتاب وكل المؤسسات الاجتماعية كالأسرة والمدرسة والجامعة لكى تعمل على تحسين بناء الشخصية، أما القول بالوراثة فإنه يوصد الأبواب أمامنا فى طريق اصلاح الفرد وعلاج مابه من اعوجاج أو شذوذ أو ضعف أو سلبيات وذلك لأن البيئة يمكن تحسينها وتعديلها، أما الوراثة فأمر صعب.

وفيما يتعلق بصفات الشخصية المدروسة، تم تصنيفها إلى سمات نفسية وكان أظهرها تمتع الشخصية السكندرية «بروح الود والصداقة» و «الاعتماد على النفس» و «الانبساط وعدم الانطواء». وإلى سمات عقلية أو فكرية وكان من أكثرها اسناداً للشخصية السكندرية: «التوسط والاعتدال وعدم الميل للتطرف»، «المرونة»، «سرعة التكيف للمواقف الجديدة». أما السمات الاجتماعية والسياسية فكان أظهرها أنها «شخصية مسالمة»، «تمتع بالروح الوطنى والقومى القوى»، «روح المرح والفكاهة»، «عدم التعصب المذهبى أو الفكرى». «الذكاء الاجتماعى».

أما السمات الجسمية أو البدنية فكان أظهرها: سلامة البناء الجسمى، والرشاقة والوسامة، النشاط والحيوية. ولقد تم تحليل جميع متغيرات البحث وفقاً لمتغير الجنس، ومتغير الفرقة الدراسية ووجد أن هناك بعض الفروق الدالة احصائياً.

ومن النتائج الجديرة بالنظر أن الذكور أعطوا اهتماماً أكبر لتأثير البيئة فى تكوين الشخصية بينما أعطى الإناث اهتماماً أكبر للوراثة، ربما يرجع ذلك لطبيعة

المرأة وقدرتها على الحمل والإنجاب. ولقد أجابت الدراسة الحالية عن التساؤل الخاص بمقدار شعور المشاركين بالرضا من عدمه عن الشخصية السكندرية مؤكدة أن الغالبية الاحصائية (٧٧٪) من مجموع أفراد العينة قد قرروا أنهم يشعرون بالرضا عن الشخصية السكندرية. أما القلة التى قررت أنها لم ترض يرجع ذلك إلى تأكيدها على بعض السمات السالبة كالبرود أو التفرغ أو استهزاء أهل الإسكندرية من الغرباء عنهم.

أما عن الأسباب التى أدت إلى اكتساب الشخصية السكندرية لسماتها وعاداتها وتقاليدها وخصائصها الراهنة فأهم هذه الأسباب كان: وجودها على حوض البحر المتوسط، ظروفها المناخية، عراقتها وقدمها فى التاريخ موقعها الجغرافى، لكونها مركزاً تجارياً. أما بقية الأسباب فأتت بعد ذلك فى الترتيب.

وتؤكد الدراسة الحالية المقولة الشائعة: «أن الإنسان ابن البيئة والوراثة معاً» كما تؤكد الحقيقة الواقعة والملاحظة أن السمات القومية لمجتمع ما فيها الإيجابى واجب التدعيم، والسلبى واجب العلاج. كما تؤكد دور العوامل الجغرافية والمناخية والتاريخية والثقافية والاقتصادية فى تكوين الشخصية ونموها وصقلها.

لقد كانت هذه الدراسة رحلة عابرة سريعة عبر ما يدور بأذهان مجموعة من الشباب الجامعى من الإناث والذكور بلغ عددهم ثلاثمائة فرد، ولكن المأمول أن تتناول البحوث المستقبلية أعداداً أكبر لأرباب فئات وطوائف اجتماعية مختلفة، كذلك المأمول أن تقوم الدراسات التى تستهدف دراسة كل سمة من هذه السمات على حده كالمرونة والذكاء الاجتماعى والإنبساط وسرعة التكيف وما إلى ذلك، والتعرف على مقدار وجودها وجوداً واقعياً فى عينة البحث والتعرف على العوامل المسببة التى أدت إليها ورسم البرامج التى تؤدى إلى تقوية وتدعيم وتنمية السمات الإيجابية المرغوبة وطرح السمات السالبة وتحرير الشخصية منها، كذلك من المأمول أن تقام الدراسات الميدانية للتعرف على الأساليب الشائعة الإيجابية

والسلبية المستخدمة فى تنشئة المواطن السكندرى وغيره، فكرياً وخلقياً وروحياً ووطنياً واجتماعياً وعلمياً ومهنياً، بحيث تكفل له هذه الأسباب أن يشب مواطناً صالحاً قادراً على دفع عجلة الإنتاج قدماً إلى الأمام وعلى الإسهام الفاعل فى خير المجتمع وتقدمه ورقيه وقادراً على الدفاع عن حرمة الوطن إذا ما ناد مناد بذلك والمواطن المؤمن بربه ووطنه وعروبته، المواطن الملتزم بالطاعة وإحترام القانون والنظام والشرعية فى المجتمع.

المراجـــع

١ - عبد الرحمن العيسوى، القياس والتجريب فى علم النفس والتربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٩ .

٢ - رمزية الغريب، التقويم والقياس فى المدرسة الإبتدائية.

٣ - السيد محمدخيرى، الإحصاء فى البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية، دار الفكر العربى بالقاهرة، ١٩٥٧ .

٤ - عبد الرحمن العيسوى، سيكولوجية الإبداع، دار النهضة العربية،. بيروت - لبنان.

٥ - عبد المنعم الحفنى، موسوعة علم النفس الاجتماعى، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية ١٩٩٤ .

٦ - المرجع السابق.

٧ - عبد الرحمن العيسوى، دراسات فى علم النفس الاجتماعى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٤ .

٨ - عبد المنعم الحفنى مرجع سابق.

٩ - عبد الرحمن العيسوى، علم النفس والإنسان، دار المعارف بمصر، ١٩٨٠ .

* هو عالم النفس السويسرى كارل جوستاف يونغ (١٨٧٥ حتى ١٩٦١)، سويسرى المولد، كان أبوه قساً، درس علم الطب واتصل بفرويد، وكان فرويد يتمنى أن يخلفه يونغ فى زعامة مدرسة التحليل النفسى، ولكن اختلاف يونغ معه فى المذهب أدى إلى انفصالهما وأطلق على مذهبه اسم «علم النفس التحليلى» ليكون مختلفاً عن منهج فرويد وآرائه فى «التحليل النفسى». ولقد عدل آراء فرويد وأضاف إليها بسبب آرائه الدينية والفلسفية ويمتاز مذهبه باعطاء مساحة لأهداف الفرد وغاياته فى تحديد سلوكه، وبقوله باللاشعور الجمعى وبوصفه للشخصية وتقسيمها إلى شخصية منطوية وأخرى منبسطة،

ولمنهجه في العلاج المعروف باسم تداعى الكلمات ومن أبرز آرائه القول بتأثير الدين وحياة التدين والشعور والإيمان الديني على تمتع الفرد بالصحة العقلية واستخدام الدين في الشفاء من العلل والمرض النفسي.

(10) Essawi, A. R. M., Childrens Drawings and Personality Types, M. ed. Thesis Urvis. of Nottingham, England; 1966.

١١ – عبد المنعم الحفني المرجع السابق.

١٢ – عبد الرحمن العيسوى، أمراض العصر، الأمراض النفسية والعقلية، والسيكوسوماتية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩١.

١٣ – عبد المنعم الحفني، المرجع السابق.

١٤ – عبد الرحمن العيسوى، دراسات في علم النفس الاجتماعي، مرجع سابق.

١٥ – عبد الرحمن العيسوى، علم النفس في الحياة المعاصر، دار المعارف – مصر، ١٩٨٠م.

١٦ – عبد المنعم الحفني، المرجع السابق.

١٧ – عبد الرحمن العيسوى، الإسلام والتنمية البشرية، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، ١٩٨٦.

١٨ – عبد الرحمن العيسوى، دراسات سيكولوجية، دار المعارف بمصر، ١٩٨٠.

١٩ – عبد الرحمن العيسوى، علم النفس الفسيولوجي، دراسة في تفسير السلوك، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٣.

٢٠ – السيد محمد خيرى، الإحصاء في البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية، مرجع سابق، ص ٣٦١.

٢١ – المرجع السابق ، ص ٤٧٦.

الفصل السابع
تعريف الشخصية

موضوع الشخصية من أعقد الموضوعات التى أهملها علماء النفس بينما كانت محل إهتمام علماء الطب العقلى وأصحاب مدرسة التحليل النفسى وكانت إهتماماتهم توجه إلى دراسة الحالات الفردية، وهذه الدراسة لاتؤدى فى النهاية إلى تكوين النظريات العامة. أما الإتجاهات الحديثة فى الدراسات السيكولوجية فتولى دراسة الشخصية إهتماماً بالغاً. لدرجة أنها أصبحت تكون مادة مستقلة بين مناهج الدراسات النفسية حيث تشمل الدراسات الجوانب المختلفة للشخصية وكيفية نموها، والعوامل المؤثرة فيها، وكيفية قياسها، والنظريات المختلفة التى وضعت لدراستها وتفسيرها. وقديما كان العلماء يهتمون بالمظاهر الخارجية للشخصية ومايترتب عليها من سلوك معين يؤثر على الأفراد الآخرين، أى أنهم، اهتموا بالسلوك الظاهرى، وتجاهلو المظاهر ا لداخلية للشخصية التى تتضمن إتجاهات الفرد ودوافعه وقيمه. وغير ذلك من السمات التى لاتظهر فى السلوك الخارج بصورة مباشرة.

ومثل هذا المفهوم غير كافة لمعرفة الشخصية معرفة دقيقة نظراً لإعتماده على أحكام الأفراد الآخرين المتأثرين بالسلوك الظاهرى للفرد، والذين تختلف أحكامهم من فرد إلى آخر. كما أن هذا التعريف يفتت سلوك الفرد إلى جزئيات وينظر إلى الشخصية على أنها حاصل جمع لهذه الجزئيات.

أما المفهوم الآخر للشخصية فهو الذى يراها وحده معقدة فى طبيعتها، لايمكن تحليلها، وهذا مايرفضه العلماء لأنه يجعل من الشخصية شيئاً غامضاً فى عالم الغيب ويرون أن مثل هذا المفهوم لايعود علينا بأى فائدة، عملية.

وهناك كثير من الصعوبات التى تقف فى سبيل تحديد مفهوم دقيق الشخصية – من ذلك ن العمليات التى تقوم بها الشخصية تتكامل وتتوحد بطريقة غير

معروفة للملاحظ الخارجي، ومن ثم فلايمكن معرفتها إلا بإستخدام منهج الاستبطان، والمعروف أن له كثيرا من العيوب[1]، هذا فضلا عن تداخل العمليات التى تقوم بها الشخصية وعن اتصالها اتصالا مستمراً مما يصعب معه فصل هذه العمليات الواحدة عن الأخرى. وبالإضافة إلى ذلك فإن دوافع السلوك الذى تقوم به الشخصية ككل دوافع معقدة بعضها شعورى والآخر لاشعورى.

ويمكننا أن نعرف الشخصية بأنها التنظيم الفريد لاستعدادات الشخص للسلوك فى المواقف المختلفة، ويضاف إلى هذا التعريف عنصر آخر هو أن هذا التنظيم لابد أن يتم فى مجال معين وهذا المجال هو المخ، ومكونات الشخصية والعمليات التى تصل إلى المخ عن طريق الأعصاب المستقبلة. وهذا يبين لنا أن السمات النفسية فى الشخصية متصلة تماما ولاتؤثر فى السلوك منفردة.

وإذا ماتفككت هذه السمات اضطربت الشخصية وأصبحت منحرفة وهذا التنظيم الدقيق هو الذى يجعل قياس سمات الشخصية أمراً صعباً.

عندما ننظر إلى الكائن الإنسانى فى علاقته مع البيئة فإننا نراه ككائن موحد، فنحن ندركه ككل، وكتكوين منظم له صفاته العامة فهو يعيش ويحيا ويتحرك كوحدة وله وجوده الموحد.

هناك من علماء النفس من يهتم بدراسة العمليات العقلية المختلفة التى يقوم بها الكائن الحين كالتفكير والتذكر والتخيل والإدراك والإحساس. وهناك من يهتم بدراسة الدوافع أو علاقة الدوافع بالإدراك وهكذا. ولكن هناك طائفة أخرى منعلماء النفس تهتم بدراسة الكائن الإنسانى ككل As a Whole فيدرسون تكوينه ووظائفه ويصفون صفاته ويفسرون سلوكه المستديم المنظم. هؤلاء العلماء هم الذين يهتمون بدراسة الشخصية.

---

(١) راجع كتاب «دراسات سيكلوجية» للمؤلف الدكتور عبد الرحمن العيسوى لمعرفة خصائص وعيوب منهج الإستنباط.

ودراسة الشخصية كما تقدم من الموضوعات الشائقة فى علم النفس لأن النظرة الكلية للكائن الإنسانى أكثر تشويقا إذا ماقورنت بموضوعات مثل الإحساس أو الإدراك أو التمييز. وعلى كل حال فإننا فى دراسة الشخصية ندرس كل ذلك ولكن فى ضوء كل موحد هو الشخصية، فمن طريق دراسة الشخصية يمكن دراسة جميع موضوعات علم النفس.

كيف يمكن تحديد مفهوم الشخصية؟

إن الطريقة العملية التى نستطيع أن نتعرف بها على الشخصية هى أن تبدأ فى ملاحظة سلوك شخص ما على مدى فترة طويلة من الزمن. وأول مانلاحظه هو خاصية الثبات التى يمتاز بها أسلوب معالجته للمواقف، فهو يسلك بطرق ثابتة In Ways That are Consistent فالشخص الذى يسلك سلوكا يدل على التسلط يحتمل أن يسلك سلوكاً تسليطاً أيضا فى المواقف المتشابهة، كذلك فإن الشخص الذى يبدو عليه الشعور بالثقة بالنفس يبدو أنه كذلك فى المواقف المتشابهة. فالشخصية تمتاز بخاصية الثبات النسبى وكذلك تمتاز سماتها بصفة الديمومة النسبية Enduring. وسوف تدلنا ملاحظة سلوك الشخص على أن هناك نظاما معينا System أو تنظيما معيناً Organization يبدو فى سلوكه فالشخص ليس مجرد مجموعة من السمات أو من العوامل التى يربطها قشرة رقيقة من الجلد. ومن المعروف زن صفات الكل أكثر من مجرد مجموع صفات أجزائه، فالمثلث له صفات أكثر من مجرد صفات ثلاثة أضلاع.

فنحن عندما نلاحظ سلوك شخص ما فإننا نلاحظ إتجاهات طويلة المدى وأهدافا عامة ومستويات للطموح وأنماطا معينة من السلوك، كذلك فإننا سوف نلمس أن له فلسفة حياة خاصة به Philosophy of Life وعلى ذلك فنحن ندرك الشخص ككل موحد و كنظام سيكلوجى يتأثر فيه السلوك الحاضر بالسلوك فى الماضى، ويؤثر السلوك الحاضر فى السلوك فى المستقبل. وسوف تدلنا ملاحظتنا

أيضا على أن كل شخصى عبارة عن تنظيم فريد فى ذاته أو يسلك بطريقة فريدة فى ذاتها Unique Mannar، فلاشك أنه لايوجد شخصان يسلكان سلوكا موحداً خلال أى فترة من الزمن، حتى التوائم العينية لاتسلك سلوكاً موحداً.

"No two Individuals, even identical Twins, Behave in Precisely The Same Way Over any Period of Time"(1)

ولكن العلم يجد صعوبة بالغة فى التعامل مع الشخصية بإعتباره تكوينا فريداً فى نوعه، لأن العلم دائماً يتعامل مع العموميات التى تساعده فى الوصول إلى تكوين نظرياته. أما صفة ديمومة سمات الشخصية فإنها «تسبب للعلم صعوبات. ولقد وصل العلم إلى درجة كبيرة من الدقة الكمية والكيفية فيما يختص بمتغير من متغيرات الشخصية مثل الذكاء، ومع ذلك هاك بعض الصعوبات التى تتصل بصدق أدوات القياس وثباتها فى مجال سمات الشخصية.

أما حقيقة أن الشخصية تنظيم Organization فإننا نلمس أن سلوك الفرد ينتظم فى وحدة كلية، والحقيقة أن الشعراء والقصصيين والروائيين هم الذين يستعطيون أن يتعاملوا مع شخصياتهم التى يكتبون عنها ككل. أما علماء النفس الذين يستهدفون الدقة والموضوعية فإنهم يجدون صعوبة إزاء هذه الفكرة.

ومما يؤكيد فكرة ديمومة عوامل الشخصية ثبات الميول مثلا على مدى معين منالزمن. فمثلا سان فورد Sanford يعرض لنتائج تطبيق قائمة الميول المهنية لتروغ The Strong Vocational Lnterest Blank فى مرتبين متلاحقتين بفاصل زمنى قدره عشرة زيام، ووجد أن هناك ارتباطا كبيراً جداً بين نتائج التطبيقين وفيما يلى بيان معاملات الإرتباط لأرباب المهن المختلفة.

---

1) Sanford, F.H. Psychology, p. 378.

المهنة	معامل الإرتباط	المهنة	معامل الإرتباط
فنان	٠,٧٤	طبيب بشرى	٠,٨١
سيكولوجى	٠,٧٣	مهندس	٠,٨٢
مهندس معمارى	٠,٧٦	صيدلى	٠,٨١
فزيائى	٠,٧٦	مدير إنتاج	٠,٦٩
معالج عظام(1)	٠,٥٦	مزارع	٠,٧٥
طبيب بيطرى	٠,٦٩	طيار(2)	٠,٧٢
عالم رياضيات	٠,٧٠	نجار	٠,٨١
مدرس رياضيات وعلوم فيزيائية	٠,٧٥	رسام	٠,٦٥
مدرس فن صناعى	٠,٦١		
مدرس صناعات زراعية	٠,٧٢		
رجل بوليس	٠,٦٢		
رجل خدمة فى الغابات	٠,٦٢		
موجه رياضى Y.M.C.A.	٠,٦٢		

ووضح أن أكثر الناس ثباتا فى الإختبارين هم المهندسون وأقلهم هم معالجو النظام Osteopth.

ومن الملاحظات الهامة التى يجب أن تؤخذ فى الإعتبار زن جوهر الدراسات التى تتناول الشخصية تعتمد على المقارنة.. مقارنة مايملك الأفراد من سمات وقدرات. على أنه من الأهمية بمكان أن نقرر أننا عندما تدرس الشخصية فإن ماندرسه بالعفل هو السلوك، ومن خلال دراسة السلوك نصل إلى تكوين المفاهيم العامة عن الشخصية. ولكننا فى دراسة الشخصية لانهتم بدراسة وحدات جزئية دقيقة من السلوك كالتمييز بين درجتين مختلفتين من لون معين. ولكننا نهتم

(1) Osteophth.
(2) Avistor.

بالسلوك الكلى للمثيرات العامة الموجودة فى بيئة الفرد، ويجب الإعتراف بأن السلوك الإنسانى معقد للغاية ومتنوع تنوعا كبيراً جداً. ومن وظائف السيكولوجى أن يصف هذا التعقيد بصورة مبسطة، فالمعروف زن الفرد يصدر آلاف الإستجابات يوميا لالآف المثيرات التى تجبهه ف يحياته اليومية. ولكننا لانستطيع أن نلاحظ أو نسجل كل هذه الإستجابات مستقلا بعضها عن البعض، ولذلك فإننا نصنف الإستجابات فى فئات معينة Categories فنتحدث عن إستجابات الخوف والغضب والحب والكراهية والفرح. وبذلك نضع الإستجابات المتشابهة فى فئة معينة وذلك لسهولة الفهم والتفسير.

أسئلة تطبيقية وتدريبات عملية

(١) لماذا كانت دراسة الشخصية ذات أهمية خاصة؟.

(٢) ما الأصل اللغوى لكلمة شخصية، حاول أن تربط بين هذا الأصل اللغوى والمعنى الاصطلاحى المستخدم فى علم النفس؟

(٣) لماذا كان تحديد معنى الشخصية أمراً صعباً؟

(٤) اشرح عيوب الإتجاه التحليلى ف يالنظر إلى الشخصية؟

(٥) يقال إن الشخصية ليست مجموعة من السمات المرصوصة بعضها إلى جانب بعض. إشرح هذه العبارة.

(٦) من خصائص الشخصية خاصة الديناميكية اشرح مدلول هذه الخصاية مستعينا بضرب الأمثلة.

(٧) تمتاز شخصية الفرد بأنها تنظيم فريد فى ذاته. اشرح هذه العبارة وحاول تحليل شخصية فردين من أصدقائك ممن تعرف الكثير من سماتها.

(٨) تحدد شخصية الفرد طريقة تكيفه للحياة. اشرح ذلك مستعيناً بضرب الأمثلة.

(٩) أن الشخصية كل موحد، أشرح مظاهر توحد سمات الفرد.

(١٠) ما العوامل التى تؤثر فى نمو الشخصية؟

(١١) أيهما أكثر تأثيراً فى نمو الشخصية الفرد البيئة أم الوراثة؟

(١٢) هل تمتاز سمات الفرد بالعمومية أم النوعية. إستعن فى إجاباتك ببعض الأبحاث والتجارب التى أجريت فى هذا الميدان؟

(١٣) إشرح كيفية تكوين مفهوم السمة؟

نظريات تفسير الشخصية

Personolity Theories

١ – نظريات الأنماط: حين يتعرض الفرد لمواقف مختلفة فإنه يلجأ إلى خبراته السابقة للتصرف فى هذه المواقف، ولإمكان الحكم على الأفراد وعلى سلوكهم، فمثلا مضيفة الطائرة تواجه كثيراً من الركاب وعليها أن تتعامل مع كل فرد معاملة خاصة تناسبه، وتتحدد هذه المحاكمة بنوع الحكم الذى تصدره على الفرد من أول وهلة، أى معرفة نمط شخصيته، ومن ثم حددت نوع معاملتها له. وقد صنف العلماء الناس إلى أنماط مزاجية وجسمانية ونفسية وإجتماعية كثيرة.

أولا: الأنماط المزاجية:

لقد صنف هيبوقراط الناس إلى أربعة أنماط مراجية هى الدموى والصفراوى والسوداوى، واللمفاوى أو البلغمى، وهذه الأنماط قسمت على أساس مايوجد فى الدم من هذه العناص. ومؤدى هذه النظرية أن كل نمط من هذه الأنماط يتميز بسلوك معين، ولكن بالبحث العلمى ثبت خطأ هذه النظرية ولق دحاول علماء النفس دراسة الشخصية وتفسيرها والتنبؤ بسلوك الفرد، وفى أثناهذه المحاولات انتهجوا العديد من المناهج أو اتبعوا العديد من الطرق وأول هذه الطرق المعروفة لدينا هى طريقة الأنماط أى طريقة تضيف الناس على أنماط Types معينة.

فـفى تاريخ علم النفس ظهـرت فكرة الأنماظ وذلك لمحـاولة فـهم الناس وتصنيفـهم إلى عد دمحدد من الأنماط. وكل نمط يتخذ إسـماً له سـمة من السمات البارزة المفروض وجودها فى أصحاب هذا النمط.

"A typology is a descriptive system in which all men are classified into a limited number of categories or types, with each typological tern supposedly des cribing a central or oversinding characteristic all aspectes of the indivdual's life".

وأول هذه الأنماط هى الأنماط التى قالها عنها هيبوقراط الطبيب[1] اليونان فقبل عام ٤٠٠ قبل الميلاد، حاول هيبوقراط Hippocrates أن ينصف خلق الناس أو مزاجهم Humors، وكانت فكرته أن الجسم الإنسانى مكون أساساً من أربعة عناصر هى الدم والسوداء Black Bile والصفراءYellow Bileوالبلغم Phlegn، وفى كل فرد تكون الغلبة لأح دهذه العناصر، وعلى ذلك فيمكن إيجاد العلاقة الآتية بين العناصر الجسمية والصفات المزاجية.

العنصر الجسمى الغالب	الصفات المزاجية
الدم	متفاعل، آمل، دموى المزاج Sanguine
السوداء Black bile.	حزين، سوداوى Melancholic
الصفراء Yellow bile	صفراوى هائج أو ثائر، حاد المزاج Choleric
البلغم Phlegm	بلغمى، بليد، خامل Opathetic

وبالرغم من أنهذه الفكرة كانت فكرة مبتكرة فى عهد هيبوقراط إلا أنها لاتتمشى مع حقائق العلم الحديث. وبالرغم من أن هذا التصنيف يتناول كثيراً من سمات الشخصية إلا أن الباحث الحديث لايربط بين عناصر الجسم والسمات السلوكية.

وهناك تصنيف آخر كثر حداثة يرجع إلى العالم كريتشمير الذى قال بالأنماط الجسمية.

ثانيا: الأنماط الجسمانية:

وهناك آراء عديدة فى هذه النظرية، فمن العلماء من يقسم الأشخاص حسب شكل الوجه ومنهم من يقسمها حسب جغرافية جمجمة الرزس، والسمات الجسمية أو المميزات الجسمانية من ضخامة وسمنة وقصر..

---

(1) Sanford, H. Psychology, p. 382.

ثالثا: الأنماط النفسية:

ومن أشهر هذه الأنماط التصنيف الذى وضعه كارل يونج والذى قسم الناس فيه إلى انطوائيين وانبساطين، وإلى جانب هذا الأساس رأى أن هناك وظائف عقلية هى التفكير والإحساس والإلهام والوجدان، وعلى ذلك يصبح هناك ثمانية زنماط من الشخصية. فالشخص قد يكون انطوائيا ومفكراً، أو انطوائيا وحدسياً وذلك بحسب تغلب الوظائف العقلية عنده.

رابعاً: الأنماط الإجتماعية:

وترجع محاولة التقسيم إلى أنماط إجتماعية إلى توماس وزنانيكى عندما درسا الأنماط الإجتماعية فى محاولة للتفريق بين السمات المزاجية والسمات الخلقية حيث أنهما كانا يريان أنالمزاج يرجع إلى عوامل وراثية بينما الخلق يرجع إلى عوامل إجتماعية والناس ينقسمون إلى أنماط إجتماعية معينة نتيجة للتفاعل الإجتماعى بينهم، وهذه الأنماط هى:

(١) النمط العملى (٢) النمط البوهيمى (٣) النمط المبتكر

ولقد قسم سبرانجر الفيلسوف الألمانى الناس إلى أنماط إجتماعية على أساس من دراسة للإتجاهات النفسية وهى:

١- النمط النظرى ٢- النمط الإقتصادى

٣- النمط الجمالى ٤- النمط الإجتماعى

٥- النمط الساسى ٦- النمط الدينى

أما ماريا Murray فقد قسم الناس إلى أربعة أقسام:

١- عندما نضع فردا مافى نمط ما فإننا نفتضر أن جميع الصفات المكونة لهذا النمط تنطبق عليه، على حين زن بعضها فقط هو الذى يتوفر عنده وعل يذلك فإننا نصب الأفراد فى قوالب جامدة، ونتجاهل مايوجد. بينهم من فروق فردية فى كلم مايملكون من هذه السمة.

٢- إن فكرة الأنماط فكرة مسرفة فى التعميم حيث أنها لاتنطبق إلا على قلة متطرفة من الناس ولكننا نطلقها على الجميع، فهناك قلة بسيطة هى المنطوية وقلة أخرى منبسطة على حين هناك أغلبية معتدلة أو متوسطة.

٣- تنظر فكرة الأنماط إلى ناحية واحدة من نواحية الشخصية وتهمل ماعداها من عناصر كأننتظر للانطواء أو الانبساط فقط.

ونظراً لما يوجه لنظرية الأنماط من انتقادات فإن أنماط فإن أنماط كريتمشير حاولت التغلب على هذه الصعوبات. نقول إن هناك تصنيفا آخر أكثر حداثة يرجع إلى العالم الألمانى كريتشمير Krestchamer (١٩٢٥) الذى وضع تصنيفاً للناس على زساس بناء أجسامهم Body Build فمن خلال ملاحظاته لمرضى المستشفيات العقلية وصل إلى الإعتقاد بأن بعض الأعراض العقلية تنحو نحو الإرتباط ببعض أنواع من الأجسام.

فالشخص الضعيف النحيل الواهن الطويل Athenic تظهر عليه أعراض الجنون المبكر Dementic praecox وتسمى الآن بالفصامSchizophrenia حيث يتعد المريض عن عالم الحقيقة ويصيب حياته العقلية والإنفعالية تدهور شديد. وعلى العموم يمتاز هذا النمط والإكتئاب.

زما الجنون الدورى Manic - Depression فإنه يبدو فى الأشخاص الذين تغلب عليهم السمة القصر والإرتخاء Softnessوالذين لهم أجساد مستديرة، ويعرف هذا النمط بإسم Pykinc أى النمط السمين القصير الذى يتميز بالمرح والإنبساط وسرعة التقلب وصراحة وسهولة عقد الصداقات. ويطلق عليه أيضا أم المكتظ وعلى كل حال فإن كريتشمير خرج من ملاحظاته إلى تكوين نظام أنماط ينطبق على الأسوياء كما ينطبق على المرضى. فقد رأى أن جميع الأجسام يمكن أن تصنف إلى الأنماط الآتية:

النمط المكتظ Pykinc وهو القصير، السمين، الذى يمتاز بالمرح والانبساط.

النمط الرياضى Athloetic ويتميز صاحبه بالعدوان والنشاط.

النمط الخليط Dysplastic هو خليط من الأنماط الثلاثة.

أما الجسم الرياضى فيوجد لدى الفرد صاحب الجسم المربع ذى العضلات المفتولة. أما النمط المختلط فإن جسمه ليس منسقاً ولامترابطاً مع نفسه. ففى جزء منه يكون رياضياً وفى آخر يكون قصيراً وفى ثالث يكون ضعيفاً.

فالسمات التى تميز الفرد الفصامى توجد فى الشخص النحيل الضعيف وذلك مثل الإنطواء والإنسحاب والمثالية والرسميات. أما أصحاب الأبدان السمينة والقصيرة فإن أعراضا مثل تقلب المزاج والأنبساط والواقعية والموضوعية تظهر عندهم وتظهر هذه السمات بصورة مبالغ فيها لدى مرضى الجنون الدورى.

نظرية لأنماط لشيلدون Sheldon

ومن هذه المحاولات الحديثة محاولة قام بها وليم شيلدون William Sheldon(١٩٤٠) لتعريف السمات المزاجية Temperamental Triats وحاول على غرار كريتشمير - الربط بين هذه السمات المزاجية والصفات الجسمية.

ولقد تحرر شيلدون من فكرة الأنماط وحاول أن يصف أبعاد تكوين الجسم Dinensions of Body ولكنه تصور أن هذه الأبعاد متصلة ومستمرة وليست قوالب مستقلة كما فعل كريتشمير. ووضح ثلاثة زبعاد بحيث يمكن إعطاء درجة لكل جسم على هذه الأبعاد الثلاثة.

فالشخص الذى يأخذ درجات عالية على Endomorphy يشبه النمط الـ Pykink عند كريتشمير، فجسمه مستدير وطرى. وعن طريق إستخدام عدة أدوات قياسية يستطيع أن يضع شيلدون أى شخص على مقياس من ٧ نقاط.

أما البعد الثانى من الأبعاد الثلاث، فهو Mesomorphy ويمتاز هذا النمط

بجسم مربع وقوة العضلات وقوة العظام. أما البعد الثالث فهو Ectomorphy ويمتاز برقة التكوين الجسمي والبرود.

وعلى كل حال فإن كل فرد يعطى درجة معينة على كل من هذه الأبعاد ولقد حاول شيلدون دراسة السمات المزاجية للأفراد ومعرفة الصلة بين هذه السمات وبين الخصائص الجسمية من ناحية وبينها وبين السلوك من ناحية أخرى. ولقد صنف الناس إلى ثلاث فئات مزاجية هي:

Viscerotonia النمط الرخو الذى يمتاز بحب الراحة والإقبال على الناس والنهم فى الأكل.

Somatotonia النمط العضلى ويمتاز بقوة العضلات.

Cerebrotonia . النمط المكبوت ويمتاز بالقمع واليقظة وبسيطرة النواحية العقلية وإلى يجانب هذه السمات التى توصف بالثبات والتنظيم فإن هناك مجموعة أخرى من السمات التى يمكن أن يطلق عليها السمات التعبيرية أو السمات الخاصة بأسلوب الفرد Stylistic or expressive traits لقد أكد لنا علم النفس الفردى أن كل فرد له أسلوبه فى الحياة وطريقته المعينة فى الإستجابة لمواقف الحياة التى تجبهه. ويظهر هذا الأسلوب أكثر مايظهر لدى الفنانين والموسيقيين والكتاب والأدباء حيث نلمس أن لكل منهم أسلوبه ومنهجه وميوله.

ولقد قام البورت وفرنون Allpot, Verunon (1933) بدراسة طلب فيها من مجموعة من الناس القيام ببعض الأعمال المختلفة التى تدور حول ماسمياه بالحركة التعبيرية Expressive Movemetnts مثل القراءة الجهرية، العد الجهرى، المشى تقدير المسافات، تقدير بعض الأشياء برسم دوائر، تقدير الزوايا تقدير الأوزان وهكذا. ووجد أن هناك نزعة لدى الفرد لآداء ا لعمل فى المناسبات المختلفة بنفس الطريقة.

فسمات كتابة الفرد تتخذ نفس الشكل، كذلك سرعة الفرد فى القيام ببعض الأعمال تتكرر فى المواقف المختلفة.

وعلى ذلك فإن العادات التعبيرية أو الحركية عبارة عن صفات ثابتة لدى الفرد.

ففى دراسة كتابة اليد وجد أن هناك فروقاً فردية بين الأفراد بحيث تظهر فردية الكاتب فى شكل كتابته بل رن الباحث يستطيع أن يلمس بعض الإشارات عن وجود سمات معينة فى الشخصية. فالشخص الذى تظهر على كتاباته علامات التوكيد فى رسم الحروف والمقاطع يميل إل يالتوكيد ف يكثير من الأعمال مثل توكيد النطق بالكلمات.

ففى إحدى الدراسات طلب من مجموعة من الطلبة أن يتعرفوا على شخصيات أصحاب نماذج معينة من كتابة اليد. وذلك بعد أن أعطوا وصفاً دقيقا لكل شخصية من شخصيات أصحاب الكتابة ثم قدمت لهم الكتابات وطلب من الحكام وضع عينة الكتابة مع شخصية صاحبها بعد التعرف عليها. ولقد نجح فعلا هولاء الناس فى التزاوج بين الكتابة ووصف الشخصية ولكن لم يكن هذا النجاح كاملا. وكان اخصائيوا الخطوط Graphoiogrists أكثر دقة فى التعرف على شخصية الفرد من كتابته من طلاب الجامعة الذين اشتركوا فى التجربة معهم. وبطبيعة الحال لايمكن عمل تشخيص كامل ودقيق الشخصية من مجرد تحليل ودراسة الكتابة أو الخط فقط.

وفى بحث آخر كشف عن وجود سمات النمطية Stylistic Traits إلى جانب الحركات التعبيرية Expressive - Movements ووجد أن هناك فروقاً فردية فى تركيب الجمل وفى إستخدام أجزاءمختلفة من الكلام وذلك عندما يقارن هؤلاء الأفراد فى أثناء حديثهم فى موضوعات متشابهة. فهناك بعض الأشخاص الذين يستخدمون كثيراً من الأفعال وقليلا من الصفات، وهناك أشخاص يميلون إلى إستخدام عبارات تشير إلى عدم التوكيد مثل ربما ويجوز.. ويبدو أن، ويحتمل إن يكون.. ويظهر أن ... وهكذا.

بينما آخرون يشيرون إلى التوكيد والثبات فى حديثهم. فلكل شخصى عاداته اللغوية الخاصة، وأسلوب الفرد فى الكلام يرتبط بصفات سلوكية أخرى وليست لدينا أدلة كافية للتقرير فى هذه المشكلات بصورة حاسمة ومازال الموضوع فى حاجة إلى مزيد من البحث.

والمقصود من هذه الدراسات الخاصة بالسمات التعبيرية والسمات اللفظية هو إثبات وحدة تنظيم الشخصية.

نظريــة السمـــات

نظراً لما يوجه لنظرية الأنماط من انتقادات فإن هناك بعض العلماء الذين يرون أن الحكم على الشخصةى يكون بدراسة جميع سماتها. وعلى ذلك فإن الشخصية فى نظرهم عبارة عن مجموع ما لدى الفرد من سمات. وعلى ذلك فإننا لكى نتعرف على شخصية فرد ما فرننا نطبق عليه عدداً كبيراً من الإختبارات التى تقيس سماته الشخصية أو أبعاد شخصيته. وتعتمد هذه النظرية على فكرة ثبات الشخصية. فالشخص الواحد يسلك سلوكاً متشابهاً فى المواقف المتشابهة. كذلك تعتمدهذه النظرية على إختلاف الأفراد فيما يملكون من سمات، فنحن جميعاً نضغب فى المواقف التى تثير الغضب ولكن كل منا يختلف عن الآخر فى درجة الغضب. وفى طريقة التعبير عنه. وعلى ذلك فإننا ننظر إلى السمات كما لو كانت عادات يمكن إثارتها فى مواقف معينة. ولكن إذا أخذنا بهذا الرأى واجهتنا مشكلة زخرى هى أن عادات الفرد كثيرة جداً، ولايمكن حصرها ووضع مقاييس لكل منها. وهنا تثار مشكلة أخرى هى هل السمات عامة أو نوعية خاصة؟

لقد قام هارتشورت وماى May and Harshorne بدراسة اسلوك الأخلاقى لدى تلاميذ المدارس الأمريكية ووجد أن سمة كالأمانة ليست سمة عامة ولكنها سمة نوعية، فالطفل الأمين ليس أميناً بصفة مطلقة، فقد يكون أمينا فى المنزل وغشاشاً فى المدرسة. كذلك قد يكون أميناً فى النواحى المادية وعبر أمين فى عمله

ولقد لاقى هذا الرزى معارضة كبيرة من علماء النفس حيث يترتب عليه أن الشخصية تتكون من عدد لاحصر له من السمات النوعية الخاصة المستقل بعضها عن البعض الآخر. ولاشك أن عوامل التنشئة الإجتماعية والتفاعل الإجتماعى تؤدى إلى تكوين سمات عامة فى الشخصية، وإن كان هذا لايمنع من وجود بعض السمات النوعية، ولكن السمات العامة أكثر ثباتاً وأكثر أهمية فى التعرف على الشخصية وفهمها، ولذلك فإن القياس العقلى يستهدف وضع إختبارات لقياس السمات العامة التى تغطى جوانب كثيرة من شخصية الفرد والتى تمتاز بصفة الدوام النسبى فلانقيس الإنفعالات العارضة ولكن نقيس السمات الثابتة ثبوتاً نسبياً.

ولق دإتجه علماءالنفس إلى منهج التحليل العالى لنتائج إختبارات الشخصية للتعرف على السمات العامة التى تقيس إختبارات الشخصية ولقد وجد ترستون أن هناك سبع سمات أساسية ومستقلة تميز الفرد هى:

١- مفكر انطوائى ٢- ودود

٣- ثابت انفعاليا ٤- لديه ميول ذكرية

٥- قائد ٦- نشيط ٧- مندفع

ولكن ليس هناك اتفاق نهائى على السمات العامة المكونة للشخصية ولا عن عددها أو طبيعتها.

تقييم نظريات السمات

بالرغم من أن أن لنظرية السمات بعض المزايا إلا أن النقد يوجه إليها أيضا فهى تبعد عن تطرف نظرية الأنماط لأنها تعتبر زن كل سمة من سمات الشخصية ماهى إلا بعد واحد من أبعاد الشخصية. كذلك فإنها تعطى مفاهيم لسمات يمكن قياسها قياساً دقيقاً. وكذلك يمكن دراستها وإجراء التجارب عليها. ولكن مع ذلك فإن الدرجات التى نحصل عليها من تطبيق عدد كبير من الإختبارات

لاتباعدنا فى وصف شخصية الفر دومعرفتها ذلك لأن مجرد معرفة مقدار مايملك الفرد من كل سمة من السمات لايوضح لنا كيف تتفاعل هذه السمات مع بعضها ولكيف تنتظم ف يكل موحد. فنظرية ا لسمات إذن لاتوضح لنا ديناميكية الشخصية وتكاملها وانسجام عناصرها واداءها لوظائفها المختلفة.

كذلك يوخذ على نظرية السمات أنها تنظر إلى السمات كموجودات داخل الفرد نفسه، ولكن الحقيقة أنها ليست إلا طرفاً للسلوك فى المواقف المختلفة فنحن نكون مفهوم السمة من عملية تجريد لعدد كبير من الأنماط السلوكية المتشابهة، وعلى ذلك فالسمة لاتوجد وجوداً مستقلا فى الفرد إنما كل مايوجد لديه هو سلوك معين، وهذا لاسلوك هو الذى نستطيع أن نلاحظه وأن نقيسه، فنحن لانرى الأمانة داخل الفرد ولكن نلاحظ السلوك الأمين فقط. وعلى ذلك فإذا أردنا لادقة فلانقول إن شخصاً ما عدوانياً أو يمتلك سمة الدعوان ولكن نقول إنه يسلك سولكاً عدوانياً فى مواقف كذا وكذا. فالشخص المنطوى لايكون منطوياً فى جميع المواقف وعلى ذلك فلابد من أخذ العوامل الإجتماعية فى الإعتبار فى دراسة سمات الشخصةى وكذلك معرفة الظروف الفيزيقية المحيطة بالفرد والتى تؤثر فى سلوكه، فليست السمات وحدها هى المسئولة عن السلوك ولكن الظروف الإجتماعية والمادية أيضاً تحدد هذا السلوك.،

نظرية السمات وثيقة لصلة بنظريات الأنماط، بل إنه يمكن القول بأن النمط هو سمة عامة أو سمة غالبة أو ائتلاف معين من عدة سمات، ورزذا كان النمط يفترض وحدة فى جميع سلوك الفرد، فالسمة تقترض وحدة فى قطاع بأسره من السلوك. فالأمانة فيما يقال صفة ثابتة للشخصية كلها وتمتاز بالإستمرار النسبى حتى حين لاتظهر فى السلوك الخارجى. وتستند السمة أيضاً إلى معيار إجتماعى، فهى تشير إلى مايخص الفرد بالقياس إلى المتوسط فى جماعته. فالمرأة التى تتسم بالإحتشام فى المجتمع الفرنسى قد تتسم بنقيض ذلك فى مجتمع شرقى. وعلى أية

حال فإن سيكولوجية السمات، شأنها شأن نظرية الأنماط، تميل بصورة عامة إلى توكيد ماهو بيولوجي، وماهو فطرى، أى مايقاوم التغير وما لايتأثر نسبياً بالبيئة، والواقع أن مفهوم السمة إنما يتكون من ملاحظة السلوك، ومن ثم فالسمة افتراض عقلي وليست شيئاً نلاحظه مباشرة.

وحيث أن معظم السمات قابل للتحديد الكمى فإنه يمكن تحدى درجة السمة عند الشخص بنقطة على خط مستقيم ولما كانت بعض السمات وحيدة القطب Unipolar كالمهارة اليدوية. وبعضها الآخر ثنائى للقطب Bipolar كالسيطرة فى مقابل الخضوع، فإنه فى الحالة الأولى يمتد خط السمة من الصفر إلى النهاية العظمى، بينما فى الحالة الثانية يقع الصفر فى منتصف المسافة بين القطبين المتعارضين (السيطرة والخضوع) وتتسم السمات بالثبات والاستقرار بصورة عامة، وبعض السمات أكثر إنتشاراً فى جماعة معينة من السكان كما أن البعض الآخر أكثر شيوعا فى سلوك الشخص الواحد. كما أن بعض السمات أكثر عمومية من البعض الآخر.

ويذهب بعض الباحثين مذاهب مختلفة فى تصنيف السمات، فمنهم من يتحدث عن سمة كبرى غالبة على الشخصية أو سمة مركزية تنتظم حولها سمات أخرى أقل أهمية تعرف بالسمات الثانوية. وينظر بيرت للشخصية على أنها انتظام دينامى بين مختلف سمات الفرد. ولكن هذا يوقعنا فى عدم التفريق بين مفهوم السمة ومفهوم الدافع فالأول مفهوم Static أما الثانى فهو Dynamic يفترض بالضرورة تفاعل الشخص مع الموقف. وهناك نقطة أخرى جديرة بالإشارة وهى مسألة غموض السمة وعدم تحديدها تبعاً لنظرية السمات، فالشجاعة قد تكون شجاعة حربية وقد تكون شجاعة أدبية. ومن مظاهر الغموض وعدم التحديد فى إختلاف معيار لاسمة هو الإختلاف بين إسمين للسمة أحدهما محبب والآخر منفر.

فالحزم قد يبدو تصميما وقد يبدو عناداً. كذلك عدم تحديد معنى السمة زو معيارها تحديداً مطلقاً. فسمة الكرم عند العرب غيرها عند الاسكتلنديين، ويلاحظ أنه من النادر أن تكون السمة عامة فى السلوك عند الشخص الواحد، فمن الممكن أن يكون الشخص شجاعاً علنياً وفى الحروب جباناً.

ودراسات السمات عادة ماتبدأ بالسمة كصفة ثابتة موروثة وراسخة فى التكوين البدنى ثم لاتلبث السمة أن تفقد أساسها البدنى ثم صفتها الوراثية ثم وحدتها ثم تتلاشى فى سلسلة من الأبحاث المتفرقة التى تحللها إلى سمات جزئية نوعية، وهناك أنواع متعددة من السمات منها:

السمات العامة والسمات الموقفية: فالسمة العامة ثابتة ثبوتاً مطلقاً، فالشخص الذى يتمتع بسمة ا لأمانة العامة يكون أميناً فى كل المواقف، والسمات الموقفية هى التى تتوقف على نوع الموقف، وهناك سمات أخرى مثل السيطرة والخوضع والذكورة والأنوثة والرصانة الانفعالية.. الخ وهناك أيضا السمات الشعورية وللاشعورية فالشعورية هى التى شعر بها الفرد مثل الصداقة والروح الإجتماعية، واللاشعورية هى التى لايشعر بها الفرد مثل الكبت والمخاوف المكبوتة.

وتنقسم السمات المكبوتة إلى نوعين:

١- السمات العصابية المنطلقة:

وهى السمات التى تبدو فى صورة سلوك يعبر عن إنطلاق الفرد المكبوت، كانطلاق البغض فى صورة عدوان زو ثورات غضب، ومن خصائص السمات العصابية أنها تتعارض مع الخلق المعهود للشخص لأن فيها تعبيرا عن دوافع الفرد الحقيقية التى تظهر فى شكل عصاب نفسى أى مرض نفسى.

٢- السمات العصابية العكسية:

وهى السمات التى تبدو فى صورة سلوك هو نقيض السلوك الذى كانى صدر لو أن الفرد كان طليقاً مثل مظاهر الرحمة المبالغ فيها التى تخفى وراءها قسوة

بالغة... الخ. ومن خصائص السمات العكسية أنها مشتطة ومسرفة، لزن عليها أن تحجر على السمة المضادة حجراً تاماً، ولادع الفرد يشعر بوجودها، وهي مزمنة لآأن عليها زن توصد السمات الحقيقية دائماً خشية أن تنطلق وتعبر عن نفسها. فالطفل الذى يكره أباه يتظاهر بالحب الدائم تجاه هذا الأب.

فكبت الطفل خوفه وتظاهره عن غير قصد بالشجاعة هذه سمة عكسية أما إن إنطلق خوفه فى صورة قلق فهذه سمة منطلقة.

دوافع الفرد Motives أو السمات الدافعية

تفيدنا دراسة سمات الفرد فى معرفة نوع تكيفه الشخصى ولكن لمعرفة أهداف الفرد واتجاهاته ومستوى طموحه ومدى كفاحه يجب أن تعفر الكثير عن دوافعه. وهناك محاولات لوصف دوافع الفرد وتصنيفها، وتقوم هذه المحاولات على أساس ملاحظة كل التنظيم السيكولوجى للفرد ومعرفة أنواع السلوك التى تتوحد معا. وبذلك نستنتج وجود الدوافع أو لاقوى التى تكمن وراء هذه الأنماط السلوكية. ويمكن أن نطلق اصطلاح السمات الدينامية على تلك الدوافع المحركة للسلوك. ورذا درسنا الفرد دراسة كاملة ودقيقة لاستطعنا أن نكون نظرية شاملة عنه وعن مكونات شخصيته وعن دوافعه المترابطة والمتنافرة، وتلك الدوافع الدائمة والمؤقتة، والدوافع المتداخلة وتلك الدوافع الأولية والثانوية، ولكن مثل هذه الدراسة ا لشاملة لاشك تستغرق وقتاً طويلا، وتحتاج إلى جهد كبير حتى نتمكن من دراسة فرد واحد بعينه، ولذلك يقال إنه أصله علينا أن نخلق الشخصية كلها بمعنى أن نصورها من خيالنا كما يفعل القصصيون هذا أسهل من وصف شخصية توجد بالفعل وصفاً علمياً ولكن فى عملية تصنيف السلوك ووضع كل طائفة منه تحت دافع معين قد تكون عملية التصنيف هذه عملية تعسفية من قبل الباحث.

وتستخدم لدراسة دوافع الفرد جميع وسائل تقييم الشخصية مثل الإختبارات والإستخبارات والأساليب الإسقاطية والمقابلات.

فمثلا إستخدمت الأسئلة الآتية فى أحد الإستخبارات للدلالة على وجود الحاجة نحو توكيد الذات:

١- أنا دائما أعمل عكس العادات وعكس نصائح والدى. نعم/ لا
٢- أنا أجادل ضد الناس الذين يحاولون أن يمارسو سلطاتهم على. نعم/ لا
٣- أنا تجنب المواقف التى يتوقعه منى الناس أن امتثل للمقاييس التقليدية نعم/ لا
٤- أنا أسير فى طريقى بصرف النظر عن آراء الآخرين. نعم/ لا
٥- أنا لاأميل إلى القيام بأى عمل مفروض على. نعم/ لا
٦- أنا لا أطيع القواعد والتعليمات التى تعوق حريتى. نعم/ لا
٧- أنا أهتم بالحرية والاستقلال فوق كل شيءآخر. نعم/ لا
٨- أنا ميال لنقد أى شخص تؤول إليه السلة نعم/ لا

وعلى كل حال من نتائج كثير من الدراسات يمكن تلخيص الحاجات الآتية:

١- الحاجة إلى السيطرة Dominance وهى عبارة عن رغبة الفرد فى التحكم فى سلوك الآخرين وفى عواطفهم.

٢- الحاجة إلى إتباع قائد ما والإعجاب به، أى الحاجة إلى الإنقياد Deference need.

٣- الحاجة إلى توكيد الذات Autonomy أى الرغبة فى أن يسير الفرد حسب هواه دون أن يؤثر فيه الغير، ودون أن يوجهه الغير.

٤- الحاجة إلى العدوان Agression أى الرغبة فى مهاجمة الآخرين والغضب فى وجههم فى حالة تعرض الفرد للإهانة أو المعارضة أو المضايقة.

٥- الحاجة إلى الخضوع Abasements أى الرغبة فى الخضوع والرغبة فى قبول الألم والتمتع به وقبول النقد واللوم والاستسلام والميل نحو إعزاء حوادث حياة الفرد للقدر.

٦- الحاجة إلى التحصيل Achievement أى الرغبة فى تحصيل شىء صعب المنال، وإتقان بعض المهارات والتغلب على الموانع أو العوائق.

٧- الحاجة إلى الرؤية Sentiennce need وهى عبارة عن الرغبة فى التمتع باللذة الحسية مثل الأبصار وسماع الأصوات أى الانطباعات الحسية كلها.

٨- الحاجة إلى الإستعراض Exhibition أى حاجة الفرد للتأثير على الآخرين، حتى يراه الناس الآخرين، حتى يراه النسا الاخرون ويسمعوه، وأنى ثيرهم ويستريع انتباهم ويدهشهم ويسليهم أو يصدمهم.

٩- الحاجة إلى اللعب Play أى الرغبة فى القيام ببعض الحركات من أجل اللعب ومن أجل التسلية والمزاح.

١٠- الحاجة إلى الإنتماء Affiliation وهى عبارة عن الرغبة فى التعاون مع الآخرين والعمل على إسعادهم، والإشتراك معهم.

١١- الحاحة إلى النبذ أو البعد Rejection وهى عبارة عن الرغبة فى الإبتعاد عن الناس غير المرغوب فيهم وإهمالهم.

١٢- الحاجة إلى المساعدة Succorance أى الحاجة إلى الإغاثة أو النجدة أو العون، أى رغبة الفرد فى أن يساعده الآخرون سواء كانت هذه المساعدة فى شكل حب زو عطف أو حماية.

١٣- الحاجة إلى تقديم العون للآخرين Nurturance، حيث يرغب الفرد فى إعطاء غيره الحب والعون والحماية وخاصة للشخص الضعيف أو الذى لاحول له ولاقوة أو التعاطف مع الغير.

١٤- الحاجة إلى تجنب الإهانة والحرج Infavoidance أو التصغير أو الاستخفاف أو الاحتقار.

١٥- الحاجة إلى الدفاع Defendance، الدفاع عن الذات فى مواجهة الهجوم وتجنب النقد واللوم، أى الدفاع عن النفس وتأييدها وإثباتها.

١٦- الحاجة إلى التغلب على الفشل Counteraction، عن طريق بذل محاولات أكثر قوة وصلابة، والتغلب على الإهانة عن طريق تجديد الجهد، والتغلب على مواطن الضعف في الشخص.

١٧- الحاجة إلى تجنب الألم Harmavoidance تجنب الألم والمرض والإصابة بالجروح أو الموت أي إتباع الحذر.

١٨- الحاجة إلى النظام Order أي الرغبة في وضع الأشياء مرتبة وحفظ الأشياء نظيفة ومنظمة ومرتبة ومصنفة ودقيقة.

١٩- الحاجة إلى الفهم Understanding، الرغبة في فهم العلاقات أي الحاجة للفهم من أجل الفهم لذاته.

٢٠- الحاجة إلى الجنس Sex ومايصاحبها من اتجاهات شهوانية.

وهذه هي السمة الدافعية في دراسة ماريا Murray، وإلى جانب هذه السمات لوحظ أن هناك طائفة أخرى من السمات المزاجية أو التعبيرية ومنها مايلي:

١- سمة الإنسجام Conjunctivity أي الرغبة في السلوك المتكامل والمتناسق أو المتماسك.

٢- سمة التفكك في السلوك وهي عكس السمة الأولى Disjunctivity.

٣- سمة القهرية أو الإندفاعية Impulsion أي الميل للإستجابة بسرعة ودون تفكير أو تأمل قبل الإستجابة.

٤- سمة الأنفعالية أو الوجدانية. Emotionality وتشير هذه الدراسة إلى مدى تكرار الإنفعالت ودوامها وكثافتها.

٥- الإبتكارية أو الإبداعية Greativity وتشير إلى سرعة التعلم والأصالة في التفكير والحدسIntuition .

٦- سمة الكثافة Intensity [١] أى وجود ميل عميق في الحياة والبحث عن الفرص المودية إلى المناشط المفيدة والمناشط الترويحية والصحية الممتازة والبحث عن القوة والتأثير والشغف بالحياة والناس.

٧- سمة الدوام Endurance أى دوام السلوك.

٨- سمة الإسقاط Projectivity أى الرغبة فى رؤية عيوب الفرد ومخاوفه ورغباته.. الخ فى الآخرين.

٩- سمة الموضوعية Objectivity أى النزعة نحو رؤية الأشياء كما هى فى الواقع وليس كما يريدها خيال الفرد.

١٠- السمة الذاتية Intraception أى سمة خيالية وذاتية ونظرة إنسانية وسلوك عاطفى، أى تأثير الفرد بالميول الذاتية والمشاعر الخاصة.

١١- سمة الخارجية Extraception أى نزعة الفرد نحو التأثر فقط بالزمور المشخصة المجسمة والوقائع الحقيقية.

١٢- سمة حب الذات أوعبادة الذات Narcissiam أى حب الفرد لذاته مع عدم إحترام الآخرين.

وعلى كل حال يمكن قياس هذه السمات وإعطاء الفرد درجات فى كل منها ثم رسم صفحة نفسية تمثل جميع سماته ومدى تقاربها أو تباعدها. والمقصود من دراسة السمات هو فى الواقع دراسة تماسك أنماط معينة من السلوك.

نظرية التحليل العاملى فى تفسير الشخصية Factor Analysis

ومنهج التحليل العاملى منهج إحصائى يستهدف معرفة أنواع السلوك التى تترابط مع غيرها، وعن طريق هذا المنهج أمكن تحديد العوامل المسئولة عن السلوك

---

(1) Sanford, F.H. Psychology.

وبع هذه العوامل، وبذلك بدلا من تعددها وتشعبها أصبحت محدودة نسبياً، وعلى ذلك فتطبيق هذا المنهج يؤدى إلى البساطة بدلا من التعدد.

ومن بين الدراسات التى اتبعت منهج التحليل العاملى دراسة لكاتل ١٩٥٧ حيث طبق عدداً كبيراً من الإختبارات، ولاحظ سلوك الناس فى مواقف عملية وإنتهى إلى تحديد ١٥ سمة ثنائية Bipolar حيث وجد أن كل سمة عامة يندرج تحتها طائفة من السمات الجزئية الفرعية التى تترابط وإياها. ويقصد بالسمة الثنائية تلك السمات التى لها طرفان كالإنطواء والإنبساط.

ومن هذه العوامل مايلى:

السيكلوثيما Cyclothymis	**ضد**	**الاسيكيزوميا Schizothymia**
وتتضمن صفات مثل:		**وتتضمن صفات مثل:**
إجتماعى	ضد	مغلق إجتماعياً
متكيف	ضد	غير متكيف
دافئ القلب	ضد	بارد أو غير مبالى
صريح وواضح	ضد	كتوم
إنفعالى	ضد	متحفظ
يثق فى الناس	ضد	شكاك
مندفع	ضد	حذر
كريم	ضد	بخيل
متعاون	ضد	عدوانى
خاضع للمديح	ضد	غير شخصى
فكاهى	ضد	جاف

هذه السمات أو العوامل محددة على أساس هذا المنهج الإحصائى ونتيجة لتحليل نتائج كثير من الإختبارات والمقاييس التى يعتبرها كاتل Cattel مؤيدة لوصف كريتشيمر لحالات الجنون الدورى Mamic- depressive والحالات

الفصام Schizophrenic ولكن بطبيعة الحال هذه الأنماط السلوكيةالتى تميل إلى الحدوث فى شكل نماذج مترابطة تقوم على أساس أدق من مجرد ملاحظات كريتشيمر الإكلينيكة. والسمة ينظر إليها على أنها متدرجة تدرجاً متصلا ومستمراً وليست طبقاً لمنطق الفئات أو التصانيف الحاسمة الفاصلة.

ويعتبر كاتل Cattel أن هناك أربع عشرة سمة متميزة فى الشخصية من الممكن قياسها بدقة تشابه الدقة الموجودة فى قياس الذكاء، ومن هذه السمات السيطرة ويقابلها الخضوع «ثاقب الفكر» ويقابلها الشخص الساذج.

ولقد حاولت نظرية التحليل العاملى أن تتلافى أوجه النقص البارزة فى نظرية السمات. وذلك يرد كثرة المتغيرات إلى قلة من الوحدات تضم كل واحدة منها مجموعة من السمات التى يرتبط فيها بينها ارتباطاً عالياً. إن التحليل العاملى لايختلف من حيث الهدف عن نظريات الأنماط، وإنما تختلفُ الوسيلة فعلم الأنماط يستند إلى ذاتية الباحث بينماى ستند التحليل العاملى إلى الوسائل الإحصائية والقياسية.

لقد نشأ التحليل العاملى من محاولة تفسير الإرتباطات التى تكشفت بين نتائج اختبارات الذكاء المختلفة ثم تخطى ذلك إلى سائر المجالات الأخرى. ومنها مجال الشخصية. يتم التحليل العاملى بتطبيق عدد من الإختبارات ثم نستخرج معاملات الإرتباط بين مختلف نتائج هذه الإختبارات، ثم يجرى التحليل على مصفوفة الارتباطات وهى عبارة عن جدول موضح فيه الإرتباطات الموجودة بين هذه الإختبارات المستخدمة، وفى حالة وجود إرتباط عال بين مجموعة من النتائج يفترض وجود عامل عام على أنه علة هذا الإرتباط ويذهب سبيرمان Searman إلى القدرات الإنسانية ترجع إلى عامل عامل واحد يوجد بمقدار معنى فى كل قدرة من القدرات، كما ترجع تلك القدرات بدورها إلى عدد كبير من العوامل النوعية الضيقة المجال، ومعنى ذلك أنه فى كل نشاط عقلى يوجد هذا العامل العام إلى

جانب عالم نوعى خاص بهذه القدرة بالذات، ولكن ظهرت وسائل أخرى لاجراء التحليل العاملى لمصفوفة الارتباطات فانتهى ثرستون Thurstone إلى انكار العامل العام الذى قال به سبيرمان بينما اعتبره طومسون ابتكاراً إحصائياً. واستخدام إيزنك طريقة خاصة فى الحساب وانتهى إلى إنكار هذا العامل غير أن علماءالتحليل العاملى لاينظرون إلى العوامل على أنها مجرد معايير للتصنيف تدخل دائرة الفروق الفردية وإنما هم يميلون إلى إعتبارها عناصر حقيقية مكونة للشخصية ومن ثم يتصورون التحليل العالمى على أنه دراسة للشخصية. ولذلك يبحثون عن أشياء حقيقية يمكن قبولها على أنها مكونات الشخصية ذات دلالة سبية، ولكن تضارب النظريات فى علم النفس يرجع فى رأى كاتل إلى عدم الإتفاق على نظام للمتغيرات الأساسية للشخصية.

ولقد إتجه إيزنك إلى النظر للمتغيرات الأساسية لا على أنها أنماط وإنما على أنها أبعاد. ومعنى ذلك التخلى عن البحث عن فواصل قاطعة وقبول التغير المتصل بين قطبين. وينطوى ذلك على فرض مؤداه أن كل شخص لابد وأن يكون له مكان محدد على كل بعد من هذه الأبعاد. وبأن الناس يختلفون فيه من النايحة الكمية. فليس معنى هذا أن تكون السمة العامة هى بعينها عند إتفاق الكم، وذلك لأن الكم يمكن أن يتفق ثم يختلف انتظام السمة اختلافا شاسعاً وذلك تبعاً لتفاعل السمة مع غيرها من السمات الأخرى أو تبعاً لنوع العلاقة بين السمة والسمات الأخرى. ومهما يكن من أمر فإن العوامل من حيث هى متغيرات أساسية لاتختلف من حيث المبدأ عن أنماط هيبوقراط وإنما ينحصر الإختلاف أن العامل يتم الكشف عنه بإستخدام الوسائل الرياضية فهو افتراض تجريبى. أما الأمزجة فهى افتراض بحت. ومن هنا يميل بيرت Burt إلى أن يرى فى نظرية التحليل العاملى صورة جديدة رقمية لنظرية الملكيات القديمة تلك النظريّة التى كانت ترى أن العقل الإنساى مقسم إلى ملكات مستقلة مثل الذاكرة والتفكير. فقد تغيرت اللغة والوسيلة ولكن الإتجاه مايزال على حاله. ومن هنا لايغالى البعض

حين يذهب إلى أن التحليل التحليل العاملى قد إنتهى ولذلك ينظر لدراسات التحليل العاملى على أنها دراسة غير شيقة.

نظريات ديناميكية الشخصية

رأينا أن نظرية الأنماط تستهدف تصنيف الناس إلى أنماط معية كما رأينا أن نظرية السمات تستهدف إكتشاف ما لدى الفرد من سمات وقياس هذه السمات قياساً كمياً دقيقاً.

أما نظرية ديناميكية الشخصية فإنها تهتم بكيفية تكوين الشخصية، وترى أن الشخصية تتكون من مكونات جسمية وتتضمن العوامل الفسيولوجية،وتتأثر هذه العوامل بالظروف البيئية. وتحدد العوامل الجسمية كثيراً من جوانب شخصية الفرد. فهى تحدد مدى إحتماله للتعب ومدى قدرته على التعلم وإكتساب الخبرات، وقدرته العامة على ممارسة النشاط. ولاشك أن الاستعدادات الجسمية تؤثر فى شخصية الزفراد. كذلك فمن المعروف أن هناك بعض السمات الأولية التى تحددها العوامل الوراثية، مثل لون البشرة وطول القامة ولون العينين وشكل الشعر.

كذلك من مكونات الشخصية - تبعاً لنظرية ديناميكية الشخصية - العوامل الإجتماعية فكل ثقافة من الثقافات تطبع أفرادها بطابع معين. فالطفل تتشكل شخصيته أثناء عملية التنشئة الإجتماعية. والمعروف أن المجتمع وجماعاته المختلفة تؤثر فى تكوين شخصية الفرد وتصقلها بطابع معين.

كذلك يتأثر نمو شخصية الفرد بالأدوار التى يقوم بها وسط جماعته فالمجتمعات تحدد أدواراً معينة للرجال وللنساء وللصبية وللبنات. فالدور الذى يقوم به الفرد يختلف بإختلاف سنة وجنسه وطبقته الإجتماعية، ومجتمعه الأكبر. ومعرفة الأدوار التى يقوم بها فرد مانساعد فى معرفة شخصيته وهناك مجتمعات تعطى للرجال ماتعطيه مجتمعات أخرى للنساء من أعمال.

ومن العوامل المؤثرة فى نمو الشخصية المواقف الإجتماعية، وتختلف المواقف

التى يمر بها الإنسان من فرد إلى فرد. فمعاملة الأسرة لطفل، لابد أن تختلف عن معاملتها لطفل اخر، وبعبارة أخرى فإن البيئة السيكلوجية للفرد تختلف من فرد إلى آخر حتى إذا تساوت البيئة المادية أو الجغرافية.

ويلاحظ أن هذه العوامل المؤثرة فى تكوين الشخصية متفاعلة ومتداخلة وليست مستقلة بعضها عن بعض وإذا أردنا معرفة الشخية فلابد من معرفة التكوين أو التنظيم الديناميكى للفرد، ولذلك لابد من دراسة الشخصية ككل. فالشخصية ليست مجرد مجموعة من السمات أو القدرات المرصوصة، ولكن وراء هذه السمات وحدة وتكامل وتناسق وتفاعل. فنحن لانستطيع أن نفهم سمة من السمات إلا بعد معرفة علاقتها بغيرها من السمات. كذلك تتوقف وظيفة السمة على الموقف الخارجى المحيط بالفرد فالفرد فى موقف قد يكون خانعاً مطيعاً وقد يكون فى آخر مسيط مسلطاً، كذلك قد يتظاهر بالضعف تارة والقوة والبأس تارة أخرى، فالفرد يدر-ـ فى إطار المجال السيكلوجى الذى يوجد فيه (١).

ولذلك ففى الحكم على الشخصية يقوم الباحث بملاحظة شخصية المفحوص ككل لذلك يتزثر بالعوامل الذاتية، وتعجز هذه الطرق على الحصول على بيانات كمية. وعلى ذلك فإنها لاتصلح إلا إذا إستخدمها إخصائى مدرب تدريباً كافياً وله خبرة كبيرة بميدان القياس النفسى.

وتعمد طرق دراسة الشخصية على هذا لأأساس على جمع بيانات عن سلوك الفرد بملاحظة سلوكه فى موقف عملية مختلفة أو عن طريق المقابلة أو عن طريق تطبيق اختبارات السمات أو عن طريق تطبيق الإختبارات الإسقاطية أو عن طريق معرفة تاريخ الحياة. وبعد ذلك تدريس البيانات دراسة متكاملة بحيث يعرف تأثير كل عامل فى العوامل الأخرى.

---

(١) راجع كتاب دراسات سيكولوجية للدكتور عبد الرحمن محمد العيسوى للوقوف على معنى المجال السكلوجى - مدرسة الجشطات.

الشخصية فى نظر التحليل النفسى Psycho- analysis

تعتبر نظرية ا لتحليل النفسى من أشهر النظريات التى تهتم بتفسير سلوك الكائن الإنسانى ككل. والمعروف أن جميع نظريات تفسير الشخصية تبدأ بدراسة السلوك وذلك لتحديد أنواع السلوك التى تميل إلى التجمع أو الترابط فى شكل نماذج محددة. ويمتاز الإتجاه التحليل بأنه يتجاوز مجرد وصف الشخصية، ويهتم بطبيعتها الديناميكية وذلك بمعرفة الدوافع التى تكمن وراء السلوك بغية التمكن من التنبؤ بسلوك الفرد فى المستقبل.

وحتى منهج التحليل العاملى لم يزد عن كونه وصفاً للشخصية، والمعروف أن العلم لايستهدف الوصف فحسب ولكنه يستهدف تفسير الظواهر التى يدرسها لمعرفة أسبابها، كما يسعى للتحكم فى هذه الظواهر والعمل على تعديلها.

فنظرية السمات لم تزد عن كونها تحديداً لبعض السمات أو العناصر، ولكنها لاتشير إلى التنظيم الإنسانى الكلى أى الشخصية الإنسانية.

أما الإتجاه التحليلى فى تفسير الشخصية فإنه إتجاه ديناميكى لايهتم بالوصف فحسب، ولكنه يبحث عن تلك الدراما التى تدور فصولها فى داخل الكائن الإنسانى. وتمتاز مدرسة التحليل النفسى بإستخدام كثير من الإستعارات اللغوية، ولكنها لاتستخدم أيا من مفاهيم علم النفس العام أو موضوعاته مثل التذكر أو النسيان والتعلم والاستدلال والمعرفة الذاتية والدوافع والرغبات. ولكن مدرسة التلحيل النفسى تهتم بالعمليات العقلية اللاشعورية[١]. وبطبيعة الحال تعد هذه عزلة كبيرة عن بقية التراث العلمى وبالتالى تودى إلى خسارة لمدرسة التحليل النفسى. وفى الوقت الخاضر توجد نزعة نحو استفادة التحليل النفسى من علم النفس العام.

---

(١) لمعرفة مظاهر الحياة اللاشعورية راجع كتاب «سيكولوجية الحياة الروحية للمؤلف والدكتور جلال شرف.

لقد نشأت حركة التحليل النفسى عندما بدأ فرويد يفكر فى أعراض بعض المرضى الذين أتوا إليه سعيا وراء العلاج النفسى ولقد إهتم على وجه الخصوص بالأعراض الهستيرية كشلل الذراع أو الرجل دون وجود أسباب عصبية،أو فقدان حساسية الجلد Glove anesthesia التى تشبه حالة الفرد الذى يرتدى قفازا فى يديه. واعتبر فرويد هذه الأعراض الهستيرية كضرورة لمحافظة الكائن الحى على توازنه واتبع منهج دراسة تاريخ الحالة، وأعتقد أن الأعراض الحالية للمرض النفسى إنما تنبع جذورها من خبرات الفرد الماضية. كذلك اتبع منهج التداعى حيث يسرد المريض كل مايرد على خاطره من أفكار وخواطر، وذلك لمعرفة الأمور التى تتكرر أكثر فى حديث المريض والأمور المترابطة عنده... وهكذا. وعن طريق دراسته للأحلام[١] استنتج أن الأحلام عبارة عن تعبير مقنع عن الدنياميات الداخلية للشخصية.

كذلك جمع معلومات عن هفوات أو زلات المريض فى الكلام، وحالات السهو أو الإغفال وهو الحوداث، اعتقد أن أمثال هذه الاستجابات التى تختلف عن السلوك العمدى المقصود لابد أنها تسهم فى تكوين نوع تكيف الفرد. أما مكونات الشخصية عند فرويد فتكون من ثلاثة عناصر هى الأنا الدنيا والأنا الوسطى والأنا الأعلى.

(١) الهو Id:

كان فرويد يعتقد أنه فى كل شخصية توجد منطقة غير أليفة وغير مرتادة، وتشبه الحيوان فى طبيعتها، وأعتقد أنه يوجد بها القوى الدافعية فى الإنسان منذ الميلاد، وأنها قوى غريزية، وقوة مكونة من الدوافع الفجة العنيفة والبدائية، وأطلق عليها اسم الهو أو الذات الدنيا Id وأعتقد كذلك أنه رأى نوعين من الدوافع فى

(١ راجع كتاب «سيكولوجية الحياة الروحية للمؤلف بالإشتراك مع الدكتور جلال شرف وذلك لمعرفة تفسير الأحلام.

هذه المنطقة: الدافع نحو الحياة والخلق والإبداع والحب، أى الرغبة فى الحياة. واطلق اسم الليبيدو libido على ذلك الجانب من الـ Id الخاص بالعلاقات والمناشط الجنسية أو الطاقة الجنسية والحيوية. أما الدافع الثانى فهو الرغبة فى العدوان والموت والتخريب والتدمير وأطلق عليه ذلك اسم رغبة الموت أو غريزة الموت.

ولقد افترض فرويد أن الذات الدنيا تبدو مسيطرة فى مرحلة الطفولة المبكرة، فالغرائز البدائية هى التى تحرك اسلوك الطفل. فالطفل الصغير يسعى لتحقيق ذاته ويعبر صراحة عن دوافعه العدوانية التى يسقطها على العالم الخارجى، دون أى شعور للأسف أو القمع ودون مراعاة لتقاليد العالم الخارجى.

(٢) الأنا Ego:

العنصر الثانى من عناصر الشخصية عند فرويد هو الذات الوسطى Ego تلك التى تسير حسب مبدأ الحقيقة أو الواقع أو المنطق أو التعقل فالذات كالمدير الذكرى الذى يسعى إلى تحقيق بقاء الفرد متكاملا. وذلك بالتوفيق بين مطالب الهو ومطالب الضمير أو الذات العليا Super- ego تلك المطالب المتناقضة، وكذلك مطالب البيئة الواقعية. فالأنا يشبه الجهاز التنفيذى فى الفرد. فهو الذى يتحكم فى مطالب الهو ومطالب الذات العليا وينظم الاتصال بالعالم الخارجى. ويسير الأنا حسب مبدأ الواقع وليس مبدأ اللذة كما هو الحال بالنسبة للهو. وهو لذلك يؤجد الاشباع المباشر لبعض الدوافع حتى حين الفرص المناسبة والمقبولة اجتماعياً، فالأنما تعمل كوسيط بين الذات العليا المتزمنة، صاحبة المبادىء والمثل الأخلاقية وبين الهو صاحبة مبدأ اللذة والشهوة.

(٣) الأنا الأعلى أو الذات العليا Super ego:

الوظيفة الأساسية للأنا الأعلى هى السعى نحو تحقيق المبادىء الأخلاقية والكمال والتحكم فى السلوك. فالطفل فى بداية حياته يخضع لمبدأ اللذة ولايخضع

سلوكه لمعايير المجتمع. ولايكف الطفل عن الاتيان بالسلوك غير المقبول إلا فى حضور السلطة الضابطة أو المانعة لهذا السلوك أى الأب أو الأم. ولكن بمرور الوقت يمتص هذه المبادىء وتصبح مبادئه هو ومعاييره هو. فالأنا الأعلى خلقى ومتزمت فى التمسك بالمباديء الأخلاقية. وهو يسعى لتحقيق الكمال الخلقى أكثر من كونه واقعياً. فالأنا الأعلى هو السلطة الداخلية الرداعة فى الإنسان، وهو يمثل الآباء، ويتكون من الأوامر والنواهى التى يلقيها الآباء على الطفل.

هذه هى العناصر الثلاثة المكونة للشخصية، أما عن العلاقة بينها فإنها علاقة صراع بين الهو وبين الأنا الأعلى، صراع بين الخير والشر، ويحدث هذا الصراع فى نطاق اللاشعور، ومن هنا كانت ضرورة وظيفة الذات الوسطى للتوفيق بين قوى الخير والشر فى الإنسان.

وتلعب فكرة اللاشعور Unconsciousness دوراً هاماً فى تكون الشخصية فى نظرية فرويد. فلقد لاحظ فرويد نفسه كثيراً من مظاهر السلوك التى اعتقد أن الدافع وراءها دفع لاشعورى.

وهناك أدلة كثيرة على وجود الدوافع اللاشعورية نسوق منها حالة سيدة تبلغ من العمر ٣٤ عاماً ولها أربعة أطفال وتعيش مع زوجها وأطفالها وهى ليست موظفة، تقول فى وصف شعورها نحو أسرتها أنها لسعيدة الحظ لأنها تملك مثل هذه الأسرة السعيدة، فجميع أفرادها عبارة عن ملائكة، ولذلك فهى تشعر بالعطف والشفقة على هؤلاء الذين حرموا نعمة الأطفال، وتقول إن منزلها تغمره السعادة بصفة دائمة، وأنها تجد لذة فائقة فى مساعدة أطفالها لكى يصبحوا رجالا. ولذلك فإنها تؤكد أنها لن تأخذ أى وظيفة تبعدها عن أسرتها الغالية.

ولكن كانت هذه السيدة فى الواقع تشغل كثيراً من المناشط الاختيارية فهى عضو فى عدة أندية وفى عدة جمعيات نسائية وعضو فى عدة لجان فى الحى الذى تعيش فيه، كما أنها لاعبة جولف وسكرتيرة جميعة الصحة فى الحى الذى

تقيم فيه. ولذلك فإنها فى معظم الأحوال لاتكون فى المنزل عندما يعود أطفالها من المدرسة لأنها دائما مشغولة. ودائمًا تقنع زوجها بأخذ الأسرة كلها لتناول الغذاء فى أحد المحلات العامة لأنها لاتجيد الطهى، وعندما تضطر لاعداد الطعام فى المنزل فإنها تعمد فى الغالب على الأطعمة المجففة أو المعلبة. وعندما اسجوبها المحلل النفسى تبين أنها لاتعرف شيئا عن ميول أطفالها ولا عن مدى تقدمهم فى الدراسة ولا عن أماكن وجودهم أثناء النهار.

مثل هذه السيدة لديها رغبة لاشعورية نحو كراهية الأسرة والشعور تجاهها بالجنق والضيق، فهى تكره قيامها بدور الزوجة والأم. هذه العاطفة نحو الكراهية تسعى إلى تغطيتها بعاطفة حب ظاهرى وشعور بالمتعة من الحياة الأسرية، لأن كراهية الأسرة شعور تعافه النفس الشاعرة. فمشاعر الكراهية نحو الأسرة موجودة عندها ولكنها لاتقبلها لأن فكرتها عن نفسها أنها أم مثالية وزوجة تمنعها من الإعتراف بشعورها الحقيقى وعلى ذلك فالدوافع اللاشعورية مكبوتة وينكرها ضميرها الواعى.ولكن هذا الكبت لايعنى انعدام هذه الدوافع، فإن سلوكها يدل على وجود هذه الدوافع[1].

(1) Sanford. F. H, Psychology, A Scientific Study of Man.

أسئلة تطبيقية وتمرينات عملية

(١) اشرح المعنى المقصود بالنمط أو الطراز.

(٢) اشرح كيفية تكوين مفهوم النمط.

(٣) ما الأنماط المزاجية وإلى أى مدى يمكن قبول هذه النظرية فى ضوء العلم الحديث؟

(٤) اضرب أمثلة للأنماط الجسمية والنفسية والاجتماعية.

(٥) تبعا لنظرية يونج فى الشخصية هناك ثمانية أنماط شخصية. اشرح هذه الأنماط.

(٦) هناك كثير من أوجه النقد التى توجه إلى نظرية الأنماط.. اشرح ذلك.

(٧) هل هناك فوائد عملية لفكرة تصنيف الناس إلى أنماط شخصية؟

(٨) هل يمكن أن تساعد كتابة الفرد على التعرف على شخصية؟

(٩) اشرح مضمون نظرية السمات ووضح مواطن الضعف فى هذه النظرية.

(١٠) هل يمكن تصنيف دوافع الناس؟

(١١) اشرح المقصود بمنهج التحليل العاملى، ووضح مفهوم الشخصية فى ضوء هذا المنهج؟

(١٢) اشرح المعنى المقصود بالارتباط موضحاً الفرق بين الارتباط وبين العية؟

(١٣) ما الفرق بين العوامل التى يدرسها منهج التحليل العاملى وبين الأمزجة النفسية التى قال بها هيبوقراط؟

(١٤) وضح وجهة نظر التحليل النفسى فى تفسير الشخصية.

(١٥) اكتب مقالا يوضح رأيك فى مفهوم الشخصية ومكوناتها والعوامل المؤثرة فيها معبراً عن وجهة نظرك الخاصة التى تمكنك تكوينها لنفسك بعد دراسة هذا الفصل.